

كتاب الأمان

لأبي الفرج علي بن الحسين الأصفهاني

المتوفى سنة ٣٥٦ هـ - ٩٧٦ م

تحقيق

الدكتور إحسان عباس

الدكتور إبراهيم السعافين الأستاذ بكر عباس

المجلد الرابع

دار طائر

بيروت

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى

1423 هـ - 2002 م

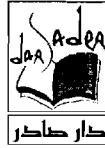
الطبعة الثانية

1426 هـ - 2005 م

الطبعة الثالثة

1429 هـ - 2008 م

جميع الحقوق محفوظة . لا يسمح بإعادة إصدار الكتاب أو تخزينه في نطاق إستعادة المعلومات أو نقله بأي شكل كان أو بواسطة وسائل إلكترونية أو كهروستاتية ، أو أشرطة ممغنطة ، أو وسائل ميكانيكية ، أو الاستنساخ الفوتوغرافي ، أو التسجيل وغيره دون إذن خطي من الناشر .



تأسست سنة 1863

ص. ب. ١٠ بيروت ، لبنان

© DAR SADER Publishers

P.O.B. 10 Beirut, Lebanon

Fax: (961) 4.910270

e-mail: dsp@darsader.com

http: www.darsader.com

KITĀB AL-AQHĀNĪ 1/25
(Abu al-Faraj al-Isphahānī)

ISBN 9953-13-045-0

[43] - ذكر نسب أبي العتاهية وأخباره¹

سوى ما كان منها مع عتبة ، فإنه أفرد لكثرة الصنعة في تشبيهه بها ، وأنها اتسعت جداً فلم يصلح ذكرها هنا ، لئلا تنقطع المائة الصوت المختارة ، وهي تذكر في موضع آخر إن شاء الله تعالى .

[اسمه ولقبه وكنيته ونشأته.]

أبو العتاهية لقبٌ غلب عليه ، واسمه إسماعيل بن القاسم بن سويد بن كيَّسان ، مولى عَنَزَة ، وكنيته أبو إسحاق . وأمه أمُّ زيد بنت زياد المُحَارِبِيّ مولى بني زُهْرَة ؛ وفي ذلك يقول أبو قابوس² النصراني وقد بلغه أن أبا العتاهية فضّل عليه العتّابي : [من مجزوء الكامل]

قُلْ لِلْمُكَنِّي نَفْسَهُ مُتَخَيِّرًا بَعْتَاهِيَةَ
وَالرَّسِيلَ الْكَلِمَ الْقَبِيَةَ حَ وَعْتَهُ أُذُنٌ وَاعِيَةَ
إِنْ كُنْتَ سِرًّا سَوَّيْتَنِي أَوْ كَانَ ذَاكَ عَلاَنِيةً
فَعَلَيْكَ لَعْنَةُ ذِي الْجَلَا لِ وَأُمُّ زَيْدٍ زَانِيَةَ

ومنشؤه بالكوفة . وكان في أول أمره يتحنّث ويحمل زاملّة المخنّثين ، ثم كان يبيع الفخّار بالكوفة ، ثم قال الشعر فبرع فيه وتقدّم .

[شاعريته]

ويقال : أطبع الناس بشار والسيد³ وأبو العتاهية . وما قدر أحدٌ على جمع شعر هؤلاء الثلاثة لكثرتهم . وكان غزير البحر ، لطيف المعاني ، سهل الألفاظ ، كثير الافتنان ، قليل التكلف ، إلا أنه كثير الساقط المرذول مع ذلك . وأكثر شعره في الزهد والأمثال . وكان قوم

1 ترجمة أبي العتاهية في الشعر والشعراء 675-679 وطبقات ابن المعتز : 228 ومعاهد التنصيص 2 : 285 وشذرات الذهب 2 : 25 ووفيات الأعيان رقم 94 وتاريخ بغداد 6 : 25 والموشح : 254 وانظر بروكلمان 2 : 34-36 وله ترجمة مهمّة أوردها ابن العديم في بغية الطلب استمدّها من عدّة مصادر بعضها لم يصلنا مثل المستنير في أخبار الشعراء للمرزباني وأخبار أبي العتاهية للآمدي وأخبار أبي العتاهية لابن عمّار . وهذه الترجمة نشرها إحسان عباس في مجلّة دراسات التي تصدر عن الجامعة الأردنية ، المجلّد 15 (7 : 70-91) 1988 وهي التي نشير إليها في الحواشي . وديوانه الذي نعتمده هنا هو الذي عني بجمعه وتحقيقه د . شكري فيصل ، مطبعة جامعة دمشق ، 1965 وطبعة دار صادر ، 1964 . وقد أورد ابن حمدون في التذكرة تفتاً من أخباره وشعره في نحو ثلاثين فقرة .

2 ل : فارس .

3 يعني السيد الحميري .

من أهل عصره ينسبونه إلى القول بمذهب الفلاسفة ممن لا يؤمن بالبعث ، ويحتجّون بأن شعره إنما هو في ذكر الموت والفناء دون ذكر النشور والمعاد . وله أوزان طريفة قالها مما لم يتقدّمه الأوائل فيها . وكان أبخل الناس مع يساره وكثرة ما جمعه من الأموال .

[كنيه]

حدّثني محمد بن يحيى الصُّويّ قال أخبرني محمد بن موسى بن حمّاد قال : قال المهدي¹ يوماً لأبي العتاهية : أنت إنسانٌ متحلّقٌ مُعْتَه² . فاستوت له من ذلك كنية غلبت عليه دون اسمه وكنيته ، وسارت له في الناس . قال : ويقال للرجل المتحلّق : عتاهية ، كما يقال للرجل الطويل : شُناحية . ويقال : أبو عتاهية ، بإسقاط الألف واللام .

قال محمد بن يحيى وأخبرني محمد بن موسى قال أخبرني ميمون بن هارون عن بعض مشايخه قال : كني بأبي العتاهية أن كان يحبّ الشهرة والمجون والتعته . وبلده الكوفة وبلد آبائه ، وبها مولده ومنشؤه وباديته .

[قول ابنه إليهم من عنزة]

قال محمد بن سلام : وكان محمد بن أبي العتاهية يذكر أن أصلهم من عنزة ، وأن جدّهم كيسان كان من أهل عين الثمر ، فلما غزاها خالد بن الوليد كان كيسان جدّهم هذا يتيماً صغيراً يكفّله قرابة له من عنزة ، فسباه خالد مع جماعة صبيان من أهلها ، فوجه بهم إلى أبي بكر ، فوصلوا إليه وبحضرتة عبّاد بن رفاعة العنزيّ بن أسد بن ربيعة بن نزار ، فجعل أبو بكر رضي الله عنه يسأل الصبيان عن أنسابهم فيخبره كل واحد بمبلغ معرفته ، حتى سأل كيسان ، فذكر له أنه من عنزة . فلما سمعه عبّاد يقول ذلك استوهبه من أبي بكر رضي الله عنه ، وقد كان صار خالصاً له ، فوهبه له ؛ فأعتقه ، فتولّى عنزة .

[استعداؤه مندبل بن علي وأخاه علي من سبه بأنه نبطي]

أخبرني محمد بن عمران الصيرفيّ قال حدّثنا الحسن بن عليّ العنزيّ قال حدّثنا أحمد بن الحجّاج الجلاّني الكوفيّ قال حدّثني أبو دُوَيْلٍ مُصْعَب³ بن دُوَيْلٍ الجلاّني ، قال : لم أر قطُّ مندبل بن عليّ العنزيّ وأخاه حيّان⁴ بن عليّ غضباً من شيء قطُّ إلا يوماً واحداً ، دخل عليهما أبو العتاهية وهو مُضْمَخٌ بالدماء . فقالا له : ويحك ؛ ما بالك ؟ فقال لهما : من أنا ؟ فقالا له :

1 ابن العديم في دراسات : 49 (الفقرة 11) .

2 ل وابن العديم : مُعْتَه .

3 ل وابن العديم : صعب .

4 ل وابن العديم : حبان ؛ وانظر الفقرة 9 من ابن العديم .

أنت أخونا وابن عمنا ومولانا . فقال : إن فلاناً الجزار قتلني وضربني وزعم أنني نبطي ، فإن كنت نبطياً هربت على وجهي وإلا فقوماً فخذنا لي بحقي . فقام معه مندل بن علي وما تعلق نعله غضباً ؛ وقال له : والله لو كان حقتك على عيسى بن موسى لأخذته لك منه ؛ ومرّ معه حافياً حتى أخذ له بحقه .

أخبرني الصُّويّ قال حدثنا محمد بن موسى عن الحسن بن عليّ عن عمر بن معاوية عن جبارة¹ بن المغلس الحِمانيّ قال : أبو العتاهية مولى عطاء بن مِحجن العَنزيّ .

[صنعة أبي العتاهية وصنعة أهله]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال قال أبو عَوْن أحمد بن المنجّم أخبرني خييارُ الكاتب قال : كان أبو العتاهية وإبراهيم الموصليّ من أهل المذار² جميعاً ، وكان أبو العتاهية وأهله يعملون هذه الجرار الخُضر ، فقدموا إلى بغداد ثم افترقا ؛ فنزل إبراهيم الموصليّ ببغداد ، ونزل أبو العتاهية الحيرة . وذكر عن الرياشي أنّه قال مثل ذلك ، وأنّ أبا أبي العتاهية نقله إلى الكوفة .

قال محمد بن موسى : فولأى أبي العتاهية من قِبَل أبيه لعنزة ، ومن قِبَل أمّه لبني زهرة ، ثم لمحمد بن هاشم بن عُتْبة بن أبي وقاص ، وكانت أمّه مولاة لهم ، يقال لها أمّ زيد .

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدثنا محمد بن مهرويه قال : قال الخليل بن أسد : كان أبو العتاهية يأتينا فيستأذن ويقول : أبو إسحاق الخزّاف . وكان أبوه حجّاماً من أهل ورجة ؛ ولذلك يقول أبو العتاهية³ :

ألا إنّما التّقوى هو العزّ والكرّم وحبُّك للدنيا هو الفقر والعَدَم
وليس على عبدٍ تقِيّ نقيصةً إذا صحّح التّقوى وإن حاك أو حَجَم

[فاخره رجل من كنانة]

حدثني محمد بن يحيى الصُّويّ قال حدثنا الغلابيّ قال حدثنا محمد بن أبي العتاهية قال : جاذب رجلٌ من كنانة أبا العتاهية في شيء ، ففخر عليه الكِنانيّ واستطال بقوم من أهله ؛ فقال أبو العتاهية :

دَعَيْتَ من ذِكرِ أبٍ وجدٍّ ونَسَبٍ يُعَلِّيك سُورَ المجدِ

1 ل : محمد بن معاوية عن جنادة بن المغلس .

2 المذار : بين واسط والبصرة .

3 ابن العديم في دراسات : 52 (الفقرة 17) .

ما الفخرُ إلا في التقى والزهدِ وطاعةٍ تُعطي جنان الخلدِ
لا بُدَّ من ورْدٍ لأهلِ الوردِ إمّا إلى ضحلي وإمّا عدلٍ

[أراؤه الدينية]

حدّثني الصّوّليّ قال حدّثنا محمد بن موسى عن أحمد بن حرب قال : كان مذهب أبي العتاهية القول بالتوحيد ، وأنّ الله خلق جوهرين متضادين لا من شيء ، ثم إنّه بنى العالم هذه البنية منهما ، وأنّ العالم حديث العين والصنعة لا محدث له إلا الله . وكان يزعم أنّ الله سيردّ كلّ شيء إلى الجوهرين المتضادين قبل أن تفتنى الأعيان جميعاً . وكان يذهب إلى أن المعارف واقعة بقدر الفكر والاستدلال والبحث طبعاً . وكان يقول بالوعيد وبتحريم المكاسب ، ويتشيع بمذهب الزيدية البثرية المبتدعة ، لا يتنقص أحداً ولا يرى مع ذلك الخروج على السلطان . وكان مجبراً .

[مناظرته لثمامة بن أشرس]

قال الصّوّليّ : فحدّثني يموت بن المزرع قال حدّثني الجاحظ قال : قال أبو العتاهية لثمامة بين يدي المأمون ، وكان كثيراً ما يعارضه بقوله في الإجماع : أسألك عن مسألة . فقال له المأمون : عليك بشعرك . فقال : إن رأى أمير المؤمنين أن يأذن لي في مسألته ويأمره بإجابتي ؛ فقال له : أجبّه إذا سألك . فقال : أنا أقول : إن كلّ ما فعله العباد من خيرٍ وشرٍّ فهو من الله ، وأنت تأبى ذلك ، فمن حرّك يدي هذه ؟ وجعل أبو العتاهية يحركها . فقال له ثمامة : حرّكها من أمّه زانية . فقال : شتمني والله يا أمير المؤمنين . فقال ثمامة : ناقض الماصّ بظُر أمّه والله يا أمير المؤمنين ؛ فضحك المأمون وقال له : ألم أقل لك أن تشتغل بشعرك وتدع ما ليس من عملك ! قال ثمامة : فلقيني بعد ذلك فقال لي : يا أبا معن ، أما أغناك الجواب عن السّفه ؟ فقلت : إن من أتمّ الكلام ما قطع الحجّة ، وعاقب على الإساءة ، وشفى من الغيظ ، وانتصر من الجاهل .

قال محمد بن يحيى وحدّثني عون بن محمد الكنديّ قال : سمعتُ العباس بن رستم يقول : كان أبو العتاهية مُدبّلاً في مذهبه : يعتقد شيئاً ، فإذا سمع طاعناً عليه ترك اعتقاده إياه وأخذ غيره .

[اعترض عليه أبو الشمقمق في ملازمة المخنثين]

حدّثني أحمد بن عبّيد الله بن عمّار قال حدّثني ابن أبي الدنيا قال حدّثني الحسين بن عبد ربّه قال حدّثني علي بن عبّيدة الرّيحانيّ قال حدّثني أبو الشّمقمق : أنّه رأى أبا العتاهية يحمل زاملة المخنثين ، فقلت له : أمثلك يضع نفسه هذا الموضع مع سنك وشعرك وقدرك ؟ !

فقال له : أريد أن أتعلّم كيادهم ، وأتحفظ كلامهم .

[حاوره بشر بن المعتمر في صنعة الحجامة]

أخبرني عيسى بن الحسين الوّراق قال حدّثنا عبد الله بن أبي سعد قال : ذكر أحمد بن إبراهيم بن إسماعيل أنّ بشر بن المعتمر قال يوماً لأبي العتاهية : بلغني أنّك لما نسكتَ جلستَ تحجّم اليتامى والفقراء للسبيل ، أكذلك كان ؟ قال نعم . قال له : فما أردتَ بذلك ؟ قال : أردتُ أن أضع من نفسي حسَبَما رفعتني الدنيا ، وأضع منها ليسقطَ عنها الكيّر ، وأكسبَ بما فعلته الثواب ، وكنتُ أحجّم اليتامى والفقراء خاصّة . فقال له بشر : دعني من تذليلك نفسك بالحجامة ؛ فإنّه ليس بحجّة لك أن تؤدّبها وتصلحها بما لعلك تُفسد به أمرَ غيرك ؛ أحبّ أن تُخبرني هل كنتَ تعرف الوقت الذي كان يحتاج فيه من تحجّمه إلى إخراج الدم ؟ قال لا . قال : فهل كنتَ تعرف مقدار ما يحتاج كلّ واحد منهم إلى أن يُخرجه على قدر طبعه ، ممّا إذا زدتَ فيه أو نقصتَ منه ضرّ المحجوم ؟ قال لا . قال : فما أراك إلّا أردتَ أن تتعلّم الحجامة على أقتاء اليتامى والمساكين !

[أراد حمدويه صاحب الزنادقة أخذه فستر بالحجامة]

أخبرني محمد بن يحيى الصّوليّ قال حدّثنا أبو ذكّوان قال حدّثنا العبّاس بن رُسَيم قال : كان حمدويه صاحب الزنادقة قد أراد أن يأخذ أبا العتاهية ، ففرغ من ذلك وقعد حجّاماً . أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال : قال أبو دِعامَة عليّ بن يزيد : أخبر يحيى بن خالد أنّ أبا العتاهية قد نسك ، وأنّه جلس يحجّم الناس للأجر تواضعاً بذلك . فقال : ألم يكن يبيع الجرار قبل ذلك ؟ فقيل له بلى . فقال : أما في بيع الجرار من الذلّ ما يكفيه ويستغني به عن الحجامة ؟

[جوابه عن خلق القرآن]

أخبرني محمد بن يحيى قال حدّثني شيخ من مشايخنا قال حدّثني أبو شعيب صاحب ابن أبي دُواد قال : قلت لأبي العتاهية : القرآن عندك مخلوق أم غير مخلوق ؟ فقال : أسألتني عن الله أم عن غير الله ؟ قلت : عن غير الله ، فأمسك . وأعدتُ عليه فأجابني هذا الجواب ، حتى فعل ذلك مراراً . فقلت له : ما لك لا تُجيبني ؟ قال : قد أُجبتك ولكنك حمار .

[أوصافه وصناعته]

أخبرني محمد بن يحيى قال حدّثنا شيخ من مشايخنا قال حدّثني محمد بن موسى قال¹ : كان أبو العتاهية قضيّفاً ، أبيض اللون ، أسود الشعر ، له وقرّة جعدة ، وهيئة حسنة ولبافة وحصافة ،

وكان له عبيد من السودان ، ولأخيه زيد أيضاً عبيدٌ منهم يعملون الخَرْفَ في أتونٍ لهم ؛ فإذا اجتمع منه شيء ألقوه على أجيرٍ لهم يُقال له أبو عباد اليزيدي من أهل طاق الجرار بالكوفة ، فيبيعه على يديه ويردّ فضلَه إليهم . وقيل : بل كان يفعل ذلك أخوه زيد لا هو ؛ وسُئِلَ عن ذلك فقال : أنا جرّار القوافي ، وأخي جرّار التجارة .

قال محمد بن موسى : وحدثني عبد الله بن محمد قال حدثني عبد الحميد بن سريع مولى بني عجل قال : أنا رأيت أبا العتاهية وهو جرّار يأتيه الأحداث والمتأدّبون فينشدّهم أشعاره ، فيأخذون ما تكسّر من الخَرْفَ فيكتبونها فيها .

[كان يشتم أبا قابوس ويفضل عليه العتابي]

حدثني محمد بن يحيى الصّولي قال حدثني عون بن محمد الكندي قال حدثني محمد بن عمر الجرجاني قال : لما هاجى أبو قابوس النصراني كلثوم بن عمرو العتّابي ، جعل أبو العتاهية يشتم أبا قابوس ويضع منه ، ويُفضّل العتّابي عليه ؛ فبلغه ذلك فقال فيه :

قُلْ لِلْمُكَنِّي نَفْسَهُ مُتَخَيِّراً بَعْتَاهِيَهُ
والمرسِلَ الكَلِمَ القَبِيهَ حَ وَعْتَهُ أُذُنٌ وَاعِيَهُ
إِنْ كُنْتَ سَرّاً سَوْتَنِي أَوْ كَانَ ذَاكَ غَلَانِيَهُ
فعليلك لعنة ذي الجلا لِ وَأُمِّ زَيْدٍ زَانِيَهُ

يعني أمّ أبي العتاهية ، وهي أمّ زيد بنت زياد ، فقيل له : أتشتم مسلماً ؟ فقال : لم أشتمه ، وإنما قلت :

فعليلك لعنة ذي الجلا لِ وَمَنْ عَيْنَا زَانِيَهُ

[هجاه والبة بن الحباب]

قال : وفيه يقول والبة بن الحباب وكان يُهاجيه :

كَانَ فِينَا يُكْنَى أَبُو إِسْحَاقِ وَبِهَا الرَّكْبُ سَارَ فِي الْآفَاقِ
فَتَكْنَى مَعْتُوهُنَا بَعْتَاهِ يَا لَهَا كُنْيَةٌ أَتَتْ بِاتِّفَاقِ
خَلَقَ اللَّهُ لِحْيَةً لَكَ لَا تَدُ فَكَ مَعْقُودَةٌ بِدَاءِ الْحُلَاقِ

[قصّته مع النوشجاني]

أخبرنا محمد بن مزيد بن أبي الأزهر قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثنا النوشجاني قال : أتاني البواب يوماً فقال لي : أبو إسحاق الخزّاف بالباب ؛ فقلت : أئذّن له ، فإذا أبو العتاهية قد دخل . فوضعت بين يديه قنوّ موز ؛ فقال : قد صرّت تقتل العلماء بالموز ، قتلت أبا عبدة

بالموز ، وتريد أن تقتلني به ! لا والله لا أذوقه . قال : فحدثني عروة بن يوسف الثَّقَفِيُّ قال : رأيت أبا عبيدة قد خرج من دار النُّوشْجَانِي فِي شِقِّ مَحْمِلٍ مُسَجَّى ، إِلَّا أَنَّهُ حَيٌّ ، وَعِنْدَ رَأْسِهِ قِنُومُ موز وَعِنْدَ رِجْلَيْهِ قِنُومُ موز آخِر ، يُذْهَبُ بِهِ إِلَى أَهْلِهِ . فَقَالَ النُّوشْجَانِي وَغَيْرُهُ : لَمَّا دَخَلْنَا عَلَيْهِ نَعُودُهُ قُلْنَا : مَا سَبَبُ عِلَّتِكَ ؟ قَالَ : هَذَا النُّوشْجَانِي جَاءَنِي بِمَوْزٍ كَأَنَّهُ أُيُورُ الْمَسَاكِينِ ، فَأَكْرَتُ مِنْهُ ، فَكَانَ سَبَبَ عِلَّتِي . قَالَ : وَمَاتَ فِي تِلْكَ الْعِلَّةِ .

[رأى مصعب بن عبد الله في شعره]

أخبرني الحسن بن عليُّ قَالَ حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ زَهِيرٍ قَالَ : سَمِعْتُ مُصْعَبَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ يَقُولُ : أَبُو الْعِتَاهِيَةِ أَشْعَرُ النَّاسِ . فَقُلْتُ لَهُ : بِأَيِّ شَيْءٍ اسْتَحَقَّ ذَلِكَ عِنْدَكَ ؟ فَقَالَ : بِقَوْلِهِ¹ : [من المزج]

تَعَلَّقْتُ بِأَمَالٍ	طَوَالَ أَيِّ آمَالٍ
وَأَقْبَلْتُ عَلَى الدُّنْيَا	مُلِحًّا أَيِّ إِقْبَالٍ
أَيَا هَذَا تَجَهَّزْ لـ	فِرَاقِ الْأَهْلِ وَالْمَالِ
فَلَا بَدَّ مِنَ الْمَوْتِ	عَلَى حَالٍ مِنَ الْحَالِ

ثُمَّ قَالَ مُصْعَبُ : هَذَا كَلَامٌ سَهْلٌ حَقٌّ لَا حِشْوَ فِيهِ وَلَا نُقْصَانَ ، يَعْرِفُهُ الْعَاقِلُ وَيُقَرِّبُهُ الْجَاهِلُ .

[استحسن الأصمعي بعض شعره]

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعيُّ قَالَ حَدَّثَنَا الرَّيَاشِيُّ قَالَ : سَمِعْتُ الْأَصْمَعِيَّ يَسْتَحْسِنُ قَوْلَ أَبِي الْعِتَاهِيَةِ² :

أَنْتَ مَا اسْتَغْنَيْتَ عَنْ صَا	حَبِكَ الدَّهْرَ أَخُوهُ
فَإِذَا احْتَجَّتْ إِلَيْهِ	سَاعَةً مَجَّكَ فُوهُ

[سلم الخاسر يعتبره أشعر الجن والإنس]

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْعَبَّاسِ الْيَزِيدِيُّ إِمْلَاءً قَالَ حَدَّثَنِي عَمِّي الْفَضْلُ بْنُ مُحَمَّدٍ قَالَ حَدَّثَنِي مُوسَى بْنُ صَالِحِ الشَّهْرَزُورِيِّ قَالَ³ : أَتَيْتُ سَلْمًا الْخَاسِرَ فَقُلْتُ لَهُ : أَنْشِدْنِي لِنَفْسِكَ . قَالَ : لَا ، وَلَكِنْ أَنْشِدْكَ لِأَشْعَرِ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ ، لِأَبِي الْعِتَاهِيَةِ ، ثُمَّ أَنْشِدْنِي قَوْلَهُ⁴ : [من المديد]

1 ديوان أبي العتاهية : 305 (رقم 316) .

2 البيتان في بخلاء الجاحظ : 166 .

3 قارن بابن العديم - دراسات : 50 (الفقرة 14) .

4 ديوان أبي العتاهية : 361 (رقم 368) .

صوت

سَكَنٌ يَبْقَى لَهُ سَكَنٌ ما بهذا يُؤَذِّنُ الزَّمَنُ
 نَحْنُ فِي دَارٍ يُخَبِّرُنَا بِيَلَاهَا نَاطِقٌ لَسِينُ
 دَارٌ سَوَاءٌ لَمْ يَدْمُ فَرَحٌ لَامرئٍ فِيهَا وَلَا حَزَنُ
 فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَنْفُسُنَا كُلُّنَا بِالْمَوْتِ مُرْتَهَنُ
 كُلُّ نَفْسٍ عِنْدَ مِيتَتِهَا حَظُّهَا مِنْ مَالِهَا الْكَفَنُ¹
 إِنَّ مَالَ الْمَرْءِ لَيْسَ لَهُ مِنْهُ إِلَّا ذِكْرُهُ الْحَسَنُ

فأخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمّار قال حدّثني محمد بن القاسم قال حدّثني رجل من أهل البصرة أنسيتُ اسمه ، قال حدّثني حمّدون بن زيد قال حدّثني رجاء بن مسلمة قال : قلت لسلم الخاسر : من أشعرُ الناس ؟ فقال : إن شئتَ أخبرتك بأشعر الجنّ والإنس . فقلت : إنما أسألك عن الإنس ، فإن زدّتي الجنّ فقد أحسنت . فقال : أشعرهم الذي يقول : [من المديد]

سَكَنٌ يَبْقَى لَهُ سَكَنٌ ما بهذا يُؤَذِّنُ الزَّمَنُ

قال : والشعر لأبي العتاهية .

[أثنى جعفر بن يحيى على شعره وواقفه الفراء]

حدّثني البيهقي قال حدّثني عمّي الفضلُ قال حدّثنا عبد الله بن محمد قال حدّثنا يحيى بن زياد الفراء قال : دخلتُ على جعفر بن يحيى فقال لي : يا أبا زكريّا ، ما تقول فيما أقول ؟ فقلت : وما تقول أصلحك الله . قال : أزعّم أنّ أبا العتاهية أشعرُ أهل هذا العصر . فقلت : هو والله أشعرهم عندي .

[أثنى آخرون على شعره]

حدّثني محمد بن يحيى الصوّليّ قال حدّثني محمد بن موسى قال حدّثني جعفر بن النضر الواسطيّ الضّرير قال حدّثني محمد بن شيرويه الأنماطيّ قال : قلت لداود بن زيد بن رزين الشاعر : من أشعرُ أهل زمانه ؟ قال : أبو نواس . قلت : فما تقول في أبي العتاهية ؟ فقال : أبو العتاهية أشعرُ الإنس والجنّ .

أخبرني الصوّليّ قال حدّثني محمد بن موسى قال ، قال الزبير بن بكار : أخبرني إبراهيم بن المنذر عن الضحّاك ، قال : قال عبد الله بن عبد العزيز العمريّ : أشعرُ الناس أبو العتاهية حيث يقول :

[من الكامل]

ما ضَرَّ مَنْ جَعَلَ التُّرَابَ مِهَادَهُ أَلَّا يَنَامَ عَلَى الحَرِيرِ إِذَا قَبِعَ
صَدَقَ وَاللَّهِ وَأَحْسَنَ .

[مهارته في الشعر]

حدَّثني الصَّوِّبِيُّ قال حدَّثني محمد بن موسى قال حدَّثني أحمد بن حَرْبٍ قال حدَّثني
المعلِّى بن عثمان قال : قيل لأبي العتاهية : كيف تقول الشعر ؟ قال : ما أردته قطَّ إلا مثل لي ،
فأقول ما أريد وأترك ما لا أريد .

أخبرني ابن عمَّار قال حدَّثني ابن مهروية قال حدَّثني رَوْح بن الفرج الجرمازي قال :
جلستُ إلى أبي العتاهية فسمعتُه يقول : لو شئتُ أن أجعل كلامي كلَّه شعراً لفعلتُ .
حدَّثنا الصَّوِّبِيُّ قال حدَّثنا العَنَزِيُّ قال حدَّثنا أبو عِكْرِمَةَ قال : قال محمد بن أبي العتاهية¹ :
سئل أبي : هل تعرف العَروض ؟ فقال : أنا أكبر من العروض . وله أوزانٌ لا تدخل في
العروض .

[نظم شعراً للرشيدي وهو مريض فقره]

أخبرني الحسن بن عليٍّ قال حدَّثنا العَنَزِيُّ قال حدَّثنا أبو عِكْرِمَةَ قال : حُمَّ الرشيديُّ ، فصار
أبو العتاهية إلى الفضل بن الربيع برُقعة فيها² :

لو عَلِمَ النَّاسُ كَيْفَ أَنْتَ لَهُم ماتوا إِذَا مَا أَلِمْتَ أَجْمَعُهُمْ
خَلِيفَةَ اللَّهِ أَنْتَ تَرْجَحُ بِالذِّ لَسَ إِذَا مَا وُزِنْتَ أَنْتَ وَهُمْ
قَدْ عَلِمَ النَّاسُ أَنَّ وَجْهَكَ يَسُ تَغْنِي إِذَا مَا رَأَى مُعَدِّمُهُمْ
فأنشدها الفضلُ بن الربيع الرشيدي ؛ فأمر بإحضار أبي العتاهية ، فما زال يُسامره ويُحدِّثه
إلى أن برىء ، ووَصَلَ إليه بذلك السبب مالٌ جليلٌ .

[إعجاب ابن الأعرابي به]

قال : و حَدَّثْتُ أَنَّ ابْنَ الأعرابيِّ حَدَّثَ بِهَذَا الحَدِيثِ ؛ فقال له رجل بالمجلس : ما هذا
الشعر بمُستحقِّ لِمَا قَلْتَ . قال : ولم ؟ قال : لأنَّه شعر ضعيف . فقال ابن الأعرابيِّ ، وكان
أحدَّ النَّاسِ : الضعيف والله عقلُك لا شعر أبي العتاهية ، الأبي العتاهية تقول : إنَّه ضعيف
الشعر ؟ فوالله ما رأيتُ شاعراً قطَّ أطبَعَ ولا أقدَرَ على بيت منه ، وما أحسبُ مذهبه إلا ضَرَباً
من السحر ، ثم أنشد له³ :

[من الكامل]

1 أفرد المرزباني ترجمة محمد بن أبي العتاهية في معجم الشعراء : 377 وأورد له مقطوعة .

2 ديوان أبي العتاهية (طبعة دار صادر) : 406 .

3 ديوان أبي العتاهية : 280 (رقم 295) وهي 47 بيتاً .

قَطَعْتُ مِنْكَ حَبَائِلَ الْأَمَالِ وَحَطَطْتُ عَنْ ظَهْرِ الْمَطِيِّ رِحَالِي
 وَوَجَدْتُ بَرْدَ الْيَأْسِ بَيْنَ جَوَانِحِي فَأَرَحْتُ مِنْ حَلٍّ وَمِنْ تَرَحَالِ
 يَا أَيُّهَا الْبَطْرُ الَّذِي هُوَ مِنْ غَدِي فِي قَبْرِهِ مَتَمَزَّقُ الْأَوْصَالِ
 حَذَفَ الْمَنَى عَنْهُ الْمُشَمَّرُ فِي الْهُدَى وَأَرَى مِنْكَ طَوِيلَةَ الْأَذْيَالِ
 حَيْلُ ابْنِ آدَمَ فِي الْأُمُورِ كَثِيرَةٌ وَالْمَوْتُ يَقْطَعُ حَيْلَةَ الْمُحْتَالِ
 قَسَتْ السُّؤَالَ فَكَانَ أَعْظَمَ قِيمَةً مِنْ كُلِّ عَارِفَةٍ جَرَتْ بِسُؤَالِ
 فَإِذَا ابْتُلِيَتْ يَبْدُلِ وَجْهَكَ سَائِلًا فَاذْكُرْهُ لِلْمُتَكَرِّمِ الْمِفْضَالِ
 وَإِذَا خَشِيَتْ تَعَدَّرًا فِي بَلَدَةٍ فَاشْدُدْ يَدَيْكَ بِعَاجِلِ التَّرْحَالِ
 وَاصْبِرْ عَلَى غَيْرِ الزَّمَانِ فَإِنَّمَا فَرَجُ الشَّدَائِدِ مِثْلُ حَلِّ عِقَالِ

ثم قال للرجل : هل تعرف أحداً يُحسِنُ أن يقول مثلَ هذا الشعر ؟ فقال له الرجل : يا أبا عبد الله ، جعلني الله فداءك ؛ إنِّي لم أرُددُ عليك ما قلت ، ولكنَّ الزهدَ مذهبُ أبي العتاهية ، وشعره في المدح ليس كشعره في الزهد . فقال : أفليس الذي يقول في المدح¹ : [من الطويل]

وهارونُ ماءُ المُرْنِ يَشْفَى بِهِ الصَّدَى إِذَا مَا الصَّدْيِ بِالرِّيقِ غَصَّتْ حَنَاجِرُهُ
 وَأَوْسَطُ بَيْتِ فِي قَرِيشٍ لَبِيْتُهُ وَأَوَّلُ عِزٍّ فِي قَرِيشٍ وَآخِرُهُ
 وَزَحْفِ لَهُ تَحْكِي الْبُرُوقِ سَيُوفُهُ وَتَحْكِي الرَّعُودَ الْقَاصِفَاتِ حَوَافِرُهُ
 إِذَا حَمِيَتْ شَمْسُ النَّهَارِ تَضَاحَكْتُ إِلَى الشَّمْسِ فِيهِ يَبْضُهُ وَمَغَافِرُهُ
 إِذَا نُكِبَ الْإِسْلَامُ يَوْمًا بِنُكْبَةٍ فَهَارُونُ مِنْ بَيْنِ الْبَرِيَّةِ ثَائِرُهُ
 وَمَنْ ذَا يَفُوتُ الْمَوْتَ وَالْمَوْتُ مُدْرِكُ كَذَا لَمْ يَفُتْ هَارُونَ ضِدُّ يُنَافِرُهُ

قال : فتحلَّص الرجل من شرِّ ابن الأعرابيِّ بأن قال له : القولُ كما قلت ، وما كنتُ سمعتُ له مثلَ هذين الشعرين ، وكتبهما عنه .

[قال أبو نواس لست أشعر الناس وهو حي]

حدَّثني محمد قال حدَّثني أحمد بن أبي طاهر قال حدَّثني ابن الأعرابيِّ المُنَجَّم قال حدَّثني هارون بن سعدان بن الحارث مولى عباد قال : حضرتُ أبا نواس في مجلسٍ وأنشد شعراً . فقال له مَنْ حضرَ في المجلس : أنت أشعرُ الناس . قال : أمَّا والشيخُ حيٌّ فلا . (يعني أبا العتاهية) .

[أنشد لثمامة شعره في ذمّ البخل فاعترض على بخله]

أخبرني يحيى بن عليّ إجازةً قال حدّثني عليّ بن مهديّ قال حدّثني الحسين بن أبي السريّ قال : قال ثمامة بن أشرس أنشدني أبو العتاهية¹ :

إذا المرء لم يُعْتِقْ من المالِ نفسه تَمَلَّكهُ المالُ الذي هو مالِكُهُ
ألا إتما مالي الذي أنا مُنْفِقٌ وليس لي المالُ الذي أنا تارِكُهُ
إذا كنتَ ذا مالٍ فبادِرْ به الذي يَحِقُّ وإلاّ استهلكته مهالِكُهُ

فقلت له : من أين قضيتَ بهذا ؟ فقال : من قول رسول الله ﷺ : «إتما لك من مالك ما أكلتَ فأفنتَ ، أو لبستَ فأبليتَ ، أو تصدقتَ فأمضيتَ» . فقلت له : أتؤمن بأنّ هذا قولُ رسول الله ﷺ وأنتَ الحقّ ؟ قال نعم . قلت : فلم تحبس عندك سبعاً وعشرين بدرّةً في دارك ، ولا تأكل منها ولا تشرب ولا تُزكّي ولا تُقدّمها دُخراً ليوم فقرك وفاقتك ؟ فقال : يا أبا معن ، والله إنّ ما قلتَ هو الحقّ ، ولكنّي أخاف الفقرَ والحاجةَ إلى الناس . فقلت : وبِمَ تزيد حالُ من افتقر على حالك ، وأنتَ دائمُ الحرصِ دائمُ الجَمع ، شحيحٌ على نفسك ، لا تشتري اللحمَ إلاّ من عيد إلى عيد ؟ فترك جوابَ كلامي كلّهُ ، ثم قال لي : والله لقد اشتريتُ في يوم عاشوراء لحماً وتوابله وما يتبعه بخمسة دراهم . فلما قال لي هذا القول أضحكني حتّى أذهلني عن جوابه ومُعابته ، فأمسكتُ عنه وعلمتُ أنّه ليس مَن شرَح اللهُ صدره للإسلام .

[حكايات في بخله]

أخبرني يحيى بن عليّ إجازةً قال حدّثني عليّ بن المهديّ قال قال الجاحظ : حدّثني ثمامة قال : دخلتُ يوماً إلى أبي العتاهية فإذا هو يأكل خبزاً بلا شيء . فقلت : كأنّك رأيتَه يأكل خبزاً وحده ؛ قال : لا ؛ ولكنّي رأيتُه يتأدّم بلا شيء . فقلت : وكيف ذلك ؟ فقال : رأيتُ قدّامه خبزاً يابساً من رقاقِ فطيرٍ وقدّحاً فيه لبنٌ حليبٌ ، فكان يأخذ القطعة من الخبز فيغمسها من اللبن ويُخرجها ولم تتعلّق منه بقليل ولا كثير ؛ فقلت له : كأنّك اشتهيتَ أن تتأدّم بلا شيء ، وما رأيتُ أحداً قبلك تأدّم بلا شيء .

قال الجاحظ : وزعم لي بعضُ أصحابنا قال : دخلتُ على أبي العتاهية في بعضِ المنزهات ، وقد دعا عياشاً صاحب الجسر وتهيّأ له بطعام² ، وقال لغلامه : إذا وضعتَ قدّامهم الغداء فقدم إليّ ثريدةً بخلّ وزيت . فدخلت عليه ، وإذا هو يأكل منها أكل مُتكمّش

1 ديوان أبي العتاهية : 276 في الحاشية عن الأغاني (طبعة دار صادر : 317) .

2 ل : وهياً له غداء .

غير مُنكر لشيء . فدعاني فمددت يدي معه ، فإذا بثريدةً بخلٍ وبزراً بدلاً من الزيت . فقلت له : أتدري ما تأكل ؟ قال : نعم ثريدةً بخلٍ وبزراً . فقلت : وما دعاك إلى هذا ؟ قال : غَطَطُ الغلام بين دَبَّةِ الزيت ودَبَّةِ البزْرِ ؛ فلَمَّا جاءني كَرِهتُ التجبُّرَ وقلت : دُهْنُ كدهن ، فأكلتُ وما أنكرتُ شيئاً .

أخبرني يحيى بن عليّ قال حدّثني عليّ بن مهديّ قال حدّثنا عبد الله بن عطية الكوفيّ قال حدّثنا محمد بن عيسى الخزيميّ ، وكان جاراً أبي العتاهية ، قال : كان لأبي العتاهية جارٌ يلتقط النوى ضعيفٌ سييء الحال متجمّل له بنات¹ فكان يمرّ بأبي العتاهية طرفي النهار ؛ فيقول أبو العتاهية : اللهم أغنيه عمّا هو بسبيله ، شيخٌ ضعيفٌ سييء الحال له بنات متجمّل ، اللهم أغنيه ، اصنع له ، بارك فيه . فبقي عليّ هذا إلى أن مات الشيخ نحواً من عشرين سنة . ولا والله إن تصدّق عليه بدرهم ولا دنانير قط ، وما زاد عليّ الدعاء شيئاً . فقلت له يوماً : يا أبا إسحاق إني أراك تُكثر الدعاء لهذا الشيخ وترغم أنّه فقير معيل² ، فلم لا تتصدّق عليه بشيء ؟ فقال : أخشى أن يعتاد الصدقة ، والصدقة آخر كسب العبد ، وإنّ في الدعاء لخيراً كثيراً .

قال محمد بن عيسى الخزيميّ هذا : وكان لأبي العتاهية خادمٌ أسود طويل كأنّه محرّك أتون ، وكان يُجري عليه في كل يوم رغيفين . فجاءني الخادم يوماً فقال لي : والله ما أشبع . فقلت : وكيف ذاك ؟ قال : لأنّي ما أفتر من الكدّ وهو يُجري عليّ رغيفين بغير إدام . فإن رأيت أن تكلمه حتى يزيديني رغيفاً فتوجّر ؛ فوعدهتُ بذلك . فلَمَّا جلستُ معه مرّ بنا الخادم فكّرهتُ إعلامه أنّه شكّا إليّ ذلك ، فقلت له : يا أبا إسحاق ، كم تُجري عليّ هذا الخادم في كلِّ يوم ؟ قال رغيفين . فقلت له : لا يكفيانه . قال : من لم يكفه القليل لم يكفه الكثير ، وكلٌّ من أعطى نفسه شهوتها هلك ، وهذا خادم يدخل إلى حرّميّ وبناتي ، فإن لم أعوده القناعة والاقتصاد أهلكني وأهلك عيالي ومالي . فمات الخادم بعد ذلك فكفّته في إزار وفراش له خلّقي . فقلت له : سبحان الله ؛ خادمٌ قديم الحرمة طويل الخدمة واجب الحقّ ، تكفّنه في خلّقي ، وإنما يكفيك له كفن بدينار ؛ فقال : إنّه يصير إلى البلى ، والحجّ أولى بالجديد من الميت . فقلت له : يرحمك الله يا أبا إسحاق ! فلقد عودته الاقتصاد حياً وميتاً .

قال محمد بن عيسى هذا : وقف عليه ذات يوم سائلٌ من العبّارين الظرفاء وجماعة من جيرانه حوله ، فسأله من بين الجيران ؛ فقال : صنع الله لك ، فأعاد السؤال فأعاد عليه ثانية ، فأعاد عليه الثالثة فردّ عليه مثل ذلك ؛ فغضب وقال له : ألسنت القائل : [من المديد]

1 طبعة الدار : عليه ثياب .

2 طبعة الدار : مُقلّ .

كُلُّ حَيٍّ عِنْدَ مَيْتَةٍ حِظُّهُ مِنْ مَالِهِ الْكَفْنُ

ثم قال : فبإلله عليك أتريد أن تُعَدَّ مَالُكَ كُلَّهُ لِثَمَنِ كَفْنِكَ ؟ قال لا . قال : فبإلله كم قَدَّرت لكفنتك ؟ قال : خمسة دنانير . قال : فهي إِذَا حِظُّكَ مِنْ مَالِكَ كُلَّهُ . قال نعم . قال : فتصدَّق عليّ من غير حِظِّكَ بدرهم واحد . قال : لو تصدَّقت عليك لكان حِظِّي . قال : فاعمل عليّ أن ديناراً من الخمسة الدنانير وضيعة¹ قيراط ، وادفع إليّ قيراطاً واحداً ، وإلاّ فواحدة أخرى . قال : وما هي ؟ قال : القبور تحفر بثلاثة دراهم ، فأعطني درهماً وأقيم لك كفيلاً بأنّي أحفر لك قبرك به متى مُتّ ، وتريح درهين لم يكونا في حُسابك ، فإن لم أحضر رددته عليّ ورثتك أو رده كفيلي عليهم . فحجل أبو العتاهية وقال : اعزّب لعنك الله وغضب عليك ؛ فضحك جميع من حضر . ومرّ السائل يضحك ؛ فالتفت إلينا أبو العتاهية فقال : من أجل هذا وأمثاله حُرِّمَتِ الصَّدَقَةُ . فقلنا له : ومن حَرَمَهَا ومتى حُرِّمَتِ ؟ فما رأينا أحداً ادّعى أن الصدقة حُرِّمَتِ قبله ولا بعده .

قال محمد بن عيسى هذا : وقلت لأبي العتاهية : أتزكّي مالك ؟ فقال : والله ما أنفق عليّ عيالي إلاّ من زكاة مالي . فقلت : سبحان الله ! إنّما ينبغي أن تُخرج زكاة مالك إلى الفقراء والمساكين . فقال : لو انقطعت عن عيالي زكاة مالي لم يكن في الأرض أفقر منهم .

[سئل عن أحكم شعره]

أخبرني عيسى بن الحسين الوراق حدّثنا الزبير بن بكار قال : قال سليمان بن أبي شيخ قال إبراهيم بن أبي شيخ قلت لأبي العتاهية : أيُّ شعرٍ قلته أحكم ؟ قال قولي : [من الرجز]

عَلِمْتَ يَا مُجَاشِعُ بِنَ مَسْعَدَةَ
أَنَّ الشَّبَابَ وَالْفِرَاعَ وَالْجِدَّةَ
مَفْسَدَةٌ لِلْمَرْءِ أَيُّ مَفْسَدَةٍ

[عاب عمرو بن مسعدة]

أخبرني عيسى قال حدّثنا الزبير بن بكار قال حدّثنا أبو غزيرة قال : . كان مُجَاشِعُ بِنَ مَسْعَدَةَ أَخُو عَمْرُو بِنَ مَسْعَدَةَ صَدِيقاً لِأَبِي الْعَتَاهِيَةِ ، فَكَانَ يَقُومُ بِجَوَائِجِهِ كُلِّهَا وَيُخْلِصُ مَوَدَّتَهُ ، فَمَاتَ ، وَعَرَضَتْ لِأَبِي الْعَتَاهِيَةِ حَاجَةٌ إِلَى أَخِيهِ عَمْرُو بِنَ مَسْعَدَةَ فَنَبِطاً فِيهَا ؛ فَكَتَبَ إِلَيْهِ أَبُو الْعَتَاهِيَةِ² :

[من الطويل]

1 الوضيعة : حظّ شيء من أصل الثمن وتسمّى أيضاً «الحطيطة» .

2 ديوان أبي العتاهية : في الزيادات رقم 44 ورواية البيت الثاني فيه :

ومن عجب الأيام أن باد من يفني ومن كنت ترعاني له وبقيتا

غَنَيْتَ عَنِ الْعَهْدِ الْقَدِيمِ غَنِيَّتَا وَضَيَّعْتَ وَدًّا بَيْنَنَا وَنَسَيْتَا
وَمِنْ عَجَبِ الْأَيَّامِ أَنْ مَاتَ مَالْتَفِي وَمَنْ كُنْتَ تَغْشَانِي بِهِ وَبَقِيَّتَا
فَقَالَ عَمْرُو : اسْتَطَالَ أَبُو إِسْحَاقَ أَعْمَارَنَا وَتَوَعَّدْنَا ، مَا بَعْدَ هَذَا خَيْرٌ ، ثُمَّ قَضَى حَاجَتَهُ .

[فارق أبا غزيرة في المدينة]

أخبرني الحرزمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير قال حدثنا أبو غزيرة قال : كان أبو العتاهية إذا
قدم من المدينة يجلس إلي ؛ فأراد مرة الخروج من المدينة فودعني ثم قال : [من الخفيف]

إِنْ نَعِشْ نَجْتَمِعُ وَإِلَّا فَمَا أَشَدُّ غَلَّ مَنْ مَاتَ عَنْ جَمِيعِ الْأَنَامِ

[طالبه غلام من التجار بمال فأجحله بشعر]

أخبرني أحمد بن العباس العسكري قال حدثنا الحسن بن عليل العنزي قال حدثني عبد
الرحمن بن إسحاق العُدْرِيّ قال : كان لبعض التجار من أهل باب الطّاق على أبي العتاهية ثمن
ثياب أخذها منه . فمرّ به يوماً ، فقال صاحب الدكان لغلام ممن يخدمه حسن الوجه : أدرك أبا
العتاهية فلا تُفارقهُ حتى تأخذ منه مالنا عنده ؛ فأدركه على رأس الجسر ، فأخذ بعنان حماره
ووقفه . فقال له : ما حاجتك يا غلام ؟ قال : أنا رسولُ فلان ، بعثني إليك لآخذ ما له عليك .
فأمسك عنه أبو العتاهية ؛ وكان كلُّ مَنْ مرَّ فرأى الغلام متعلقاً به وقف ينظر ، حتى رضي أبو
العتاهية جمع الناس وحفلهم ، ثم أنشأ يقول¹ :

وَاللَّهِ رَبِّكَ إِنَّنِّي لِأَجَلٍ وَجْهَكَ عَنْ فِعَالِكُ
لَوْ كَانَ فِعَالُكَ مِثْلَ وَجْهِ هَكَكَ كُنْتُ مُكْتَفِيًّا بِذَلِكَ

فخجل الغلام وأرسل عنان الحمار ، ورجع إلى صاحبه ، وقال : بعثني² إلى شيطان جمع
عليّ الناس وقال في الشعر حتى أخرجني فهربتُ منه .

[حجبه حاجب عمرو بن مسعدة]

أخبرني أحمد بن العباس قال حدثنا العنزي قال قال إبراهيم بن إسحاق بن إبراهيم التيمي :
حدثني إبراهيم بن حكيم قال : كان أبو العتاهية يختلف إلى عمرو بن مسعدة لودّ كان بينه وبين
أخيه مُجاشع . فاستأذن عليه يوماً فحجّب عنه ، فلزم منزله . فاستبطأه عمرو ؛ فكتب إليه : إنَّ
الكسل يمنعني من لقاءك ؛ وكتب في أسفل رقعته³ :

1 تكلمة الديوان : رقم 221 (صادر : 321) .

2 ل : أرسلتني .

3 تكلمة الديوان : رقم 217 .

كَسَلْتَنِي الْيَأْسُ مِنْكَ عَنْكَ فَمَا أَرْفَعُ طَرْفِي إِلَيْكَ مِنْ كَسَلٍ
 إِنِّي إِذَا لَمْ يَكُنْ أَخِي ثِقَةً قَطَّعْتُ مِنْهُ حَبَائِلَ الْأَمَلِ
 حَدَّثَنِي عَلِيُّ بْنُ سَلِيمَانَ الْأَخْفَشِ قَالَ حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ يَزِيدَ النَّحْوِيِّ قَالَ : اسْتَأْذَنَ أَبُو
 الْعَتَاهِيَةَ عَلَى عَمْرٍو بْنِ مَسْعُودَةَ فَحُجِبَ عَنْهُ ؛ فَكُتِبَ إِلَيْهِ ¹ : [من المنسرح]

مَالِكٌ قَدْ حُلَّتْ عَنْ إِخَائِكَ وَاسِدٌ تَبَدَّلَتْ يَا عَمْرُؤُ شَيْمَةً كَدِيرَةً
 إِنِّي إِذَا الْبَابُ تَاهَ حَاجِبُهُ لَمْ يَكُ عِنْدِي فِي هَجْرِهِ نَظِيرَةً
 لَسْتُمْ تُرَجَّوْنَ لِلْحِسَابِ وَلَا يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ مُنْفِطِرَةً
 لَكُنْ لِدُنْيَا كَالظِّلِّ بِهَجْتِهَا سَرِيعَةً الْإِنْقِضَاءِ مُنْشِرَةً
 قَدْ كَانَ وَجْهِي لَدَيْكَ مَعْرِفَةً فَالْيَوْمِ أَضْحَى حَرْفًا مِنَ النَّكِيرَةِ

[قصيدته في هجو عبد الله بن معن]

أَخْبَرَنِي مُحَمَّدُ بْنُ الْقَاسِمِ الْأَنْبَارِيِّ قَالَ حَدَّثَنَا أَبُو عِكْرِمَةَ قَالَ : كَانَ الرَّشِيدُ إِذَا رَأَى
 عَبْدَ اللَّهِ بْنَ مَعْنِ بْنِ زَائِدَةَ تَمَثَّلَ قَوْلَ أَبِي الْعَتَاهِيَةَ : [من السريع]

أَخْتُ بَنِي شَيْبَانَ مَرَّتْ بِنَا مَمْشُوطَةٌ كُورًا عَلَى بَعْلِ

وَأَوَّلُ هَذِهِ الْأَبْيَاتِ ² : [من السريع]

يَا صَاحِبِي رَحْلِي لَا تُكْثِرَا فِي شَتْمِ عَبْدِ اللَّهِ مِنْ عَدْلٍ
 سَبْحَانَ مَنْ خَصَّ ابْنَ مَعْنٍ بِمَا أَرَى بِهِ مِنْ قِلَّةِ الْعَقْلِ
 قَالَ ابْنُ مَعْنٍ وَجَلَا نَفْسَهُ عَلَى مَنْ الْجَلُودُ يَا أَهْلِي
 أَنَا فِتَاةُ الْحَيِّ مِنْ وَائِلٍ فِي الشَّرَفِ الشَّامِخِ وَالنُّبْلِ
 مَا فِي بَنِي شَيْبَانَ أَهْلُ الْحِجَا جَارِيَةٌ وَاحِدَةٌ مِثْلِي
 وَيَلِي وَيَا لَهْفِي عَلَى أَمْرٍ يُلْصِقُ مَنِّي الْقُرْطُ بِالْحِجْلِ
 صَافِحَتُهُ يَوْمًا عَلَى خَلْوَةٍ فَقَالَ دَعْ كَفِّي وَخُذْ رِجْلِي
 أَخْتُ بَنِي شَيْبَانَ مَرَّتْ بِنَا مَمْشُوطَةٌ كُورًا عَلَى بَعْلِ
 تُكْنِي أَبَا الْفَضْلِ وَيَا مَنْ رَأَى جَارِيَةً تُكْنِي أَبَا الْفَضْلِ

1 تكملة الديوان : رقم 102 عن الأغاني .

2 تكملة الديوان : رقم 210 عن الأغاني (صادر : 381) .

قد نَقَطْتُ في وجهها نُقْطَةً مَخَافَةَ العَيْنِ مِنَ الكُحْلِ
 إن زُرْتُمُوهَا قال حُجَّابُهَا نحنُ عن الزُّورِارِ في شُغْلِ
 مولانُنا مشغولَةٌ عندها بَعْلٌ ولا إِذْنَ على البَعْلِ
 يا بنتَ مَعْنٍ الخَيْرِ لا تَجْهَلِي وأينَ إِقْصَارٌ عن الجَهْلِ
 أَتَجَلِّدُ النَّاسَ وَأنتِ امرؤٌ تُجَلِّدُ في الدُّبْرِ وفي القَبْلِ
 ما يَنْبَغِي للنَّاسِ أن يَنْسُبُوا مَنْ كان ذا جُودٍ إلى البُخْلِ
 يَبْذُلُ ما يَمْنَعُ أَهلُ الندى هذا لَعْمَرِي مُتْهَى البَدْلِ
 ما قَلْتُ هذا فيكَ إلاَّ وقد جَفَّتْ به الأَقلامُ من قَبْلِي

قال : فبعث إليه عبد الله بن معن ، فأتي به ؛ فدعا بغلمان له ثم أمرهم أن يرتكبوا منه الفاحشة ، ففعلوا ذلك ، ثم أجلسه وقال له : قد جزيتك على قولك في ، فهل لك في الصلح ومعه مركبٌ وعشرة آلاف درهم أو تقيم على الحرب ؟ قال : بل الصلح . قال : فأسمعني ما تقوله في الصلح ؛ فقال¹ :

ما لُعْذالِي وما لي أمروني بالضلالِ
 عَذَلُونِي في اغْتِفاري لابنِ مَعْنٍ واحتمالي
 إن يكن ما كان منه فبِجُرْمِي وفعالي
 أنا منه كنتُ أسوا عِشْرَةً في كلِّ حالِ
 قل لِمَنْ يَعْجَبُ من حُسِّ من رُجوعِي ومَقالي
 رَبٌّ وُدٌّ بعدَ صَدِّ وهوى بعدَ تَقالي
 قد رأينا ذا كثيراً جارياً بينَ الرِّجالِ
 إنما كانتُ يميني لَطَمَتُ مَنِّي شمالي

[أحب سعدى التي كان يحبها ابن معن ثم هجاها]

حدثني محمد بن يحيى الصُّولي قال حدثنا محمد بن موسى اليزيدي قال حدثنا أبو سويد عبد القوي بن محمد بن أبي العتاهية ومحمد بن سعد قالا : كان أبو العتاهية يهوى في حدائته امرأة نائحة من أهل الحيرة لها حسن وجمال يقال لها سعدى ؛ وكان عبد الله بن معن بن زائدة المكنى بأبي الفضل يهواها أيضاً ، وكانت مولاة لهم ، ثم اتهمها أبو العتاهية بالنساء ، فقال

1 تكملة الديوان : رقم 211 عن الأغاني (صادر : 382) .

فيها :

[من الطويل]

أَلَا يَا ذَوَاتِ السَّحْقِ فِي الْغَرْبِ وَالشَّرْقِ
أَفِقْنَ فَإِنَّ الْخَبِزَ بِالْأَدَمِ يُشْتَهَى
وَأَيُّ لَيْبٍ يَرَقَعُ الْخُرْقَ بِالْخُرْقِ
وَإِذَا احْتَجَّجَ مِنْهُ ذَاتَ يَوْمٍ إِلَى الدَّقِّ

[أهاجيه في ابن معن]

حدَّثني الصُّوَلِيُّ قَالَ حَدَّثَنِي الْغَلَابِيُّ قَالَ حَدَّثَنِي مَهْدِيُّ بْنُ سَابِقٍ قَالَ : تَهَدَّدَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَعْنٍ
أَبَا الْعَتَاهِيَةَ وَخَوْفَهُ وَنَهَاهُ أَنْ يَعْزِضَ لِمَوْلَاتِهِ سَعْدَى ؛ فَقَالَ أَبُو الْعَتَاهِيَةَ² :

[من المرح]

أَلَا قُلْ لَابْنِ مَعْنٍ ذَا الذِّ
لَقَدْ بُلَّغْتُ مَا قَالَ
وَلَوْ كَانَ مِنَ الْأُسْدِ
فَضَعُ مَا كُنْتَ حَلَيْتَ
وَمَا تَصْنَعُ بِالسِّيفِ
وَلَوْ مَدَّ إِلَى أُذُنِي
قَصِيرُ الطُّوْلِ وَالطَّلِي
أَرَى قَوْمَكَ أَبْطَالًا

ي فِي الْوُدِّ قَدْ حَالَا
فَمَا بِالْيَتِّ مَا قَالَا
لَمَا صَالَ وَلَا هَالَا³
بِهِ سَيْفِكَ خَلَّحَالَا
إِذَا لَمْ تَكُ قِتَالَا
ه كَفَيْهِ لَمَا نَالَا
لَا سَبَّ وَلَا طَالَا⁴
وَقَدْ أَصْبَحْتَ بَطَالَا

حَدَّثَنَا الصُّوَلِيُّ قَالَ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ مَوْسَى قَالَ حَدَّثَنِي سَلِيمَانُ الْمَدَائِنِيُّ قَالَ : احْتَالَ
عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَعْنٍ عَلَى أَبِي الْعَتَاهِيَةَ حَتَّى أُخِذَ فِي مَكَانٍ فَضْرِبَهُ مِائَةَ سَوْطٍ ضَرْبًا لَيْسَ بِالْمَبْرُوحِ
غَيْظًا عَلَيْهِ ، وَإِنَّمَا لَمْ يَعْغُفُ فِي ضْرِبِهِ خَوْفًا مِنْ كَثْرَةِ مَنْ يُعْنَى بِهِ ؛ فَقَالَ أَبُو الْعَتَاهِيَةَ
يَهْجُوهُ⁵ :

[من مجزوء الخفيف]

جَلَدْتُنِي بِكَفِّهَا بِنْتُ مَعْنٍ بِنْتُ زَائِدَةَ

1 تكملة الديوان : رقم 165 .

2 تكملة الديوان : رقم 194 (صادر : 380) .

3 صال في الديوان : راع .

4 الديوان : قصير الطول والطول فلا

5 تكملة الديوان : رقم 69 عن الأغاني .

جَلَدْتَنِي فَأَوْجَعْتُ بِأَبِي تِلْكَ جَالِدَةٌ
وَتَرَاهَا مَعَ الْخَصِيِّ عَلَى الْبَابِ قَاعِدَةٌ
تَتَكَنَّى كُنَى الرَّجَا لِإِعْمَدٍ مُكَايِدَةٌ
جَلَدْتَنِي وَبَالِغْتُ مَائَةٌ غَيْرَ وَاحِدَةٌ
أَجْلِدُنِي وَأَجْلِدِي إِنَّمَا أَنْتِ وَالِدَةٌ

وقال أيضاً¹ :

[من الخفيف]

ضَرَبْتَنِي بِكَفِّهَا بِنْتُ مَعْنٍ أَوْجَعْتُ كَفِّهَا وَمَا أَوْجَعْتَنِي
وَلَعَمْرِي لَوْلَا أَدَى كَفِّهَا إِذْ ضَرَبْتَنِي بِالسُّوْطِ مَا تَرَكْتَنِي

[توعده يزيد بن معن لهجائه أخاه فهجاه]

قال الصولي : حَدَّثَنَا عَوْنُ بْنُ مُحَمَّدٍ وَمُحَمَّدُ بْنُ مُوسَى قَالَا : لَمَّا اتَّصَلَ هَجَاءُ أَبِي الْعَتَاهِيَةِ بِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَعْنٍ وَكَثُرَ ، غَضِبَ أَخُوهُ يَزِيدُ بْنُ مَعْنٍ مِنْ ذَلِكَ وَتَوَعَّدَ أَبَا الْعَتَاهِيَةِ ؛ فَقَالَ فِيهِ قَصِيدَتَهُ الَّتِي أَوْلَاهَا² :

[من الوافر]

بَنِي مَعْنٍ وَيَهْدِيهِ يَزِيدُ كَذَلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ
فَمَعْنٌ كَانَ لِلْحُسَّادِ غَمًّا وَهَذَا قَدْ يُسَرِّبُهُ الْحُسُودُ
يَزِيدُ يَزِيدُ فِي مَنَعٍ وَبِخْلِ وَيَنْقُصُ فِي الْعَطَاءِ وَلَا يَزِيدُ

[مصاحته أولاد معن]

حَدَّثَنِي الصُّوْلِيُّ قَالَ حَدَّثَنِي جَبَلَةُ بْنُ مُحَمَّدٍ قَالَ حَدَّثَنِي أَبِي قَالَ : مَضَى بَنُو مَعْنٍ إِلَى مَنْدَلٍ وَحِيَّانِ ابْنِي عَلِيٍّ الْعَنْزِيِّينَ الْفَقِيهَيْنِ ، وَهُمَا مِنْ بَنِي عَمْرِو بْنِ عَامِرِ بَطْنٍ مِنْ يُقَدِّمُ بْنُ عَنَزَةَ ، وَكَانَا مِنْ سَادَاتِ أَهْلِ الْكُوفَةِ ، فَقَالُوا لَهُمَا : نَحْنُ بَيْتٌ وَاحِدٌ وَأَهْلٌ ، وَلَا فَرْقَ بَيْنَنَا ، وَقَدْ أَتَانَا مِنْ مَوْلَانَا هَذَا مَا لَوْ أَتَانَا مِنْ بَعِيدِ الْوَلَاءِ لَوَجِبَ أَنْ تَرُدَّعَاهُ . فَأَحْضَرَا أَبَا الْعَتَاهِيَةَ ، وَلَمْ يَكُنْ يُمَكِّنُهُ الْخِلَافُ عَلَيْهِمَا ، فَأَصْلَحَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ عَبْدِ اللَّهِ وَيَزِيدِ ابْنِي مَعْنٍ ، وَضَمِنَا عَنْهُ خُلُوصَ النَّيَّةِ ، وَعَنْهُمَا أَلَّا يَتَّبِعَاهُ بِسُوءٍ ، وَكَانَا مِمَّنْ لَا يُمَكِّنُ خِلَافُهُمَا ، فَرَجَعْتُ الْحَالَ إِلَى الْمُوَدَّةِ وَالصَّفَاءِ . فَجَعَلَ النَّاسُ يَعْذِرُونَ أَبَا الْعَتَاهِيَةَ عَلَى مَا فَرَطَ مِنْهُ ، وَوَلَامَهُ آخَرُونَ فِي صَلْحِهِ لَهُمَا ؛ فَقَالَ :

[من مجزوء الرمل]

1 تكلمة الديوان : رقم 266 .

2 تكلمة الديوان : رقم 62 .

ما لُعْدَالِي وَمَا لِي أُمْرُونِي بِالضَّلَالِ

وَقَدْ كُتِبَتْ مُتَقَدِّمَةً .

[رثاؤه زائدة بن معن]

حَدَّثَنِي الصُّوْلِيُّ قَالَ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ مُوسَى قَالَ : كَانَ زَائِدَةُ بْنُ مَعْنٍ صَدِيقًا لِأَبِي الْعَتَاهِيَةِ وَلَمْ يُعِنْ إِخْوَتَهُ عَلَيْهِ ، فَمَاتَ ؛ فَقَالَ أَبُو الْعَتَاهِيَةِ يَرِثِيهِ¹ : [من الوافر]

حَزَنْتُ لِمَوْتِ زَائِدَةَ بْنِ مَعْنٍ حَقِيقٌ أَنْ يَطْوَلَ عَلَيْهِ حُزْنِي
فَتَى الْفَتَيَانِ زَائِدَةُ الْمُصَفَّى أَبُو الْعَبَّاسِ كَانَ أَحْيَى وَخِدْنِي
فَتَى قَوْمٍ وَأَيُّ فَتَى تَوَارَتْ بِهِ الْأَكْفَانُ تَحْتَ ثَرَى وَلَبْنِ
أَلَا يَا قَبْرَ زَائِدَةَ بْنِ مَعْنٍ دَعْوَتُكَ كَيْ تُجِيبَ فَلَمْ تُجِيبْنِي
سَلِّ الْأَيَّامَ عَنْ أَرْكَانِ قَوْمِي أَصْبَنَ بِهِنَّ رُكْنًا بَعْدَ رُكْنِ

[عبد الله بن معن يخجل إذا لبس السيف لهجوه فيه]

أَخْبَرَنِي الصُّوْلِيُّ قَالَ حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ عَلِيِّ الرَّازِيِّ الْقَارِيءُ قَالَ حَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ أَبِي فَنَّانٍ قَالَ : كُنَّا عِنْدَ ابْنِ الْأَعْرَابِيِّ ، فَذَكَرُوا² قَوْلَ ابْنِ نَوْفَلٍ فِي عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ عُمَيْرٍ : [من الطويل]

إِذَا ذَاتُ دَلٍّ كَلَّمْتَهُ لِحَاجَةٍ فَهَمَّ بِأَنْ يَقْضِي تَنَحُّنَ أَوْ سَعْلَ
وَأَنْ عَبْدِ الْمَلِكِ قَالَ : تَرَكْنِي وَاللَّهِ وَإِنَّ السُّعْلَةَ لَتَعْرِضُ لِي فِي الْخَلَاءِ فَأَذْكَرُ قَوْلَهُ فَأَهَابُ أَنْ أَسْعَلَ . قَالَ : فَقُلْتُ لِابْنِ الْأَعْرَابِيِّ : فَهَذَا أَبُو الْعَتَاهِيَةِ قَالَ فِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَعْنٍ بْنِ زَائِدَةَ :

فَصُغَّ مَا كُنْتُ حَلَيْتَ بِهِ سَيْفَكَ خَلْخَالًا

وَمَا تَصْنَعُ بِالسَّيْفِ إِذَا لَمْ تَكُ قَتَالًا

فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَعْنٍ : مَا لِبِسْتُ سَيْفِي قَطًّا فَرَأَيْتَ إِنْسَانًا يَلْمَحُنِي إِلَّا ظَنَنْتُ أَنَّهُ يَحْفَظُ قَوْلَ أَبِي الْعَتَاهِيَةِ فِيَّ ، فَلِذَلِكَ يَتَأَمَّلُنِي فَأُحْجَلُ . فَقَالَ ابْنُ الْأَعْرَابِيِّ : اعْجَبُوا لِعَبْدِ يَهْجُو مَوْلَاهُ . قَالَ : وَكَانَ ابْنُ الْأَعْرَابِيِّ مَوْلَى بَنِي شَيْبَانَ .

[ناظر مسلم بن الوليد]

نَسَخْتُ مِنْ كِتَابِ هَارُونَ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ يَحْيَى : حَدَّثَنِي عَلِيُّ بْنُ مَهْدِيٍّ قَالَ حَدَّثَنِي الْحَسَنِ بْنِ أَبِي السَّرِيِّ قَالَ : اجْتَمَعَ أَبُو الْعَتَاهِيَةِ وَمُسْلِمُ بْنُ الْوَلِيدِ الْأَنْصَارِيُّ فِي بَعْضِ

1 تكملة الديوان : رقم 269 .

2 ل : فتذاكروا .

المجالس ، فجرى بينهما كلامٌ ؛ فقال له مُسلم : والله لو كنتُ أرضى أن أقولَ مثل قولك¹ :

الحمدُ والنعمةُ لك والملكُ لا شريكَ لكُ
ليبك إنَّ الملكَ لكُ

لقلتُ في اليوم عشرة آلاف بيت ، ولكني أقول² :

[من البسيط]
مُوف على مُهَجٍ في يوم ذي رهجٍ كأنّه أجلٌ يسعى إلى أملٍ
ينالُ بالرفقِ ما يعيا الرجالُ به كالموتِ مُستعجلاً يأتي على مهلٍ
يكسو السيوفُ نفوسَ الناكثين به ويجعلُ الهامَ تيجانَ القنا الذُّبُلِ
لله من هاشمٍ في أرضه جبل وأنتَ وابنك رُكنَا ذلك الجبلِ
فقال له أبو العتاهية : قُلْ مثلَ قولِي :

الحمدُ والنعمةُ لكُ

أَقُلْ مثل قولك :

كأنّه أجلٌ يسعى إلى أملٍ

[تفارض هو وبشار التناء]

حدّثني الصوليّ قال حدّثنا الغلابيّ قال حدّثنا مهديّ بن سابق قال : قال بشار لأبي العتاهية : أنا والله أُستحسِنُ اعتذارك من دمك حيث تقول³ :

[من مجزوء الكامل]
كم من صديقي لي أسا رِقَه البُكاء من الحياءِ
فإذا تأمَّلَ لامني فأقولُ ما بي من بُكاءِ
لكنْ ذهبْتُ لأرتدي فطرَفْتُ عيني بالرداءِ

فقال له أبو العتاهية : لا والله يا أبا مُعاذ ، ما لُذْتُ إلا بمعناكَ ولا اجتنيتُ إلا من غَرَسك حيث تقول⁴ :

[من الوافر]

1 تكملة الديوان : رقم 203 .

2 شرح ديوان صريع الغواني (تحقيق سامي الدهان ، دار المعارف بمصر) : 9 .

3 تكملة الديوان : رقم 2 .

4 في أمالي القاضي 1 : 49-50 أبيات منها :

وقالوا قد جزعت فقلت كلا وهل يبكي من الطرب الجليل
ولم ينسبها لبشار . ومن المستبعد نسبتها إلى بشار لأن قائلها لا بد أن يكون بصيراً .

صوت

شكوتُ إلى الغواني ما ألقى وقلتُ لمن ما يومي بعيدُ
فقلن بكيتُ قلتُ لمن كلاً وقد يئكي من الشوق الجليلُ
ولكنني أصاب سوادَ عيني عويدُ قذئٍ له طرفُ حديدُ
فقلن فما لدمعهما سواء أكلتا مقلتيك أصابَ عودُ

لإبراهيم الموصليّ في هذه الأبيات لحن من التثقيب الأول بالوسطى مُطلق .

[شكا إليه محمد بن الفضل الهاشمي جفاء السلطان]

أخبرني الحسن بن عليّ الخفاف قال حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال حدثني محمد بن هارون الأزرقيّ مولى بني هاشم عن ابن عائشة عن ابن محمد بن الفضل الهاشمي قال : جاء أبو العتاهية إلى أبي فتح حدثنا ساعة ، وجعل أبي يشكو إليه تخلف الصنعة وجفاء السلطان . فقال لي أبو العتاهية : اكتب¹ :

[من الكامل]

كلُّ على الدنيا له حرصُ والحادثاتُ أُناتُها غفصُ²
وكأنَّ من وآرؤه في جدثٍ لم يبُدْ منه لناظر شخصُ
تبغى من الدنيا زيادتها وزيادةُ الدنيا هي النقصُ
يبدِ المنية في تلطفها عن دُخر كلِّ شفيقة فحصُ

[حبسه الرشيد ثم عفا عنه وأجازه]

حدثني عمرو قال حدثني عليّ بن محمد الهاشمي عن جدّه ابن حمدون قال أخبرني مُخارق قال : لما تنسك³ أبو العتاهية ولبس الصوف ، أمره الرشيد أن يقول شعراً في الغزل ، فامتنع ؛ فضربه الرشيد ستين عصاً ، وحلف ألا يخرج من حبسه حتى يقول شعراً في الغزل . فلما رفعت المقارعُ عنه قال أبو العتاهية : كلُّ مملوكٍ له حرٌّ وامرأته طالق إن تكلم سنةً إلا بالقرآن أو بلا إله إلا الله محمد رسول الله . فكأن الرشيد تحزن مما فعله ، فأمر أن يُحبس في دار ويوسع عليه ، ولا يُمنع من دخول من يريد إليه . قال مُخارق : وكانت الحال بينه وبين إبراهيم الموصليّ لطيفةً ، فكان يبعثني إليه في الأيام أتعرّف خبره . فإذا دخلتُ وجدتُ بين يديه ظهراً⁴ ودواةً ، فيكتب

1 ديوان أبي العتاهية : 198 (رقم 206) .

2 الغفص : الختل .

3 ل : تقرأ وهي بمعنى «تنسك» . وانظر الخبر في ابن العديم - دراسات : 51 (الفقرة : 16) .

4 ل : ظهوراً .

إليّ ما يريد ، وأكلمه . فمكث هكذا سنة . واتفق أن إبراهيم الموصليّ صنع صوته : [من الكامل]

صوت

أَعْرَفْتَ دَارَ الْحَيِّ بِالْحِجْرِ فَشَدُورِيانَ فُقْنَةَ الْغَمْرِ¹
وهجرتنا وألفتَ رَسْمَ بِلَى والرَّسْمُ كانَ أَحَقَّ بِالْهَجْرِ

لحن إبراهيم في هذا الشعر خفيف رملٍ بالوسطى ، وفيه لإسحاق رمل بالوسطى . قال مخارق : فقال لي إبراهيم : اذهب إلى أبي العتاهية حتى تُغنيه هذا الصوت . فأتيته في اليوم الذي انقضت² فيه يمينه ، فغنيته إياه . فكتب إليّ بعد أن غنيته : هذا اليوم تنقضي فيه يميني ، فأحب أن تُقيم عندي إلى الليل ؛ فأقمتُ عنده نهاري كله ، حتى إذا أذن الناسُ المغربَ كلّمني ، فقال : يا مُخارق . قلت : لبيك . قال : قلْ لصاحبك : يا ابن الزانية ؛ أما والله لقد أبقيتَ للناسِ فِتْنَةً إلى يوم القيامة ، فانظر أين أنت من الله غداً ؛ قال مُخارق : فكنْتُ أوَّلَ من أَطْرَعَ على كلامه ؛ فقلت : دَعْنِي من هذا ، هل قلتَ شيئاً للتخلّص من هذا الموضوع ؟ فقال : نعم ، قد قلت في امرأتي شعراً . قلت : هاته ؛ فأشدني³ :

صوت

مَنْ لِقَلْبِ مُتَمِّمٍ مُشْتاقٍ شَفَهَ شوقه وطولُ الفراقِ
طالَ شوقي إلى قعيدة بيتي لبيت شعري فهل لنا من تلاقِي
هي حظِّي قد اقتصرتُ عليها من ذوات العُقود والأطواقِ
جَمَعَ اللهُ عاجلاً بِك شملي عن قريبٍ وفكّني من وثاقي

قال : فكتبتها وصيرتُ بها إلى إبراهيم ؛ فصنع فيها لحناً ، ودخل بها على الرشيد ؛ فكان أوَّلَ صوت غنّاه إياه في ذلك المجلس ؛ وسأله : لمن الشعر والغناء ؟ فقال إبراهيم : أمّا الغناء فلي ، وأمّا الشعر فلاسيرك أبي العتاهية . فقال : أو قد فعل ؟ قال : نعم قد كان ذلك . فدعا به ، ثم قال لمسرور الخادم : كم ضربنا أبا العتاهية ؟ قال : ستين عصاً ، فأمر له بستين ألف درهم وخلع عليه وأطلقه .

1 الغمر : جبل بخذاء تَوَزَّ بِمَكَّةَ .

2 ل : انقطعت .

3 الأبيات في تكملة الديوان : 586 عن الأغاني . وكلّ ما لم نشر إلى تخريجه في الديوان من شعره فهو منقول عن الأغاني . وانظر أيضاً ابن العديم : 64 (الفقرة 40) .

[غضب عليه الرشيد وترضاه له الفضل]

نسختُ من كتاب هارون بن عليّ بن يحيى : حدّثني عليّ بن مهديّ قال حدّثنا الحسين بن أبي السريّ قال : قال لي الفضل بن العباس : وجد الرشيدُ وهو بالرقّة على أبي العتاهية وهو بمدينة السلام ، فكان أبو العتاهية يرجو أن يتكلّم الفضلُ بن الربيع في أمره ، فأبطأ عليه بذلك ؛ فكتب إليه أبو العتاهية¹ :

أَجْفَوْتَنِي فِيمَنْ جَفَانِي وَجَعَلْتَ شَانَكَ غَيْرَ شَانِي
وَلَطَالَمَا أَمْتَنْتَنِي مِمَّا أَرَى كُلَّ الْأَمَانِ
حَتَّى إِذَا انْقَلَبَ الزَّمَانُ نُو عَلِيٍّ صَرْتُ مَعَ الزَّمَانِ

فكلّم الفضلُ فيه الرشيد فرضي عنه . وأرسل إليه الفضلُ يأمره بالشخص ، ويذكر له أن أمير المؤمنين قد رضي عنه ؛ فشخص إليه . فلما دخل إلى الفضل أنشده قوله فيه² : [من الخفيف]

قد دعواناه نائياً فوجدنا ه على نأيه قريباً سميعا
فأدخله إلى الرشيد ، فرجع إلى حالته الأولى .

[رثاء يزيد بن منصور]

أخبرنا يحيى بن عليّ بن يحيى إجازةً قال حدّثني عليّ بن مهديّ قال حدّثني الحسين بن أبي السريّ قال : كان يزيد بن منصور خال المهديّ يتعصب لأبي العتاهية ؛ لأنه كان يمدح اليمانية أحوال المهديّ في شعره ؛ فمن ذلك قوله³ :

صوت

سُقِيَتَ الْغَيْثَ يَا قَصْرَ السَّلَامِ فَنِعْمَ مَحَلَّةُ الْمَلِكِ الْهَمَامِ
لَقَدْ نَشَرَ الْإِلَاهُ عَلَيْكَ نُورًا وَحَفَّكَ بِالْمَلَائِكَةِ الْكِرَامِ
سَأَشْكُرُ نِعْمَةَ الْمَهْدِيِّ حَتَّى تَدُورَ عَلَيَّ دَائِرَةُ الْحِمَامِ
لَهُ بَيْتَانِ بَيْتٌ تُبْعِي وَبَيْتٌ حَلَّ بِالْبَلَدِ الْحَرَامِ

قال : وكان أبو العتاهية طولَ حياة يزيد بن منصور يدّعي أنه مولى لليمن ويتنفي من عنزة ؛ فلما مات يزيد رجع إلى ولائه الأول . فحدّثني الفضل بن العباس قال : قلت له : ألم تكن تزعم أن ولائك لليمن؟! قال : ذلك شيء احتجنا إليه في ذلك الزمن ، وما في واحدٍ ممن

1 تكملة الديوان : رقم 267 .

2 تكملة الديوان : رقم 149 .

3 تكملة الديوان : رقم 242 .

انتميتُ إليه خيرٌ ، ولكنَّ الحقَّ أحقُّ أن يُتَّبَعَ . وكان ادَّعى ولاءَ اللَّخْمِيِّينَ . قال : وكان يزيد بن منصور من أكرم الناس وأحفظهم لحُرْمَةٍ ، وأرعاهم لعهدٍ ، وكان باراً بأبي العتاهية ، كثيراً فضله عليه ؛ وكان أبو العتاهية منه في مَنَعَةٍ وحصنٍ حصين مع كثرة ما يدفَعُه إليه ويمنعه من المكاره . فلَمَّا مات قال أبو العتاهية يرثيه¹ :

[من البسيط]

أنعمى يزيد بن منصورٍ إلى البَشَرِ	أنعمى يزيد لأهل البدو والحَضَرِ
يا ساكنَ الحفرة المهجورِ ساكنها	بعد المقاصر والأبواب والحُجَرِ
وجدتُ فُقدَكَ في مالي وفي نَشْبِي	وجدتُ فُقدَكَ في شعري وفي بَشْرِي
فلستُ أدري جزاك الله صالحَةً	أمنظري اليوم أسوأ فيك أم خَبْرِي

[استحسن شعره بشار وقد اجتمعا عند المهدي]

حدَّثنا ابن عمار قال حدَّثنا محمد بن إبراهيم بن خَلْفٍ قال حدَّثني أبي قال² : حدَّثتُ أن المهدي جلس للشعراء يوماً ، فأذن لهم وفيهم بشار وأشجع ، وكان أشجع يأخذ عن بشار ويُعظِّمه ، وغير هذين ، وكان في القوم أبو العتاهية . قال أشجع : فلَمَّا سمع بشار كلامه قال : يا أبا سليم ، أهذا ذلك الكوفي الملقَّب ؟ قلت نعم . قال : لا جزى الله خيراً من جمعنا معه . ثم قال له المهدي : أنشد ، فقال : ويحك ؛ أو يبدأ فُيُسْتَشَدُّ أيضاً قبلنا ؟ ! فقلت : قد ترى . فأنشد :

[من المتقارب]

ألا ما لِسَيْدَتِي ما لها	أدلاً فأحمل إذلالها
والأ ففيم تجنت وما	جنيت سقى الله أطلالها
ألا إن جارية لإلاما	م قد أسكن الحب سربالها
مشت بين حورٍ قصار الخطا	تُجاذبُ في المشي أكفالها
وقد أتعب الله نفسي بها	وأتعب باللوم عدالها

قال أشجع : فقال لي بشار : ويحك يا أبا سليم ؛ ما أدري من أي أمرٍه أعجب : أم من ضعف شعره ، أم من تشبيهه بجارية الخليفة ، يسمع ذلك بأذنه ! حتى أتى على قوله : [من المتقارب]

أنته الخلافة مُنقاداً	إليه تُجرُّ أذيالها
ولم تك تصلح إلا له	ولم يك يصلح إلا لها

1 تكلمة الديوان : رقم 111 .

2 الخير والشعر في ابن العديم - دراسات : 71 (الفقرة 48) . وانظر ديوان أبي العتاهية : الزيادة (رقم 719) .

ولو رامها أحدٌ غيره
لزلزلت الأرضُ زلزالها
ولو لم تُطعهُ بناتُ القلوبِ
لما قَبِلَ اللهُ أعمالها
وإنَّ الخليفةَ من بُغضَ لا
إليه لِيَبْغِضَ مَنْ قالها

قال أشجع : فقال لي بشَّار وقد اهتزَّ طرباً : ويحك يا أبا سليم ! أترى الخليفة لم يَطِرْ عن فرشه طرباً لما يأتي به هذا الكوفي ؟

[رماه منصور بن عمار بالزندقة]

أخبرني يحيى بن عليّ إجازةً قال حدَّثني ابن مهرويه قال حدَّثني العباس بن ميمون قال حدَّثني رجاء بن سلمة قال : سمعتُ أبا العتاهية يقول : قرأتُ البارحة ﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ﴾ ، ثم قلتُ قصيدة أحسن منها . قال : وقد قيل : إن منصورَ بن عمارٍ شَنَّ عليه بهذا .

قال يحيى بن عليّ حدَّثنا ابن مهرويه قال حدَّثني أبو عمر القرشي قال : لما قصَّ منصور بن عمار على الناس مجلسَ البعوضة قال أبو العتاهية : إنما سرق منصورٌ هذا الكلامَ من رجل كوفي . فبلغ قوله منصوراً فقال : أبو العتاهية زنديقٌ ، أما ترونه لا يذكر في شعره الجنة ولا النار ، وإنما يذكر الموت فقط ؟ فبلغ ذلك أبا العتاهية ، فقال فيه ¹ : [من البسيط]

يا واعظَ الناسِ قد أصبحتَ متهماً
إذ عيتَ منهم أموراً أنت تأتيها
كالمليسِ الثوبَ من عريِّ وعورته
للناسِ باديةٌ ما إن يُواربها
فأعظمُ الإثمِ بعد الشركِ نعلمه
في كلِّ نفسٍ عَمَّاها عن مساويها
عرفانها بعيوبِ الناسِ تبصرها
منهم ولا تبصر العيبَ الذي فيها

فلم تَمْضِ إِلَّا أَيَّامٌ يسيرة حتى مات منصور بن عمار ، فوقف أبو العتاهية على قبره وقال : يَغْفِرُ اللهُ لك أبا السريِّ ما كنتَ رमितني به .

[وشي به إلى حمدويه صاحب الزنادقة فتحقق أمره وتركه]

أخبرني محمد بن يحيى قال حدَّثنا محمد بن موسى قال أخبرني النسائي عن محمد بن أبي العتاهية قال ² : كانت لأبي العتاهية جارةٌ تُشْرِفُ عليه ، فرأته ليلةً يَقْنَتُ ، فروت عنه أنه يُكَلِّمُ القمر ، واتصل الخبر بحمدويه صاحب الزنادقة ، فصار إلى منزلها وبات وأشرف على أبي العتاهية ورآه يُصَلِّي ، ولم يزل يرقبه حتى قنَّت وانصرف إلى مضجعه ، وانصرف حمدويه خاسئاً .

1 ديوان أبي العتاهية : 445 (رقم 441) وفيه في البيت الرابع «وشغلها» بدل «عرفانها» .

2 هذا الخبر في ابن العديم - دراسات : 53 (الفقرة 22) . وحمدويه صاحب الزنادقة اسمه محمد بن عيسى من أهل ميسان ، عينه المهدي لتعقب الزنادقة .

[قال شعراً يدل على توحيده ليتناقله الناس]

حدَّثنا محمد بن يحيى قال حدَّثنا محمد بن الرياشي قال حدَّثنا الخليل بن أسد النوشجاني قال : جاءنا أبو العتاهية إلى منزلنا فقال : زعم الناس أنني زنديق ، والله ما ديني إلا التوحيد .
فقلنا له : فقل شيئاً نتحدَّث به عنك ؛ فقال¹ :

[من المتقارب]

ألا إننا كلنا بائدٌ وأيُّ بني آدمٍ خالدٌ
ويذوهمُ كان من ربهم وكلُّ إلى ربِّه عائدٌ
فيا عجباً كيف يُعصى الإل هُ أم كيف يجحدُه الجاحدُ
وفي كلِّ شيءٍ له آيةٌ تدلُّ على أنَّه واحدٌ

[أرجوزته المشهورة]

أخبرني أبو دُلف هاشم بن محمد الخزاعي قال : تذاكروا يوماً شعر أبي العتاهية بحضرة الجاحظ ؛ إلى أن جرى ذكرُ أرجوزته المزدوجة التي سماها «ذات الأمثال» ؛ فأخذ بعض من حضر يُنشدُها حتى أتى على قوله :

[من الرجز]

يا للشَّبَابِ المَرِحِ التَّصَابِي روائِحُ الجَنَّةِ في الشَّبَابِ

فقال الجاحظ للمنشد : قِفْ ، ثم قال : انظروا إلى قوله :

روائِحُ الجَنَّةِ في الشَّبَابِ

فإنَّ له معنًى كمعنى الطَّربِ الذي لا يقدر على معرفته إلا القلوبُ ، وتعجز عن ترجمته الألسنة إلا بعد التطويل وإدامة التفكير . وخير المعاني ما كان القلبُ إلى قبوله أسرع من اللسان إلى وصفه . وهذه الأرجوزة من بدائع أبي العتاهية ، ويقال : إن له فيها أربعة آلاف مثل .
منها قوله² :

[من الرجز]

حَسْبُكَ مَّا تَبْتَغِيهِ القَوْتُ ما أَكْثَرَ القَوْتُ لِمَنْ يَموتُ
الفقرُ فيما جاوزَ الكفا مِنْ اتَّقَى اللهَ رَجَا وخافا
هي المقاديرُ فلمني أو فذر إن كنتُ أخطأتُ فما أخطأ القَدَرُ
لكلِّ ما يُؤذِي وإن قلَّ ألمُ ما أطولَ اللَّيْلِ على من لم يَنَمْ
ما انتفع المرءُ بمثلِ عقله وخيرُ ذُخْرِ المرءِ حُسْنُ فِعْله

1 ديوان أبي العتاهية : 102 (رقم 103) .

2 هذه الأرجوزة وردت في أصل ديوانه ، وقد جاءت في 320 بيتاً (ص 444-465) .

إِنَّ الْفَسَادَ ضِيدُهُ الصَّلَاحُ وَرُبَّ جِدٍّ جَرَّهُ الْمِزَاحُ
 مَنْ جَعَلَ النَّمَامَ عَيْنًا هَلَكًا مُبْلِغُكَ الشَّرَّ كَبَاغِيهِ لَكَ
 إِنَّ الشَّبَابَ وَالْفَرَاحَ وَالجِدَّةَ مَفْسَدَةٌ لِلْمَرْءِ أَيُّ مَفْسَدَةٍ
 يُغْنِيكَ عَنْ كُلِّ قَبِيحٍ تَرْكُهُ يَرْتَهِنُ الرَّأْيَ الْأَصِيلَ شَكُّهُ
 مَا عَيْشُ مَنْ آفَتْهُ بَقَاؤُهُ نَغَصَ عَيْشًا كُلَّهُ فَنَاؤُهُ
 يَا رَبِّ مَنْ أَسْخَطْنَا بِجَهْدِهِ قَدْ سَرَّنَا اللَّهُ بِغَيْرِ حَمْدِهِ
 مَا تَطَّلَعَ الشَّمْسُ وَلَا تَغِيبُ إِلَّا لِأَمْرِ شَأْنِهِ عَجِيبُ
 لِكُلِّ شَيْءٍ مَعْدِنٌ وَجَوْهَرُ وَأَوْسَطُ وَأَصْغَرُ وَأَكْبَرُ
 مَنْ لَكَ بِالْمَحْضِ وَكُلُّ مُمْتَرِجٍ وَسَاوَسَ فِي الصَّدْرِ مِنْهُ تَعْتَلِجُ
 وَكُلُّ شَيْءٍ لَاحِقٌ بِجَوْهَرِهِ أَصْغَرُهُ مُتَّصِلٌ بِأَكْبَرِهِ
 مَا زَالَتْ الدُّنْيَا لَنَا دَارَ أَدَى مَزُوجَةَ الصَّفْوِ بِالْوَانِ الْقَدَى
 الْخَيْرُ وَالشَّرُّ بِهَا أَزْوَاجُ لِيَذَا يَتَاجُ وَلِيَذَا يَنَاجُ
 مَنْ لَكَ بِالْمَحْضِ وَلَيْسَ مَحْضُ يَخُبُثُ بَعْضٌ وَيَطِيبُ بَعْضُ
 لِكُلِّ إِنْسَانٍ طَبِيعَتَانِ خَيْرٌ وَشَرٌّ وَهُمَا ضِدَانِ
 إِنَّكَ لَوْ تَسْتَنَشِقُ الشَّجِيحَا وَجَدْتَهُ أَتَنَ شَيْءٍ رِيحَا
 وَالْخَيْرُ وَالشَّرُّ إِذَا مَا عُدَا بَيْنَهُمَا بَوْنٌ بَعِيدٌ جِدَا
 عَجِبْتُ حَتَّى غَمَمَنِي السَّكُوتُ صِرْتُ كَأَنِّي حَائِرٌ مَبْهُوتُ
 كَذَا قَضَى اللَّهُ فَكَيْفَ أَصْنَعُ الصَّمْتُ إِنْ ضَاقَ الْكَلَامُ أَوْسَعُ

وهي طويلة جداً ، وإنما ذكرتُ هذا القدرَ منها حسبَ ما استأقَ الكلامُ من صفتها .

[برمه بالناس ودمه لهم]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدثنا ابن مهرويه عن رَوْحِ بْنِ الْفَرَجِ قَالَ : شَاوَرَ رَجُلًا أَبَا الْعَتَاهِيَةَ فِيمَا يَنْقُشُهُ عَلَى خَاتَمِهِ ؛ فَقَالَ : انْقُشْ عَلَيْهِ : لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى النَّاسِ ؛ وَأَنْشُدْ¹ : [من السريع]

بَرِمْتُ بِالنَّاسِ وَأَخْلَاقِهِمْ فَصِرْتُ أُسْتَانِسُ بِالْوَحْدَةِ
 مَا أَكْثَرَ النَّاسَ لِعَمْرِي وَمَا أَقْلَهُمْ فِي حَاصِلِ الْعِدَّةِ

[مدح عمر بن العلاء]

حَدَّثَنَا الصُّوِّيُّ قَالَ حَدَّثَنَا الْغَلَابِيُّ قَالَ حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الضَّحَّاكِ : أَنَّ عَمْرَ بْنَ الْعَلَاءِ مَوْلَى عَمْرٍو بْنِ حُرَيْثٍ صَاحِبَ الْمَهْدِيِّ كَانَ مُمَدِّحًا ، فَمَدَحَهُ أَبُو الْعَتَاهِيَةَ ، فَأَمَرَ لَهُ بِسَبْعِينَ أَلْفَ دِرْهَمٍ ؛ فَأَنْكَرَ ذَلِكَ بَعْضُ الشُّعْرَاءِ وَقَالَ : كَيْفَ فَعَلَ هَذَا بِهَذَا الْكُوفِيِّ ؟ وَأَيَّ شَيْءٍ مِقْدَارُ شَعْرِهِ ؟ فَبَلَغَهُ ذَلِكَ ، فَأَحْضَرَ الرَّجُلَ وَقَالَ لَهُ : وَاللَّهِ إِنَّ الْوَاحِدَ مِنْكُمْ لَيَدُورُ عَلَى الْمَعْنَى فَلَا يُصِيبُهُ ، وَيَتَعَاطَاهُ فَلَا يُحْسِنُهُ ، حَتَّى يُشَبِّبَ بِخَمْسِينَ بَيْتًا ، ثُمَّ يَمْدَحُنَا بِيَعُضِهَا ، وَهَذَا كَانَ الْمَعْنَى تُجْمَعُ لَهُ ، مَدْحَنِي فَقَصَّرَ التَّشْبِيبَ ، وَقَالَ ¹ :

[من الكامل]

إِنِّي أُمِنْتُ مِنَ الزَّمَانِ وَرَيْبِهِ لَمَّا عَلِقْتُ مِنَ الْأَمِيرِ حِيَالًا
لَوْ يَسْتَطِيعُ النَّاسُ مِنْ إِجْلَالِهِ لِحَدِّوْا لَهُ حُرَّ الْوُجُوهِ نِعَالًا

صوت

إِنَّ الْمَطَايَا تَشْتَكِيكَ لِأَنَّهَا قَطَعْتَ إِلَيْكَ سَبَاسِيًّا وَرِمَالًا
فَإِذَا وَرَدْنَ بِنَا وَرَدْنَ مُخِيفَةً وَإِذَا رَجَعْنَ بِنَا رَجَعْنَ ثِقَالًا

[من الطويل]

أخذ هذا المعنى من قول نصيب :

فَعَاجُوا فَأَثْنَوْا بِالذِّي أَنْتَ أَهْلُهُ وَلَوْ سَكْتُوا أَثْنْتُ عَلَيْكَ الْحَقَائِبُ

[رأى العتابي فيه]

حَدَّثَنَا الصُّوِّيُّ قَالَ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَوْنٍ قَالَ حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ النَّضْرِ كَاتِبَ غَسَّانَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ : أَخْرَجْتُ رَسُولًا إِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ طَاهِرٍ وَهُوَ يُرِيدُ مِصْرَ ، فَتَزَلَّتْ عَلَى الْعَتَابِيِّ ، وَكَانَ لِي صَدِيقًا ، فَقَالَ : أَنْشِدْنِي لِشَاعِرِ الْعِرَاقِ ، يَعْنِي أَبُو نَوَاسٍ ، وَكَانَ قَدْ مَاتَ ، فَأَنْشَدْتُهُ مَا كُنْتُ أَحْفَظُ مِنْ مُلْحِهِ ، وَقُلْتُ لَهُ : ظَنَنْتُكَ تَقُولُ هَذَا لِأَبِي الْعَتَاهِيَةَ . فَقَالَ : لَوْ أَرَدْتُ أَبَا الْعَتَاهِيَةَ لَقُلْتُ لَكَ : أَنْشِدْنِي لِأَشْعَرِ النَّاسِ ، وَلَمْ أَقْتَصِرْ عَلَى الْعِرَاقِ .

[ملاحظته على سهولة الشعر لمن يعالجه]

أَخْبَرَنِي عَمِّي قَالَ حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي سَعْدٍ قَالَ حَدَّثَنِي هَارُونَ بْنُ سَعْدَانَ عَنْ شَيْخٍ مِنْ أَهْلِ بَغْدَادٍ قَالَ : قَالَ أَبُو الْعَتَاهِيَةَ : أَكْثَرُ النَّاسِ يَتَكَلَّمُونَ بِالشُّعْرِ وَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ، وَلَوْ أَحْسَنُوا تَأْلِيفَهُ كَانُوا شُعْرَاءَ كَلِّهِمْ . قَالَ : فَيَيْنَمَا نَحْنُ كَذَلِكَ إِذْ قَالَ رَجُلٌ لِآخِرِ عَلَيْهِ مِسْحٌ : « يَا صَاحِبَ الْمِسْحِ تَبِيعَ الْمِسْحَ ؟ » . فَقَالَ لَنَا أَبُو الْعَتَاهِيَةَ : هَذَا مِنْ ذَلِكَ ، أَمْ تَسْمَعُوهُ يَقُولُ :

[من الرجز]

يا صاحبَ المسحِ تَبِعَ المسحا

قد قال شعراً وهو لا يعلم . ثم قال الرجل : « تعال إن كنتَ تريدَ الرِّيحَ » . فقال أبو العتاهية : وقد أجاز المصراع بمصراعٍ آخر وهو لا يعلم ، قال له :

تعالَ إن كنتَ تُريدُ الرِّيحَا

[وصف الأصمعيّ شعره]

حدّثنا الصُّوِّيُّ قال حدّثنا محمد بن موسى قال حدّثنا أحمد بن بشير أبو طاهر الحَلْبِيُّ قال حدّثنا مَزِيدُ الهاشميِّ عن السُّدْرِيِّ قال : سمعت الأصمعيّ يقول : شِعْرُ أَبِي العتاهية كساحة الملوك يَقَعُ فيها الجوهْرُ والذهبُ والترابُ والخَرْفُ والنَّوى .

[مدح يزيد بن منصور]

أخبرني محمد بن مَزِيدُ بن أبي الأزهر قال حدّثنا الزُّبَيْرُ بن بَكَار قال : لما حَبَسَ المهديُّ أبا العتاهية ، تكلم فيه يزيد بن منصور الحِميريُّ حتى أطلقه ؛ فقال فيه أبو العتاهية¹ : [من البسيط]

ما قلتُ في فَضْلِهِ شيئاً لأمدحَه إلا وَفَضْلُ يَزِيدٍ فوقَ ما قلتُ
مازلتُ من رَيْبِ دهري خائفاً وَجِلاً فقد كفاني بعدَ الله ما خِفتُ

[قدرته على ارتجال الشعر]

أخبرني يحيى بن عليٍّ إجازةً قال حدّثني عليُّ بن مهديٍّ قال حدّثني محمد بن يحيى قال حدّثني عبد الله بن الحسن قال : جاءني أبو العتاهية وأنا في الديوان فجلس إليّ . فقلت : يا أبا إسحاق ، أما يصعبُ عليك شيءٌ من الألفاظ فنحتاج فيه إلى استعمال الغريب كما يحتاج إليه سائرٌ من يقول الشعر ، أو إلى ألفاظ مُستكرهة ؟ قال لا . فقلت له : إني لأحسب ذلك من كثرة رُكوبك القوافي السهلة . قال : فاعرض عليّ ما شئت من القوافي الصعبة . فقلت : قل أبياتاً على مثل البلاغ . فقال من ساعته² :

أيُّ عيشٍ يكونُ أبلغُ من عي شِ كَفَافٍ قُوْتِ بَقْدَرِ البلاغِ
صاحبُ البَغْيِ ليس يسلمُ منه وعلى نَفْسِهِ بَغْيِ كُلِّ باغِي
رُبَّ ذِي نِعْمَةٍ تَعَرَّضَ منها حائلٌ بينه وبين المَساغِ
أبلغُ الدهرُ في مَواعظِهِ بل زاد فيهنَّ لي على الإبلاغِ

1 تكملة الديوان : رقم 41 وهي أربعة أبيات عن الموشح : 262 .

2 ديوان أبي العتاهية : 236 (رقم 244) .

غَبَّتَنِي الْأَيَّامُ عَقْلِي وَمَالِي وَشَبَابِي وَصِحَّتِي وَفِرَاقِي

[كان مسلم بن الوليد يستخف به فلما أنشده من غزله أكبره]

أخبرنا يحيى إجازة قال حدثنا علي بن مهدي قال حدثني أبو علي اليقطيني قال حدثني أبو خارجة بن مسلم قال : قال مسلم بن الوليد : كنت مُسْتَخْفًا بشعر أبي العتاهية ، فَلَقَيْتَنِي يوماً فسألني أن أصير إليه ، فصيرت إليه فجاءني بلونٍ واحد فأكلناه ، وأحضرني تمرًا فأكلناه ، وجلسنا نتحدث ، وأنشدته أشعاراً لي في الغزل ، وسألته أن يُشِدني ، فأنشدني قوله¹ :

بِاللَّهِ يَا قُرَّةَ الْعَيْنَيْنِ زُورِينِي قَبْلَ الْمَمَاتِ وَالْأَفَاسْتَرِيرِينِي
إِنِّي لِأَعْجَبُ مِنْ حُبِّ يُقَرِّبِنِي مَمَّنْ يُبَاعِدُنِي مِنْهُ وَيُقْصِينِي
أَمَّا الْكَثِيرُ فَمَا أَرْجُوهُ مِنْكَ وَلَوْ أَطْمَعْتَنِي فِي قَلِيلٍ كَانَ يَكْفِينِي

ثم أنشدني أيضاً² :

رَأَيْتُ الْهَوَى جَمَرَ الْغَضَا غَيْرَ أَنَّهُ عَلَى حَرِّهِ فِي صَدْرِ صَاحِبِهِ حُلُوٌ

صوت

[من الطويل]

أَخْلَايَ بِي شَجُوٌ وَلَيْسَ بِكُمْ شَجُوٌ وَكُلُّ أَمْرِي عَنْ شَجْوِ صَاحِبِهِ حُلُوٌ
وَمَا مِنْ مُحِبٍّ نَالَ مَمَّنْ يُحِبُّهُ هَوَى صَادِقًا إِلَّا سِيدَخُلَهُ زَهُوٌ
بُلَيْتُ وَكَانَ الْمَرْحُ بَدءُ بَلِيَّتِي فَأَحْبَبْتُ حَقًّا وَالْبَلَاءُ لَهُ بَدُوٌ
وَعَلَّقْتُ مَنْ يَزْهُو عَلَيَّ تَجْبُرًا وَإِنِّي فِي كُلِّ الْخِصَالِ لَهُ كُفُوٌ
رَأَيْتُ الْهَوَى جَمَرَ الْغَضَا غَيْرَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ حَالٍ عِنْدَ صَاحِبِهِ حُلُوٌ

الغناء لإبراهيم ثقیلٌ أوّلٌ مُطلقٌ في مجرى الوسطى عن إسحاق ، وله فيه أيضاً خفيف ثقیلٌ أوّلٌ بالوسطى عن عمرو . ولعمرو بن بانة رمل بالوسطى من كتابه . ولعريب فيه خفيف ثقیلٌ من كتاب ابن المعتز ، قال مسلم : ثم أنشدني أبو العتاهية³ :

[من الطويل]

1 تكملة الديوان : الزيادة رقم 263 وفيها «بالله يا حلوة العينين . . .» .

2 تكملة الديوان : رقم 295 .

3 تكملة الديوان : رقم 243 .

صوت

خليلي ما لي لا تزال مَضْرَّتِي تكون على الأقدارِ حَتْمًا منَ الحَتْمِ
يُصاب فؤادي حين أرمي ورميتي تعودُ إلى نَحري وَيَسْلَمُ من أرمي
صَبْرُ ولا والله ما بي جِلادَةٌ على الصبرِ لَكِنِّي صَبْرْتُ على رَغْمِي
ألا في سبيلِ اللهِ جسمي وقُوتِي ألا مُسْعِدٌ حتى أنوح على جسمي
تُعَدُّ عظامي واحداً بعد واحدٍ بِمَنْحِي من العُدالِ عَظْماً على عَظْمِ
كفالك بحق الله ما قد ظلمتني فهذا مَقامِ المستجيرِ من الظُّلمِ

الغناء لسياط في هذه الأبيات ، وإيقاعه من خفيف الثقليل الأول بالسبابة في مجرى البِنصر عن إسحاق ، قال مسلم : فقلت له : لا والله يا أبا إسحاق ما يُبالي مَنْ أحسنَ أن يقول مثل هذا الشعر ما فاته من الدنيا ! فقال : يا ابن أخي ، لا تقولنّ مثل هذا ؛ فإن الشعر أيضاً من بعض مَصايد الدنيا .

[وفد مع الشعراء على الرشيد فأفرده بالجائزة]

أخبرنا يحيى إجازةً قال حدّثني عليّ بن مهديّ قال حدّثني عبد الرحمن بن الفضل قال حدّثني ابن الأعرابيّ قال : اجتمعت الشعراء على باب الرشيد ، فأذن لهم فدخلوا وأنشدوا ؛ فأنشد أبو العتاهية¹ :

يا مَنْ تَبَغَّى زَمناً صالحاً صلاحُ هارونَ صلاحُ الزمنِ
كلُّ لسانٍ هو في مُلكه بالشكرِ في إحسانه مُرْتَهَنُ
قال : فاهتزّ له الرشيد ، وقال له : أحسنتَ والله ؛ وما خرج في ذلك اليوم أحد من الشعراء بِصلةٍ غيره .

[شعره في فرس الرشيد]

أخبرني يحيى بن عليّ إجازةً قال حدّثنا عليّ بن مهديّ قال حدّثنا عامر بن عمران الضبّيّ قال حدّثني ابن الأعرابيّ قال : أجرى هارون الرشيد الخيلَ ، فجاءه فرس يقال له المُشَمَّرُ سابقاً ، وكان الرشيد مُعجَباً بذلك الفرس ، فأمر الشعراء أن يقولوا فيه ؛ فبدرهم أبو العتاهية فقال² :

[من البسيط]

1 تكملة الديوان : رقم 280 .

2 تكملة الديوان : رقم 97 .

جاء المشمر والأفراسُ يقدّمها هوناً على رسّله منها وما أنبهرها
 وخلّفَ الرّيحَ حسرى وهي جاهدةٌ ومرّاً يختطفُ الأبصارَ والنظرا
 فأجزل صلته ، وما جسّر أحدٌ بعد أبي العتاهية أن يقول فيه شيئاً .

[رثاؤه صديقه علي بن ثابت]

أخبرني يحيى إجازةً قال حدثني الفضل بن عباس بن عتبة بن جعفر قال : كان علي بن
 ثابت صديقاً لأبي العتاهية وبينهما مجاوبات كثيرة في الزهد والحكمة ، فتوفّي علي بن ثابت
 قبله ، فقال يرثيه¹ :

مونسٌ كان لي هلَكُ والسبيلُ التي سلَكُ
 يا عليُّ بنَ ثابتٍ غفَرَ اللهُ لي ولِكُ
 كلُّ حيٍّ مُملِكُ سوف يَفنى وما ملَكُ

قال الفضل : وحضر أبو العتاهية علي بن ثابت وهو وجود بنفسه ، فلم يزل مُلتزمه حتى
 فاض ، فلما شدّ لحياه بكى طويلاً ، ثم أنشد يقول² :

يا شريكِي في الخير قَرَبِك اللّهُ هُ فنعَمَ الشَّرِيكُ في الخير كُنّا
 قد لَعَمَرِي حَكَيْتَ لي عُصَصَ المُو تِ فحرَكْتَنِي لها وسكُنّا

قال : ولما دُفن وقف على قبره يبكي طويلاً أحرَّ بكاءً ، ويردّد هذه الأبيات³ : [من الوافر]

ألا مَنْ لي بأنْسِك يا أحيّاً وطوتك حُطوبُ دهرِكَ بعد نَشْرِ
 ومَنْ لي أن أبُتُّك ما لديّاً كذاك حُطوبُه نَشراً وطياً
 فلو نَشَرْت قَواك لي المنايا شكوتُ إليك ما صنعتُ إليّ
 بكيْتُك يا عليُّ بدمع عيني فما أغنى البكاءُ عليك شيئاً
 وكانت في حياتِك لي عِظَاتٍ وأنت اليومُ أو عِظُ منك حياً

[مرثيته في علي بن ثابت وأقوال الفلاسفة في موت الإسكندر]

قال علي بن الحسين مؤلّف هذا الكتاب : هذه المعاني أخذها كلّها أبو العتاهية من كلام
 الفلاسفة لما حضروا تابوتَ الإسكندر⁴ ، وقد أخرج الإسكندر ليُدْفن : قال بعضهم : كان

1 تكملة الديوان : رقم 177 وقد جعل البيت الثاني ثالثاً .

2 ديوان أبي العتاهية : 70 (رقم 67) .

3 ديوان أبي العتاهية (صادر) : 491 .

4 وردت أقوال الفلاسفة في مصادر كثيرة ذكرها إحسان عباس في كتابه «ملاحم يونانية في الأدب العربي»
 247-271 (الطبعة الثانية) . وفي تضمين أبي العتاهية لبعض أقوالهم في شعره انظر زهر الآداب 2 :

674-673 (تحقيق علي محمد الجاوي - الطبعة الثانية ، القاهرة ، 1969) .

الملك أمس أهيبَ منه اليوم ، وهو اليوم أوعظُ منه أمس . وقال آخر : سَكَنْتُ حَرَكَةَ الْمَلِكِ فِي لَذَاتِهِ ، وَقَدْ حَرَكْنَا الْيَوْمَ فِي سَكُونِهِ جِزْعًا لِفَقْدِهِ . وهذان المعنيان هما اللذان ذكرهما أبو العتاهية في هذه الأشعار .

[هو عند نفسه أشعر الناس]

أخبرني الحرّميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزبير بن بكار قال حدّثني جعفر بن الحسين المهلبيّ قال : لَقِينَا أَبُو الْعَتَاهِيَةَ فَقَلْنَا لَهُ : يَا أَبَا إِسْحَاقَ ، مَنْ أَشْعُرُ النَّاسِ ؟ قَالَ : الَّذِي يَقُولُ :

اللَّهُ أَنْجَحُ مَا طَلَبْتَ بِهِ وَالْبِرُّ خَيْرُ حَقِيْبَةِ الرَّحْلِ

فقلت : أَنَشِدْنِي شَيْئًا مِنْ شِعْرِكَ ؛ فَأَنْشَدَنِي ¹ :

يَا صَاحِبَ الرُّوحِ ذِي الْأَنْفَاسِ فِي الْبَدَنِ بَيْنَ النَّهَارِ وَبَيْنَ اللَّيْلِ مُرْتَهَنَ
لَقَلَّمَا يَتَخَطَّأُكَ اخْتِلَافُهُمَا حَتَّى يُفَرِّقَ بَيْنَ الرُّوحِ وَالْبَدَنِ
لَتَجْذِبَنِّي يَدُ الدُّنْيَا بِقَوَّتِهَا إِلَى الْمَنَائِمِ وَإِنْ نَازَعَتْهَا رَسَنِي
لِلَّهِ دُنْيَا أَنْاسٍ دَائِبِينَ لَهَا قَدْ ارْتَعَوْا فِي رِيَاضِ الْغَيِّ وَالْفِتَنِ
كَسَائِمَاتٍ رِتَاعٍ تَبْتَغِي سِمْنًا وَحَتْفُهَا لَوْ دَرَّتْ فِي ذَلِكَ السَّمَنِ

قال : فَكَتَبْتُهَا ، ثُمَّ قَلْتُ لَهُ : أَنَشِدْنِي شَيْئًا مِنْ شِعْرِكَ فِي الْغَزْلِ ؛ فَقَالَ : يَا ابْنَ أَخِي ، إِنَّ الْغَزْلَ يُسْرِعُ إِلَى مِثْلِكَ . فَقَلْتُ لَهُ : أَرْجُو عَصْمَةَ اللَّهِ جَلَّ وَعَزَّ . فَأَنْشَدَنِي ² :

كَأَنَّهَا مِنْ حُسْنِهَا دُرَّةٌ أَخْرَجَهَا الْيَمُّ إِلَى السَّاحِلِ
كَأَنَّ فِي فِيهَا وَفِي طَرْفِهَا سَوَاحِرًا أَقْبَلْنَ مِنْ بَابِلِ
لَمْ يُبْقِ مِنِّي حَيْثُهَا مَا خَلَا حُشَّاشَةً فِي بَدَنِ نَاحِلِ
يَا مَنْ رَأَى قَبْلِي قَتِيلًا بِكِي مِنْ شِدَّةِ الْوَجْدِ عَلَى الْقَاتِلِ

فقلت له : يَا أَبَا إِسْحَاقَ ، هَذَا قَوْلُ صَاحِبِنَا جَمِيلٌ :

خَلِيلِي فِيمَا عَشْتُمَا هَلْ رَأَيْتُمَا قَتِيلًا بِكِي مِنْ حَبِّ قَاتِلِهِ قَبْلِي

فقال : هُوَ ذَاكَ يَا ابْنَ أَخِي وَتَبَسَّم .

1 ديوان أبي العتاهية : 397 (رقم 410) .

2 تكلمة الديوان : رقم 204 مع اختلاف في الترتيب .

[شعره في التحسر على الشباب]

أخبرني محمد بن القاسم الأنباري قال حدثني أبي قال حدثني أبو عكرمة عن شيخ له من أهل الكوفة قال : دخلتُ مسجد المدينة ببغداد بعد أن بُويع الأمينُ محمدٌ بسنةٍ ، فإذا شيخٌ عليه جماعةٌ وهو يُنشد¹ :

[من مجزوء الكامل]

لَهْفِي عَلَى وَرَقِ الشَّبَابِ	وَعُصُونِهِ الخُضْرُ الرُّطَابِ
ذَهَبَ الشَّبَابُ وَبَانَ عَدَدٌ	سِي غَيْرِ مُنْتَظَرِ الإِيَابِ
فَلأَبْكِيَنَّ عَلَى الشَّبَا	بِ وَطِيبِ أَيَّامِ التَّصَابِي
وَلأَبْكِيَنَّ مِنَ البِلى	وَلأَبْكِيَنَّ مِنَ الخِضَابِ
إِنِّي لَأَمَلُ أَنْ أُخَـ	لَّدَ والمِنيَّةُ فِي طِلايِ

قال : فجعل يُنشدُها وإنَّ دموعه لتسيل على خديه . فلما رأيت ذلك لم أصبر أن ملتُ فكتبتُها . وسألت عن الشيخ فقيل لي : هو أبو العتاهية .

[ابن الأعرابي يعيب شعره]

أخبرني محمد بن عمران الصِّيرفي قال حدثنا الحسن بن عُليل العنزِي قال حدثني أبو العباس محمد بن أحمد قال : كان ابن الأعرابي يعيب أبا العتاهية ويثُلُّه ، فأنشدته² :

[من منهوك الكامل]

كَمْ مِنْ سَفِيهِ غَاظَنِي سَفَهَا	فَشَفَيْتُ نَفْسِي مِنْهُ بِالْحَلْمِ
وَكَفَيْتُ نَفْسِي ظَلَمَ عَادِيَتِي	وَمِنْحَتُ صَفْوِ مَوَدَّتِي سَلْمِي
وَلَقَدْ رَزِقْتُ لظالمي غِلْظاً	وَرَحِمْتُهُ إِذ لَجَّ فِي ظُلْمِي

[أحب شعره إليه]

أخبرني محمد بن عمران قال حدثني العنزِي قال حدثني محمد بن إسحاق قال حدثني محمد بن أحمد الأزدي قال : قال لي أبو العتاهية : لم أقل شيئاً قط أحبَّ إليَّ من هذين البيتين [في] معناهما³ :

[من الخفيف]

ليت شعري فإنني لست أدري
أيُّ يومٍ يكون آخِرَ عُمري

1 ديوان أبي العتاهية (صادر) : 68 .

2 تكملة الديوان (صادر) : 411 .

3 ديوان أبي العتاهية (صادر) : 172 .

وبأيّ البلاد يُقبض رُوحِي وبأيّ البقاع يُحفَرُ قبرِي

[راهن جماعة على قول الشعر فقلبهم]

أخبرني محمد بن العباس الزبيديّ قال حدّثني محمد بن الفضل قال حدّثنا محمد بن عبد الجبار الفراريّ قال : اجتاز أبو العتاهية في أوّل أمره وعلى ظهره قفصٌ فيه فخّار يدور به في الكوفة ويبيع منه ، فمرّ بفتيان جلوس يتذاكرون الشعر ويتناشدونه ، فسلم ووضع القفص عن ظهره ، ثم قال : يا فتیان أراكم تذاكرون الشعر ، فأقول شيئاً منه فتجيزونه ، فإن فعلتم فلکم عشرة دراهم ، وإن لم تفعلوا فعليكم عشرة دراهم ؛ فهزّئوا منه وسخروا به وقالوا نعم . قال : لا بدّ أن يُشترى بأحد القمارين رطبٌ يؤكل فإنه قمار حاصل ، وجعل رهنه تحت يد أحدهم ، ففعلوا . فقال : أجزوا :

ساكني الأحداث أنتم

وجعل بينه وبينهم وقتاً في ذلك الموضع إذا بلغت الشمس ولم يُجزوا البيت ، غرّموا الخطر¹ ؛ وجعل يهزأ بهم وتمّمه :

[من مجزوء الرمل]

مثلنا بالأمس كُنتم
ليت شعري ما صنعتم أريحتم أم خسرتم

وهي قصيدة طويلة في شعره .

[هجاه أبو حبش وذم شعره]

أخبرني عميّ قال حدّثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدّثني محمد بن عبد الله عن أبي خيثم العنزيّ قال : لما حبس الرشيد أبا العتاهية وحلف ألاّ يُطلقه أو يقول شعراً ، قال لي أبو حبش : أسمعت بأعجب من هذا الأمر ، تقول الشعراء الشعر الجيد النادر فلا يُسمع منهم ، ويقول هذا المخنث المفكك تلك الأشعار بالشفاعة ! ثم أنشدني² :

[من الوافر]

أبا إسحاق راجعت الجماعة وعُدت إلى القوافي والصنّاعة
وكنت كجراح في الغيّ عاصٍ وأنت اليوم ذو سمع وطاعة
فجرّ الخزّ ممّا كنت تُكسى ودع عنك التّقشّف والبشاعة
وشبّب بالتي تهوى وخبرٌ بأنك ميّت في كلّ ساعة
كسدنا ما نراد وإن أجدنا وأنت تقول شعرك بالشفاعة

1 الخطر : الرهان .

2 لم ترد هذه الأبيات في الديوان المطبوع .

[خرج مع المهديّ في الصيد]

أخبرني أحمد بن العباس العسكريّ قال حدّثنا العنزيّ قال حدّثنا محمد بن عبد الله قال حدّثني أبو خَيْثَم العنزيّ ، وكان صديقاً لأبي العتاهية ، قال حدّثني أبو العتاهية قال : أخرجني المهديّ معه إلى الصيد ، فوقنا منه على شيء كثير ، فتفرّق أصحابه في طلبه وأخذ هو في طريق غير طريقهم فلم يَلْتَقُوا ، وعرض لنا وادٍ جرّارٌ وتغيّست السماء وبدأت تُمطر فتحيرنا ، وأشرفنا على الوادي فإذا فيه ملاح يُعبّر الناس ، فلجأنا إليه فسألناه عن الطريق ، فجعل يُضَعِّف رأينا ويُعجّزنا في بَدَلنا أنفسنا في ذلك الغيم للصيد حتى أبعدنا ، ثم أدخلنا كوخاً له . وكاد المهديّ يموت برداً ؛ فقال له : أعطيك بجبّتي هذه الصوف ؟ فقال نعم ؛ فغطّاه بها ، فتماسك قليلاً ونام . فافتقده غلّمانه وتبعوا أثره حتى جاؤوا . فلما رأى الملاح كثرتهم علم أنّه الخليفة فهرب ، وتبادر الغلمان فنحوّ الجبّة عنه وألقوا عليه الخزّ والوشّي . فلما انتبه قال لي : ويحك ؛ ما فعل الملاح ؟ فقد والله وجبّ حقه علينا . فقلت : هرب والله خوفاً من قُبْح ما خاطبنا به . قال : إنا لله ؛ والله لقد أردتُ أن أغنيه ، وبأيّ شيء خاطبنا ؟ نحن والله مُستحقّون لأقبح ممّا خاطبنا به ، بحياتي عليك إلا ما هجوتني . فقلت : يا أمير المؤمنين ، كيف تطيب نفسي بأن أهجوك ؟ قال : والله لتفعلنّ ؛ فإنّي ضعيفُ الرأي مُغرّم بالصيّد . فقلت¹ :

[من السريع]

يا لابسَ الوشّي على ثوبه ما أقبحَ الأُشبَب في الراح

[من السريع]

فقال : زدنيّ بحياتي ؛ فقلت :

لوشئت أيضاً جُلّت في حاميةٍ وفي وشاحين وأوضاح²

ويلك ! هذا معنى سوء يرويه عنك الناس ، وأنا أستأهل . زدني شيئاً قلت : إفر أخاف

[من السريع]

أن تغضب . قال : لا والله . فقلت :

كم من عظيمِ القدرِ في نفسه قد نامَ في جبّة ملاح

فقال معنى سوء ، عليك لعنةُ الله ؛ وقمنا وركبنا وانصرفنا .

[وقعت في عسكر المأمون رقعة فيها شعره فوصله]

أخبرني عليّ بن سليمان الأخفش قال حدّثنا محمد بن يزيد قال حدّثنا جماعة من كتاب الحسن بن سهل قالوا : وقعت رقعةٌ فيها بيتا شعرٍ في عسكر المأمون ، فجيء بها إلى مُجاشع بن

1 تكلمة الديوان : رقم 59 .

2 الأوضاح : حلي من الفضّة .

مسعدة ، فقال : هذا كلام أبي العتاهية ، وهو صديقي ، وليست المخاطبة لي ولكنها للأمير الفضل بن سهل . فذهبوا بها ، فقرأها وقال : ما أعرف هذه العلامة . فبلغ المأمون خبرها فقال : هذه إلي وأنا أعرف العلامة . والبيتان¹ : [من الخفيف]

صوت

ما على ذا كنا افترقنا بسندا نَ وما هكذا عهدنا الإخاء
تَضْرِبُ الناسَ بالمُهَنْدَةِ البِيدِ ضِ على غَدْرِهِم وتَنْسَى الوفاء
قال : فبعث إليه المأمون بمال .

في هذين البيتين لأبي عيسى بن المتوكل رمل من رواية ابن المعتز .

[استبطأ عادة ابن يقطين فقال شعراً فعجلها له]

قال : وكان علي بن يقطين صديقاً لأبي العتاهية ، وكان يبهره في كل سنة ببر واسع ، فأبطأ عليه بالبر في سنة من السنين . وكان إذا لقيه أبو العتاهية أو دخل عليه يسر به ويرفع مجلسه ولا يزيد على ذلك . فلقية ذات يوم وهو يريد دار الخليفة ، فاستوقفه فوقف له ، فأنشده² :

حتى متى ليت شعري يا ابن يقطين . أثني عليك بما لا منك توليني
إن السلام وإن البشر من رجلٍ في مثل ما أنت فيه ليس يكفيني
هذا زمان ألح الناس فيه على تبه الملوك وأخلاق المساكين
أما علمت جزاك الله سالحةً وزادك الله فضلاً يا ابن يقطين
أني أريدك للدنيا وعاجلها ولا أريدك يوم الدين للدين

فقال علي بن يقطين : لست والله أبرح ولا تبرح من موضعنا هذا إلا راضياً ، وأمر له بما كان يبعث به إليه في كل سنة ، فحُمِل من وقته وعلي واقف إلى أن تسلمه .

[نظم شعراً في الحبس أبكى الرشيد]

وأخبرني محمد بن جعفر النحوي صهر المبرّد قال حدثنا محمد بن يزيد قال : بلغني من غير وجه : أن الرشيد لما ضرب أبا العتاهية وحبسه ، وكَل به صاحب خبرٍ يكتب إليه بكل ما يسمعه . فكتب إليه أنه سمعه يُنشد³ :

1 ديوان أبي العتاهية (صادر) : 17 .

2 الديوان : 376 (رقم 384) بترتيب مختلف وفي التكملة : رقم 285 بهذا الترتيب .

3 الديوان : 353 (رقم 361) .

أَمَا وَاللَّهِ إِنَّ الظَّلْمَ لَوْمٌ وما زالَ المُسيءُ هو الظَّلْمُومُ
إلى دِيَانِ يَوْمِ الدِّينِ نَمْضِي وعندَ اللَّهِ تَجْتَمِعُ الخصومُ
قال : فبكى الرشيد ، وأمر بإحضار أبي العتاهية وإطلاقه ، وأمر له بألفي دينار .

[رماه منصور بن عمار بالزندقة]

أخبرني محمد بن جعفر قال حدثني محمد بن موسى عن أحمد بن حرب¹ عن محمد بن أبي العتاهية قال : لما قال أبي في عُتْبَةَ² :

كأَنَّ عتَابَةَ من حَسِنِهَا دُمِيَةٌ قَسٌّ فَتَنَتْ قَسَهَا
يا رَبِّ لو أنْسَيْتِيهَا بما في جَنَّةِ الفِرْدَوْسِ لم أنْسَهَا
شَنَّعَ عليه منصور بن عمار بالزندقة ، وقال : يتهاون بالجنة ويبتذل ذكرها في شعره
بمثل هذا التهاون ! وشَنَّعَ عليه أيضاً بقوله³ :

إِنَّ المَلِيكَ رَأَى أَحَدًا سَنَّ خَلْقِهِ ورَأَى جَمَالِكَ
فحَذَا بِقُدْرَةِ نَفْسِهِ حُورَ الجِنَانِ على مِثَالِكَ
وقال : أَيُصَوِّرُ الحُورَ على مِثَالِ امرأةِ آدَمِيَّةٍ وَاللَّهُ لا يَحْتَاجُ إلى مِثَالٍ ؛ وأوَقَعَ له هذا على
السِّنَةِ العامَّةِ ؛ فَلَقِي منهم بلاءً .

[سأله الباذغيسي عن أحسن شعره]

حدثني هاشم بن محمد الخزاعي قال حدثنا خليل بن أسد قال حدثني أبو سلمة الباذغيسي قال : قلت لأبي العتاهية : في أي شعر أنت أشعر؟ قال : قولي⁴ :

النَّاسُ في غَفَلَاتِهِمْ وَرَحَى المِنِيَّةِ تَطْحَنُ

[أنشد المأمون شعره في الموت فوصله]

أخبرني محمد بن عمران الصيرفي قال حدثنا الحسن بن عليل العنزي قال حدثني يحيى بن عبد الله القرشي قال حدثني المعلی بن أيوب قال : دخلت على المأمون يوماً وهو مقبل على شيخ حسن اللحية خضيب شديد بياض الثياب على رأسه لاطئة ، فقلت للحسن بن أبي سعيد ، قال : وهو ابن حالة المعلی بن أيوب . وكان الحسن كاتب المأمون على العامة : من هذا ؟ فقال : أما

1 ل : حريث .

2 تكملة الديوان : رقم 135 .

3 تكملة الديوان : رقم 208 . وانظر حاشية القطعة رقم 135 من التكملة .

4 الديوان : 381 (رقم 389) من قطعة فيها 14 بيتاً .

تعرفه ؟ فقلت : لو عرفته ما سألتك عنه . فقال : هذا أبو العتاهية . فسمعت المأمون يقول له :
أنشيدني أحسن ما قلت في الموت ؛ فأنشده¹ : [من مجزوء الكامل]

أُنْسَاكَ مَحْيَاكَ الْمَمَاتَا فَطَلَبْتَ فِي الدُّنْيَا الثُّبَاتَا
أَوْثَقْتَ بِالدُّنْيَا وَأَنْتَ تَرَى جَمَاعَتَهَا شَتَاتَا
وَعَزَمْتَ مِنْكَ عَلَى الْحَيَا وَطُولِهَا عَزْمًا بَتَاتَا
يَا مَنْ رَأَى أَبْوَيْهَ فِيهِ مَنْ قَدْ رَأَى كَانَا فَمَاتَا
هَلْ فِيهِمَا لَكَ عِبْرَةٌ أَمْ خِلْتَ أَنَّ لَكَ انْفِلَاتَا
وَمَنْ الَّذِي طَلَبَ التَّفَدُّ تَ مِنْ مَيْتِهِ فَمَاتَا
كُلُّ تَصَبُّحِهِ الْمُنَى يَّةٌ أَوْ تُبَيَّتُهُ بَيَاتَا

قال : فلما نهض تبعته فقبضت عليه في الصحن أو في الدهليز ، فكتبته عنه .

نسخت من كتاب هارون بن علي بن يحيى : قال حدثني علي بن مهدي قال حدثني محمد بن
سهل قال حدثني الجاحظ عن ثمامة قال : دخل أبو العتاهية على المأمون فأنشده² : [من السريع]

مَا أَحْسَنَ الدُّنْيَا وَإِقْبَالَهَا إِذَا أَطَاعَ اللَّهُ مَنْ نَالَهَا
مَنْ لَمْ يُؤَاسِرِ النَّاسَ مِنْ فَضْلِهَا عَرَّضَ لِلْإِدْبَارِ إِقْبَالَهَا

فقال له المأمون : ما أجود البيت الأول ! فأما الثاني فما صنعت فيه شيئاً ، الدنيا تدبر عمّن
واسى منها أو ضنّ بها ، وإنما يُوجب السماحة بها الأجر ، والضمُّ بها الوزر . فقال : صدقت يا
أمير المؤمنين ، أهل الفضل أولى بالفضل ، وأهل النقص أولى بالنقص . فقال المأمون : ادفع إليه
عشرة آلاف درهم لاعترافه بالحق . فلما كان بعد أيام عاد فأنشده³ : [من السريع]

كَمْ غَافِلٍ أَوْدَى بِهِ الْمَوْتُ لَمْ يَأْخُذِ الْأَهْبَةَ لِلْفَوْتِ
مَنْ لَمْ تَزُلْ نِعْمَتُهُ قَبْلَهُ زَالَ عَنِ النِّعْمَةِ بِالْمَوْتِ⁴

فقال له : أحسنت ؛ الآن طيبت المعنى ؛ وأمر له بعشرين ألف درهم .

[تأخرت عنه عادة المأمون سنة ثم عجلها]

أخبرني أحمد بن العباس العسكري قال حدثنا الحسن بن عليّ العنزي قال حدثني ابن

1 الديوان : 74 (رقم 73) .

2 ديوان أبي العتاهية : 338 (رقم : 346) خمسة أبيات .

3 ديوان أبي العتاهية : 79 (رقم : 78) .

4 زال عن النعمة في ل : تدعّر النعمة .

سينان العجلي عن الحسن بن عائذ قال : كان أبو العتاهية يَحُجُّ في كلِّ سنة ، فإذا قَدِمَ أَهْدَى إلى المأمون بُرداً ومِطْرَفاً ونِعْلاً سوداءً ومَسَاوِيكَ أراكِ ، فيبعث إليه بعشرين ألف درهم . وكان يُوصَلُ الهدية من جهته منجأبٌ مولى المأمون ويحيته بالمال . فأهدى مرةً له كما كان يهدي كلَّ سنة إذا قَدِمَ فلم يُبْهه ولا بعث إليه بالوظيفة . فكتب إليه أبو العتاهية¹ : [من الرمل]

خَبَرُونِي أَنْ مِنْ ضَرْبِ السَّنَةِ جُدُداً بِيضاً وَصُفْراً حَسَنَهُ
أُحْدِثْتُ لَكِنِّي لَمْ أَرَهَا مِثْلَ مَا كُنْتُ أَرَى كُلَّ سَنَةٍ

فأمر المأمون بحمل العشرين ألف درهم ، وقال : أغفلناه حتى ذكرنا .

[كان الهادي واجداً عليه فلما تولى استعطفه]

حدَّثنا محمد بن يحيى الصُّوِّيُّ قال حدَّثنا المُعيرة بن محمد المُهَلَّبِيُّ قال حدَّثنا الزُّبير بن بَكَّار قال أخبرني عروة بن يوسف التَّقْفِيَّ قال : لما وُلِّي الهادي الخلافة كان واجداً على أبي العتاهية لمَّا لزمته أخاه هارون وانقطاعه إليه وتركه موسى ، وكان أيضاً قد أمر أن يخرج معه إلى الرِّيِّ فأبى ذلك ؛ فخافه وقال يستعطفه² : [من الطويل]

أَلَا شَافِعٌ عِنْدَ الْخَلِيفَةِ يَشْفَعُ فَيَدْفَعُ عَنَّا شَرَّ مَا يُتَوَقَّعُ
وَإِنِّي عَلَى عَظَمِ الرَّجَاءِ لَخَائِفٌ كَأَنَّ عَلَى رَأْسِي الْأَسِنَّةَ تُشْرَعُ
يُرْوَعُنِي مُوسَى عَلَى غَيْرِ عَثْرَةٍ وَمَالِي أَرَى مُوسَى مِنَ الْعَفْوِ أَوْسَعُ
وَمَا آمِنٌ يُمَسِّي وَيُصْبِحُ عَائِداً بَعْفُو أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ يُرْوَعُ

[مدح الهادي واستشفع ابن عقال حتى نال جائزة]

حدَّثني الصُّوِّيُّ قال حدَّثني علي بن الصَّبَّاح قال حدَّثني محمد بن أبي العتاهية قال : دخل أبي على الهادي فأنشده³ : [من مجزوء الرمل]

يَا أَمِينَ اللَّهِ مَالِي لَسْتُ أَدْرِي الْيَوْمَ مَالِي
لَمْ أَتَلْ مِنْكَ الَّذِي قَد نَالَ غَيْرِي مِنْ نَوَالِ
تَبْدُلُ الْحَقَّ وَتُعْطِي عَنْ يَمِينِ وَشِمَالِ
وَأَنَا الْبَائِسُ لَا تَنْظُرُ فِي رِقَّةِ حَالِي

قال : فأمر المعلِّم الخازن أن يُعطيه عشرة آلاف درهم . قال أبو العتاهية : فأتيته فأبى أن

1 تكملة الديوان : رقم 261 .

2 تكملة الديوان : رقم 146 .

3 ديوان أبي العتاهية (صادر) : 377 .

يُعطيها وذلك أن الهادي امتحنني في شيء من الشعر ، وكان مهيباً ، فكنت أخافه فلم يُطعني طبعي ، فأمر لي بهذا المال ، فخرجت . فلما منعني المعلى صرت إلى أبي الوليد أحمد بن عقال ، وكان يُجالس الهادي ، فقلت له ¹ :

أبلغ سلّمتَ أبا الوليد سلامي عنّي أميرَ المؤمنين إمامي
وإذا فرغتَ من السّلام فقل له قد كان ما شاهدتَ من إفحامي
وإذا حصرتُ فليس ذاك بمبطلٍ ما قد مضى من حرّمتي وذمامي
ولطالما وفدتُ إليك مدائحي مخطوطةً فليأتِ كلُّ ملامٍ
أيّامَ لي لسنّ ورقّة جدّة والمرء قد يبلى مع الأيامِ

قال : فاستخرج لي الدرهم وأنفذهما إليّ .

[استعطف الهادي لما ولي الخلافة بعد موقعة]

حدّثني الصوليّ ومحمد بن عمران الصيرفيّ قالا حدّثنا العنزّيّ قال حدّثنا محمد بن أحمد بن سليمان قال : وُلد للهادي ولد في أوّل يوم وليّ الخلافة ؛ فدخل أبو العتاهية فأنشده ² :

أكثرَ موسى غيظَ حسّاده وزيّن الأرضَ بأولاده
وجاءنا من صلبه سيّد أضيّدُ في تقطيع أجداده
فاكتستِ الأرضُ به بهجةً واستبشر الملكُ بميلاده
وابتسم المنبرُ عن فرحةٍ علّتَ بها ذرّوةُ أعواده
كأنّني بعد قليلٍ به بين مواليه وقواده
في محفلٍ تخفّقُ رايّاته قد طبّقَ الأرضَ بأجناده

قال : فأمر له موسى بألف دينار وطيبٍ كثير ، وكان ساخطاً عليه فرضي عنه .

[ترضّي المهدي على وزيره أبي عبيد الله]

أخبرني يحيى بن عليّ بن يحيى إجازةً قال حدّثني عليّ بن مهديّ قال حدّثني عليّ بن يزيد الخزرجيّ الشاعر عن يحيى بن الربيع قال : دخل أبو عبيد الله على المهديّ ، وكان قد وجد عليه في أمر بلغه عنه ، وأبو العتاهية حاضرٌ المجلس ، فجعل المهديّ يشتم أبا عبيد الله ويتغيّظ

1 تكملة الديوان : رقم 244 .

2 تكملة الديوان : رقم 83 .

عليه ، ثم أمر به فجرَّ برجله وحُبِس ، ثم أطرق المهديّ طويلاً . فلَمَّا سكن أنشده أبو العتاهية¹ :

أرى الدنيا لمن هي في يَدَيْهِ عذاباً كَلَّمَا كَثُرَتْ لَدَيْهِ
 تُهَيِّنُ الْمُكْرِمِينَ لَهَا بَصُغْرُ وتُكْرِمُ كُلَّ مَنْ هَانَتْ عَلَيْهِ
 إِذَا اسْتَعْنَيْتَ عَنْ شَيْءٍ فَدَعَّهُ وَحُدَّ مَا أَنْتَ مَحْتَاجٌ إِلَيْهِ

فتبسّم المهديّ وقال لأبي العتاهية : أحسنت ! فقام أبو العتاهية ثم قال : والله يا أمير المؤمنين ، ما رأيتُ أحداً أشدَّ إكراماً للدنيا ولا أضونَ لها ولا أشحَّ عليها من هذا الذي جرَّ برجله الساعة . ولقد دخلتُ إلى أمير المؤمنين ودخل هو وهو أعزُّ الناس ، فما برحتُ حتى رأيته أذلَّ الناس ، ولو رضي من الدنيا بما يكفيه لاستوت أحواله ولم تتفاوت . فتبسّم المهديّ ودعا بأبي عبيد الله فرضي عنه . فكان أبو عبيد الله يشكر ذلك لأبي العتاهية .

[بينان روحانيان]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا محمد بن القاسم بن مهروية قال حدّثني محمد بن الحسن قال حدّثني إسحاق بن حفص قال : أنشدني هارون بن مُخَلَّد الرازيّ لأبي العتاهية² :

ما إن يَطِيبُ لذي الرعاية لِدَ أَيَّامٍ لا لَعِيبٍ ولا لَهْوٍ
 إذ كان يَطْرِبُ في مَسْرَتِهِ فيموت من أجزاءه جُزُؤُ³

فقلت : ما أحسنهما ! فقال : أهكذا تقول ؟ والله لهما روحانيان يطيران بين السماء والأرض .

[فضله ابن مناذر على جميع المحدثين لإحسانه في الجدّ والهزل]

أخبرني محمد بن القاسم الأنباريّ قال حدّثني أبي عن ابن عكرمة عن مسعود بن بشر المازنيّ قال : لقيتُ ابن مناذر بمكة ، فقلت له : مَنْ أشعرُ أهل الإسلام ؟ فقال : أترى مَنْ إذا شئت هزل ، وإذا شئت جدّ ؟ قلت : مَنْ ؟ قال : مثلُ جرير حين يقول في النسيب⁴ :

إن الذين غَدَوْا بلبك غادروا وشلاً بعينك ما يزال معينا
 غيظن من عبراتهم وقلن لي ماذا لقيت من الهوى ولقينا

1 ديوان أبي العتاهية : 410 (رقم : 425) .

2 ديوان أبي العتاهية : 429 (رقم : 445) .

3 يطرب في الديوان : يسرف . أجزاءه في الديوان : أعضائه .

4 ديوان جرير (صادر) : 476 .

ثم قال حين جدّ : [من الكامل]

إِنَّ الَّذِي حَرَّمَ الْمَكَارِمَ تَغْلِبًا
جَعَلَ النَّبُوَّةَ وَالْخِلَافَةَ فِينَا
مُضَرًّا أَبِي وَأَبُو الْمَلُوكِ فَهَلْ لَكُمْ
يَا آلَ تَغْلِبَ مِنْ أَبِي كَأَيْنَا
هَذَا ابْنُ عَمِّي فِي دَمَشَقَ خَلِيفَةً
لَوْ شِئْتُ سَأَقُكُمْ إِلَيَّ قَطِينَا

ومن المحدثين هذا الخبيث الذي يتناول شعره من كُمه . فقلت : مَنْ ؟ قال : أبو العتاهية .

قلت : في ماذا ؟ قال : قوله¹ :

[من المنسرح]

اللَّهُ بَيْنِي وَبَيْنَ مَوْلَاتِي
أَبَدْتُ لِي الصَّدَّ وَالْمَالَاتِ
لَا تَغْفِرُ الذَّنْبَ إِنْ أَسَأْتُ وَلَا
تَقْبَلُ عُذْرِي وَلَا مُوَاتَاتِي
مَنْحَتُهَا مُهْجَتِي وَخَالِصَتِي
فَكَانَ هَجْرَانُهَا مُكَافَاتِي
أَقْلَقْنِي حُبُّهَا وَصَيْرَنِي
أُحْدُوثَةً فِي جَمْعِ جَارَاتِي²

ثم قال حين جدّ³ :

[من المنسرح]

وَمَهْمِهِ قَدْ قَطَعْتُ طَامِسَهُ
قَفَرٍ عَلَى الْهَوْلِ وَالْمَحَامَاةِ
بِحُرَّةِ جَسْرَةِ عُدَاوَةِ
خَوْصَاءِ عَيْرَانَةِ عُلْدَانَةِ
تُبَادِرُ الشَّمْسَ كُلَّمَا طَلَعَتْ
بِالسَّيْرِ تَبْغِي بِذَلِكَ مَرْضَاتِي
يَا نَاقُ خُبِّي بِنَا وَلَا تَعْدِي
نَفْسَكَ مِمَّا تَرَيْنَ رَاحَاتِ
حَتَّى تُنَاحِي بِنَا إِلَى مَلِكِ
تَوَجَّهَ اللَّهُ بِالْمَهَابَاتِ
عَلَيْهِ تَاجَانُ فَوْقَ مَفْرَقِهِ
هَلْ لَكَ يَا رِيحُ فِي مُبَارَاتِي
يَقُولُ لِلرَّيْحِ كُلَّمَا عَصَفَتْ
أَخْوَالُهُ أَكْرَمُ الْخُوُولَاتِ
مَنْ مِثْلُ مَنْ عَمَّهُ الرَّسُولُ وَمَنْ

[يعبر إسحاق بن عزيز لقبوله المال عوضاً عن عبادة معشوقته]

أخبرني وكيع قال : قال الزبير بن بكار حدثني أبو غزيرة ، وكان قاضياً على المدينة ، قال : كان إسحاق بن عزيز يتعشق عبادة جارية المهلبية ، وكانت المهلبية منقطعة إلى الخيزران . فركب إسحاق يوماً ومعه عبد الله بن مصعب يريدان المهدي ، فلحقا عبادة ؛ فقال إسحاق : يا

1 تكلمة الديوان : رقم 45 .

2 ألقني في الديوان : هيمني .

3 تكلمة الديوان : رقم 48 .

أبا بكر ، هذه عبادة ، وحرك دأته حتى سبقها فنظر إليها ، فجعل عبد الله بن مُصعب يتعجب من فعله . ومضيا فدخل على المهدي ، فحدثه عبد الله بن مصعب بحدث إسحاق وما فعل . فقال : أنا اشتريها لك يا إسحاق . ودخل على الخيزران فدعا بالمهلبية فحضرت ، فأعطاها بعبادة خمسين ألف درهم . فقالت له : يا أمير المؤمنين ، إن كنت تُريدها لنفسك فيها فذاك الله ، وهي لك . فقال : إنما أريدها لإسحاق بن عُزَيْر . فبكت وقالت : أتؤثر عليّ إسحاق بن عُزَيْر وهي يدي ورجلي ولساني في جميع حوائجي ! فقالت لها الخيزران عند ذلك : ما يُبيحك ؟ والله لا وصل إليها ابن عُزَيْر أبداً ، صار يتعشق جوارِي الناس ؟ فخرج المهدي فأخبر ابن عُزَيْر بما جرى ، وقال له : الخمسون ألف درهم لك مكانها ، وأمر له بها ، فأخذها عن عبادة . فقال أبو العتاهية يُعيره بذلك¹ :

مَنْ صَدَقَ الْحَبَّ لِأَحِبَابِهِ فَإِنَّ حُبَّ ابْنِ عُزَيْرٍ غُرُورٌ
أَنَسَاهُ عِبَادَةَ ذَاتِ الْهَوَى وَأَذْهَبَ الْحَبَّ الَّذِي فِي الضَّمِيرِ
خَمْسُونَ أَلْفًا كُلُّهَا رَاجِحٌ حُسْنًا لَهَا فِي كُلِّ كَيْسٍ صَرِيرٌ

وقال أبو العتاهية في ذلك أيضاً² :

حُبُّكَ لِلْمَالِ لَا كَحُبِّكَ عَبْدٌ أَدَاةٌ يَا فَاضِحَ الْمُحِينَا
لَوْ كُنْتَ أَصْفَيْتَهَا الْوِدَادَ كَمَا قُلْتَ لَمَّا بَعْتَهَا بِخَمْسِينَا

[طال وجع عينه]

حدثني الصُّوَلِيُّ قال حدثني جَبَلَةُ بن محمد قال حدثني أبي قال : رأيت أبا العتاهية بعد ما تَخَلَّصَ من حَبْسِ المهديِّ وهو يلزم طبيباً على بابنا ليكحل عينه . فقليل له : قد طال وجع عينك ؛ فأنشأ يقول³ :

صوت

أَيَا وَيْحَ نَفْسِي وَيْحَهَا ثُمَّ وَيْحَهَا أَمَا مِنْ خَلَاصٍ مِنْ شِيَاكِ الْحَبَائِلِ⁴
أَيَا وَيْحَ عَيْنِي قَدْ أَضْرَبَهَا الْبُكَاءُ فَلَمْ تُغْنِ عَنْهَا طِبُّ مَا فِي الْمَكَاحِلِ
فِي هَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ لِإِبْرَاهِيمَ الْمُوصِلِيِّ لِحْنٍ مِنَ الثَّقِيلِ الْأَوَّلِ .

1 تكلمة الديوان : رقم 123 .

2 تكلمة الديوان : 259 .

3 تكلمة الديوان : رقم : 214 وفيها «ويا ويح» في البيتين .

4 أما من خلاص في التكملة : ألم تنج يوماً .

[مدح الهادي وكان واجداً عليه لاتصاله بهارون]

أخبرني عيسى بن الحسين قال حدثنا عمر بن شبة قال : كان الهادي واجداً على أبي العتاهية لملازمته أخاه هارون في خلافة المهدي ، فلما ولي موسى الخلافة ، قال أبو العتاهية يمدحه¹ :

صوت

يضطربُ الخوفُ والرجاءُ إذا حَرَكَ موسى القضيْبَ أو فَكَّرُ
ما أبَيَّنَ الفضلَ في مُعَيَّبِ ما أوردَ من رأيه وما أصدَرُ

في هذين البيتين لأبي عيسى بن المتوكل لحن من الثقل الأول في نهاية الجودة ، وما بان به فضله في الصناعة :

فكم تَرَى عَزَّ عند ذلك مِنْ مَعْشَرِ قومٍ وذلَّ مِنْ مَعْشَرُ
يُثمر مِنْ مَسِّه القضيْبُ ولو يَمَسُّه غيرُه لَمَّا ائْمَرُ
مَنْ مِثْلُ موسى ومثلُ والده ال مهديّ أو جدّه أبي جَعْفَرُ

قال : فرضي عنه . فلما دخل عليه أنشده² :

لَهْفِي على الزمَنِ القصيرِ بين الخَوَزْنِقِ والسَّديْرِ
إذ نحن في غَرْفِ الجنا نِ نَعُومُ في بَحْرِ السُّرورِ
في فتيّةٍ ملكوا عنا نَ الدهرِ أمثال الصُّقورِ
ما منهمُ إلّا الجَسو رُ على الهوى غيرُ الحَصُورِ
يَتعاوَرُونَ مُدامَةً صهباءً من حَلَبِ العَصيرِ
عَذراءُ ربّاهَا شُعا عُ الشمسِ في حَرِّ الهَجيرِ
لم تُدَنَّ من نارٍ ولم يعلَقُ بها وَضْرُ القُدورِ
ومُقَرَّطِ يمشي أمّا مَ القومِ كالرِّشَا الغَيرِ
بِزُجاجةٍ تُستخرج الس رَّ الدَفينَ من الضميرِ
زهراءُ مثل الكوكبِ الدُّ رِّيّ في كَفِّ المُديرِ
تَدعُ الكَريمَ وليس يَد ري ما قَبيلٌ من دَبيرِ

1 تكملة الديوان : رقم 120 .

2 تكملة الديوان : 104 .

وَمُخَصَّراتِ زُرُنَّا
رِيًّا رَوادِفُهِنَّ يَلْدُ
غُرًّا الوُجوهَ مَجَبِّبا
مُتَنَعِّماتِ في النَّعِي
يَرْفُلْنَ في حُلَلِ المَحا
ما إن يَرينَ الشَّمسَ إلاَّ
وإلى أَمينِ اللهُ مَهـ
وإليه أَتَعَبنا المَطا
صُعَرَ الخُدودِ كَأَنما
مُتَسَرِّباتِ بِالظَّللا
حَتَّى وَصَلْنَ بنا إلى
ما زالَ قَبْلَ فِطامِهِ

بعد الهدوء من الخدور
بسن الخواتم في الخصور
ت قاصرات الطرف حور
م مضمخات بالعبير
سين والمجاسد والحري
الفرط من خلل الستور
رئنا من الدهر العثور
يا بالروح وبالبحور
جئنا أجنحة النور
م على السهولة والوعور
رب المدائن والقصور
في سن مكتهل كبير

قال : قيل لو كان جزل اللفظ لكان أشعر الناس ، فأجزل صلته . وعاد إلى أفضل ما كان

له عليه .

أخبرني عمي الحسن بن محمد قال حدثني الكُراني عن أبي حاتم قال : قديم علينا أبو العتاهية في خلافة المأمون . فصار إليه أصحابنا فاستنشدوه ، فكان أول ما أنشدهم¹ : [من الطويل]

ألم تَرَ رَبِّبَ الدَّهْرِ في كُلِّ ساعَةٍ
أيا باني الدُّنيا لغيرِكَ تَبَنِي
أرى المرءَ وَثاباً على كُلِّ فُرْصَةٍ
تبارِكْ مَنْ لا يَمَلِكُ المُلْكَ غيرُهُ
وأَيُّ امرئٍ في غايَةٍ ليس نَفْسُهُ

له عارضٌ فيه المنيَّة تَلَمَعُ
ويا جامِعَ الدُّنيا لغيرِكَ تَجْمَعُ
وللمرءِ يوماً لا مَحالَةَ مَصْرَعُ
متى تنقضي حاجاتُ مَنْ ليس يَشَبَعُ
إلى غايَةٍ أُخرى سواها تَطَلَعُ

قال : وكان أصحابنا يقولون : لو أن طبع أبي العتاهية بجزالة لفظ لكان أشعر الناس .

[تمثل الفضل بشعر له حين انحطت مرتبه عند المأمون]

أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا ابن مهوريه قال حدثني سليمان بن جعفر الجزري قال حدثني أحمد بن عبد الله قال : كانت مرتبة أبي العتاهية مع الفضل بن الربيع في موضع واحد

في دار المأمون . فقال الفضل لأبي العتاهية : يا أبا إسحاق ، ما أحسن بيتين لك وأصدقهما !
قال : وما هما ؟ قال : قولك¹ :
[من الكامل]

ما النَّاسُ إِلَّا لِلْكَثِيرِ الْمَالِ أَوْ لِمُسَلَّطٍ مَا دَامَ فِي سُلْطَانِهِ
فَإِذَا الزَّمَانُ رَمَاهَا بِبَيْلِيَّةٍ كَانَتُ هُنَاكَ مِنْ أَعْوَانِهِ²

يعني : من أعوان الزمان . قال : وإنما تمثل الفضلُ بن الربيعُ بهذين البيتين لانحطاط
مرتبته في دار المأمون وتقدُّم غيره . وكان المأمون أمر بذلك لتحريره مع أخيه .
[كان ملازماً للرشيد فلما تنسك حبه ثم أطلقه]

أخبرني عمِّي الحسن بن محمد قال حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال : قال لي محمد بن أبي
العتاهية : كان أبي لا يُفارق الرشيد في سَفَرٍ وَلَا حَضَرَ إِلَّا فِي طَرِيقِ الْحَجِّ ، وكان يُجري عليه
في كلِّ سنة خمسين ألف درهم سوى الجوائز والمعاون . فلما قديم الرشيد الرِّقَّة ، ليس أبي
الصوف وتزهَّد وترك حُضُورَ الْمُنَادِمَةِ والقول في الغزل ، وأمر الرشيد بحبسه فحبس ؛ فكتب
إليه من وقته³ :

صوت

أنا اليومَ لي والحمدُ لله أَشْهُرُ
تَذَكَّرُ أَمِينَ الله حَقِّي وَحَرْمَتِي
لِيَالِي تُدْئِي مِنْكَ بِالْقُرْبِ مَجْلِسِي
فَمَنْ لِي بِالْعَيْنِ الَّتِي كُنْتُ مَرَّةً
يُرُوحُ عَلَيَّ الْهَمُّ مِنْكُمْ وَيَبْكُرُ
وَمَا كُنْتُ تُؤَلِّينِي لَعَلَّكَ تَذَكَّرُ⁴
وَوَجْهُكَ مِنْ مَاءِ الْبِشَاشَةِ يَقْطُرُ
إِلَيَّ بِهَا فِي سَالِفِ الدَّهْرِ تَنْظُرُ

قال : فلما قرأ الرشيد الأبيات قال : قولوا له : لا بأس عليك . فكتب إليه⁵ : [من الوافر]

صوت

أرقتُ وطار عن عيني النَّعَاسُ
أَمِينَ اللهُ أَمْنُكَ خَيْرُ أَمْنِي
وَنَامَ السَّامِرُونَ وَلَمْ يُوَسُّوْا
وَأَنْتَ بِهِ تَسُوسُ كَمَا تُسَاسُ

1 ديوان أبي العتاهية : 401 (رقم 412) .

2 بيلية في ل : بملمة والديوان «رمي الفتى بملمة» .

3 تكلمة الديوان : رقم 86 .

4 لعلك تذكر في ل : لذلك يذكر .

5 تكلمة الديوان : رقم 133 .

كأن الخلق ركب فيه روح له جسد وأنت عليه رأس
أمير الله إن الحبس بأس وقد أرسلت : ليس عليك بأس

غنى في هذه الأبيات إبراهيم ، ولحنه : ثاني ثقيل بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى . وفيه أيضاً ثقيل أول عن المشامي ، قال : وكتب إليه أيضاً في الحبس¹ : [من الطويل]

وكلفتني ما حلت بيني وبينه وقلت سأبغي ما تريد وما تهوى
فلو كان لي قلبان كلفت واحداً هواك وكلفت الخلي لما يهوى

قال : فأمر بإطلاقه .

حدثني عمي قال حدثني هارون بن محمد بن عبد الملك الزيات قال حدثني الزبير بن بكار قال حدثني ثابت بن الزبير بن حبيب قال حدثني ابن أخت أبي خالد الحربي قال : قال لي الرشيد : احبس أبا العتاهية وضيق عليه حتى يقول الشعر الرقيق في الغزل كما كان يقول . فحبسته في بيت خمسة أشبار في مثلها ؛ فصاح : الموت ، أخرجوني ، فأنا أقول كل ما شئتم . فقلت : قل . فقال : حتى أت نفس . فأخرجته وأعطيته دواة وقرطاساً ؛ فقال أبياته التي أولها² :

صوت

من لعبد أذله مولاه ما له شافع إليه سواه
يشتكي ما به إليه ويخشا ه ويرجوه مثل ما يخشاه

قال : فدفعتها إلى مسرور الخادم فأوصلها ، وتقدم الرشيد إلى إبراهيم الموصلي فغنى فيها ، وأمر بإحضار أبي العتاهية فأحضر . فلما أحضر قال له : أنشدني قولك³ : [من الكامل]

صوت

يا عتب سيدتي أما لك دين حتى متى قلبي لديك رهين
وأنا الذلول لكل ما حملتني وأنا الشقي البائس المسكين
وأنا العداة لكل بك مسعد ولكل صب صاحب وخدين
لا بأس إن لذاك عندي راحة للصب أن يلقي الحزين حزين

1 تكلمة الديوان : رقم 8 .

2 تكلمة الديوان : رقم 282 .

3 تكلمة الديوان : رقم 252 .

يا عُتْبَ أَيْنَ أَفْرُ مِنْكَ أَمِيرْتِي وَعَلِيَّ حِصْنٌ مِنْ هَوَاكِ حَصِينُ
لإبراهيم في هذه الأبيات هَزَجٌ عن الهشامي ، فأمر له الرشيد بخمسين ألف درهم . ولأبي
العتاهية في الرشيد لما حبسه أشعارٌ كثيرة ، منها قوله¹ :

يا رشيدَ الأمرِ أرشدني إلى وجه نُججِي لا عَدِمْتَ الرُّشْدَا
لا أراكَ اللهُ سَوْءًا أَبَدَا ما رَأَتْ مِثْلَكَ عَيْنٌ أَحَدَا
أَعِنِ الخائِفَ وارحَمْ صوتَه رافعاً نَحْوَكْ يدعوكَ يَدَا
وابلائي من دَعَاوِي أَمَلِي كَلِّمَا قَلْتُ تَدَانِي بَعْدَا
كَمْ أَمْنِي بَعْدَ بَعْدِ غَدِي يَنْفَدُ العَمْرُ ولم أَلِقَ غَدَا

[هجا القاسم بن الرشيد فضربه وحبسه فاشتكى إلى زبيدة]

نسختُ من كتاب هارون بن علي بن يحيى : حدثني علي بن مهدي قال حدثني الحسين بن
أبي السري قال : مرَّ القاسم بن الرشيد في موكبٍ عظيمٍ وكان من أتية الناس ، وأبو العتاهية
جالسٌ مع قوم على ظهر الطريق . فقام أبو العتاهية حين رآه إعظاماً له ، فلم يزل قائماً حتى
جاز ، فجاوزه ولم يلتفت إليه ؛ فقال أبو العتاهية :

يَتِيَهُ ابْنُ آدَمَ مِنْ جَهْلِهِ كَأَنَّ رَحَا المَوْتِ لا تَطْحَنُهُ

فسمع بعض مَنْ في موكبه ذلك فأخبر به القاسم ؛ فبعث إلى أبي العتاهية وضربه مائة
مِقرعة ، وقال له : يا ابن الفاعلة ! أتعرض بي في مثل ذلك الموضع ؟ وحبسه في داره . ففسد
أبو العتاهية إلى زبيدة بنت جعفر ، وكانت تُوجب له حقّه ، هذه الأبيات² : [من السريع]

حَتَّى مَتَى ذُو التَّيِّهِ فِي تَيْهِهِ أَصْلَحَهُ اللهُ وَعَافَاهُ
يَتِيَهُ أَهْلُ التَّيِّهِ مِنْ جَهْلِهِمْ وَهُمْ يَمُوتُونَ وَإِنْ تَاهُوا
مَنْ طَلَبَ العِزَّ لِيَبْقَى بِهِ فَإِنَّ العِزَّ المَرءُ تَقَوَّاهُ
لم يعتصم بالله من خَلْقِهِ مَنْ لَيْسَ يَرْجُوهُ وَيَخْشَاهُ

وكتب إليها بحاله وضيق حبسه ، وكانت مائلةً إليه ، فرثت³ له وأخبرت الرشيد بأمره
وكلمته فيه : فأحضره وكساه ووصله . ولم يرَضَ عن القاسم حتى برَّأ أبا العتاهية وأذناه
واعترد إليه .

1 تكملة الديوان : رقم 65 .

2 الديوان : 413-414 (رقم 430) .

3 ل : فرقت .

[مدح الرشيد والفضل فأجازه]

ونسختُ من كتاب هارون بن عليّ : قال حدثني عليّ بن مهديّ قال حدثني محمد بن سهل عن خالد بن أبي الأزهر قال : بعث الرشيد بالحرشي¹ إلى ناحية الموصل ، فجيى له منها مالاً عظيماً من بقايا الخراج ، فوافي² به باب الرشيد ، فأمر بصرف المال أجمع إلى بعض جواريه ، فاستعظم الناس ذلك وتحدثوا به ؛ فرأيتُ أبا العتاهية وقد أخذه شيهُ الجنون ، فقلت له : ما لك ويحك ؟ ! فقال لي : سبحان الله ؛ أيدفع هذا المال الجليل إلى امرأة ، ولا تتعلّق كَفِّي بشيء منه ؟ ثم دخل إلى الرشيد بعد أيام فأنشده³ :

اللَّهُ هَوَّءٌ عِنْدَكَ الدُّنْيَا يَا وَبِعَضِّهَا إِلَيْكَ
فَأَبَيْتَ إِلَّا أَنْ تُصَدَّ غَرَّ كُلَّ شَيْءٍ فِي يَدَيْكَ
مَا هَانَتْ الدُّنْيَا عَلَى أَحَدٍ كَمَا هَانَتْ عَلَيْكَ

فقال له الفضل بن الربيع : يا أمير المؤمنين ، ما مُدِحَتِ الخلفاء بأصدق من هذا المدح . فقال : يا فضل ، أعطيه عشرين ألف درهم . فغدا أبو العتاهية على الفضل فأنشده⁴ :

إِذَا مَا كُنْتُ مُتَّخِذًا خَلِيلًا فَمِثْلُ الْفَضْلِ فَاتَّخِذِ الْخَلِيلَا
يَرَى الشُّكْرَ الْقَلِيلَ لَهُ عَظِيمًا وَيُعْطِي مِنْ مَوَاهِبِهِ الْجَزِيلَا
أَرَانِي حَيْثُمَا يَمَّمْتُ طَرْفِي وَجَدْتُ عَلَى مَكَارِمِهِ دَلِيلَا

فقال له الفضل : والله لولا أن أساوي أمير المؤمنين لأعطيتك مثلها ، ولكن سأوصلها إليك في دَفَعَاتٍ ، ثم أعطاه ما أمر له به الرشيد ، وزاد له خمسة آلاف درهم من عنده . [سمع علي بن عيسى شعره وهو طفل فأعجب به]

أخبرني عليّ بن سليمان الأحفش قال حدثنا المبرّد قال حدثني عبد الصمد بن المعدّل قال : سمعتُ الأمير عليّ بن عيسى بن جعفر يقول : كنت صبيّاً في دار الرشيد ، فرأيت شيخاً يُنشد والناس حوله⁵ :

لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا رَزَقُ أَسْتَعِينُ اللَّهَ بِاللَّهِ أَثِقُ

1 ل : بالمجرشي .

2 ل : فوافق .

3 تكملة الديوان : رقم 170 .

4 ديوان أبي العتاهية : 311 (الحاشية) وديوان أبي العتاهية (صادر) : 383 وهما يتفقان مع الأغاني في البيت الأوّل فقط .

5 تكملة الديوان : رقم 168 .

عَلِقَ الهمُّ بقلبي كلُّه وإذا ما عَلِقَ الهمَّ عَلِقُ
بأبي مَنْ كان لي من قلبه مرَّةً وُدُّ قليلٌ فسُرِقُ
يا بني الإسلام فيكم ملكٌ جامعُ الإسلامِ عنه يفتَرِقُ
لندى هارونَ فيكم ولهُ فيكم صوبٌ هطولٌ وورِقُ
لم يزل هارونُ خيراً كلُّه قيل الشُّرُّ به يومَ خُلِقُ

فقلتُ لبعض الهاشميين : أما ترى إعجاب الناس بشيعة هذا الرجل ؟ فقال : يا بُني ، إن الأعنقَ لتُقطعَ دون هذا الطبع . قال : ثم كان الشيخ أبا العتاهية ، والذي سأله إبراهيم بن المهدي .

[استعطف الرشيد وهو محبوس فأطلقه]

حدَّثني الصُّوفيُّ قال حدَّثنا أحمد بن محمد بن إسحاق قال حدَّثني عبد القويِّ بن محمد بن أبي العتاهية عن أبيه قال : ليس أبو العتاهية كساءً صوفٍ ودُرَاعَةً صوفٍ ، وآلى على نفسه ألا يقول شعراً في الغزل ، وأمر الرشيد بحبسه والتضييق عليه ؛ فقال¹ : [من الخفيف]

صوت

يا ابنَ عمِّ النبيِّ سمعاً وطاعة قد خلعنا الكساءَ والدُّرَاعَةَ
ورجعنا إلى الصَّنَاعَةِ لما كان سُخْطُ الإمامِ تركَ الصَّنَاعَةَ

وقال أيضاً² : [من الطويل]

أما رَحِمْتَنِي يومَ وَلَّتْ فأسرعتُ وقد تركتني واقفاً أتلفتُ
أقلِّبُ طَرْفي كي أراها فلا أرى وأحلبُ عيني دَرَّها وأصوتُ

فلم يزل الرشيد مُتوانياً في إخراجه إلى أن قال³ : [من الواقف]

أما والله إن الظلمَ لومٌ وما زال المُسيء هو الظلومُ
إلى دِيانِ يومِ الدينِ نَمضي وعندَ الله تجتمعُ الخصومُ
لأمرٍ ما تصرَّفتِ الليالي وأمرٍ ما تُولَّيتِ النُّجومُ
تموتُ غداً وأنتِ قَريُّ عيني من العَفَلاتِ في لُججِ تعومُ

1 التكملة : رقم 152 .

2 تكملة الديوان : رقم 39 .

3 ديوان أبي العتاهية : 353-354 (رقم 361) .

تَنَامُ ولم تَنَمْ عنك المنايا
سَلِ الأَيَّامَ عن أَمَمٍ تَقَضَّتْ
تَرُومِ الخُلْدِ في دارِ المنايا
أَلَا يَا أَيُّهَا المَلِكُ المُرَجِّي
أَقْلَنِي زَلَّةً لم أَجْرِ منها
وَخَلَّصْنِي تُخَلِّصُ يَوْمَ بَعَثِ
تَبَّهَ للمَنِيَّةِ يَا نُورُومُ
سُتَخْبِرُكَ المَعَالِمُ والرُّسُومُ
وَكَمْ قَدِ رَامَ غَيْرُكَ مَا تَرُومُ
عَلَيْهِ نَوَاهِضُ الدُّنْيَا تَحُومُ
إِلَى لَوْمٍ وَمَا مِثْلِي مَلُومُ
إِذَا لِلنَّاسِ بُرِّزَتْ الجَجِيمُ

فَرَقَ لَهُ وَأَمْرٌ بِإِطْلَاقِهِ .

[حديثه عن شعره ورأى أبي نواس فيه]

نسختُ من كتاب هارون بن عليّ : قال حدثني عليّ بن مهديّ قال حدثني ابن أبي الأبيض قال : أتيتُ أبا العتاهية فقلتُ له : إنني رجلٌ أقول الشعر في الزُّهد ، ولي فيه أشعارٌ كثيرة ، وهو مذهب أستحسِنُه ؛ لأتني أرجو ألاّ أتمّ فيه ، وسمعت شعرك في هذا المعنى ، فأحببت أن أستزيد منه ، فأجبت أن تُشدني من جيّد ما قلت ؛ فقال : اعلم أنّ ما قلته رديء . قلت : وكيف ؟ قال : لأنّ الشعر ينبغي أن يكون مثلَ أشعار الفحول المتقدّمين أو مثلَ شعر بشرّار وابن هرمة ، فإن لم يكن كذلك فالصواب لقائله أن تكون ألفاظه ممّا لا تخفى على جمهور الناس مثل شعري ، ولا سيّما الأشعار التي في الزُّهد ؛ فإنّ الزُّهد ليس من مذاهب الملوك ولا من مذاهب رُواة الشعر ولا طُلاب الغريب ، وهو مذهب أشعّفُ الناس به الزُّهاد وأصحاب الحديث والفقهاء وأصحاب الرِّياء والعامّة ، وأعجبُ الأشياء إليهم ما فهموه . فقلت : صدقت . ثمّ أنشدني قصيدته¹ :

لِدُوا للموتِ وابنُوا للخرابِ
فكَلِّكُمْ يَصِيرُ إلى تَبَابِ²
أَلَا يَا موتُ لم أرَ منك بُدْأً
أَتَيْتَ وَمَا تُحَيِّفُ وَمَا تُحَابِي
كَأَنَّكَ قد هَجَمْتَ على مَشِيبي
كَمَا هَجَمَ المَشِيبُ على شَبَابِي

قال : فصيرتُ إلى أبي نواس فأعلمته ما دار بيننا ؛ فقال : والله ما أحسب في شعره مثلَ ما أنشدك بيتاً آخر . فصيرتُ إليه فأخبرته بقول أبي نواس ؛ فأنشدني قصيدته التي يقول فيها³ :

1 ديوان أبي العتاهية : 33-34 (رقم 28) وهي 19 بيتاً .

2 تباب : هلاك .

3 ديوان أبي العتاهية : 278-280 وهي 23 بيتاً .

[من البسيط]

طُولُ التَّعَاشُرِ بَيْنَ النَّاسِ مَمْلُوكٌ
يا راعيَ الشَّاءِ لا تُعْطِلْ رِعايَها
ما لابنِ آدَمَ إِنْ فَتَشْتَّ مَعْقُولُ
عَلَى لَفِي مَنزِلِ ما زِلْتُ أَعْمُرُه
فَأَنْتَ عَنِ كُلِّ ما اسْتُرْعِيَتْ مَسْؤُولُ¹
وَلَيْسَ مِنْ مَوْضِعِ يَأْتِيهِ ذُو نَفْسٍ
إِلَّا وَلِلْمَوْتِ سَيْفٌ فِيهِ مَسْئُولُ
عَلَى يَقِينِ بَأَنِّي عَنْهُ مَنقُولُ
لَمْ يُشْغَلِ المَوْتُ عَنَّا مَذا أَعِدَّ لَنَا
وَكَانَ عَنْهُ بِاللَّذَاتِ مَشْغُولُ
وَمَنْ يَمُتْ فَهُوَ مَقْطُوعٌ وَمُجْتَنَبٌ
وَالْحَيُّ ما عَاشَ مَغْشِيٌّ وَمَوْصُولُ
كُلُّ ما بَدَأَ لَكَ فَالْأَكالُ فانيَّةُ
وَكُلُّ ذِي أَكْلِ لا بُدَّ مَأْكُولُ

قال : ثم أنشدني عدّة قصائد ما هي بدون هذه ، فصيرتُ إلى أبي نواس فأخبرته ؛ فتغيّر لونه وقال : لِمَ خَبَّرْتَهُ بما قلت ؟ قد والله أجاد ، ولم يُقل فيه سوءاً .

[كان أبو نواس يجله ويعظمه]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال حدّثني عليّ بن عبد الله بن سعد قال حدّثني هارون بن سعدان مولى البجليّين قال : كنتُ مع أبي نواس قريباً من دُور بني نبيّخت بنهر طابق² وعنده جماعةٌ ، فجعل يمرّ به القوادم والكتّاب وبنو هاشم فيسلمون عليه وهو متكئٌ ممدودُ الرجل لا يتحرك لأحد منهم ، حتى نظرنا إليه قد قبض رجله ووثب وقام إلى شيخٍ قد أقبل على حمار له ، فاعتنق أبا نواس ووقف أبو نواس يُحادثه ، فلم يزل واقفاً معه يُراوح بين رجله يرفع رجلاً ويضع أخرى ، ثم مضى الشيخ ورجع إلينا أبو نواس وهو يتأوه . فقال له بعضُ من حضر : والله لأنت أشعرُ منه . فقال : والله ما رأيته قطّ إلا ظننت أنه سماءٌ وأنا أرضٌ .

[رأي بشار فيه]

قال محمد بن القاسم حدّثني عليّ بن محمد بن عبد الله الكوفيّ قال حدّثني السريّ بن الصَّبَّاح مولى ثوبان بن عليّ قال : كنتُ عند بشار فقلتُ له : مَنْ أشعرُ أهل زماننا ؟ فقال : مُخَنَّتُ أهل بغداد (يعني أبا العتاهية) .

[عزى المهديّ في وفاة ابنته فأجازها]

أخبرني يحيى بن عليّ بن يحيى المُنْجَم إجازةً : قال حدّثني عليّ بن مهديّ قال حدّثني الخَزَرْجِيّ الشاعِر قال حدّثني عبد الله بن أيّوب الأنصاريّ قال حدّثني أبو العتاهية قال : ماتت

1 الشاء في ل والديوان : النفس .

2 نهر طابق : محلة كانت ببغداد .

بنتُ المهديّ فحزنَ عليها حزناً شديداً حتى امتنع من الطعام والشراب ، فقلتُ أحياناً أعزّيه بها ؛ فوافيته وقد سلا وضحك وأكل وهو يقول : لا بدّ من الصبر على ما لا بدّ منه ، ولكن سلّونا عمّن فقدنا ليسلّونَ عَنّا من يَفْقِدنا ، وما يأتي الليلُ والنهارُ على شيءٍ إلّا أبلياه . فلما سمعتُ هذا منه قلت : يا أمير المؤمنين ، أتأذّن لي أن أنشدك ؟ قال هات ؛ فأنشدته¹ : [من البسيط]

ما للجديدين لا يئلى اختلافهما	وكلُّ غَضٍّ جديدٍ فيهما بالي
يا مَنْ سَلا عن حبيبٍ بعد مبيته	كم بعد موتك أيضاً عنك من سالي
كأنَّ كلَّ نعيمٍ أنتَ ذائقه	من لذّة العيشِ يحكي لمعة الآلِ
لا تلعبنَّ بك الدنيا وأنتَ ترى	ما شئتَ من غيرِ فيها وأمثالِ
ما حيلة الموتِ إلّا كُلُّ صالحية	أولاً فما حيلةٌ فيه لمُحتالِ

فقال لي : أحسنتَ ويحك ؛ وأصبتَ ما في نفسي ووعظتَ وأوجزتَ ، ثم أمر لي لكلّ بيت بألف درهم .

[حبسه الرشيد مع إبراهيم الموصلي ثم أطلقهما]

أخبرني محمد بن عمران الصّيرفي قال حدّثنا العنزّي قال حدّثني أحمد بن خلّاد قال حدّثني أبي قال : لما مات موسى الهادي قال الرشيد لأبي العتاهية : قلْ شعراً في الغزل ؛ فقال : لا أقول شعراً بعد موسى أبداً ، فحبسه . وأمر إبراهيم الموصلي أن يغني ؛ فقال : لا أغني بعد موسى أبداً ، وكان مُحسناً إليهما ، فحبسه . فلما شخّص إلى الرّقة حفراً لهما حفيرةً واسعة وقطع بينهما بحائط ، وقال : كونا بهذا المكان لا تخرُجا منه حتى تشعُر أنتَ ويغني هذا . فصبرا على ذلك بُرهة . وكان الرشيد يشرب ذاتَ يومٍ وجعفر بن يحيى معه ، فغنتُ جاريةً صوتاً فاستحسنه وطربا عليه طرباً شديداً ، وكان بيتاً واحداً . فقال الرشيد : ما كان أحوجه إلى بيتٍ ثانٍ ليطول الغناء فيه فنسّمتِعه مدّةً طويلة به ؛ فقال له جعفر : قد أصبته . قال : من أين ؟ قال : تبعث إلى أبي العتاهية فيلجّقه به لقدرته على الشعر وسرعته . قال : هو أنكذ من ذلك ، لا يُجيبنا وهو محبوس ونحن في نعيمٍ وطرب . قال : بلي ؛ فاكتب إليه حتى تعلم صحّة ما قلتُ لك . فكتب إليه بالقصّة وقال : ألحِقْ لنا بالبيت بيتاً ثانياً . فكتب إليه أبو العتاهية² :

[من الرمل]

شُغل المسكينُ عن تلك المِحَنِ فارقَ الرُّوحَ وأخلّى من بدنِ

1 تكملة الديوان : رقم 297 .

2 تكملة الديوان : رقم 278 .

ولقد كُلفتُ أمراً عَجَباً أسألُ التَّفْرِيحَ من بيتِ الحَزَنِ
فلَمَّا وصلتُ قال الرشيدُ : قد عرَّفْتُكَ أَنَّهُ لا يفعل . قال : فتخرَّجته حتى يفعل . قال : لا ،
حتى يَشْعُرَ ؛ فقد حلَّفتُ . فأقام أياماً لا يفعل . قال : ثم قال أبو العتاهية لإبراهيم : إلى كم هذا
نلاجُ الخلفاء ؟ هلُمُّ أَقْلُ شعراً وتغنَّ فيه . فقال أبو العتاهية¹ : [من الرمل]

بأبي مَنْ كان في قلبي له مرةً حُبٌّ قليلٌ فسُرِقُ
يا بني العباس فيكم مَلِكٌ شَعْبُ الإحسانِ منه تفترقُ
إنما هارونُ خيرٌ كُلُّهُ ماتَ كلُّ الشرِّ مُدُّ يومِ خَلِقُ
وغنَّي فيه إبراهيم ، فدعا بهما الرشيد ؛ فأنشده أبو العتاهية وغناه إبراهيم ، فأعطى كلَّ
واحد منهما مائة ألف درهم ومائة ثوب .

حدَّثني الصُّوَلِيُّ بهذا الحديث عن الحسين بن يحيى عن عبد الله بن العباس بن
الفضل بن الربيع ، فقال فيه : غضب الرشيد على جارية له فحلَّفَ ألاَّ يدخلُ إليها أياماً ،
ثم ندِمَ فقال² : [من الرمل]

صدَّ عَنِّي إذ رآني مُفْتَتَنُ وَأَطالَ الصَّدَّ لَمَّا أن فَطَنُ
كان مَمْلوكي فأضحى مالكي إنَّ هذا مِن أعاجيبِ الزَّمَنُ
وقال لجعفر بن يحيى : اطلُبْ لي مَنْ يزيدُ على هذين البيتين . فقال له : ليس غيرُ أبي
العتاهية . فبعث إليه فأجاب بالجواب المذكور ، فأمر بإطلاقه وصلَّته . فقال : الآن طاب
القولُ ؛ ثم قال³ : [من الرمل]

عِزَّةُ الحِبِّ أرته ذلَّتِي في هواه وله وجهٌ حَسَنُ
ولهذا صيرتُ مملوكاً له ولهذا شاعَ ما بي وعَلَنُ
فقال : أحسنتَ والله وأصبتَ ما في نفسي ؛ وأضعفَ صلَّته .

[شعره في ذم الناس]

نسختُ من كتاب هارون بن علي بن يحيى : قال حدَّثني علي بن مهدي قال حدَّثني الهيثم بن
عثمان قال حدَّثني شبيب بن منصور قال : كنتُ في الموقف واقفاً على باب الرشيد ، فإذا رجلٌ

1 تقدّمت هذه الأبيات والإشارة إليها في تكملة الديوان برواية أخرى : «بأبي من كان لي في قلبه» في الأوّل و«يا
بني الإسلام» في الثاني .

2 تكملة الديوان : رقم 278 (الحاشية) .

3 تكملة الديوان : رقم 279 .

بَشِيعَ الهَيْئَةِ عَلَى بَغْلٍ قَدْ جَاءَ فَوْقَ ، وَجَعَلَ النَّاسُ يُسَلِّمُونَ عَلَيْهِ وَيُسَائِلُونَهُ وَيُضَاحِكُونَهُ ، ثُمَّ وَقَفَ فِي الْمَوْقِفِ ، فَأَقْبَلَ النَّاسَ يَشْكُونَ أَحْوَالَهُمْ : فَوَاحِدٌ يَقُولُ : كُنْتُ مُنْقَطِعاً إِلَى فُلَانٍ فَلَمْ يَصْنَعْ بِي خَيْراً . وَيَقُولُ آخَرُ : أَمَلْتُ فُلَاناً فَخَابَ أَمَلِي وَفَعَلَ بِي ، وَيَشْكُو آخَرُ مِنْ حَالِهِ ؛ فَقَالَ الرَّجُلُ¹ :

فَتَشَّتْ ذِي الدُّنْيَا فَلَيْسَ بِهَا أَحَدٌ أَرَاهُ لِآخِرِ حَامِدٍ
حَتَّى كَانَتْ النَّاسَ كُلَّهُمْ قَدْ أَفْرَغُوا فِي قَالِبٍ وَاحِدٍ

فسألت عنه فقيل : هو أبو العتاهية .

[هجاء سلماً الخاسر بالحرص]

حَدَّثَنِي الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ قَالَ حَدَّثَنَا ابْنُ مَهْرُوبٍ قَالَ حَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ خَلَّادٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْحَسَنِ قَالَ : انْتَشِدَ الْمَأْمُونُ بَيْتَ أَبِي الْعَتَاهِيَةِ يُخَاطَبُ سَلْماً الْخَاسِرَ : [من الوافر]

تَعَالَى اللَّهُ يَا سَلْمُ بْنُ عَمْرٍو أَذَلَّ الْحِرْصُ أَعْنَاقَ الرَّجَالِ
فَقَالَ الْمَأْمُونُ : إِنَّ الْحِرْصَ لَمُفْسِدٌ لِلدِّينِ وَالْمَرْوَةِ ، وَاللَّهُ مَا عَرَفْتُ مِنْ رَجُلٍ قَطَّ حِرْصاً وَلَا شَرَّهَا فَرَأَيْتَ فِيهِ مُصْطَبَعاً . فَبَلَغَ ذَلِكَ سَلْماً فَقَالَ : وَيْلِي عَلَى الْمَخْنَثِ الْجَرَّارِ الزَّنْدِيقِ ؛ جَمَعَ الْأَمْوَالَ وَكَنْزَهَا وَعَبَأَ الْبُدُورَ فِي بَيْتِهِ ثُمَّ تَزَهَّدَ مُرَاءَةً وَنِفَاقاً ، فَأَخَذَ يَهْتِفُ بِي إِذَا تَصَدَّيْتُ لِلطَّلَبِ .

[اقتصر منه الجمال لخاله سلم فاعتذر له]

أَخْبَرَنِي أَحْمَدُ بْنُ الْعَبَّاسِ الْعَسْكَرِيِّ الْمُؤَدَّبُ وَمُحَمَّدُ بْنُ عِمْرَانَ الصَّيْرِيَّ قَالَا حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ قَالَ حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ سَلِيمَانَ الْعَتَكِيَّ قَالَ حَدَّثَنِي الْعَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سِنَانَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مِسْمَعٍ قَالَ : كُنَّا عِنْدَ قُثَمِ بْنِ جَعْفَرِ بْنِ سَلِيمَانَ وَعِنْدَهُ أَبُو الْعَتَاهِيَةِ يُنْشَدُ فِي الزَّهْدِ ، فَقَالَ قُثَمُ : يَا عَبَّاسُ ، اطْلُبِ السَّاعَةَ الْجَمَّازَ حَيْثُ كَانَ ، وَلِكَ عِنْدِي سَبَقٌ² . فَطَلَبْتَهُ فَوَجَدْتَهُ عِنْدَ رُكْنِ دَارِ جَعْفَرِ بْنِ سَلِيمَانَ ، فَقُلْتُ : أَجِبِ الْأَمِيرَ ؛ فَقَامَ مَعِيَ حَتَّى أَتَى قُثَمَ ؛ فَجَلَسَ فِي نَاحِيَةِ مَجْلِسِهِ وَأَبُو الْعَتَاهِيَةِ يُنْشَدُهُ ؛ فَأَنْشَأَ الْجَمَّازَ يَقُولُ : [من السريع]

مَا أَقْبَحَ التَّزْهِيدَ مِنْ وَعَظٍ يُزْهِدُ النَّاسَ وَلَا يَزْهَدُ
لَوْ كَانَ فِي تَزْهِيدِهِ صَادِقاً أَضْحَى وَأَمْسَى بَيْتَهُ الْمَسْجِدُ

1 ديوان أبي العتاهية (صادر) : 126 .

2 سبق : جائزة المتسابقين .

يخافُ أن تَفدَ أرزاقه والرزقُ عند الله لا ينفدُ
والرزقُ مقسومٌ على مَنْ ترى ينالُه الأبيضُ والأسودُ

قال : فالتفت أبو العتاهية إليه فقال : مَنْ هذا ؟ قالوا : هذا الجمّاز وهو ابن أختِ سلّم الخاسر ، اقتصّ لخاله منك . فأقبل عليه وقال : يا ابن أخي ، إني لم أذهب حيث ظننت ولا ظنّ خالك ، ولا أردتُ أن أهتِفَ به ؛ وإنما خاطبته كما يُخاطبُ الرجلُ صديقه ، فالله يغفر لكما ، ثم قام .

[غناه مخارق بشعره]

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمّار قال حدّثني محمد بن أحمد بن خلف الشّمريّ عن أبيه قال : كنتُ عند مُخارق ، فجاء أبو العتاهية في يوم الجمعة فقال : لي حاجةٌ وأريد الصلاة ؛ فقال مُخارق : لا أبرحُ حتّى تعود . قال : فرجع وطرح ثيابه ، وهي صوفٌ ، وغسل وجهه ، ثم قال له : غنّني¹ :

[من الخفيف]

صوت

قال لي أحمدٌ ولم يدرِ ما بي أتُحِبُّ الغداةَ عُتَبَةَ حَقًّا
فنتنَفَّستُ ثم قلتُ نعمَ حُ بآ جرى في العروقِ عِرْقًا فعرقا

فجذب مُخارق دواةً كانت بين يديه فأوقع عليها ثم غناه ؛ فاستعاده ثلاث مرّات فأعاده عليه ، ثم قام وهو يقول : لا يسمع والله هذا الغناء أحدٌ فيُفْلِح . وهذا الخبر رواية محمد بن القاسم بن مهرويه عنه .

وحدّثنا به أيضاً في كتاب هارون بن عليّ بن يحيى عن ابن مهرويه عن ابن عمّار قال حدّثني أحمد بن يعقوب عن محمد بن حسنّان الضّبّيّ قال حدّثنا مُخارق قال : لقيني أبو العتاهية فقال : بلغني أنّك خرّجتَ قولي :

[من الخفيف]

قال لي أحمدٌ ولم يدرِ ما بي أتُحِبُّ الغداةَ عُتَبَةَ حَقًّا

فقلتُ نعم . فقال : غنّه . فمِلتُ معه إلى خراب ، فيه قوم فقراء سكّان ، فغنّيته إياه ؛ فقال : أحسنتَ والله ؛ منذ ابتدأتُ حتّى سكتّ ؛ ثم قال لي : أما ترى ما فعل الملك بأهل هذا الخراب ؟

[شعره في تبخيل الناس]

أخبرني جحظة قال حدّثني ميمون بن هارون قال : قال مُخارق : لقيتُ أبا العتاهية على العِسر ، فقلتُ له : يا أبا إسحاق ، أتُنشدني قولك في تبخيلك الناس كلّهم ؟ فضحك وقال

لي : ها هنا ؟ قلت نعم . فأنشدني¹ :

إِنْ كُنْتَ مُتَّخِذًا خَلِيلًا فَتَنَقَّ وَانْتَقِدِ الْخَلِيلَا
مَنْ لَمْ يَكُنْ لَكَ مُنْصَفًا فِي الْوَدِّ فابْعُ بِهِ بَدِيلَا
وَلرَبِّمَا سُئِلَ الْبَخِيءُ لُ الشَّيْءِ لَا يَسُوِي فَتِيلَا
فَيَقُولُ لَا أَجِدُ السَّبِيءُ لُ إِلَيْهِ يَكْرَهُ أَنْ يُنِيلَا
فَلذَٰكَ لَا جَعَلَ الْإِلَّ هُ لَهُ إِلَى خَيْرِ سَبِيلَا
فَاضْرِبْ بِطَرْفِكَ حَيْثُ شِئْ تَ فَلَنْ تَرَى إِلَّا بِخِيلَا

فقلت له : أفرطت يا أبا إسحاق ؛ فقال : فديتك ، فأكذبني بجواد واحد . فأحبيت موافقته ، فالتفت يميناً وشمالاً ثم قلت : ما أجد . فقبل بين عيني وقال : فديتك يا بني ! لقد رفقت حتى كدت تُسرف .

[كان بعد تنسكه يطرب لحديث هارون بن مخارق]

أخبرني محمد بن خلف وكيع قال حدثني هارون بن مخارق قال : كان أبو العتاهية لما نسك يقول لي : يا بني ، حدثني ؛ فإن أفاضك تطرب كما يطرب غناؤك . [جفاه أحمد بن يوسف فعاتبه]

أخبرني علي بن صالح بن الهيثم الأنباري قال حدثني أبو هفان قال حدثني موسى بن عبد الملك قال : كان أحمد بن يوسف صديقاً لأبي العتاهية ، فلما خدَم المأمون وخصَّ به ، رأى منه أبو العتاهية جفوة ، فكتب إليه² :

أَبَا جَعْفَرٍ إِنْ الشَّرِيفَ يَشِينُهُ تَتَأْبَهُهُ عَلَى الْأَخِيَاءِ بِالْوَفْرِ
أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْفَقْرَ يُرْجَى لَهُ الْغَنَى وَأَنَّ الْغِنَى يُخْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْفَقْرِ
فَإِنْ نِلْتَ تَيْهًا بِالَّذِي نِلْتَ مِنْ غَنَى فَإِنَّ غِنَايَ فِي التَّجَمُّلِ وَالصَّبْرِ

قال : فبعث إليه بالفي درهم ، وكتب إليه يعتذر مما أنكره .

[طلب إليه أن يجيز شعراً فأجازه على البديهة]

أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا ابن مهوريه قال حدثني إبراهيم بن أحمد بن إبراهيم الكوفي قال حدثني أبو جعفر المعبدي قال : قلت لأبي العتاهية : أجز لي قول الشاعر³ : [من الوافر]

1 ديوان أبي العتاهية : 311-312 (حاشية القطعة رقم 320) وقد تقدمت الإشارة إليها في الخبر عن الفضل بن الربيع لاشتراكها مع تلك الأبيات في البيت الأول .

2 ديوان أبي العتاهية (صادر) : 217-218 .

3 الخير في تكملة الديوان : رقم 189 والحاشية عن الأغاني .

وكان المالُ يأتينا فكنا نُبذّره وليس لنا عقولُ
فلما أن تولّى المالُ عنا عَقَلْنَا حين ليس لنا فضولُ

قال : فقال أبو العتاهية على المكان :

فقصّر ما ترى بالصبر حقاً فكلُّ إن صبرت له مُزِيلُ

[قال لابنه : أنت ثقيل الظلّ]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا ابن مهرويه قال حدّثني الحسن بن الفضل الزّعفرانيّ قال : حدّثني من سمع أبا العتاهية يقول لابنه وقد غضب عليه : اذهب فإنك ثقيلُ الظلّ جامد الهواء .

[أهدى إلى الفضل نعلًا فأهداها للخليفة]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا ابن مهرويه قال حدّثني يحيى بن خليفة الرّازيّ قال حدّثنا حبيب بن الجهم النّميريّ قال : حضرتُ الفضلَ بن الربيع مُتَنَجِّزًا جائزتي وفرضي ، فلم يدخل عليه أحدٌ قبلي ، فإذا عونٌ حاجبه قد جاء فقال : هذا أبو العتاهية يُسَلِّمُ عليك وقد قدِمَ من مكّة ؛ فقال : أعفني منه الساعة¹ يشغلني عن ركوبي . فخرج إليه عونٌ فقال : إنّه على الرّكوب إلى أمير المؤمنين . فأخرج من كُفّه نعلًا عليها شراكٌ فقال : قل له إن أبا العتاهية أهداها إليك فجعلتُ فداءك . قال : فدخل بها ؛ فقال : ما هذه ؟ فقال : نعلٌ وعلى شراكها مكتوبٌ كتاب . فقال : يا حبيب ، اقرأ ما عليها . فقرأته فإذا هو² :

نعلٌ بعثتُ بها ليلبسها قرّم بها يمشي إلى المجدِ
لو كان يصلح أن أشركها خدي جعلتُ شراكها خدي

فقال لحاجبه عون : احملها معنا ، فحملها . فلما دخل على الأمين قال له : يا عباسي ، ما هذه النعل ؟ فقال : أهداها إليّ أبو العتاهية وكتب عليها بيتين ، وكان أمير المؤمنين أولى بلبسها لما وصف به لابنها . فقال : وما هما ؟ فقرأهما . فقال : أجاد والله ! وما سبقه إلى هذا المعنى أحد ، هبوا له عشرة آلاف درهم . فأخرجتُ والله في بدرة وهو راكب على حماره ، فقبضها وانصرف . [قيل إنّه كان من أقل الناس معرفة.]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال حدّثنا إسماعيل بن عبد الله الكوفيّ قال حدّثنا عمرو بن صاحب الطعام وكان جارَ أبي العتاهية ، قال : كان أبو العتاهية من أقلّ الناس معرفةً ، سمعتُ بشرًا المريسيّ يقول له : يا أبا إسحاق ، لا تُصلِّ خلف فلانٍ جارِك

1 ل : فالساعة .

2 التكملة : رقم 75 .

وإمام مسجدكم ؛ فإنه مُشَبَّه¹ . قال : كلاًّ إنّه قرأ بنا البارحة في الصلّاة : ﴿قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ﴾ ؛
 وإذا هو يظنّ أنّ المشبّه لا يقرأ ﴿قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ﴾ .
 [شكاً إليه بكر بن المعتمر ضيق حسبه]

أخبرني الحسن قال حدّثنا ابن مهرويه قال حدّثني أحمد بن يعقوب الهاشمي قال حدّثني
 أبو شيخ منصور بن سليمان عن أبيه قال : كتب بكر بن المُعتمر إلى أبي العتاهية يشكو إليه
 ضيقَ القيدِ وغمّ الحبس ؛ فكتب إليه أبو العتاهية² :

هيَ الأيَّامُ والعِبرُ وأمرُ اللهُ يُنتَظَرُ
 أتَيْتَأسُ أن تَرى فرجاً فأينَ اللهُ والقَدَرُ

[ذمّة الخيلاء وشعره في ذلك]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا ابن مهرويه قال حدّثنا أحمد بن عبيد بن ناصح قال :
 كنت أمشي مع أبي العتاهية يده في يدي وهو متكىء عليّ ينظر إلى الناس يذهبون ويحيثون ،
 فقال : أما تراهم هذا يتيه فلا يتكلّم ، وهذا يتكلّم بصلفٍ ؟ ثم قال لي : مرّ بعض أولاد
 المهلب بمالك بن دينار وهو يخطُرُ ، فقال : يا بني ، لو خَفَضْتَ بعضَ هذه الخيلاء لم يكن
 أحسنَ بك من هذه الشُّهرة التي قد شهّرت بها نفسك؟! فقال له الفتى : أوّما تعرف من أنا ؟
 فقال له : بلى والله أعرفك معرفة جيّدة ، أوّلك نطفة مَدْرَة ، وآخرك جيفة قَدْرَة ، وأنت بين
 ذينك حاملٌ عَدْرَة . قال : فأرخى الفتى أُذنيه وكفّ عما كان يفعل ، وطأطأ رأسه ومشى
 مُسترسلاً . ثم أنشدني أبو العتاهية³ :

أيا واهاً لذكر اللدِّ هـ يا واهاً له واهاً
 لقد طيّبَ ذكْرُ اللدِّ هـ بالتسيح أفواها
 فيا أنتنَ من حُشٍّ على حشٍّ إذا تاهاً⁴
 أرى قوماً يتيهون حُشوشاً رُزقوا جهاها⁵

[مدح إسماعيل بن محمد شعره]

حدّثني الزبيدي عن عمّه إسماعيل بن محمد بن أبي محمد قال : قلت لأبي العتاهية وقد جاءنا :

1 المشبه : فرقة تقول بأن الله يشبه الإنسان في تكوينه وأفعاله .

2 تكملة الديوان : 94 .

3 ديوان أبي العتاهية : 406 (رقم 420) (الحاشية) ، ديوان أبي العتاهية (صادر) : 459 .

4 حشّ في الديوان : «زبل» في المرّتين .

5 حشوشا في الديوان : «بهاماً» .

يا أبا إسحاق ، شعرك كله حسنٌ عجيب ، ولقد مرت بي منذ أيام أبيات لك استحسنتها جداً ؛
وذلك أنها كانت مقلوبةً أيضاً ، فأواخرها كأنها رأسها ، لو كتبها الإنسان إلى صديق له كتاباً
والله لقد كان حسناً أرفع ما يكون شعراً . قال : وما هي ؟ قلت ¹ : [من الكامل]

المراء في تأخير مدته	كالثوب يخلق بعد جدته
وحياته نفسٌ يعد له	ووفاته استكمالٌ عدته
ومصيره من بعد مدته	ليليٌ وذا من بعد وحدثه ²
من مات مالٌ ذوو مودته	عنه وحالوا عن مودته
أزف الرحيل ونحن في لعب	ما نستعد له بعدته
ولقلما تبقي الخطوب على	أشر الشباب وحررٌ وقده
عجباً لمنتبهٍ يضيع ما	يحتاج فيه ليوم رقدته ³

[شبه أبو نواس شعراً له بشعره]

قال اليزيدي : قال عمي وحدثني الحسين بن الضحّاك قال : كنت مع أبي نواس فأنشدني
أبياته التي يقول فيها ⁴ :

يا بني النقص والغير . وبني الضعف والخور
فلما فرغ منها قال لي : يا أبا علي ، والله لكأتها من كلام صاحبك (يعني أبا العتاهية) .
[سأل أعرابياً عن معاشه ثم قال شعراً]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدثني حذيفة بن محمد الطائي قال حدثني أبو دلف
القاسم بن عيسى العجليّ قال : حججت فرأيت أبا العتاهية واقفاً على أعرابي في ظلّ ميل ⁵
وعليه شملةٌ إذا غطى بها رأسه بدت رجلاه ، وإذا غطى رجليه بدا رأسه . فقال له أبو
العتاهية : كيف اخترت هذا البلد القفر على البلدان المخصبة ؟ فقال له : يا هذا ، لولا أن الله
أفنع بعض العباد بشرّ البلاد ، ما وسع خير البلاد جميع العباد . فقال له : فمن أين معاشكم ؟

1 ديوان أبي العتاهية : 84 (رقم 84) مع اختلاف كبير في الترتيب واللفظ .

2 رواية الديوان : ومصيره من بعد مرته بالناس ظلمة بيت وحدثه

3 يحتاج في الديوان : يحتاجه .

4 أدرج هذا البيت وآخر معه في تكملة الديوان : رقم 128 نقلاً عن كتاب البديع لابن المعتز : ص 44 ، ولم يرد
في طبعة صادر من الديوان . ومفهوم قول الحسين بن الضحّاك هنا أن البيت لأبي نواس ولكنه ليس في ديوانه
(الغزالي) .

5 الميل : منار بيني للمسافر على نشز من الأرض .

فقال : منكم معشرَ الحاجِّ ، تمرّون بنا فننال من فضولكم ، وتنصرفون فيكون ذلك . فقال له : إنّما نمرّ وننصرف في وقت من السنة ، فمن أين معاشكم ؟ فأطرق الأعرابيّ ثم قال : لا والله لا أدري ما أقول إلا أنّنا نرزقُ من حيث لا نحسب أكثر ممّا نرزق من حيث نحسب . فولّى أبو العتاهية وهو يقول¹ :

[من الهزج]

ألا يا طالبَ الدُّنيا دَعِ الدُّنيا لِشَانِيكََا
وما تصنعُ بالدُّنيا وظلُّ المِيلِ يَكْفِيكََا

[شتمه سلم لما سمع هجوه فيه]

أخبرني محمد بن مزيد قال حدثنا الزبير بن بكار قال : لما قال أبو العتاهية :

[من الوافر]

تعالى اللهُ يا سَلَمُ بنَ عَمْرٍ أذلَّ الحرصُ أعناقَ الرجالِ

قال سلم : ويلي على ابن الفاعلة ؛ كثرَ البُذورُ ويزعمُ أنّي حريصٌ وأنا في ثوبيّ هذين !

[كان عبد الله بن عبد العزيز يتمثل كثيراً بشعره]

أخبرني محمد بن مزيد والحرمي بن أبي العلاء قالوا حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني عمرو بن أدعج قال : قلت لعبد الله بن عبد العزيز العمريّ وسمعته يتمثل كثيراً من شعر أبي العتاهية : أشهدُ أنّي سمعته يُنشد لنفسه² :

[من مجزوء الخفيف]

مَرَّتِ اليَوْمَ شاطِرَةٌ بَصَّةُ الجِسمِ ساحِرَةٌ
إنَّ دُنْيَا هِيَ التي مَرَّتِ اليَوْمَ سافِرَةٌ
سَرَقُوا نِصْفَ إِسمِها فَهِيَ دُنْيَا وآخِرَةٌ

فقال عبد الله بن عبد العزيز : وكله الله إلى آخرتها . قال : وما سُمع بعد ذلك يتمثل

ببيت من شعره .

قال علي بن الحسين مؤلف هذا الكتاب : هذه الأبيات لأبي عُمينة المهلبيّ ، وكان يُشَبِّبُ بدنيا في شعره ، فإمّا أن يكون الخبيرُ غلطاً ، وإمّا أن يكون الرجل أنشدها العمريّ لأبي العتاهية وهو لا يعلم أنّها ليست له .

[موازنة بينه وبين أبي نواس]

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعيّ قال حدثنا عيسى بن إسماعيل قال : قال لي الحرّمازيّ : شهدتُ أبا العتاهية وأبا نواس في مجلس ، وكان أبو العتاهية أسرع الرجلين جواباً عند البديهة ،

1 ديوان أبي العتاهية 275 (رقم 291) (الحاشية) ، ديوان أبي العتاهية (صادر) : 317 .

2 تكملة الديوان : رقم 101 .

وكان أبو نواس أسرعهما في قول الشعر ؛ فإذا تعاطيا جميعاً السرعة فضله أبو العتاهية ، وإذا توقفا وتمهلاً فضله أبو نواس .

[حفاه صالح المسكين فعاتبه فجاهره بالعداوة]

أخبرني أحمد بن العباس عن ابن عُلَيْلِ العَنَزِيِّ قال حدثنا أبو أنس كثيرُ بن محمد الحزامي قال حدثني الزبير بن بكَّار عن معروف العاملي قال : قال أبو العتاهية : كنتُ منقطعاً إلى صالح المسكين ، وهو ابن أبي جعفر المنصور ، فأصبت في ناحيته مائة ألف درهم ، وكان لي ودوداً وصديقاً ، فجنَّته يوماً ، وكان لي في مجلسه مرتبة لا يجلس فيها غيري ، فنظرت إليه قد قصر بي عنها ، وعادته ثانية فكانت حاله تلك ، ورأيت نظره إليّ ثقيلاً ، فنهضت وقلت¹ :

أراني صالحاً بغيضا	فأظهرت له بغيضا
ولا والله لا ينقُ	ض إلا زدته نقضا
والآ زدته مقتماً	والآ زدته رفضاً
ألا يا مُفسدِ الودِّ	وقد كان له محضا
تعصبت من الريح	فما أطلب أن ترضى
لئن كان لك المالُ الـ	مُصفى إن لي عرضاً

قال أبو العتاهية : فمني الكلامُ إلى صالح فنادى بالعداوة ؛ فقلت فيه² :

مَدَدْتُ لِمُعْرَضٍ حَبْلاً طويلاً	كأطولِ ما يكون من الحبالِ
حبالٍ بالصَّريمةِ ليس تَفْنَى	مُوصَّلةً على عَدَدِ الرمالِ
فلا تَنْظُرْ إليّ ولا تُرِدْني	ولا تُقْرِبْ حبالك من حبالِي
فليت الرَّدَمُ من يأجوجَ بيني	وبينك ميثباً أُخرى الليالي
فكركش إن أردت لنا كلاماً	ونقطع قِحفَ رأسِك بالقدالِ

[استشده مساور شعراً في جنازة فأي]

حدثني أحمد بن عبيد الله بن عمَّار قال حدثنا عليُّ بن سليمان النوفلي قال : قال مُساورُ السَّبَّاق ، وأخبرني الحرَّميُّ بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير عن مُساورِ السَّبَّاق قال : شهدتُ

1 تكملة الديوان : رقم 143 .

2 تكملة الديوان : رقم 216 .

جنازةً في أيام الحاجّ وقت خروج¹ الحسين بن عليّ بن الحسن بن الحسن المقتول بفتح ، فرأيتُ رجلاً قد حضر الجنازةَ معنا وقد قال لآخر : هذا الرجل الذي صِفْتُهُ كذا وكذا أبو العتاهية . فالتفت إليه فقلت له : أنت أبو العتاهية ؟ فقال : لا ، أنا أبو إسحاق . فقلت له : أنشدني شيئاً من شعرك ؛ فقال لي : ما أحملك ؛ نحن على سفرٍ وعلى شفيرِ قبرٍ ، وفي أيام العشر ، وبلدكم هذا تستنشدني الشعر ؟ ثم أدبر عني ثم عاد إليّ فقال : وأخرى أزيدُكها ، لا والله ما رأيت في بني آدم قطُّ أسمع منك وجهاً !

قال النوفليّ في خبره : وصدق أبو العتاهية ، كان مُساوِرٌ هذا مُقَبَّحاً طويلَ الوجه كأنّه ينظر في سيف .

[حجبه حاجب يحيى بن خاقان فعاتبه ولم يرض عنه]

أخبرني عمّي الحسن بن محمد وجحظة قالوا حدّثنا ميمون بن هارون قال : قدِم أبو العتاهية يوماً منزلاً يحيى بن خاقان ، فلما قام بادر له الحاجب فانصرف . وأتاه يوماً آخرَ فصادفه حين نزل ، فسلم عليه ودخل إلى منزله ولم يأذن له ؛ فأخذ قرطاساً وكتب إليه² :

أراك تُراعُ حين تَرى خيالي	فما هذا يروَعك من خيالي
لعلك خائفٌ منّي سؤالي	ألا فلَكَ الأمانُ مِنَ السّؤالِ
كفَيْتِكَ إنَّ حالَكَ لم تَمِلْ بي	لأطْلُبَ مثلَها بَدلاً بحالي
وإنَّ اليُسْرَ مثلُ العُسْرِ عندي	بأيّهما مُنيتُ فلا أبالي

فلما قرأ الرُّقعةَ أمر الحاجب بإدخاله إليه ، فطلبه فأبى أن يرجع معه ، ولم يلتقيا بعد ذلك .

[كان بينه وبين أبي الشَّمقمق شرّاً]

أخبرني عبد الله بن محمد الرّازيّ قال حدّثنا أحمد بن الحارث قال حدّثنا المدائنيّ قال : اجتمع أبو نواس وأبو الشَّمقمق في بيت ابن أذنين ، وكان بين أبي العتاهية وبين أبي الشَّمقمق شرّاً ، فخبّوه من أبي العتاهية في بيت . ودخل أبو العتاهية فنظر إلى غلام عندهم فيه تأنيثٌ ، فظنّ أنّه جارية ، فقال لابن أذنين : متى استطرفت هذه الجارية ؟ فقال : قريباً يا أبا إسحاق ، فقال : قلّ فيها ما حضّر ؛ فمدّ أبو العتاهية يده إليه وقال :

مددتُ كَفّي نحوكم سائلاً ماذا تَرُدُّون على السائلِ

1 ل : خرج .

2 تكلمة الديوان : رقم 213 .

فلم يلبث أبو الشمقمق حتى ناداه من البيت :
 نَرَدُّ فِي كَفِّكَ ذَا فَيْشِيَّةٍ يَشْفِي جَوِّي فِي أَسْتِكَ مِنْ دَاخِلِ
 فقال أبو العتاهية : شمقمق والله ؛ وقام مُغَضَّباً .

[استنشد ابن أبي أمية شعره ومدحه]

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمّار قال حدّثنا عليّ بن محمد النوفليّ قال حدّثني سليمان بن عبّاد قال حدّثنا سليمان بن مُناذر قال : كُنَّا عِنْدَ جَعْفَرِ بْنِ يَحْيَى وَأَبُو الْعَتَاهِيَةِ حَاضِرٌ فِي وَسْطِ الْمَجْلِسِ ؛ فَقَالَ أَبُو الْعَتَاهِيَةِ لَجَعْفَرٍ : جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاكَ ؛ مَعَكُمْ شَاعِرٌ يُعْرَفُ بِابْنِ أَبِي أُمِيَّةٍ أُحِبُّ أَنْ أَسْمَعَهُ يُنْشِدُ ؛ فَقَالَ لَهُ جَعْفَرٌ : هُوَ أَقْرَبُ النَّاسِ مِنْكَ . فَأَقْبَلَ أَبُو الْعَتَاهِيَةِ عَلَيَّ مُحَمَّدٌ ، وَكَانَ إِلَى جَانِبِهِ ، وَسَأَلَهُ أَنْ يُنْشِدَهُ ، فَكَأَنَّهُ حَصَرَ ثُمَّ أَنْشَدَهُ :

[من الرمل]

صوت

رُبَّ وَعْدٍ مِنْكَ لَا أَنْسَاهُ لِي	أَوْجَبَ الشُّكْرَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ
أَقْطَعُ الدَّهْرَ بِوَعْدِ حَسَنِ	وَأَجَلِّي غَمْرَةٌ مَا تَنْجَلِي
كَلَّمَا أَمَلْتُ وَعَدًّا صَالِحًا	عَرَّضَ الْمَكْرُوهَ دُونَ الْأَمَلِ
وَأَرَى الْأَيَّامَ لَا تُدْنِي الَّذِي	أَرْتَجِي مِنْكَ وَتُدْنِي أَجَلِي

في هذه الأبيات لأبي حبّشة رمل ، قال : فأقبل أبو العتاهية يُردّد البيت الأخير ويُقبل رأس ابن أبي أمية ويكي ، وقال : وَدِدْتُ وَاللَّهِ أَنَّهُ لِي بِكَثِيرٍ مِنْ شِعْرِي .

[لم يرض بتزويج ابنته من منصور بن المهدي]

أخبرني حبيب بن نصر قال حدّثنا عمر بن شبة قال : كانت لأبي العتاهية بنتان ، اسم إحداهما «لله» ، والأخرى «بالله» ؛ فخطب منصور بن المهدي «لله» فلم يُزوجه ، وقال : إنّما طلبها لأنّها بنت أبي العتاهية ، وكأنتي بها قد ملّها ، فلم يكن لي إلى الانتصاف منه سبيل ، وما كنت لأزوجهما إلّا بائع خزفٍ وجِرارٍ ، ولكنّي اختاره لها مؤسراً .

[كان له ابن شاعر]

وكان لأبي العتاهية ابنٌ يقال له محمد وكان شاعراً ، وهو القائل¹ : [من مخّع البسيط]

قَدِ أَفْلَحَ السَّالِمُ الصَّمُوتُ	كَلَامُ رَاعِي الْكَلَامِ قُوتُ
مَا كُلُّ نَطْقٍ لَهُ جَوَابٌ	جَوَابُ مَا يُكْرَهُ السُّكُوتُ

يا عَجَباً لامرئٍ ظلُّومٍ مُسْتَيَقِينِ أَنَّهُ يموتُ

[سأله عبد الله بن الحسن بن سهل أن ينشده من شعره ففعل]

نسختُ من كتاب هارون بن عليّ بن يحيى : حدَّثنا زكريّا بن الحسين عن عبد الله بن الحسن بن سهل الكاتب قال : قلت لأبي العتاهية : أنشدني من شعرك ما تستحسن ، فأنشدني :

ما أَسْرَعَ الأَيَّامَ في الشَّهْرِ وَأَسْرَعَ الأشْهُرَ في العُمُرِ

صوت

ليس لمن ليست له حيلةٌ موجدودةٌ خيرٌ من الصَّبرِ
فاخطُ مع الدهرِ إذا ما خطا واجرِ مع الدهرِ كما يجري
من سابقِ الدهرِ كبا كَبوةٌ لم يَسْتَقْلِهَا آخِرَ الدهرِ

لإبراهيم في هذه الأبيات خفيف ثقيلٍ وثقيلٌ أول .

[جفاه الفضل فوصله ابن الحسن بن سهل]

قال عبد الله بن الحسن : وسمعتُ أبا العتاهية يُحدِّثُ قال : ما زال الفضلُ بن الربيع من أميلِ الناس إليّ ، فلما رجع من خراسان بعد موت الرشيد دخلت إليه ، فاستنشدني فأنشدته¹ :

[من البسيط]

أفنيَتَ عمرَكَ إِدباراً وإقبالاً تَبْغِي البنينَ وتَبْغِي الأهلَ والمالا
الموتُ هَوْلٌ فُكْرٌ ما شِئْتَ مُلْتَمِساً من هَوْلِهِ حيلةٌ إن كنتَ مُحْتالاً²
ألم تَرَ المَلِكَ الأُمَسيَّ حينَ مضى هل نالَ حيٍّ من الدنيا كما نالاً³
أفناه مَنْ لم يَزَلْ يُفني القُرُونِ فَقَدْ أضحى وأصبحَ عنه المَلِكُ قد زالاً⁴
كم من ملوكٍ مضى رَبُّ الزمانِ بهم فأصبحوا عِبراً فينا وأمثالاً

فاستحسنها وقال : أنت تعرف شُعْلي ، فعُدْ إليّ في وقت فراغي أقعد معك وأنس بك . فلم أزلُ أراقبُ أيَّامه حتى كان يومُ فراغه فصرتُ إليه ؛ فبينما هو مُقبِلٌ عليّ يستنشدني ويسألني

1 ديوان أبي العتاهية : 302-303 (رقم 314) .

2 الديوان : «للموت غول . . . من غوله . . .» .

3 الأمسي في الديوان : الأمي .

4 القرون في الديوان : الملوك .

فأحدثه ، إذ أنشدته¹ : [من الكامل]

ولّى الشبابُ فما له من حيلةٍ وكسا ذؤابتَي المشيبُ حِمَارا
أين البرامكةُ الذين عهدتْهم بالأمسِ أعظمَ أهلها أخطارا
فلما سمع ذكري البرامكةَ تَغَيَّرَ لونهُ ورأيتُ الكراهيةَ في وجهه ، فما رأيت منه خيراً بعد ذلك .

قال : وكان أبو العتاهية يُحدِّث هذا الحديث ابن الحسن بن سهل ؛ فقال له : لئن كان ذلك ضركَ عند الفضل بن الربيع لقد نفعلك عندنا ؛ فأمر له بعشرة آلاف درهم وعشرة أثواب وأجرى له كل شهرٍ ثلاثة آلاف درهم ، فلم يزل يقبلها دارةً إلى أن مات .
[عاب مجاشع بن مسعدة فردَّ عليه من شعره]

قال أبو عبد الله بن الحسن بن سهل : وسمعت عمرو بن مسعدة يقول : قال لي أخي مجاشع : بينما أنا في بيتي إذ جاءني رُفعةٌ من أبي العتاهية فيها² : [من مجزوء الوافر]

خليلٌ لي أكاتمُه أراني لا الأئمةُ
خليلٌ لا تهبَّ الرِّب حُ إلا هبَّ لائمهُ
كذا من نال سلطاناً ومن كثرت دراهمهُ

قال : فبعثتُ إليه فاتاني ، فقلت له : أما رَعَيْتَ حقاً ولا ذماماً ولا مودّةً ؟ فقال لي : ما قلتُ سوءاً . قلت : فما حملك على هذا ؟ قال : أغيبُ عنك عشرة أيام فلا تسأل عني ولا تبعثُ إليّ رسولاً ؟ فقلت : يا أبا إسحاق ، أتسييت قولك³ : [من مجزوء الكامل]

يأبى المعلق بالمنى إلا رواحاً وادلاجاً
أرفقُ فعمركُ عودُ ذي أودٍ رأيتُ به اعوجاجاً
من عاجٍ من شيءٍ إلى شيءٍ أصابَ له معاجاً

فقال : حسبك ، حسبك ، أوَسَعَتْنِي عُذْرًا .

[عاب شعر ابن منذر لاستعماله الغريب]

أخبرني محمد بن عمران الصيرفي الزارع قال حدثنا الحسن بن عليّ العنزي قال حدثني محمد بن عمران بن عبد الصمد الزارع قال حدثنا ابن عائشة قال : قال أبو العتاهية لابن

1 ديوان أبي العتاهية : 145 (رقم 148) (الحاشية) ، ديوان أبي العتاهية (صادر) : 171 .

2 تكملة الديوان : رقم 232 .

3 ديوان أبي العتاهية : 95 (رقم 96) .

مناذر : شعرك مُهَجَّن لا يَلْحَق بالفحول ، وأنت خارجٌ عن طبقة المُحدِّثين . فإن كنت تَشَبَّهت بالعجاج ورُوِّية فما لَحِقْتَهُما ولا أنت في طريقهما ، وإن كنت تذهب مذهب المُحدِّثين فما صنعتَ شيئاً . أَخْبِرْنِي عن قولك :

وَمَنْ عَادَاكَ لَأَقَى الْمَرْمِيسَا¹

أخبرني عن المرميس ما هو ؟ قال : فخرج ابن مناذر وما رجعته حرقاً . قال : وكان بينهما تناغر² .

[عرف عبيد الله بن إسحاق بمكة وسأله أن يجز شعره]

نسختُ من كتاب هارون بن علي بن يحيى قال حدَّثني الحسين بن إسماعيل المهدي قال حدَّثني رجاء بن سلمة قال : وجد المأمون علي في شيء ، فاستأذنته في الحج فأذن لي ، فقَدِمْتُ البصرة وعبيد الله بن إسحاق بن الفضل الهاشمي عليها وإليه أمرُ الحج ، فزاملته إلى مكة . فبينما نحن في الطواف رأيت أبا العتاهية ، فقلت لعبيد الله : جعلتُ فداك ؛ أتُحِبُّ أن ترى أبا العتاهية ؟ فقال : والله إنِّي لأُحِبُّ أن أراه وأعاشيره . قلت : فافرغ من طوافك واخرج ، ففعل . فأخذت بيد أبي العتاهية فقلت له : يا أبا إسحاق ، هل لك في رجلٍ من أهل البصرة شاعرٍ أديب ظريف ؟ قال : وكيف لي بذلك ؟ فأخذت بيده فجئتُ به إلى عبيد الله ، وكان لا يعرفه ، فتحدَّثنا ساعةً ، ثم قال له أبو العتاهية : هل لك في بيتين تُجيزهما ؟ فقال له عبيد الله : إنَّه لا رَفَتْ ولا فُسُوقَ ولا جِدالَ في الحج . فقال له : لا نَرَفْتُ ولا نَفُسُقَ ولا نُجادل . فقال : هات إذاً . فقال أبو العتاهية³ :

إِنَّ الْمَسُونَ غَدُوها وَرَوَّاحِها فِي النَّاسِ دائِبةٌ تُجِيلُ قِداحِها
يا ساكنَ الدنيا لقد أوطنتها ولتَنزَحَنَّ وإن كَرِهتَ نِزاحِها
فأطرق عبيد الله ينظرُ إلى الأرض ساعةً ، ثم رفع رأسه فقال :

حُذِّ لا أبا لكَ لِلْمَنِيَّةِ عُدَّةً واحْتَلَّ لِنَفْسِكَ إن أردتَ صلاحِها
لا تَغْتَرِرْ فَكأَنَّني بِعُقَابِ رِيءِ سب الموت قد نَشَرْتُ عَلَيْكَ جَناحِها

قال : ثم سمعتُ الناسَ يَنحَلون أبا العتاهية هذه الأربعة الأبيات كلها ، وليس له إلا البيتان الأولان .

1 المرميس : الداهية .

2 ل : تباعد .

3 ديوان أبي العتاهية : 101 (رقم 101) .

[قصته في السجن مع داعية عيسى بن زيد]

أخبرني عمي الحسن بن محمد قال حدثنا ميمون بن هارون قال حدثني إبراهيم بن رباح قال أخبرني إبراهيم بن عبد الله ، وأخبرني محمد بن خلف وكيع قال حدثنا هارون بن مخرق قال حدثني إبراهيم بن دسكرة ، وأخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال حدثني أحمد بن سليمان بن أبي شيخ قال : قال أبو العتاهية : حبسني الرشيد لما تركت قول الشعر ، فأدخلت السجن وأغلق الباب علي ، فدهشت كما يدهش مثلي لتلك الحال ، وإذا أنا برجل جالس في جانب الحبس مقيد ، فجعلت أنظر إليه ساعة ، ثم تمثل : [من الطويل]

صوت

تَعَوَّدْتُ مَرَّ الصَّبْرِ حَتَّى أَلْفَتْهُ وَأَسْلَمَنِي حَسَنُ الْعَرَاءِ إِلَى الصَّبْرِ¹
 وَصَبَّرَنِي يَأْسِي مِنَ النَّاسِ رَاجِئاً حُسْنُ صَنِيعِ اللَّهِ مِنْ حَيْثُ لَا أُدْرِي

فقلت له : أعد ، يرحمك الله ، هذين البيتين . فقال لي : ويلك أبا العتاهية ؛ ما أسوأ أدبك وأقل عقلك ! دخلت علي الحبس فما سلمت تسليم المسلم على المسلم ، ولا سألت مسألة الحر للحر ، ولا توجعت توجع المبتلى للمبتلى ، حتى إذا سمعت بيتين من الشعر الذي لا فضل فيك غيره ، لم تصبر عن استعادتهما ، ولم تقدم قبل مسألتك عنهما عذراً لنفسك في طلبهما ؛ فقلت : يا أخي آني دهشت لهذه الحال ، فلا تعدلني واعذرني متفضلاً بذلك . فقال : أنا والله أولى بالدهش والحيرة منك ؛ لأنك حبست في أن تقول شعراً به ارتفعت وبلغت ، فإذا قلت أمنت ، وأنا مأخوذ بأن أدل على ابن رسول الله ﷺ ليقتل أو أقتل دونه ، والله لا أدل عليه أبداً ، والساعة يدعي بي فأقتل ، فأينما أحق بالدهش ؟ فقلت له : أنت والله أولى ، سلمك الله وكفاك ، ولو علمت أن هذه حالك ما سألتك . قال : فلا نبخل عليك إذن ، ثم أعاد البيتين حتى حفظتهما . قال : فسألته من هو ؟ فقال : أنا خاص داعية عيسى بن زيد وابنه أحمد . ولم نلبث أن سمعنا صوت الأقفال ، فقام فسكب عليه ماء كان عنده في جرة ، ولبس ثوباً نظيفاً كان عنده ، ودخل الحرس والجند معهم الشمع فأخرجونا جميعاً ، وقدم قبلي إلى الرشيد . فسأله عن أحمد بن عيسى ؛ فقال : لا تسألني عنه واصنع ما أنت صانع ، فلو أنه تحت ثوبي هذا ما كشفته عنه . وأمر بضرب عنقه فضرب . ثم قال لي : أظنك قد ارتعت يا إسماعيل ؛ فقلت : دون ما رأيته تسبيل منه النفوس . فقال : ردوه إلى محبسه فرددت ، وانتحلت هذين البيتين وزدت فيهما² :

1 مر الصبر في ل : مس الضر .

2 انظر ديوان أبي العتاهية : 174-175 (رقم 178) وهي خمسة أبيات من ضمنها الثلاثة المتقدمة .

إذا أنا لم أقبل من الدهر كل ما تَكَرَّهَتْ منه طال عَتْبِي على الدهر
لِرُزُورِ غلامِ المارقِي في هذين البيتين المذكورين خفيف رمل . وفيهما لعَرِيب خفيف
ثقيل .

[كان خِلفاً في شعره منه الجيد والرديء]

نسختُ من كتاب هارون بن علي بن يحيى : حدَّثني علي بن مهدي قال حدَّثني ناجية بن
عبد الواحد قال : قال لي أبو العباس الخزيمي : كان أبو العتاهية خِلفاً في الشعر ، بينما هو
يقول في موسى الهادي :

لَهْفِي على الزمنِ القصيرِ بينِ الخورنقِ والسديرِ

إذ قال¹ :

أيا ذوي الوخامة	أكثرتم الملامه
فليس لي على ذا	صبر ولا قلامه
نعم عَشِقتُ موقاً	هل قامتِ القيامة
لأركبن فيمن	هوئته الصرامه

[عرض شعراً له على سلم الخاسر فذمه]

ونسختُ من كتابه : حدَّثني علي بن مهدي قال حدَّثني أحمد بن عيسى قال حدَّثني الجَمَّاز
قال : قال سلم الخاسر : صار إلي أبو العتاهية فقال : جئتكَ زائراً ؛ فقلت : مقبول منك ومشكور
أنت عليه ، فأقم . فقال : إن هذا مما يشتد علي . قلت : ولم يشتد عليك ما يسهل على أهل الأدب ؟
فقال : لمعرفتي بضيقِ صدرك . فقلت له وأنا أضحك وأعجب من مكابرتي : «رمتني بدائها
وانسلت»² . فقال : دعني من هذا واسمع مني أبياتاً . فقلت : هات ، فأنشدني³ : [من الخفيف]

نغص الموت كل لذة عيش	يا لقومي للموت ما أوحاه ⁴
عجبا أنه إذا مات ميئ	صد عنه حبيبه وجفاه
حيثما وجه امرؤ ليفوت ال	حوت فالموت واقف بجذاه
إنما الشيب لابن آدم ناع	قام في عارضيه ثم نعا

1 تكملة الديوان : رقم 240 .

2 هو المثل رقم 1521 عند الميداني وانظر فصل المقال : 92 .

3 ديوان أبي العتاهية : 414-415 (رقم 432) .

4 أوحاه : ما أسرعه .

مَنْ تَمَنَّى الْمُنَى فَأَغْرَقَ فِيهَا مات من قبل أن ينالَ مناهُ
 مَا أَذَلَ الْمُقِلَّ فِي أَعْيُنِ النَّا سِ لإِقْلَالِهِ وَمَا أَقْمَاهُ
 إِنَّمَا تَنْظُرُ الْعَيُونَ مِنَ النَّا سِ إِلَى مَنْ تَرَجَّوهُ أَوْ تَخْشَاهُ

ثم قال لي : كيف رأيتها ؟ فقلت له : لقد جودتها لو لم تكن ألقاؤها سوقية . فقال :
 والله ما يُرْعِبُنِي فِيهَا إِلَّا الَّذِي زَهَدَكَ فِيهَا .
 [قوله عندما مر به حميد الطوسي متكرراً]

ونسختُ من كتابه : عن علي بن مهدي قال حدثني عبد الله بن عطية عن محمد بن
 عيسى الحرابي قال : كنت جالساً مع أبي العتاهية ، إذ مر بنا حميد الطوسي في موكبهِ وبين
 يديه الفرسان والرجالة ، وكان يقرب أبي العتاهية سوادي على أتان ، فضربوا وجه الأتان
 ونحوه عن الطريق ، وحميد واضع طرفه على معرفة فرسه والناس ينظرون إليه يعجبون منه
 وهو لا يلتفت تبيهاً ؛ فقال أبو العتاهية¹ :
 [من مجزوء الكامل]

لِلْمَوْتِ أُنْبَاءٌ بِهِمْ مَا شِئْتَ مِنْ صَلْفٍ وَتِيهِ
 وَكَأَنَّيْ بِالْمَوْتِ قَدْ دَارَتْ رِجَاهُ عَلَى بَيْتِيهِ

قال : فلما جاز حميد مع صاحب الأتان قال أبو العتاهية² :

مَنْ تَمَنَّى الْمُنَى فِي أَعْيُنِ النَّا سِ لإِقْلَالِهِ وَمَا أَقْمَاهُ
 إِنَّمَا تَنْظُرُ الْعَيُونَ مِنَ النَّا سِ إِلَى مَنْ تَرَجَّوهُ أَوْ تَخْشَاهُ

[اعترض عليه في بخله فأجاب]

قال علي بن مهدي وحدثني الحسين بن أبي السري قال : قيل لأبي العتاهية : ما لك
 تبخل بما رزقك الله ؟ قال : والله ما بخلتُ بما رزقني الله قط . قيل له : وكيف ذلك وفي
 بيتك من المال ما لا يُحصى ؟ قال : ليس ذلك رزقي ، ولو كان رزقي لأنفقتُه .

[طلب من صالح الشهرزوري حاجة فلم يقضها فعاتبه]

قال علي بن مهدي وحدثني محمد بن جعفر الشهرزوري قال حدثني رجاء مولى صالح
 الشهرزوري قال : كان أبو العتاهية صديقاً لصالح الشهرزوري وآس الناس به ، فسأله أن
 يكلم الفضل بن يحيى في حاجة له ؛ فقال له صالح : لست أكلمه في أشباه هذا ، ولكن
 حملني ما شئت في مالي . فانصرف عنه أبو العتاهية وأقام أياماً لا يأتيه ؛ فكتب إليه أبو

1 تكملة الديوان : رقم 291 .

2 ديوان أبي العتاهية : 400-401 (رقم 412) وهي 10 أبيات .

العताهية :

[من الكامل]

أَقْلَبُ زيارَتِكَ الصديقَ ولا تُطِيلُ¹ إتيانَه فَتَلِجْ في هِجرانِهِ¹
 إنَّ الصديقَ يَلِجُ في غِشيانِهِ لصديقه فيمَلُّ من غِشيانِهِ
 حتَّى تراه بعد طولِ مَسرَّةٍ بمكانه مُتَبَرِّماً بمكانِهِ²
 وأَقْلُ ما يُلْفَى الفتى ثَقَلًا على إخوانه ما كَفَّ عن إخوانِهِ³
 وإذا تَوانَى عن صِيانةِ نفسه رجلٌ تُنقِصُ واستُخِفَّ بِشانِهِ

فلَمَّا قرأ الأبياتَ قال : سبحانَ الله ؛ أتَهجُرني لمنعي إياكَ شيئاً تعلمُ أنِّي ما ابتدلتُ نفسي له قطً ، وتَنسى مودَّتِي وأخوتِي ، ومن دونِ ما بيني وبينك ما أوجبَ عليك أن تُعذِرني ! فكتبَ إليه⁴ :

[من الكامل]

أهلَ التَّخَلُّقِ لو يَدومُ تَخَلُّقُ لسكنتُ ظِلَّ جَناحِ مَنْ يَتَخَلَّقُ⁵
 ما الناسُ في الإمساكِ إلاَّ واحدٌ فبأيِّهم إنَّ حُصِّلوا أُتَلَّقُ⁵
 هذا زمانٌ قد تَعوَّدَ أهلُه تِبةَ الملوكِ وفِعَلَ مَنْ يَتَصَدَّقُ⁵

فلَمَّا أصبحَ صالحٌ غداً بالأبياتِ على الفضلِ بنِ يحيى وحدثَه بالحديثِ ؛ فقال له : لا والله ما على الأرضِ أبغضُ إليَّ من إسداءِ عارفةٍ إلى أبي العتاهية ؛ لأنَّه مَن ليس يظهرَ عليه أثرُ صنيعَةٍ ، وقد قضيتُ حاجتَه لك ؛ فرجعَ وأرسلني إليه بقضاءِ حاجتِه . فقال أبو العتاهية⁵ :

[من الطويل]

جَزَى اللهُ عَنِّي صالحاً بوفائِهِ وأَضَعَفَ أضعافاً له في جَزائِهِ
 بَلَوْتُ رجالاً بعدَه في إخائِهِم فما ازدَدْتُ إلاَّ رَغْبَةً في إخائِهِ
 صديقٌ إذا ما جئتُ أبغِيه حاجةً رجعتُ بما أبغِي ووجهي بمائِهِ

أخبرني الصُّوفيُّ قال حدَّثني محمد بن موسى قال حدَّثني أحمد بن حرب قال : أنشدني محمد بن أبي العتاهية لأبيه يعاتبُ صالحاً هذا في تأخيرِه قضاءِ حاجتِه⁶ :

[من الطويل]

1 ولا تطل إتيانه فتلج في الديوان : «... ولا تطل هجرانه فيلج...» .

2 الديوان : «... مستقلاً لمكانه» .

3 وأقل في الديوان : وأخف .

4 تكملة الديوان : رقم 158 .

5 تكملة الديوان : رقم 5 .

6 تكملة : رقم 60 .

صوت

أُعِينِي جُوداً وَابْكِيَا وَدَّ صَالِحٍ وَهَيْجَا عَلَيْهِ مُعُولَاتِ النَّوَائِحِ
فَمَا زَالَ سُلْطَانًا أَخٌ لِي أَوْدُهُ فَيَقْطَعُنِي جُرْماً قَطِيعَةً صَالِحِ
الغناء في هذين البيتين لإبراهيم ثقیلٌ أولٌ بإطلاق الوتر في مجرى البنصر .

[أمر الرشيد مؤدّب ولده أن يرويهم شعره]

أخبرني محمد بن أبي الأزهر قال حدثني حماد بن إسحاق عن أبيه عن جدّه قال : كان الرشيد مُعْجَباً بشعر أبي العتاهية ، فخرج إلينا يوماً وفي يده رُقعتان على نسخة واحدة ، فبعث بإحدهما إلى مؤدّب لولده وقال : لِيُرَوِّهِمْ ما فيها ، ودفع الأخرى إليّ وقال : غَنَّ في هذه الأبيات . ففتحتها فإذا فيها¹ :

[من مجزوء الرمل]

صوت

قُلْ لِمَنْ ضَنَّ بُوْدَةٌ وَكَوَى الْقَلْبَ بَصْدَةٌ
ما ابتلى الله فؤادي بك إلا شُومَ جَدَّةُ
أيُّها السارقُ عَقْلِي لا تَضَنَّ بِرَدَّةُ
ما أرى حُبَّكَ إِلَّا بالغاً بي فوقَ حَدَّةُ

[تمثل المعتصم عند موته بشعره]

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعيّ قال حدثني عبد الله بن محمد الأمويّ العُتْبِيّ قال قال لي محمد بن عبد الملك الزيات : لما أحسن المعتصم بالموت قال لابنه الواثق : ذَهَبَ وَاللَّهِ أَبُوكَ يَا هَارُونَ ! لِلَّهِ دَرُّ أَبِي الْعَتَاهِيَةِ حَيْثُ يَقُولُ² :

[من مجزوء الكامل]

الموتُ بَيْنَ الْخَلْقِ مُشْتَرِكُ لا سَوْقَةً يَتَّقِي وَلَا مَلِكُ
ما ضَرَّ أَصْحَابَ الْقَلِيلِ وَمَا أَغْنَى عَنِ الْأَمْلاكِ مَا مَلَكَوا

[عدّ أبو تمام خمسة أبيات من شعره وقال لم يشركه فيها غيره]

أخبرني حبيب بن نصر المهلبيّ وعمي الحسن والكوكبيّ قالوا حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال : قال لي أبو تمام الطائيّ : لأبي العتاهية خمسة أبياتٍ ما شَرِكَه فيها أحدٌ ، ولا قَدَّرَ على مثلها مُتَقَدِّمٌ ولا مُتَأَخِّرٌ ، وهو قوله :

[من مجزوء الكامل]

1 تكملة : رقم 84 .

2 ديوان أبي العتاهية : 267-268 (رقم 283) .

الناسُ في غَفَلَاتِهِمْ وَرَحَى الْمَنِيَّةِ تَطْحَنُ

وقوله لأحمد بن يوسف : [من الطويل]

أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْفَقْرَ يُرْجَى لَهُ الْغِنَى وَأَنَّ الْغِنَى يُخْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْفَقْرِ

وقوله في موسى الهادي¹ : [من المتقارب]

وَمَا اسْتَقَلُّوا بِأَتْقَالِهِمْ وَقَدِ أَزْمَعُوا لِلَّذِي أَزْمَعُوا
قَرَنْتُ التَّفَاتِي بِآثَارِهِمْ وَأَتَّبَعْتُهُمْ مُقَلَّةً تَدْمَعُ

وقوله : [من الوافر]

هَبِ الدُّنْيَا تَصِيرُ إِلَيْكَ عَفْوًا أَلَيْسَ مَصِيرُ ذَاكَ إِلَى زَوَالِ

[عزاه صديقاً له]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال حدثني محمد بن سعيد المهديّ عن يحيى بن سعيد الأنصاريّ قال : مات شيخ لنا ببغداد ، فلمّا دفنناه أقبل الناسُ على أخيه يُعزّونه ، فجاء أبو العتاهية إليه وبه جزعٌ شديد ، فعزّاه ثم أنشده² : [من المجث]

لَا تَأْمَنِ الدَّهْرَ وَالْبَسُ لِكُلِّ حِينٍ لِبِاسَا
لَيْدِفْنَنَّا أَنْاسُ كَمَا دَفَنَّا أَنْاسَا

قال : فانصرف الناسُ ، وما حفظوا غير قول أبي العتاهية .

[أرسل لخزيمة من شعره في الزهد فغضب وذمه]

نسختُ من كتاب هارون بن عليّ : حدثني عليّ بن مهديّ قال حدثني حبيب بن عبد الرحمن عن بعض أصحابه : قال : كنتُ في مجلس خزيمة³ ، فجرى حديثٌ ما يُسْفِكُ من الدماء ، فقال : والله مالنا عند الله عذرٌ ولا حُجَّةٌ إلّا رجاء عفوهِ ومغفرته . ولولا عزُّ السلطان وكرهه الذلّة ، وأن أصيرَ بعد الرياسة سُوقَةً وتابعاً بعد ما كنتُ متبوعاً ، ما كان في الأرض أزهْدٌ ولا أعبدٌ مني ؛ فإذا هو بالحاجب قد دخل عليه برُقعة من أبي العتاهية فيها مكتوب⁴ :

[من الطويل]

1 تكملة الديوان : رقم 145 .

2 ديوان أبي العتاهية : حاشية القطعة 198 (ص 193) ، ديوان أبي العتاهية (صادر) : 229 .

3 هو خزيمة بن خازم أحد قواد الرشيد .

4 ديوان أبي العتاهية : 347 (رقم 356) وهي عشرة أبيات مع اختلاف في الترتيب .

أراك امرأةً ترجو من الله عَفْوَهُ
 وَأنتَ على ما لا يُجِبُّ مُقِيمٌ
 تَدُلُّ على التقوى وَأنتَ مُقَصِّرٌ
 أَيَا مَنْ يُداوي الناسَ وهو سَقِيمٌ
 وَإِنَّ امرأةً لم يُلْهَهِ اليَوْمُ عن غَدٍ
 تَخُوفُ ما يَأْتِي به الحَكِيمُ
 وَإِنَّ امرأةً لم يجعلِ البرَّ كَنْزَهُ
 وَإِنْ كانتِ الدنيا له لَعَدِيمٌ

فغضب خزيمة وقال : والله ما المعروفُ عند هذا المعتوه المُلْحِفِ من كنوز البرِّ فيرغب فيه حرٌّ . فقيل له : وكيف ذاك ؟ فقال : لأنَّه من الذين يَكْزِرُونَ الذهبَ والفِضَّةَ ولا يُنْفِقُونَهَا في سبيلِ الله .

[مدح يزيد بن مزيد فوصله]

ونسختُ من كتابه : عن عليّ بن مهديّ قال حدَّثني الحسين بن أبي السريّ قال قال لي الفضل بن العباس : قال لي أبو العتاهية : دخلتُ على يزيد بن مزيد ، فأنشدته قصيدتي التي أقول فيها¹ :

وما ذاك إلاَّ أَنِّي واثِقٌ بما
 لديك وَأنتي عالمٌ بوفائِكَا
 كأنك في صدري إذا جئتُ زائراً
 تُقدِّرُ فيه حاجتي بابتدائِكَا
 وإنَّ أميرَ المؤمنين وغيره
 ليعلمُ في الهيجاءِ فضلَ غنائِكَا
 كأنك عند الكَرِّ في الحربِ إنَّما
 تفرُّ من السُّلْمِ الذي من ورائِكَا
 فما آفةُ الأملاكِ غيرُك في الوغى
 ولا آفةُ الأموالِ غيرُ جبايِكَا

قال : فأعطاني عشرة آلاف درهم ، ودابةً بسرَّجها ولجامها .

[وعظ راهب رجلاً عبداً بشعره]

وأخبرني عيسى بن الحسين الوراق وعمي الحسن بن محمد وحبيب بن نصر المهلبيّ قالوا : حدَّثنا عمر بن شبة قال : مرَّ عابدٌ براهبٍ في صومعة ؛ فقال له : عِظْني . فقال : اعْظُكْ وعلَيْكُمْ نَزَلَ القرآن ، ونبيُّكُمْ محمد ﷺ قَرِيبَ العَهْدِ بَكُمْ ؟ قلتُ نعم . قال : فاتَّعِظْ ببيتٍ من شعر شاعرٍكم أبي العتاهية حين يقول :

تَعَجَّرْ مِنَ الدُّنْيَا فَإِنَّكَ إِنَّمَا
 وَقَعْتَ إِلَى الدُّنْيَا وَأنتَ مُجَرَّدٌ²

[فضَّله العتايّ على أبي نواس]

أخبرني محمد بن عمران الصَّيرِيّ قال حدَّثنا العنزيّ قال حدَّثني الفضل بن محمد الزَّارِع

1 نكلمة الديوان : رقم 7 .

2 وقعت في الديوان (القطعة رقم 109) : سقطت .

قال حدثني جعفر بن جميل قال : قدم العتّابيّ الشاعر على المأمون ، فأنزله على إسحاق بن إبراهيم ، فأنزله على كاتبه ثوبة بن يونس ، وكنا نختلف إليه نكتب عنه . فجرى ذات يوم ذكر الشعراء ؛ فقال : لكم يا أهل العراق شاعرٌ منوّه الكنية ، ما فعل ؟ فذكر القوم أبا نواس ؛ فانتهرهم ونفضَ يده وقال : ليس ذلك ، حتى طال الكلام . فقلت : لعلك تريد أبا العتاهية . فقال : نعم ، ذلك أشعر الأولين والآخرين في وقته .

[لام أبا نواس في استماع الغناء]

أخبرني محمد بن عمران قال حدثني العنزّيّ قال حدثني محمد بن إسحاق عن عليّ بن عبد الله الكِنديّ قال : جلس أبو العتاهية يوماً يُعذّلُ أبا نواس ويلومه في استماع الغناء ومجالسته لأصحابه ؛ فقال له أبو نواس :

أتراني يا عتاهي تاركاً تلك الملاهي
أتراني مفسداً بالنس لك عند القوم جاهي

قال : فوثب أبو العتاهية وقال : لا بارك الله عليك . وجعل أبو نواس يضحك .

[بلغه أنّ إبراهيم بن المهديّ رماه بالزندقة فبعث إليه يعاتبه]

أخبرني جحظة قال حدثني هبة الله بن إبراهيم بن المهديّ قال : بلغ أبا العتاهية أنّ أبي رماه في مجلسه بالزندقة وذكره بها ؛ فبعث إليه يُعاتبه على لسان إسحاق الموصلي ، فأدى إليه إسحاق الرسالة ؛ فكتب إليه أبي :

إنّ المنيّة أمهلنك عتاهي والموت لا يسهو وقلبك ساهي
يا ويح ذي السنّ الضعيف أماله عن غيّه قبل الممات تُناهي
وكُلتَ بالدنيا تُبكيها وتد لُدبها وأنت عن القيامة لاهي
والعيش حلوّ والمنون مريرة والدار دارُ تفاخرٍ وتباهي
فاختر لنفسك دونها سُبلاً ولا تتحامقن لها فإنك لاهي¹
لا يُعجبنك أن يُقال مُفوّة حسنُ البلاغة أو عريضُ الجاه
أصلح جهولاً من سريرتك التي تخلو بها وارهب مقام الله
إنسي رأيتك مُظهِراً لزهادة تحتاج منك لها إلى أشباه

[شغف عبد الله بن العباس بن الفضل بالغناء في شعره]

أخبرني محمد بن يحيى الصُّوِّيُّ قال حدثني الحسين بن يحيى الصُّوِّيُّ قال حدثني عبد الله بن العباس بن الفضل بن الربيع قال : رأيت الرشيد مشغولاً بالغناء في شعر أبي العتاهية :

صوت

أحمدُ قال لي ولم يدر ما بي
فتنفسْتُ ثم قلتُ نعمُ حُ
لو تجسَّينَ يا عتبيةُ قلبي
قد لعمري ملَّ الطيبُ وملَّ الأ
أتحبُّ الغداةَ عتبةَ حقاً
بأجرى في العروقِ عرقاً فعرقا
لوجدتِ الفؤادَ قرحاً تفقأ
هل مني مما أفاصي وألقى
أبدأ ما حبيتُ منها ملقئ

ولا سيما من مُخارق ، وكان يُغني فيه زملاً لإبراهيم أخذه عنه . وفيه لحنٌ لفريدة رمل .

هكذا قال الصُّوِّيُّ : «فريدة» بالياء ، وغيره يقول : «فريدة» بالنون .

[صنع شعراً يغني فيه الملاحون فلما سمعه الرشيد بكى]

حدثني الصُّوِّيُّ قال حدثنا محمد بن موسى قال حدثنا محمد بن صالح العدوي قال أخبرني أبو العتاهية قال : كان الرشيد ممّا يعجبه غناء الملاحين في الرلّالات إذا ركبها ، وكان يتأذى بفساد كلامهم ولحنهم ، فقال : قولوا لمن معنا من الشعراء يعملوا لهؤلاء شعراً يُغنون فيه . فقبل له : ليس أحدٌ أقدرَ على هذا من أبي العتاهية ، وهو في الحبس . قال : فوجه إليّ الرشيد : قل شعراً حتى أسمعهم منهم ، ولم يأمر بإطلاقي ؛ ففاظني ذلك فقلت : والله لأقولن شعراً يحزنه ولا يسرُّ به ، فعملت شعراً ودفعته إلى من حفظه الملاحين ، فلما ركب الحرّاقة سمعه ، وهو¹ :

خانك الطرفُ الطمّوحُ
لِدواعي الخيرِ والشِّـ
هَلْ لمطلوبٍ بذنبٍ
كيف إصلاحُ قلوبٍ
أحسنَ الله بنا
أيها القلبُ الجمّوحُ
ررّ دُؤوٌّ ونزوحُ
توبةٌ منه نصوحُ
إنما هنّ فروحُ
ن الخطايا لا تفوحُ

فإذا المستورُ مِنَّا	بينَ ثَوْبَيْهِ نَضُوحُ ¹
كَمْ رأينا مِن عَزِيزٍ	طُوِيَتْ عنه الكُشُوحُ
صاحَ منه بِرَحِيلٍ	صائحُ الدَّهْرِ الصَّدُوحُ
موتُ بعضِ الناسِ في الأُرُ	ضِرَ على قومٍ فَنُوحُ
سيصيرُ المرءُ يوماً	جَسَداً ما فيه رُوحُ
بينَ عَيْنَيْ كُلِّ حَيٍّ	عَلِمُ الموتِ يلوحُ
كُلُّنا في غَفْلَةٍ وآلٍ	مَمُوتٌ يغدو ويروحُ
لِئني الدُّنيا مِنَ الدُّنْ	يا غَبُوقٌ وصُوحُ
رُحْنٍ في الوَشْيِ وأصْبَحُ	نَ عليهنَّ المُسُوحُ
كلُّ نَطَّاحٍ مِنَ الدَّهْرِ	رِ له يومٌ نَطُوحُ
نُحَ على نَفْسِكَ يا مَسْدُ	كِينُ إن كنتَ تنوحُ
لَتَمُوتَنَّ وإن عُمُّ	رَتَ ما عُمَّرَ نُوحُ

قال : فلما سمع ذلك الرشيد جعل يبكي ويتعجب ، وكان الرشيد من أغزر الناس دموعاً في وقت الموعظة ، وأشدَّهم عَسْفاً في وقت الغضب والغلظة . فلما رأى الفضل بن الربيع كثرة بكائه ، أوماً إلى الملاحين أن يسكتوا .

[هجا منجأباً الذي كان موكلاً بحبسه]

حدَّثني الصُّولي قال حدَّثني الحسن بن جابر كاتب الحسن بن رجاء قال : لَمَّا حَبَسَ الرشيد أبا العتاهية دَفَعَهُ إلى مِنجَابٍ ، فَكانَ يَعْنفُ به ؛ فقال أبو العتاهية² : [من مجزوء الكامل]

مِنْجَابُ ماتِ بِدائِهِ	فَاعَجَلَ لَهُ بِدَوائِهِ
إِنَّ الإِمَامَ أَعْلَهُ	ظُلماً بِحَدِّ شَقائِهِ
لا تُعْنِفَنَّ سِياقَهُ	ما كُلُّ ذاكِ بِرائِهِ
ما شِمِتْ هَذا في مَحا	يَلِ بِارِقاتِ سَمائِهِ

[مدح الرشيد حين عقد ولاية العهد لابنه]

أخبرني محمد بن عمران الصيرفي قال حدَّثنا العَنزِيُّ قال حدَّثني أحمد بن معاوية

1 نضوح في الديوان : فضوح .

2 تكلمة الديوان : رقم 6 .

القرشي قال : لما عقد الرشيد ولاية العهد لابنيه الثلاثة : الأمين ، والمأمون ، والمؤمن ، قال أبو العتاهية¹ :

[من الطويل]

رَحَلْتُ عَنِ الرَّبْعِ الْمُحِيلِ قَعُودِي
وَرَاعَ يُرَاعِي اللَّيْلَ فِي حِفْظِ أُمَّةٍ
بِالْوَيْةِ جَبْرِيلُ يَقْدُمُ أَهْلَهَا
تَجَافَى عَنِ الدُّنْيَا وَأَيَّقَنَ أَنَّهَا
وَشَدَّ عُرَى الإِسْلَامِ مِنْهُ بِفِتْنِيَةٍ
هُمُ خَيْرُ أَوْلَادٍ ، لَهُمُ خَيْرُ وَالِدٍ
بَنُو المِصْطَفَى هَارُونَ حَوْلَ سَرِيرِهِ
تُقَلِّبُ أَحْطَاظَ المَهَابَةِ بَيْنَهُمْ
إِلَى ذِي زُحُوفٍ جَمَّةٍ وَجُنُودٍ
يُدَافِعُ عَنْهَا الشَّرَّ غَيْرِ رُقُودٍ
وَرَايَاتٍ نَصَرَ حَوْلَهُ وَبُنُودٍ
مُفَارِقَةٌ لَيْسَتْ بَدَارِ خُلُودٍ
ثَلَاثَةَ أَمْلاكٍ وَوَلَاةَ عُهُودٍ
لَهُ خَيْرُ آبَاءٍ مَضَتْ وَجُدُودٍ
فَخَيْرُ قِيَامٍ حَوْلَهُ وَقُعُودٍ
عَيُونُ ظِبَاءٍ فِي قُلُوبِ أُسُودٍ
تَبَدَّتْ لِرَاءِ فِي نُجُومِ سَعُودٍ

قال : فوصله الرشيد بصلية ما وصل بمثلها شاعراً قط .

[ذكر ملك الروم فاتمه من الرشيد]

أخبرنا أبو الحسن أحمد بن محمد الأسدي إجازةً قال حدثني الرياشي قال : قديم رسول ملك الروم إلى الرشيد ، فسأل عن أبي العتاهية وأنشده شيئاً من شعره ، وكان يُحسِن العربية ، فمضى إلى ملك الروم وذكره له ؛ فكتب ملك الروم إليه ، وردَّ رسوله يسأل الرشيد أن يُوجِّه بأبي العتاهية ويأخذ فيه رهائن من أراد ، وألحَّ في ذلك . فكلَّم الرشيد أبا العتاهية في ذلك ، فاستغفى منه وأباه . واتَّصل بالرشيد أن ملك الروم أمر أن يُكتب بيتان من شعر أبي العتاهية على أبواب مجالسه وباب مدينته ، وهما² :

[من المنسرح]

صوت

ما اختلفَ اللَّيْلُ والنَّهَارُ ولا
إِلَّا لِنَقْلِ السُّلْطَانِ عَنِ مَلِكِ
دارتْ نُجُومُ السَّمَاءِ فِي الفَلَكِ
قَدِ انْقَضَى مُلْكُهُ إِلَى مَلِكِ

1 نكلمة الديوان : رقم 72 .

2 ديوان أبي العتاهية : حاشية ص 274 (رقم 291) ، ديوان أبي العتاهية (صادر) : 316 .

[انقطع بعد خروجه من الحبس فلامه الرشيد]

أخبرني عمي قال حدثنا عبد الله¹ بن أبي سعد قال حدثنا الربيع بن محمد المختلي الوراق قال أخبرني ابن أبي العتاهية : أن الرشيد لما أطلق أباه من الحبس ، لزم بيته وقطع الناس ؛ فذكره الرشيد فعرّف خيره ، فقال : قولوا له : صرّت زير نساء وجلس بيت ؛ فكتب إليه أبو العتاهية :

بَرِمْتُ بِالنَّاسِ وَأَخْلَقِهِمْ فَصِرْتُ أَسْتَأْنِسُ بِالوَحْدَةِ
مَا أَكْثَرَ النَّاسَ لَعَمْرِي وَمَا أَقْلَهُمْ فِي مُنْتَهَى الْعِدَّةِ

ثم قال : لا ينبغي أن يمضي شعر إلى أمير المؤمنين ليس فيه مدح له ، فقرن هذين البيتين بأربعة أبيات مدحه فيها : وهي² :

صوت

عَادَ لِي مِنْ ذِكْرِهَا نَصَبُ فدموعُ العَيْنِ تَنْسَكِبُ
وَكذَلِكَ الْحُبُّ صَاحِبُهُ يَعْتَرِيهِ الْهَمُّ وَالْوَصَبُ
خَيْرٌ مَنْ يُرْجَى وَمَنْ يَهَبُ مَلِكٌ دَانَتْ لَهُ الْعَرَبُ
وَحَقِيقٌ أَنْ يُدَانَ لَهُ مَنْ أَبَوْهُ لِلنَّبِيِّ أَبُ

[وعظه الرشيد]

حدثنا الصولي قال حدثنا عون بن محمد قال حدثنا محمد بن أبي العتاهية قال : قال الرشيد لأبي : عطني ؛ فقال له : أخافك . فقال له : أنت آمن . فأنشدته³ :

لَا تَأْمَنِ الْمَوْتَ فِي طَرْفِ وَلَا نَفْسِ إِذَا تَسَتَّرْتَ بِالْأَبْوَابِ وَالْحَرَسِ⁴
وَاعْلَمْ أَنَّ سِيهَامَ الْمَوْتِ قَاصِدَةٌ لِكُلِّ مُدْرِعٍ مَنَا وَمُتْرَسِ⁵
تَرْجُو النِّجَاةَ وَلَمْ تَسْلُكْ طَرِيقَتَهَا إِنَّ السَّفِينَةَ لَا تَجْرِي عَلَى الْيَبْسِ⁶
قال : فبكى الرشيد حتى بلّ كُفَّه .

1 ل : عبيد الله .

2 تكلمة الديوان : رقم 12 .

3 ديوان أبي العتاهية : 192 (من القطعة رقم 199) .

4 الشطر الثاني في الديوان : «وإن تمنعت بالحجاب والحرس» .

5 الديوان : «فما تزال سهام الموت نافذة . . . في جنب» .

6 طريقته في الديوان : مسالكها .

[تناظر ابن أبي فنن وابن خاقان فيه وفي أبي نواس]

حدّثني عمّي قال حدّثني أحمد بن أبي طاهر قال : قال لي أحمد بن أبي فنن : تناظرت أنا والفتح بن خاقان في منزله : أيّما الرجلين أشعر : أبو نواس أم أبو العتاهية . فقال الفتح : أبو نواس ، وقلت : أبو العتاهية . ثم قلت : لو وُضِعَتْ أشعارُ العرب كلّها بإزاء شعر أبي العتاهية لَفَضَّلَهَا ، وليس بيننا خلافٌ في أنّ له في كلِّ قصيدة جيّداً ووسطاً وضعيفاً ، فإذا جُمع جيّده كان أكثر من جيّد كلِّ مُجَوِّد . ثم قلت له : بمن ترضى ؟ قال : بالحسين بن الضحّاك . فما انقطع كلامنا حتى دخل الحسين بن الضحّاك ؛ فقلت : ما تقول في رجلين تشاجرا ، فَضَّلْ أحدهما أبا نواس وفضل الآخر أبا العتاهية ؟ فقال الحسين : أمّ مَنْ فَضَّلَ أبا نواسٍ على أبي العتاهية زانيةٌ ؛ فَحَجَلِ الْفَتْحِ حَتَّى تَبَيَّنَ ذَلِكَ فِيهِ ، ثُمَّ لَمْ يُعَاوِذْنِي فِي شَيْءٍ مِنْ ذِكْرِهِمَا حَتَّى افترقنا .

[اجتمع مع مخارق فراح يغنيه وهو يشرب ويبكي ثم كسر الآية وترهد]

وقد حدّثني الحسن بن محمد بهذا الخبر على خلاف ما ذكره إبراهيم بن المهديّ فيما تقدّم ، فقال : حدّثني هارون بن مخارق قال حدّثني أبي قال¹ : جاءني أبو العتاهية فقال : قد عزمتُ على أن أتزوّد منك يوماً تهبّه لي ، فمتى تَنَشِطُ ؟ فقلت : متى شئت . فقال : أخاف أن تقطع بي . فقلت : والله لا فعلتُ وإن طَلَبَنِي الخليفة . فقال : يكون ذلك في غدٍ . فقلت : أفعل . فلمّا كان في غدٍ باكرني رسوله فجئته ، فأدخلني بيتاً له نظيفاً فيه فرشٌ نظيفٌ ، ثم دعا بمائدة عليها خبزٌ سَمِيدٌ وخبزٌ وخبزٌ ومِلْحٌ وجُدِيّ مَشْوِيّ فأكلنا منه ، ثم دعا بسمك مشويّ فأصبنا منه حتى اكتفينا ، ثم دعا بجلواء فأصبنا منها وغسلنا أيدينا ، وجاؤونا بفاكهة وريحان وألوانٍ من الأنبذة ، فقال : اختر ما يصلح لك منها ؛ فاخترتُ وشربتُ ؛ وصبّ قَدْحاً ثم قال : غنني في قولي :

أحمدٌ قال لي ولم يَدِرْ ما بي اتَّحِبُّ الْعِدَاةَ عُتْبَةَ حَقّاً

فغنّيته ، فشرب قدحاً وهو يبكي أحرّاً بكاء . ثم قال : غنني في قولي : [من السريع]

ليس لِمَنْ لَيْسَتْ لَهُ حَيْلَةٌ موجودةٌ خَيْرٌ مِنَ الصَّبْرِ

فغنّيته وهو يبكي وينشج ، ثم شرب قدحاً آخر ثم قال : غنني ، فديتك ، في

قولي : [من الطويل]

1 هذا الخبر والذي يليه ممّا أورده ابن حمدون عن أبي العتاهية بتمامه في التذكرة 9 : 330-332 نقلاً عن الأغاني .

خَلِيلِي مَالِي لَا تَزَالُ مَضْرَبِي تَكُونُ مَعَ الْأَقْدَارِ حَتْمًا مِّنَ الْحَتْمِ

فَغَنَيْتَهُ إِيَّاهُ . وما زال يقترح عليّ كلّ صوتٍ غُنِّيَ به في شعره فأغنيته ويشرب ويبكي حتى صار العتمة . فقال : أَحِبُّ أَنْ تَصْبِرَ حَتَّى تَرَى مَا أَصْنَعُ فَجَلَسْتُ . فأمر ابنه وغلّامه فَكَسَّرَا كُلَّ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا مِنَ النَّبِيدِ وَالْمَلَاهِي ، ثم أمر بإخراج كلّ ما في بيته من النبيذ وآلته ، فأخرج جميعه ، فما زال يكسره وَيَصُبُّ النَّبِيدَ وهو يبكي حتى لم يبقَ من ذلك شيءٌ ، ثم نزع ثيابه واغتسل ، ثم لبس ثياباً بيضاء¹ من صوف ، ثم عانقني وبكى ، ثم قال : السلام عليك يا حبيبي وفرّحي من الناس كلّهم سلامَ الفراق الذي لا لقاء بعده ؛ وجعل يبكي ، وقال : هذا آخرُ عهدي بك في حال تعاشرِ أهل الدنيا ؛ فظننت أنّها بعض حماقاته ، فانصرفت ، وما لقيته زماناً . ثم تشوّفته فأتيته فاستأذنت عليه فأذن لي فدخلت ، فإذا هو قد أخذ قَوْصَرَتَيْنِ وثقب إحداهما وأدخل رأسه ويديه فيها وأقامها مقام القميص ، وثقّب الأخرى وأخرج رجليه منها وأقامها مقام السراويل . فلما رأيته نسيت كلّ ما كان عندي من الغمّ عليه والوحشة لعشرته ، وضحكت والله ضحكاً ما ضحكت مثله قط . فقال : من أيّ شيء تضحك ؟ فقلت : أسخن الله عينك ؛ هذا أيّ شيء هو ؟ مَنْ بَلَغَكَ عنه أنّه فَعَلَ مثل هذا من الأنبياء والزُّهَادِ والصحابَةِ والمجانين ، انزع عنك هذا يا سخين العين ، فكأنّه استحيا مني ، ثم بلغني أنّه جَلَسَ حَجَماً ، فجهدت أن أراه بتلك الحال فلم أره . ثم مرض ، فبلغني أنّه اشتهى أن أغنيّه ، فأتيته عائداً ، فخرج إليّ رسوله يقول : إن دخلتَ إليّ جَدَدَتَ لي حزناً وتاقت نفسي من سماعك إلى ما قد غلبتها عليه ، وأنا أستودعك الله وأعتذر إليك من ترك الالتقاء ، ثم كان آخر عهدي به .

[تمنى عند موته أن يجيء مخارق فيغنيه في شعره]

حَدَّثَنِي حَجَّظَةُ قَالَ حَدَّثَنَا حَمَادُ بْنُ إِسْحَاقَ عَنْ أَبِيهِ قَالَ : قِيلَ لِأَبِي الْعَتَاهِيَةِ عِنْدَ الْمَوْتِ : مَا تَشْتَهِي ؟ فَقَالَ : أَشْتَهِي أَنْ يَجِيءَ مَخَارِقُ فَيَضَعُ فَمَهُ عَلَيَّ أُذُنِي ثُمَّ يَغْنِيَنِي² :

سَيُعْرَضُ عَن ذِكْرِي وَتُنْسَى مَوَدَّتِي وَيَحْدُثُ بَعْدِي لِلخَلِيلِ خَلِيلُ
إِذَا مَا انْقَضَتْ عَنِّي مِنَ الدَّهْرِ مُدَّتِي فَإِنَّ غَنَاءَ الْبَاكِيَاتِ قَلِيلُ³

1 ل : ثياب بياض .

2 ديوان أبي العتاهية : 317 (رقم 325) .

3 مدتي في ل : ليلتي .

وأخبرني به أبو الحسن الأسديّ قال حدّثنا محمد بن صالح بن النطّاح قال : قال بشر بن الوليد لأبي العتاهية عند الموت : ما تشتهي ؟ فذكر مثل الأوّل .

وأخبرني به ابن عمّار أبو العبّاس عن ابن أبي سعد عن محمد بن صالح : أن بشرأ قال ذلك لأبي العتاهية عند الموت ، فأجابه بهذا الجواب .
[آخر شعر قاله في مرضه الذي مات فيه]

نسختُ من كتاب هارون بن عليّ : حدّثني عليّ بن مهديّ قال حدّثني عبد الله بن عطية قال حدّثني محمد بن أبي العتاهية قال : آخرُ شعرٍ قاله أبي في مرضه الذي مات فيه ¹ : [من الوافر]

إلهي لا تُعَذِّبني فإنّي مُقرٌّ بالذي قد كان مِنّي
فمالي حيلةٌ إلا رجائي
وكم من زلّةٍ لي في الخطايا
إذا فكّرتُ في ندمي عليها
اجنُّ بزهره الدُّنيا جنونا
وأقطعُ طولَ عُمرِي بالتمني
قلبتُ لأهلها ظهراً المجنّ
لشرِّ الخلقِ إن لم تعفُ عني
يظنُّ الناسُ بي خيراً وإنّي

[أمر بنته في مرض موته أن تندبه بشعر له]

أخبرني محمد بن عمران الصيرفيّ قال حدّثنا الحسن بن عليل قال حدّثني أحمد بن حمزة الضُّبعيّ قال أخبرني أبو محمد المؤدّب قال : قال أبو العتاهية لابنته ربيعة في علته التي مات فيها : قومي يا بُنية فاندبي أباك بهذه الأبيات ؛ فقامت فندبته بقوله ² : [من الكامل]

لعبَ البليّ بمعالسي ورُسومي
لرِمَ البليّ جسّمي فأوهنَ قوّتي
وقُيرتُ حيّاً تحت رَدَمٍ هُمومي
إنّ البليّ لمؤكّلٌ بلزومي

[تاريخ وفاته ومدفنه]

أخبرني أحمد بن عبّيد الله بن عمّار قال حدّثنا محمد بن داود بن الجراح قال حدّثني عليّ بن محمد قال حدّثني مُخارق المغنّي قال : تُوفّي أبو العتاهية ، وإبراهيم الموصليّ ، وأبو عمرو الشيبانيّ عبد السلام ³ في يومٍ واحدٍ في خلافة المأمون ، وذلك سنة ثلاث عشرة ومائتين .

1 ديوانه : 375 (رقم 383) .

2 ديوانه : حاشية ص 358 (رقم 364) ، (صادر) : 402 .

3 لعلّها : بمدينة السلام .

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا ابن مهرويه عن أحمد بن يوسف عن أحمد بن الخليل عن إسماعيل بن أبي قتيبة قال : مات أبو العتاهية ، وراشد الخنّاق ، وهشيمة الخمّارة في يوم واحد سنة تسع ومائتين .

وذكر الحارث بن أبي أسامة عن محمد بن سعد كاتب الواقديّ : أنّ أبا العتاهية مات في يوم الاثنين لثمانٍ خلّونٍ من جمادى الأولى سنة إحدى عشرة ومائتين ، ودُفن حيال قنطرة الرّياتين في الجانب الغربيّ ببغداد .

أخبرني الصّوليّ عن محمد بن موسى عن أبي محمد الشيباني عن محمد بن أبي العتاهية : أنّ أباه توفّي سنة عشرٍ ومائتين .
[الشعر الذي أمر أن يكتب على قبره]

أخبرني الصّوليّ قال حدّثني محمد بن موسى عن محمد بن القاسم عن إبراهيم بن عبد الله بن الجنيد عن إسحاق بن عبد الله بن شعيب قال : أمر أبو العتاهية أن يُكتب على قبره¹ :

أذُنَ حَيٍّ تَسْمَعِي	اسْمَعِي ثُمَّ عِي وَعِي
أَنَا رَهْنٌ بِمَضْجَعِي	فاحْذَرِي مِثْلَ مَصْرَعِي
عِشْتُ تَسْعِينَ حِجَّةً	أَسْلَمْتَنِي لِمَضْجَعِي
كَمْ تَرَى الْحَيَّ ثَابِتاً	فِي دِيَارِ التَّرْعُوعِ
لَيْسَ زَادُ سَوَى التُّقَى	فَحُلِّي مِنْهُ أَوْ دَعِي

[رثاه ابنه بشعر]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا أحمد بن أبي خيثمة قال : لما مات أبو العتاهية رثاه ابنه محمد بن أبي العتاهية فقال :

يَا أَبِي ضَمَّكَ الثَّرَى	وَطَوَى الْمَوْتَ أَجْمَعَكَ
لَيْتَنِي يَوْمَ مِتُّ صِرُّ	تُ إِلَى حُفْرَةِ مَعَكَ
رَجِمَ اللَّهُ مَصْرَعَكَ	بَرَدَ اللَّهُ مَضْجَعَكَ

1 ديوانه : الحاشية ص 231 (رقم 238) ، وفي ديوانه (صادر) : 268 ومع أنّه نقل عن الأغاني فقد سقط فيه البيت الرابع .

[أنكر ابنه أنه أوصى بأن يكتب شعر على قبره.]

أخبرني الحسن قال حدثني أحمد بن زهير قال : قال محمد بن أبي العتاهية : لَقِينِي محمد بن أبي محمد اليزيدي فقال : أنشيدني الأبيات التي أوصى أبوك أن تُكْتَبَ على قبره ؛ فأنشأتُ أقول له :

كَذَبْتَ عَلَى أَخٍ لَكَ فِي مَمَاتِهِ وَكَمْ كَذِبٍ فَشَا لَكَ فِي حَيَاتِهِ
وَأَكْذَبُ مَا تَكُونُ عَلَى صَدِيقٍ كَذَبْتَ عَلَيْهِ حَيًّا فِي مَمَاتِهِ

فخَجِلَ وانصرف . قال : والناس يقولون : إنه أوصى أن يُكْتَبَ على قبره شعرٌ له ، وكان ابنه يُنْكِرُ ذلك .

وذكر هارون بن علي بن مهدي عن عبد الرحمن بن الفضل أنه قرأ الأبيات العينية التي أولها :

أُذِنَ حَيًّا تَسْمَعِي

على حَجَرٍ عند قبر أبي العتاهية .

ولم أذكرها هنا مع أخبار أبي العتاهية أخباره مع عْتَبَةَ ، وهي من أعظم أخباره ؛ لأنها طويلة ، وفيها أغاني كثيرة ، وقد طالت أخباره ها هنا فأفردتها .

[44] - أخبار فريدة

[أخبار فريدة الكبرى ونشأتها ومصيرها]

قال مؤلف هذا الكتاب : هما اثنتان مُحسِنَتان لهما صنعةٌ تُسمَّيان بفريدة . فأما إحداهما ، وهي الكبرى ، فكانت مُؤلِّدةً نشأتُ بالحجاز ، ثم وقعت إلى آل الربيع ، فعُلمَت الغناء في دُورهم ، ثم صارت إلى البرامكة . فلما قُتِل جعفر بن يحيى ونُكبوا هربت ، وطلبها الرشيد فلم يجدها ، ثم صارت إلى الأمين ، فلما قُتِل خرجت ، فتزوَّجها الهيثم بن مُسلم¹ فولدت له ابنه عبد الله ، ثم مات عنها ، فتزوَّجها السُّندي بن الحَرشيّ وماتت عنده .

[بعض الشعر الذي لها فيه صنعة]

ولها صنعةٌ جيِّدة ، منها في شعر الوليد بن يزيد² :

[من مجزوء الرمل]

صوت

وَيْحَ سَلْمَى لَوْ تَرَانِي لَعَنَاهَا مَا عَنَانِي
واقفاً في الدَّارِ أَبْكَي عاشقاً حُورَ الغَوَانِي

ولحنها فيه خفيف رمل .

ومن صنعها³ :

[من الطويل]

صوت

أَلَا أَيُّهَا الرِّكْبُ النِّيَامُ أَلَا هُبُوا نُسَائِلِكُمْ هَلْ يَقْتُلُ الرَّجُلَ الْحُبُّ
أَلَا رُبَّ رَكْبٍ قَدْ وَقَفَتْ مَطِيئُهُمْ عَلَيْكَ وَلَوْلَا أَنْتَ لَمْ يَقِفِ الرَّكْبُ
لحنها فيه ثاني ثقيل . وفيه لابن جامع خفيف رملٍ بالسبابة في مجرى الوسطى .

[بيت نصفه بدوي والآخر حضري]

فحدَّثني محمد بن العباس اليزيديّ قال حدَّثنا الخليل بن أسدٍ قال حدَّثني العمريّ قال

1 ل : سلم .

2 ديوان الوليد (تحقيق غابريلي ، بيروت) : 70 (رقم 94) ورواية للبيت الثاني

متلفاً في اللهومالي عاشقاً حور القيان

3 ديوان جميل (طبعة دار صادر) : 16 ورواية البيت الأوّل فيه :

أَلَا أَيُّهَا النِّوَامُ وَيَحْكُمُ هَبُوا أَسَائِلِكُمْ هَلْ يَقْتُلُ الرَّجُلَ الْحَبْ

حدّثني الهيثم بن عديّ قال : قال صالح بن حسنّ يوماً : ما نصفُ بيتِ كاتّه أعرابيّ في شَمَلِيّة ، والنصفُ الآخرُ كاتّه مُخَنَّثٌ مُفَكِّكٌ ؟ قلت : لا أدري . فقال : قد أُجَلِّتُكَ حولاً . فقلت : لو أُجَلِّتني عشرةَ أحوالٍ ما عرفته . فقال : أَوْه ! أف ! لك ! قد كنتُ أحسبُكَ أجودَ ذهنًا ممّا أرى . فقلت : فما هو الآن ؟ قال : قولُ جميل :

ألا أيُّها الرّكْبُ النِّيامُ ألا هُبُّوا

هذا كلام أعرابيّ ، ثم قال :

أسألكم هل يقتلُ الرّجُلَ الحَبُّ

كأنه والله من مخنثي العقيق .

[فريدة المحسنة دون فريدة الكبرى]

وأما فريدة الأخرى فهي التي أرى بل لا أشكّ في أنّ اللحن المختار لها ؛ لأنّ إسحاق اختار هذه المائة الصوت للوائق ، فاختار فيها مُتَمِّمَ لحناً ، ولأبي دلف لحناً ، ولسليم بن سلام لحناً ، ولرياض جارية أبي حمّاد لحناً . وكانت فريدة أثيرةً عند الواثق وحظيةً لديه جداً ، فاختار لها هذا الصوت ، لمكانها من الواثق ، ولأنتها ليست دون من اختار له من نظرائها .

[قدّمت هي وشارية في الطيب وإحكام الغناء]

أخبرني الصّوليّ قال حدّثنا الحسين بن يحيى عن ريقٍ : أنّها اجتمعت هي وخشفُ الواضحية يوماً ، فتذاكرتا أحسن ما سمعته من المغنيات ؛ فقالت ريقٌ : شارية أحسنهنّ غناءً ومُتَمِّمٌ ، وقالت خشفُ : عريب وفريدة ؛ ثم اجتمعتا على تساويهنّ ، وتقديم متيمّ في الصنعة ، وعريب في الغزارة والكثرة ، وشارية وفريدة في الطيب وإحكام الغناء .

[أهداها ابن بانه للوائق]

حدّثني جحظة قال حدّثني أبو عبد الله الهشاميّ قال : كانت فريدة جارية الواثق لعمر بن بانه ، وهو أهداها إلى الواثق ، وكانت من الموصوفات المحسنات ، ورُبِّيت عند عمرو بن بانه مع صاحبة لها اسمها «حِلّ» ، وكانت حسنة الوجه ، حسنة الغناء ، حادة الفطنة والفهم .

[سألت ابن بانه عن صاحبة لها بالإشارة]

قال الهشاميّ فحدّثني عمرو بن بانه قال : غنّيت الواثق :

قلتُ جِلاً فاقبلي مَعْدِرَتِي ما كذا يَجْزِي مُحِبٌّ مَنْ أَحَبَّ

[من الرمل]

فقال لي : تقدم إلى السَّتارة فآلِقِه على فريدة ، فألقيته عليها ؛ فقالت : هو حِلٌّ أو خِلٌّ كيف هو ؟ فعلمتُ أنها سألتني عن صاحبته في خفاءٍ من الواثق .

[تزوجها المتوكل ثم ضربها حتى غنت]

ولما تزوجها المتوكل أرادها على الغناء ، فأبت أن تغني وفاءً للواثق ، فأقام على رأسها خادماً وأمره أن يضرب رأسها أبداً أو تغني ، فاندفعت وغنت :

[من الوافر]

فَلا تَبْعُدْ فَكُلُّ فَنِي سِيَّاتي عليه الموتُ يَطْرُقُ أو يُغادي

[قصتها مع الواثق وغيرته من المتوكل]

أخبرني جعفر بن قدامة قال حدثني علي بن يحيى المنجم قال حدثني محمد بن الحارث بن بسخر قال¹ : كانت لي نوبة في خدمة الواثق في كلِّ جمعة ، إذا حضرت ركبتُ إلى الدار ؛ فإن نشيط إلى الشرب أقمتُ عنده ، وإن لم ينشط انصرفت . وكان رسمنا ألا يحضر أحدٌ منا إلا في يوم نوبته . فإني لفي منزلي في غير يوم نوبتي إذا رُسل الخليفة قد هجموا علي وقالوا لي : احضُرْ . فقلت : أَلخَيْرِ ؟ قالوا : خير . فقلت : إن هذا يومٌ لم يُحضرني فيه أمير المؤمنين قط ، ولعلكم غلظتم . فقالوا : الله المستعان ، لا تُطلِّ وبادر ؛ فقد أمرنا ألا ندعك تستقر على الأرض . فداخلني فزع شديد ؛ وخفتُ أن يكون ساعٍ قد سعى بي ، أو بليَّةٌ قد حدثت في رأي الخليفة علي ؛ فتقدمت بما أردت وركبت حتى وافيت الدار ؛ فذهبت لأدخل على رسمي من حيث كنت أدخل ، فمِنعتُ ، وأخذ بيدي الخدم فأدخلوني وعدلوا بي إلى ممرات لا أعرفها ، فزاد ذلك في جزعي وغمي . ثم لم يزل الخدم يُسلمونني من خدمٍ إلى خدمٍ حتى أفضيتُ إلى دار مفروشة الصحن ، ملبسة الحيطان بالوشي المنسوج بالذهب ، ثم أفضيت إلى رواق أرضه وحيطانه ملبسة بمثل ذلك ، وإذا الواثق في صدره على سرير مُرصَّع بالجواهر وعليه ثياب منسوجة بالذهب ، وإلى جانبه فريدة جاريتة ، عليها مثل ثيابه وفي حجرها عودٌ . فلما رأني قال : جَوَدتَ والله يا محمد إلينا . فقَبَلت الأرض ثم قلت : يا أمير المؤمنين خيراً ! قال : خيراً ، أما ترانا ! طلبتُ والله ثالثاً يؤتسنا فلم أرَ أحقَّ بذلك منك ، فبِحياتي بادر فكلُّ شيئاً وبادر إلينا . فقلت : قد والله يا سيدي أكلت وشربت أيضاً . قال : فاجلس فجلست ، وقال : هاتوا لمحمد رطلاً في قدحٍ ، فأحضرتُ ذلك ، واندفعت فريدة تغني² :

[من الطويل]

1 نقل ابن حمدون هذا الخبر في التذكرة 9 : 226-228 (الفقرة 449) .

2 البيتان في شرح المرزوقي للحماسة رقم 559 ، وهي لنصيب كما في السمط 401 .

أَهَابُكَ إِجْلَالًا وَمَا بِكَ قَدْرَةٌ عَلَيَّ وَلَكِنْ مِثْلُ عَيْنِ حَبِيبِهَا
وَمَا هَجَرْتِكَ النَّفْسُ يَا لَيْلَ أَنَّهُا قَلْتُكَ وَلَا أَنْ قَلَّ مِنْكَ نَصِيبُهَا

فجاءت والله بالسحر ، وجعل الواثق يُجاذبها ، وفي خلال ذلك تغني الصوت بعد الصوت ، وأغني أنا في خلال غنائها ، فمررنا أحسن ما مررنا لأحد . فإننا لكذلك إذ رَفَعَ رِجْلَهُ فَضْرَبَ بِهَا صَدْرَ فَرِيدَةَ ضَرْبَةً تَدْحَرَجَتْ مِنْهَا مِنْ أَعْلَى السَّرِيرِ إِلَى الْأَرْضِ وَتَفَتَّتْ عَوْدُهَا وَمَرَّتْ تَعْدُو وَتَصِيحُ ، وَبَقِيَتْ أَنَا كَالْمَنْزُوعِ الرُّوحِ ؛ وَلَمْ أَشُكُّ فِي أَنَّ عَيْنَهُ وَقَعَتْ عَلَيَّ وَقَدْ نَظَرْتُ إِلَيْهَا وَنَظَرْتُ إِلَيَّ ؛ فَأَطْرَقَ سَاعَةٌ إِلَى الْأَرْضِ مَتَحِيرًا وَأَطْرَقَتْ أَتَوْعَّ ضَرْبَ الْعُنُقِ . فَإِنِّي لَكَذَلِكَ إِذْ قَالَ لِي : يَا مُحَمَّدَ ، فَوَثِبْتَ . فَقَالَ : وَيْحَكَ ! أَرَأَيْتَ أَغْرَبَ تَمَّ تَهَيَّأَ عَلَيْنَا ؟ فَقُلْتَ : يَا سَيِّدِي ، السَّاعَةُ وَاللَّهِ تَخْرُجُ رُوحِي ، فَعَلِي مِنْ أَصَابِنَا بِالْعَيْنِ لَعْنَةُ اللَّهِ ؛ فَمَا كَانَ السَّبَبُ ؟ الْذَنْبُ ؟ قَالَ : لَا وَاللَّهِ ! وَلَكِنْ فَكَّرْتَ أَنْ جَعْفَرًا يَقْعُدُ هَذَا الْمَقْعَدَ وَيَقْعُدُ مَعَهَا كَمَا هِيَ قَاعِدَةٌ مَعِي ، فَلَمْ أَطِقِ الصَّبْرَ وَخَامَرَنِي مَا أَخْرَجَنِي إِلَى مَا رَأَيْتَ . فَفَسَّرِي عَنِّي وَقُلْتَ : بَلْ يَقْتُلُ اللَّهُ جَعْفَرًا ، وَيَحْيَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَبَدًا ، وَقَبَّلْتَ الْأَرْضَ وَقُلْتَ : يَا سَيِّدِي اللَّهُ اللَّهُ ! ارْحَمَهَا وَمُرَّ بَرَدَهَا .

فقال لبعض الخدم الوقوف : من يجيء بها ؟ فلم يكن بأسرع من أن خرجت وفي يدها عودها وعليها غير الثياب التي كانت عليها . فلما رآها جذبها وعانقها ، فبكت وجعل هو يبكي ، واندفعتُ أنا في البكاء . فقالت : ما ذنبي يا مولاي ويا سيدي ؟ وبأي شيء استوجبتُ هذا ؟ فأعاد عليها ما قاله لي وهو يبكي وهي تبكي . فقالت : سألتك بالله يا أمير المؤمنين إلا ضربتَ عنقي الساعة وأرحتني من الفكر في هذا ، وأرحت قلبك من الهمّ بي ؛ وجعلت تبكي ويبكي ، ثم مسحاً أعينهما ورجعت إلى مكانها ؛ وأومأ إلى خدام وقوفٍ بشيء لا أعرفه ، فمضوا وأحضروا أكياساً فيها عَيْنٌ وورقٌ ، ورزماً فيها ثياب كثيرة ، وجاء خادماً بدرجٍ ففتحه وأخرج منه عقداً ما رأيت قط مثل جوهر كان فيه ، فألبسها إِيَّاهُ ، وأحضرتُ بَدْرَةَ فِيهَا عَشْرَةُ آلَافِ دَرَاهِمٍ فَجُعِلَتْ بَيْنَ يَدَيْ وَخَمْسَةَ تَحْوَتْ فِيهَا ثِيَابٌ ، وَعُدْنَا إِلَى أَمْرِنَا وَإِلَى أَحْسَنِ مِمَّا كُنَّا ؛ فَلَمْ نَزَلْ كَذَلِكَ إِلَى اللَّيْلِ ، ثُمَّ تَفَرَّقْنَا .

[قصتها مع المتوكل بعد الواثق]

وضرب الدهر ضربته وتقلد المتوكل . فوالله إني لفي منزلي بعد يومٍ نوبتي إذ هجم عليّ رُسُلُ الْخَلِيفَةِ ، فَمَا أَهْمَلُونِي حَتَّى رَكِبْتُ وَصِرْتُ إِلَى الدَّارِ ، فَأَدْخَلْتَ وَاللَّهِ الْحِجْرَةَ بَعِينَهَا . وَإِذَا الْمُتَوَكَّلُ فِي الْمَوْضِعِ الَّذِي كَانَ فِيهِ الْوَأْتِاقُ عَلَى السَّرِيرِ بَعِينَهُ وَإِلَى جَانِبِهِ فَرِيدَةٌ .

فلما رآني قال : ويحك ؛ أما ترى ما أنا فيه من هذه ! أنا منذ غُدوةٍ أطلبها بأن تغنّيني فتأبى ذلك ! فقلت لها : يا سبحان الله ! أتخالفين سيّدك وسيّدنا وسيّد البشر ! بحياته غنّني ! فعرفت والله ثم اندفعت تُغني¹ :

[من الوافر]

مُقيّمٌ بالمجازة من قَنُونِي وأهلكِ بالأجيفرِ فالثُمادِ
فلا تَبَعُدْ فكلُّ فتى سيأتي عليه الموتُ يَطْرُقُ أو يُغادي

ثم ضربت بالعود الأرض ، ثم رمت بنفسها عن السرير ومرّت تعدو وهي تصيح واسيّداه ! فقال لي : ويحك ! ما هذا ؟ فقلت : لا أدري والله يا سيّدي . فقال : فما ترى ؟ فقلت : أرى أن أنصرف أنا وتحضّر هذه ومعها غيرها ؛ فإنّ الأمر يوول إلى ما يريد أمير المؤمنين . قال : فانصرف في حِفْظِ الله ؛ فانصرفت ولم أدري ما كانت القصة .

[مدح محمد بن عبد الملك غناءها]

أخبرني جعفر بن قدامة قال حدّثني محمد بن عبد الملك قال : سمعتُ فريدة تغني² :

[من الطويل]

أخيلائي بي شجوّ وليس بكم شجوّ وكلُّ امرئٍ ممّا بصاحبه خلوّ
أذاب الهوى لَحْمِي وجِسْمِي ومَفْصِلِي فلم يبقَ إلّا الرُوحُ والجَسَدُ النُّضُو
فما سمعتُ قبله ولا بعده غناءً أحسنَ منه .

الشعر لأبي العتاهية ، والغناء لإبراهيم ثقلب أول مطلق في مجرى الوسطى عن الهشامي ، وله أيضاً فيه خفيف ثقيل بالسبابة والبصر عن ابن المكي . وفيه لعمر بن بانه رمل بالوسطى من مجموع أغانيه . وفيه لعريب خفيف ثقيل آخر صحيح في غنائها من جمع ابن المعتز وعلي بن يحيى . وتما هذه الأبيات :

[من الطويل]

وما مِنْ مُجِبِّ نالٍ مَن يُجِبُّهُ هُوَى صادقاً إلّا سيّدخله زهُوُ
وفيها كلّها غناء مُفترقُ الألحان في أبياته .

بُليتُ وكان المَرْحُ بدءٌ بليتي فأحببتُ جهلاً والبلايا لها بدؤُ
وعلقتُ مَنْ يَزْهُو عليّ تجيراً وإني في كلِّ الخِصالِ له كُفُوُ

1 البيتان لكثير في ديوانه : 222 .

2 الأبيات الواوية لأبي العتاهية وقد تقدّما في ترجمته .

صوت
من المائة المختارة من رواية جحظة عن أصحابه

[من المنسرح]

بَاتَتْ هُمُومِي تَسْرِي طَوَارِقَهَا أَكْفُ عَيْنِي وَالدمْعُ سَابِقُهَا
لِمَا أَتَاهَا مِنَ اليَقِينِ وَلَمْ تَكُنْ تَرَاهُ يُلِمُّ طَارِقُهَا

الشعر لأمية بن أبي الصلت ، والغناء للهذلي خفيف ثقيل أول بالوسطى . وفيه لابن محرز
لحنان : هزج وثقيل أول بالوسطى عن الهشامي وحبش . وذكر يونس : أن فيه لابن محرز لحناً
واحداً مجنساً .

[45] - ذكر أمية بن أبي الصلت ونسبه وخبره¹

[نسبه]

واسمُ أبي الصلت عبدُ الله بن أبي ربيعة بن عوف بن عُقدة بن عنزة بن قسيّ ، وهو ثقيف بن مُنَبِّه بن بكر بن هوازن . هكذا يقول مَنْ نَسَبَهُمْ إلى قيس ، وقد شُرح ذلك في خبر طُريح . وأمُّ أمية بن أبي الصلت رُقِيَّة بنت عبد شمس بن عبد مناف .

وكان أبو الصلت شاعراً ، وهو الذي يقول في مدح سيف بن ذي يزن : [من البسيط]

لِيَطْلُبَ الثَّارَ أَمْثَالَ ابْنِ ذِي يَزَنِ إِذْ صَارَ فِي الْبَحْرِ لِلْأَعْدَاءِ أَحْوَالًا

وقد كُتِبَ خبر ذلك في موضعه .

[أولاد أمية]

وكان له أربعة بنين : عمرو وربيعة ووهب والقاسم . وكان القاسم شاعراً ، وهو الذي يقول ، أنشدنيهِ الأَخْفَشُ وغيرُهُ عن ثعلب ، وذكر الزبير أنها لأمية² : [من الكامل]

صوت

قومٌ إذا نزلَ الغريبُ بدارِهِمْ رَدُّوه رَبَّ صَوَاهِلِ وَقِيَانِ

لا يَنْكُتُونَ الأَرْضَ عِنْدَ سُؤْأَلِهِمْ لِيَتَلَمَّسَ العِلاَّتِ بالعِيدَانِ

يمدح عبد الله بن جُدعان بها ؛ وأولها :

قومي ثَقِيفٌ إِنْ سَأَلْتَ وَأَسْرَتِي وَبِهِمْ أَدَافِعُ رُكْنِ مَنْ عَادَانِي

غَنَّاه الغريض ، ولحنه ثقيلٌ أولٌ بالبِئِصْر . ولا بن مُحْرزٍ فيه خفيفٌ ثقيلٌ أولٌ بالوسطى ، عن الهشاميّ جميعاً .

وكان ربيعة ابنه شاعراً ، وهو الذي يقول :

وَإِنْ يَكُ حَيًّا مِنْ إِيَادٍ فَإِنَّا وَقَيْسًا سَوَاءَ مَا بَقِينَا وَمَا بَقُوا

1 تغلب على ترجمة أمية في هذا الفصل نزعة أسطورية ، وانظر طبقات ابن سلام : 259-260 إن ذكره في شعراء الطوائف ، والشعر والشعراء (ط . دار الثقافة - بيروت) : 369-372 وخزانة الأدب 1 : 247-253 ، والسمط : 362 والدميري 2 : 154 ، وشعراء النصرانية : 219 ، وراجع بروكلمان 1 : 113-114 حيث أورد ثبناً يبحوث تناولت أمية وشعره . وقد جمع شعره وقدم له بدراسة طويلة د . عبد الحفيظ السطلي (واليه نشير) ولكن كيف يميّز الدارس بين الأصل والمنحول من شعره .

2 البيتان الأول والثاني في الشعر والشعراء ومعجم المرزباني : 213 للقاسم بن أمية .

ونحن خيارُ الناسِ طُرّاً بِطَانَةً لِقَيْسٍ وَهُمْ خَيْرٌ لَنَا إِنْ هُمْ بَقُوا

[كان يستعمل في شعره كلمات غريبة]

أخبرني إبراهيم بن أيوب قال حدثنا عبد الله بن مسلم قال : كان أمية بن أبي الصلت قد قرأ كتاب الله عز وجل الأول ، فكان يأتي في شعره بأشياء لا تعرفها العرب ؛ فمنها قوله :

قَمَرٌ وَسَاهُورٌ يُسَلُّ وَيُعَمَدُ

وكان يسمي الله عز وجل في شعره السُّلْطِيطَ ، فقال :

وَالسُّلْطِيطُ فَوْقَ الْأَرْضِ مُقْتَدِرٌ

وسماه في موضع آخر التغرور فقال : «وأيدته التغرور» . وقال ابن قتيبة : وعلمائنا لا

يحتجون بشيء من شعره لهذه العلة .

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدثنا عمر بن شبة قال : قال أبو عبيدة : أتفتت العرب على أن أشعر أهل المدن أهل يثرب ثم عبد القيس ثم ثقيف ، وأن أشعر ثقيف أمية بن أبي الصلت .

أخبرنا الحرزمي قال حدثنا الزبير قال : قال يحيى بن محمد : قال الكُمَيْت : أمية أشعر الناس ، قال كما قلنا ولم نقل كما قال .

قال الزبير وحدثني عمي مصعب عن مصعب بن عثمان قال : كان أمية بن أبي الصلت قد نظر في الكتب وقرأها ، وليس المُسُوحُ تعبداً ، وكان ممن ذكر إبراهيم وإسماعيل والخنيفة ، وحرّم الخمر وشك في الأوثان ، وكان¹ مُحَقِّقاً ، والتمس الدين وطمع في النبوة ؛ لأنه قرأ في الكتب أن نبياً يُبعث من العرب ، فكان يرجو أن يكونه . قال : فلما بعث النبي ﷺ قيل له : هذا الذي كنت تستريث² وتقول فيه ؛ فحسده عدو الله وقال : إنما كنت أرجو أن أكونه ؛ فأنزل الله فيه عز وجل : ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا﴾ . قال : وهو الذي يقول³ :

كُلُّ دِينٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ اللَّهِ إِلَّا دِينَ الْخَنِيفَةِ زُورٌ

[كان يحرّض قريشاً بعد بدر ويرثي قتل قريش]

قال الزبير وحدثني يحيى بن محمد قال : كان أمية يُحرّض قريشاً بعد وقعة بدر ، وكان

1 ل : وصام .

2 تستريث : تستيطيء .

3 ديوان أمية بن أبي الصلت : 393 (رقم 25) .

4 . كتاب الأغاني - ج 4

يرثي مَنْ قِيلَ من قريش في وقعة بدر؛ فمن ذلك قوله¹ : [من مجزوء الكامل]

مَآذَا يَبْدُرُ وَالْعَقْنَـُورَ قَلْرَ مِنْ مَرَازِبِيَّةٍ جَحَاجِحِ

وقال : وهي قصيدة نهى رسول الله ﷺ عن روايتها . ويقال : إن أمية قدم على أهل مكة «باسمك اللهم» ؛ فجعلوها في أول كتبهم مكان (بسم الله الرحمن الرحيم) .

قال الزبير وحدثني علي بن محمد المدائني قال : قال الحجاج على المنبر : ذهب قوم يعرفون شعر أمية ، وكذلك اندراس الكلام .

أخبرني الحرمي قال حدثنا الزبير عن عمر بن أبي بكر المؤملي وغيره قال : كان أمية بن أبي الصلت يلتمسُ الذين يطمع في النبوة ، فخرج إلى الشام فمر بكيسة ، وكان معه جماعة من العرب وقريش ، فقال أمية : إن لي حاجة في هذه الكنيسة فانتظروني ، فدخل الكنيسة وأبطأ ، ثم خرج إليهم كاسفاً متغير اللون ، فرمى بنفسه ، وأقاموا حتى سرى عنه ، ثم مضوا فقصوا حوائجهم ثم رجعوا . فلما صاروا إلى الكنيسة قال لهم : انتظروني ، ودخل إلى الكنيسة فأبطأ ، ثم خرج إليهم أسوأ من حاله الأولى ؛ فقال أبو سفيان بن حرب : قد شققت على رفقائك . فقال : خلوني فإنني أرتاد على نفسي لمعادي ، إن ها هنا راهباً عالماً أخبرني أنه تكون بعد عيسى عليه السلام سبت رجعات² ، وقد مضت منها خمسٌ وبقيت واحدة ، وأنا أطمع في النبوة وأخاف أن تخطيني ، فأصابني ما رأيت فلما رجعت ثانية أتته فقال : قد كانت الرجعة ، وقد بعث نبي من العرب ؛ فبعست من النبوة ، فأصابني ما رأيت ؛ إذ فاتني ما كنت أطمع فيه .

قال : وقال الزهري : خرج أمية في سفر فنزلوا منزلاً ، فأمام أمية وجهاً وصعد في كتيب ، فرفعت له كنيسة فأنتهى إليها ، فإذا شيخ جالس ، فقال لأمية حين رآه : إنك لمتبوع ، فمن أين يأتيك رئيتك³ ؟ قال : من شقي الأيسر . قال : فأبي الثياب أحب إليك أن يلقاك فيها ؟ قال : السواد . قال : كدت تكون نبي العرب ولست به ، هذا خاطر من الجن وليس بملك ، وإن نبي العرب صاحب هذا الأمر يأتيه من شقه الأيمن ، وأحب الثياب إليه أن يلقاه فيها البياض .

قال الزهري : وأتى أمية أبا بكر فقال : يا أبا بكر ، عمي الخبر ، فهل أحسست شيئاً ؟ قال : لا والله ! قال : قد وجدته يخرج العام .

[مع أبي سفيان في رحلة إلى الشام]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدثنا عمر بن شبة قال : سمعتُ خالد بن يزيد يقول : إن

1 من قصيدة تتألف من 11 بيتاً : 345-347 (رقم 8) .

2 في حاشية ل : أي ست من المئين .

3 الرثي : الجني المصاحب .

أمية وأبا سفيان اصطحبا في تجارة إلى الشام ؛ ثم ذكر نحوه ، وزاد فيه : فخرج من عند الراهب وهو ثقيل . فقال له أبو سفيان : إن بك لشرراً ، فما قصتكَ ؟ قال : خيرٌ ، أخبرني عن عتبة بن ربيعة كم سبته ؟ فذكر سباً . وقال : أخبرني عن ماله فذكر ماله . فقال له : وضعته . فقال أبو سفيان . بل رفعته . فقال له : إن صاحب هذا الأمر ليس بشيخ ولا ذي مالٍ . قال : وكان الراهبُ أشيبَ ، وأخبره أن الأمر لرجلٍ من قريش .
[يفهم ثغاء الغنم]

أخبرني الحرزمي قال حدثني الزبير قال حدثت عن عبد الرحمن بن أبي حماد المنقري قال : كان أمية جالساً معه قوم ، فمرت بهم غنم فتغت منها شاة ؛ فقال للقوم : هل تدرون ما قالت الشاة ؟ قالوا لا . قال : إنها قالت لسخلتها : مرِّي لا يجيء الذئب فيأكلك كما أكل أختك عام أول في هذا الموضع . فقام بعض القوم إلى الراعي فقال له : أخبرني عن هذه الشاة التي تغت أها سخلتة ؟ فقال : نعم ، هذه سخلتها . قال : أكانت لها عام أول سخلتة ؟ قال : نعم ، وأكلها الذئب في هذا الموضع .

قال الزبير وحدثني يحيى بن محمد عن الأصمعي قال : ذهب أمية في شعره بعامة ذكر الآخرة ، وذهب عنترة بعامة ذكر الحرب ، وذهب عمر بن أبي ربيعة بعامة ذكر الشباب . قال الزبير حدثني عمر بن أبي بكر المؤملي قال حدثني رجلٌ من أهل الكوفة قال : كان أمية نائماً فجاء طائران فوقه أحدهما على باب البيت ، ودخل الآخر فشق عن قلبه ثم رده الطائر ؛ فقال له الطائر الآخر : أوعى ؟ قال نعم . قال : زكا ؟ قال : أبى .
[خرج مع ركب إلى الشام]

أخبرني عمي قال حدثني أحمد بن الحارث عن ابن الأعرابي عن ابن ذاب قال : خرج ركبٌ من ثقيف إلى الشام ، وفيهم أمية بن أبي الصلت ، فلما قفلوا راجعين نزلوا منزلاً ليتعشوا بعشاء ، إذ أقبلت عظاية حتى دنت منهم ، فحصبها بعضهم بشيء في وجهها فرجعت ؛ وكفتوا سفرتهم ثم قاموا يرحلون مُمسِينَ ؛ فطلعت عليهم عجوزٌ من وراء كتيبٍ مقابل لهم تتوكأ على عصاً ، فقالت : ما منعكم أن تطعموا رجيمة الجارية اليتيمة التي جاءتكم عشية ؟ قالوا : ومن أنتِ ؟ قالت : أنا أم العوام ، إمت¹ منذ أعوام ؛ أما ورب العباد ، لتفترقن في البلاد ؛ وضربت بعصاها الأرض ثم قالت : بطئي إبابهم ، ونفري ركبهم ؛ فوثبت الإبل كأن على ذروة كل بعير منها شيطاناً ما يُملك منها شيء ، حتى افترت في الوادي . فجمعناها في آخر النهار من الغد ولم نكد . فلما أتخناها لترحلها طلعت علينا العجوز فضربت الأرض بعصاها ثم قالت كقولها

الأول ؛ ففعلت الإبل كفعلها بالأمس ، فلم نجمعها إلا الغد عشية . فلما أنخناها لترحّلها أقبلت العجوز ففعلت كفعلها في اليومين ونفرت الإبل . فقلنا لأمية : أين ما كنت تُخبرنا به عن نفسك ؟ فقال : اذهبوا أنتم في طلب الإبل ودعوني . فتوجّه إلى ذلك الكثيب الذي كانت العجوز تأتي منه حتى علاه وهبط منه إلى واد ، فإذا فيه كنيسة وقناديل ، وإذا رجل مضطجع معترض على بابها ، وإذا رجل أبيض الرأس واللحية ؛ فلما رأى أمية قال : إنك لمتبوع ، فمن أين يأتيك صاحبك ؟ قال : من أذني اليسرى . قال فبأي الثياب يأمرك ؟ قال : بالسواد . قال : هذا خطيب الجن ؛ كِدت والله أن تكونه ولم تفعل ؛ إن صاحب النبوة يأتيه صاحبه من قبل أذنه اليمنى ، ويأمره بلباس البياض ؛ فما حاجتك ؟ فحدّثه حديث العجوز ؛ فقال : صدقت ، وليست بصادقة ؛ وهي امرأة يهودية من الجن هلك زوجها منذ أعوام ، وإنها لن تزال تصنع ذلك بكم حتى تهلككم إن استطاعت . فقال أمية : وما الحيلة ؟ فقال : جمّعوا ظهركم ، فإذا جاءتكم ففعلت كما كانت تفعل فقولوا لها : سبّع من فوق وسبّع من أسفل ، باسمك اللهم ؛ فلن تضركم . فرجع أمية إليهم وقد جمّعوا الظهر . فلما أقبلت قال لها ما أمره به الشيخ ، فلم تضرهم . فلما رأت الإبل لم تتحرك قالت : قد عرفت صاحبكم ، وليبيصن أعلاه ، وليسودن أسفله ؛ فأصبح أمية وقد برص في عذاريه واسود أسفله . فلما قدموا مكة ذكروا لهم هذا الحديث ؛ فكان ذلك أول ما كتب أهل مكة «باسمك اللهم» في كتبهم .

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدّثنا عمر بن شبة قال حدّثنا أبو غسان محمد بن يحيى قال حدّثنا عبد العزيز بن عمران عن عبد الرحمن بن عبد الله بن عامر بن مسعود عن الزهري قال : دخل يوماً أمية بن أبي الصلت على أخته وهي تهيم أدمًا لها ، فأدركه النوم فنام على سرير في ناحية البيت . قال : فانشق جانب من السقف في البيت ، وإذا بطائرين قد وقع أحدهما على صدره ووقف الآخر مكانه ، فشق الواقع صدره فأخرج قلبه فشقه ؛ فقال الطائر الواقف للطائر الذي على صدره : أوعى ؟ قال : وعى . قال : أقبل ؟ قال : أبى . قال : فرد قلبه في موضعه فنهض ؛ فأتبعهما أمية طرفه فقال :

[من مجزوء الرجز]

لَبَيْكُمَا لِيَكُمَا هَانَذَا لَدَيْكُمَا

لا بريء فاعتذر ، ولا ذو عشيرة فانتصر . فرجع الطائر فوق على صدره فشقه ، ثم أخرج قلبه فشقه ؛ فقال الطائر الأعلى : أوعى ؟ قال : وعى . قال : أقبل ؟ قال : أبى ، ونهض ؛ فأتبعهما بصره وقال :

[من مجزوء الرجز]

لَبَيْكُمَا لَبَيْكُمَا هَانَذَا لَدَيْكُمَا

لا مالٌ يُغِينِي ، ولا عشيرةٌ تَحْمِينِي . فرجع الطائر فوق على صدره فشقه ، ثم أخرج قلبه فشقه ؛ فقال الطائر الأعلى : أَوْعَى ؟ قال : وَعَى . قال : أَقْبَلَ : قال : أَيْ ، ونهض ؛ فَاتَّبَعَهُمَا بِبَصْرِهِ وقال :

[من مجزوء الرجز]

لَبَيْكُمَا لَبَيْكُمَا هَانَذَا لَدَيْكُمَا

مَحْفُوفٌ بِالنَّعْمِ ، مَحُوطٌ مِنَ الرَّيْبِ . قال : فرجع الطائر فوق على صدره فشقه وأخرج قلبه فشقه ؛ فقال الأعلى : أَوْعَى ؟ فقال : وَعَى . قال : أَقْبَلَ : قال : أَيْ ، ونهض ، فَاتَّبَعَهُمَا بِبَصْرِهِ وقال :

[من مجزوء الرجز]

لَبَيْكُمَا لَبَيْكُمَا هَانَذَا لَدَيْكُمَا

[من الرجز]

إِنْ تَغْفِرِ اللَّهُمَّ تَغْفِرْ جَمًّا وَأَيُّ عَبْدٍ لَكَ لَا أَلْمَأ

قالت أخته : ثم انطبق السقف وجلس أمية يمسح صدره . فقلت : يا أخي ، هل تجد شيئاً ؟ قال : لا ، ولكني أجد حرّاً في صدري . ثم أنشأ يقول² :

[من الخفيف]

لِيتِي كُنْتُ قَبْلَ مَا قَدَ بَدَأَ لِي فِي قِنَانِ الْجِبَالِ أَرْعَى الْوُعُولَا
اجْعَلِ الْمَوْتَ نُصَبَ عَيْنِكَ وَاحْدَرَ غَوْلَةَ الدَّهْرِ إِنَّ لِلدَّهْرِ غُولَا

حدثني محمد بن جرير الطبري قال حدثنا ابن حُمَيْد قال حدثني سلمة عن ابن إسحاق عن يعقوب بن عُتْبَةَ عن عكرمة عن ابن عَبَّاس : أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ صَدَقَ أُمِيَّةٌ فِي قَوْلِهِ³ :

[من الكامل]

زَحَلٌ وَثُورٌ تَحْتَ رِجْلِ يَمِينِهِ وَالنَّسْرُ لِلْآخِرَى وَلَيْثٌ مُرْصَدٌ

فقال رسول الله ﷺ : «صَدَقَ» .

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدثنا عمر بن شَبَّه قال حدثني حماد بن عبد الرحمن بن الفضل الحراني قال حدثنا أبو يوسف ، وليس بالقاضي ، عن الزُّهْرِيِّ عن عروة عن عائشة عن النبي ﷺ بمثل هذا .

1 ديوان أمية بن أبي الصلت : 491 (رقم 85) .

2 ديوان أمية بن أبي الصلت : 450-452 (رقم 65) .

3 من قصيدة مطلعها :

اعلم بأن الله ليس كصنعه صنع ولا يحلي عليه ملحد

(ديوان أمية بن أبي الصلت 353-367) .

أخبرني الحرّمِي بن أبي العلاء قال حدّثني الزُّبير قال حدّثنا جعفر بن الحسين المهلبِي¹ قال حدّثني إبراهيم بن إبراهيم بن أحمد عن عكرمة قال : أنشد النبي ﷺ قول أمية² : [من البسيط]

الحمدُ لله مُمسنا ومُصبَحنا بالخيرِ صبَّحنا ربي ومَسنا
رَبُّ الحنيفة لم تَفدْ خزائنها مملوءةً طَبَقَ الآفاقَ سُلطاناً³
ألا نبيّ لنا مِنّا فيخبرنا ما بعدَ غابتنا من رأسِ مَحيانا
بيننا يُرَيِّبنا أبوانا هلكوا وبينما نقتني الأولادَ أفنانا
وقد عَلِمنا لو أنّ العلمَ ينفعنا أنْ سوف يَلْحَقُ أخرانا بأولانا

فقال النبي ﷺ : «إن كاد أميةً لَيُسَلِمَ» .

[شعر له في عتاب ابنه وتوبيخه]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدّثنا عمر بن شبة قال حدّثني أحمد بن معاوية قال حدّثنا عبد الله بن أبي بكر ، وحدّثنا خالد بن عمارة : أن أمية عتب على ابن له فأنشأ يقول⁴ : [من الطويل]

عَدَوْتُكَ مولوداً ومُنْتُكَ يافعاً تَعَلُّ بما أُجني عليك وتَهْمَلُ
إذا ليلةً نابتكَ بالشكوكِ لم أبتُ لِشكوكِ إلا ساهراً أتململُ
كأنّي أنا المطروقُ دونك بالذي طرقتَ به دُوني فعينَي تهملُ
تخافُ الردى نفسي عليك وإنّي لأعلمُ أن الموتَ حَتَمٌ مُوجَلُ
فلما بلغت السنَّ والغايةَ التي إليها مدى ما كنتُ فيك أوَمَلُ
جعلتَ جزائي غِظَةً وفضاظةً كأنك أنت النعمُ المتفضّلُ⁵

قال الزُّبير قال أبو عمرو الشَّيباني قال أبو بكر الهذلي قال : قلتُ لعكرمة : ما رأيت من يبلغنا عن النبي ﷺ أنه قال لأمية : «آمنَ شعْرُه وكَفَرَ قلبُه» ؛ فقال : هو حقٌّ ، وما الذي أنكرتم من ذلك ؟ فقلت له : أنكرنا قوله⁶ :

والشمسُ تطلعُ كلَّ آخرِ ليلةٍ حمراءَ مَطْلَعُ لونها مُتَوَرِّدُ

1 ل : اللهجي .

2 ديوان أمية بن أبي الصلت : 516-519 (رقم 96) .

3 تنفذ خزائنها في ل : تعنت خوايمها .

4 ديوان أمية بن أبي الصلت : 430-433 (رقم 53) .

5 المتفضل في ل : المتطول .

6 ديوانه : 366 (رقم 10) .

تَأْتِي فَلَا تَبْدُو لَنَا فِي رِسَالِهَا إِلَّا مُعَذِّبَةً وَإِلَّا تُجَلِّدُ

فَمَا شَأْنَ الشَّمْسِ تُجَلِّدُ؟ قَالَ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا طَلَعَتْ قَطُّ حَتَّى يَنْخُسُهَا سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ يَقُولُونَ لَهَا: اطَّلَعِي؛ فَتَقُولُ: أَطَّلَعُ عَلَى قَوْمٍ يَعْبُدُونَنِي مِنْ دُونِ اللَّهِ! قَالَ: فَيَأْتِيهَا شَيْطَانٌ حِينَ تَسْتَقْبِلُ الضِّيَاءَ يَرِيدُ أَنْ يَصُدَّهَا عَنِ الطَّلُوعِ فَتَطْلُعُ عَلَى قَرْنَيْهِ، فَيُحْرِقُهُ اللَّهُ تَحْتَهَا. وَمَا غَرَبَتْ قَطُّ إِلَّا خَرَّتْ لِلَّهِ سَاجِدَةً، فَيَأْتِيهَا شَيْطَانٌ يَرِيدُ أَنْ يَصُدَّهَا عَنِ السُّجُودِ، فَتَغْرُبُ عَلَى قَرْنَيْهِ فَيُحْرِقُهُ اللَّهُ تَحْتَهَا؛ وَذَلِكَ قَوْلُ النَّبِيِّ ﷺ: «تَطْلُعُ بَيْنَ قَرْنَيْ شَيْطَانٍ وَتَغْرُبُ بَيْنَ قَرْنَيْ شَيْطَانٍ».

حَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ الْجَعْدِ قَالَ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبَّادٍ قَالَ حَدَّثَنَا سَفِيانُ بْنُ عَيْنَةَ عَنْ زِيَادِ بْنِ سَعْدٍ أَنَّهُ سَمِعَ ابْنَ حَاضِرٍ يَقُولُ: اخْتَلَفَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَعَمْرُو بْنُ الْعَاصِيِ عِنْدَ مَعَاوِيَةَ؛ فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: أَلَا أَعْنَيْكَ؟ قَالَ بَلَى فَأَنْشَدَهُ¹:

وَالشَّمْسُ تُغْرِبُ كُلَّ آخِرِ لَيْلَةٍ فِي عَيْنِ ذِي خُلْبٍ وَثَأْطِ حَرَمَدٍ

[حاله في مرض موته]

أَخْبَرَنِي الْحَرَمِيُّ قَالَ حَدَّثَنَا عَمِّي عَنْ مَصْعَبِ بْنِ عَثْمَانَ عَنْ ثَابِتِ بْنِ الزُّبَيْرِ قَالَ: لَمَّا مَرِضَ أُمِّيَّةُ مَرَضَهُ الَّذِي مَاتَ فِيهِ، جَعَلَ يَقُولُ: قَدْ دَنَا أَجْلِي، وَهَذِهِ الْمَرَضَةُ مَنِيَّتِي، وَأَنَا أَعْلَمُ أَنَّ الْحَنِيفِيَّةَ حَقٌّ، وَلَكِنَّ الشُّكَّ يُدَاخِلُنِي فِي مُحَمَّدٍ. قَالَ: وَلَمَّا دَنَتْ وَفَاتَهُ أُغْمِيَ عَلَيْهِ قَلِيلًا ثُمَّ أَفَاقَ وَهُوَ يَقُولُ:

لَبَّيْكُمْمَا لِيِكَمَا هَإِنذَا لَدِيِكَمَا

لَا مَالٌ يَفِدُنِي، وَلَا عَشِيرَةٌ تُنَجِّنِي. ثُمَّ أُغْمِيَ عَلَيْهِ أَيْضًا بَعْدَ سَاعَةٍ حَتَّى ظَنَّ مَنْ حَضَرَهُ مِنْ أَهْلِهِ أَنَّهُ قَدْ قَضَى، ثُمَّ أَفَاقَ وَهُوَ يَقُولُ:

لَبَّيْكُمْمَا لِيِكَمَا هَإِنذَا لَدِيِكَمَا

لَا بَرِيٌّ فَأَعْتَذِرُ، وَلَا قَوِيٌّ فَأَنْتَصِرُ. ثُمَّ إِنَّهُ بَقِيَ يَحَدِّثُ مَنْ حَضَرَهُ سَاعَةً، ثُمَّ أُغْمِيَ عَلَيْهِ مِثْلَ الْمَرَّتَيْنِ الْأُولَيَيْنِ حَتَّى يَمْسُوا مِنْ حَيَاتِهِ، وَأَفَاقَ وَهُوَ يَقُولُ:

لَبَّيْكُمْمَا لِيِكَمَا هَإِنذَا لَدِيِكَمَا

مُحْفوفٌ بِالنَّعْمِ،

إِنْ تَغْفِرِ اللَّهُمَّ تَغْفِرْ جَمًّا وَأَيُّ عَبْدٍ لَكَ لَا أَلْمَا

1 لم يرد البيت في ديوانه وانظر اللسان (ثأط).

ثم أقبل على القوم فقال : قد جاء وقتي ، فكونوا في أهبتي ؛ وحدّثهم قليلاً حتى يس
القوم من مرضه ، وأنشأ يقول :

كلُّ عيشٍ وإنْ تَطاولَ دَهراً مُتتهى أمره إلى أن يَزولاً¹
ليتني كنتُ قبل ما قد بدا لي في رؤوسِ الجبالِ أرعى الوُعولاً
اجعلِ الموتَ نُصبَ عينيكِ واحذرْ غولةَ الدهرِ إنَّ للدهرِ غولاً

ثم قضى نحبه ، ولم يُؤمن بالنبي ﷺ . وقد قيل في وفاة أمية غير هذا .

[ذهابه إلى اليمن]

أخبرني عبد العزيز بن أحمد عمّ أبي قال حدّثنا أحمد بن يحيى ثعلب قال : سمعت في خبر
أمية بن أبي الصلت ، حين بُعث النبي ﷺ ، أنّه أخذ بنتيه وهرب بهما إلى أقصى اليمن ،
ثم عاد إلى الطائف ؛ فبينما هو يشرب مع إخوان له في قصر غيلان بالطائف ، وقد أودع ابنتيه
اليمن ورجع إلى بلاد الطائف ، إذ سقط غرابٌ على شرفة في القصر فنعب نعبه ؛ فقال أمية :
بفيك الكنكثُ ! وهو التراب ، فقال أصحابه : ما يقول ؟ قال : يقول إنك إذا شربت الكأس
التي بيدك مُتٌ ، فقلت : بفيك الكنكثُ . ثم نعب نعبه أخرى ، فقال أمية نحو ذلك ؛ فقال
أصحابه : ما يقول ؟ قال : زعم أنّه يقع على هذه المزبلة أسفل القصر ، فيستثير عظماً فيبتلعه
فيشجى به فيموت ، فقلت نحو ذلك . فوقع الغراب على المزبلة ، فأثار العظم فشجى به
فمات ؛ فانكسر أمية ، ووضع الكأس من يده ، وتغيّر لونه . فقال له أصحابه : ما أكثر ما
سمعنا بمثل هذا وكان باطلاً ؛ فألحوا عليه حتى شرب الكأس ، فمال في شقٍّ وأغمي عليه ثم
أفاق ، ثم قال : لا بريّ فاعتذر ، ولا قويّ فانتصر ، ثم خرجت نفسه .

صوت

من المائة المختارة

[من الكامل]

تَبَلَّتْ فَوادِكُ في المنامِ خَريدةٌ تَشْفِي الضَّجِيعَ ببارِدِ بَسامِ
كالسُّكِّ تَخْلِطُهُ بماءِ سَحابةٍ أو عاتقِ كَدَمِ الذَّبِيحِ مُدامِ
عروضه من الكامل ، الشعر لحسان بن ثابت ، والغناء لموسى بن خارجة الكوفي ثقيلٌ أولٌ
بإطلاق الوتر في مجرى البصر . وذكر حماد عن أبيه أنّ فيه لحناً لَعَزّة الميلاء . وليس موسى
بكثير الصنعة ولا مشهور ، ولا ممّن خدّم الخلفاء .

1 منتهى أمره في ل : قصره مرة ، وفي الشعر والشعراء : «صائر مرة» .

[46] - أخبار حسان بن ثابت ونسبه¹

[نسبه]

هو حسان بن ثابت بن المنذر بن حرام بن عمرو بن زيد مائة بن عدي بن عمرو بن مالك بن النجار ، واسمه تيم الله بن ثعلبة بن عمرو بن الخزرج بن حارثة بن ثعلبة ، وهو العنقاء بن عمرو ؛ وإنما سُمِّي العنقاء لطول عنقه . وعمرو هو مزيقياء بن عامر بن ماء السماء بن حارثة الغطريف بن امرئ القيس البطريق بن ثعلبة البهلول بن مازن بن الأزد ، وهو ذري ، وقيل : ذراء ممدود ، بن العوث بن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان .

قال مصعب الزبيري فيما أخبرنا به الحسن بن علي عن أحمد بن زهير عمه قال : بنو عدي بن عمرو بن مالك بن النجار يُسمون بني معالة . ومعالة أمه ، وهي امرأة من القين وإليها كانوا يُنسبون . وأم حسان بن ثابت بن المنذر ، الفريرة بنت خالد بن قيس بن لؤذان بن عبد ود بن زيد بن ثعلبة بن الخزرج بن ساعدة بن كعب بن الخزرج . وقيل : إن اسم النجار تيم اللات ؛ وفي ذلك يقول حسان بن ثابت :

وأم ضيرارٍ تنشُدُ النَّاسَ والهأُ
أما لابن تيم اللاتِ ماذا أضلَّتْ

يعني ضيرار بن عبد المطلب ، وكان ضلَّ فنشدته أمه . وإنما سماه رسول الله ﷺ تيم الله ؛ لأن الأنصار كانت تنسب إليه ، فكره أن يكون في أنسابها ذكر اللات .

ويكنى حسان بن ثابت أبا الوليد² ، وهو فحل من فحول الشعراء . وقد قيل : إنه أشعر أهل المدر . وكان أحد المعمرين من المخضرمين ، عمر مائة وعشرين سنة : ستين في الجاهلية وستين في الإسلام .

[عاش حسان مائة وعشرين سنة]

أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه عن أبي عبيدة قال : عاش ثابت بن المنذر مائة وخمسين سنة ، وعاش حسان مائة وعشرين سنة . ومما يحق ذلك ما أخبرني به الحسن بن علي قال حدثنا أحمد بن زهير قال حدثني الزبير بن بكار قال حدثني محمد بن حسين عن إبراهيم بن

1 أخبار حسان في طبقات ابن سلام 215-220 والشعر والشعراء 1 : 223-226 وفي كتب السيرة وتراجم الصحابة وغيرها من كتب التراجم ، وخزانة الأدب 4 : 70-77 ، وديوانه الذي نعمده هنا بتحقيق د . وليد عرفات ط . أمناء سلسلة جب التذكارية .

2 ذكر البغدادي في الخزانة كنية أخرى له هي «أبو الحسام» وسترده فيما بعد في هذه الترجمة .

محمد عن صالح بن إبراهيم عن يحيى بن عبد الرحمن بن سعيد بن زرارة عن حسان بن ثابت قال :
إِنِّي لَغُلَامٌ يَفْعَةُ ابْنِ سَعْنٍ سَنِينَ أَوْ ثَمَانَ ، إِذَا بِيَهُودِيَّ يَثْرِبُ يَصْرُخُ ذَاتَ غَدَاةٍ : يَا مَعْشَرَ يَهُودٍ ؛
فَلَمَّا اجْتَمَعُوا إِلَيْهِ قَالُوا : وَيْلَكَ ؛ مَالِكٌ ؟ قَالَ : طَلَعَ نَجْمٌ أَحْمَدَ الَّذِي يُؤَلِّدُ بِهِ فِي هَذِهِ اللَّيْلَةِ . قَالَ :
ثُمَّ أَدْرَكَهُ الْيَهُودِيَّ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِهِ . فَهَذَا يَدُلُّ عَلَى مَدَّةِ عُمُرِهِ فِي الْجَاهِلِيَّةِ ؛ لِأَنَّهُ ذَكَرَ أَنَّهُ أَدْرَكَ لَيْلَةَ
وُلْدِ النَّبِيِّ ﷺ ، وَلَهُ يَوْمَئِذٍ ثَمَانُ سَنِينَ ، وَالنَّبِيُّ ﷺ بُعِثَ وَلَهُ أَرْبَعُونَ سَنَةً ، وَأَقَامَ بِمَكَّةَ ثَلَاثَ
عَشْرَةَ سَنَةً ، فَقَدِمَ الْمَدِينَةَ وَالْحَسَّانَ يَوْمَئِذٍ ، عَلَى مَا ذَكَرَهُ ، سِتُونَ سَنَةً أَوْ إِحْدَى وَسِتُونَ سَنَةً ،
وَحِينَئِذٍ أَسْلَمَ .

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدثنا أحمد بن زهير قال حدثنا الزبير بن بكّار عن عبد الرحمن بن
عبد الله قال حدثني ابن أبي الزناد قال : عُمِرَ حَسَّانُ بْنُ ثَابِتٍ عَشْرِينَ وَمِائَةَ سَنَةٍ : سِتِّينَ فِي
الْجَاهِلِيَّةِ ، وَسِتِّينَ فِي الْإِسْلَامِ .

قال أخبرني الحسن بن عليّ قال أخبرني أحمد بن زهير قال حدّث سليمان بن حرب عن
حمّاد بن زيد عن يزيد بن حازم عن سليمان بن يسار قال : رأيتُ حَسَّانَ بْنَ ثَابِتٍ وَلَهُ نَاصِيَةٌ
قَدْ سَدَّكَهَا بَيْنَ عَيْنَيْهِ .

[كان يخضب شاربه وعنقته بالحناء]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال حدثني عليّ بن محمد النوفليّ عن أبيه قال : كان
حَسَّانُ بْنُ ثَابِتٍ يَخْضِبُ شَارِبَهُ وَعَنْقَتَهُ بِالْحِنَاءِ ، وَلَا يَخْضِبُ سَائِرَ لِحْيَتِهِ . فَقَالَ لَهُ ابْنُهُ عَبْدِ
الرَّحْمَنِ : يَا أَبَتِ ، لِمَ تَفْعَلُ هَذَا ؟ قَالَ : لِأَكُونَ كَأَنِّي أَسَدٌ وَالْبَغُ فِي دَمٍ .
[فضل الشعراء بثلاث]

أخبرنا محمد بن الحسن بن دريد قال أخبرنا أبو حاتم عن أبي عبيدة قال : فَضَّلَ حَسَّانُ
الشعراء بثلاث : كان شاعراً الأنصار في الجاهلية ، وشاعراً النبي ﷺ في النبوة ، وشاعراً اليمن
كلّها في الإسلام .

[أجمعت العرب على أنّه أشعر أهل المَدَر]

قال أبو عبيدة : وأجمعت العرب على أنّ حَسَّانَ أشعر أهل المَدَر . أخبرنا بذلك أيضاً
أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال حدثنا عمر بن شبة عن أبي عبيدة قال : اتَّفَقَتِ الْعَرَبُ عَلَى
أَنَّ أَشْعَرَ أَهْلِ الْمَدَرِ أَهْلُ يَثْرِبٍ ، ثُمَّ عَبْدُ الْقَيْسِ ثُمَّ ثَقِيفٌ ؛ وَعَلَى أَنَّ أَشْعَرَ أَهْلِ يَثْرِبٍ حَسَّانُ بْنُ
ثَابِتٍ¹ .

1 رتب ابن سلام شعراء المدن أو القرى العربية : المدينة ، مكة ، الطائف ، اليمامة ، البحرين ، وأشعرهم شعراء
المدينة وفي مقدمتهم حسان بن ثابت .

[سأل أبو هريرة عن حديث في شأنه]

أخبرني حبيب بن نصر المهلبّي وأحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قالَا حَدَّثَنَا عمر بن شبة قال حَدَّثَنَا عَفَّان قال حَدَّثَنَا عبد الواحد بن زياد قال حَدَّثَنَا مَعْمَر عن الزُّهريّ عن سعيد بن المسيّب قال : جاء حَسَّان إلى نَفَرٍ فيهم أبو هريرة ، فقال : أَنْشُدكَ الله : أَسَمِعْتَ رسولَ الله ﷺ يقول : «أَجِبْ عَنِّي» ثم قال : «اللَّهُمَّ أَيْدِهِ بِرُوحِ الْقُدُسِ» ؟ قال أبو هريرة : اللهم نعم .
[كان أحد الأنصار الثلاثة الذين عارضوا شعراء قريش]

أخبرني حبيب بن نصر وأحمد بن عبد العزيز قالَا حَدَّثَنَا عُمَرُ بن شبة قال حَدَّثَنَا وَهَبُ بن جرير قال حَدَّثَنَا أَبِي قال سمعتُ محمد بن سيرين ، قال أبو زيد وحَدَّثَنَا هُوْدَةُ بن خليفة قال حَدَّثَنَا عَوْفُ بن محمد بن سيرين قال : كان يهجو رسولَ الله ﷺ ثلاثة رَهْطٍ من قريش : عبد الله بن الزبَيْري ، وأبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب ، وعمرو بن العاصي ؛ فقال قائل لعلي بن أبي طالب رضوان الله عليه : اهْجُ عَنَّا القومَ الذين قد هَجَوْنَا . فقال علي رضي الله عنه : إن أذن لي رسولَ الله ﷺ فعلتُ . فقال رجلٌ : يا رسولَ الله ، ائذن لعلي كي يهجو عَنَّا هؤلاء القومَ الذين قد هَجَوْنَا . قال : «ليس هناك» أو «ليس عنده ذلك» ؛ ثم قال للأنصار : «ما يَمْنَعُ القومَ الذين نَصَرُوا رسولَ الله ﷺ ، بسلاحهم أن يَنْصُرُوهُ بِالسُّنْمِ؟» . فقال حسان بن ثابت : أنا لها ، وأخذ بطرف لسانه وقال : والله ما يَسُرُّني به مقولٌ بين بَصْرَى وصنعاء . فقال : «كيف تهجوهم وأنا منهم» ؟ فقال : إنني أسألك منهم كما تُسَلُّ الشَّعْرَةَ من العجيين . قال : فكان يهجوهم ثلاثة من الأنصار : حسان بن ثابت ، وكعب بن مالك ، وعبد الله بن رواحة . فكان حسان وكعب يُعَارِضَانِهِم بِمَثَلِ قولهم بالوقائع والأيام والمآثر ويُعَيِّرَانِهِم بِالْمَثَالِبِ ، وكان عبد الله بن رواحة يُعَيِّرُهُم بِالْكَفْرِ . قال : فكان في ذلك الزمان أشدُّ القولِ عليهم قولَ حسان وكعب ، وأهونَ ، القولِ عليهم قولَ ابن رواحة . فلمَّا أسلموا وفقهوا الإسلام ، كان أشدُّ القولِ عليهم قولَ ابن رواحة .
[استأذن النبي في هجو قريش فأمره أن يأخذ أتسابهم عن أبي بكر]

أخبرنا أحمد بن عبد العزيز وحبيب بن نصر المهلبّي قالَا حَدَّثَنَا عمر بن شبة قال حَدَّثَنَا عبد الله بن بكر بن حبيب السهمي قال حَدَّثَنَا أبو يونس القشيريّ وهو حاتمُ بن أبي صغيرة قال حَدَّثَنَا سيماك بن حرب قال : قام حَسَّان أبو الحُسام فقال : يا رسولَ الله ، ائذن لي فيه ، وأخرج لساناً له أسود ، فقال : يا رسولَ الله ، لو شئتُ لَفَرَيْتُ به المزاد ، ائذن لي فيه . فقال : «أذهب إلى أبي بكر فليُحَدِّثْكَ حديثَ القومِ وأيامهم وأحسابهم ثم اهْجُهُم وجبريلُ معك» . قال أبو

زيد قال ابن وهب وحدثنا بهذا الحديث حاتم عن السُّدِّيِّ عن البراء بن عازبٍ وعن سيمالك بن حرب ، فأنا أشكّ : أهو عن أحدهما أم عنهما جميعاً ، قال أبو زيد : وحدثنا علي بن عاصم قال حدثنا حاتم بن أبي صغيرة عن سيمالك بن حرب بنحوه ، وزاد فيه : فأخرج لسانه أسود ، فوضعه على طرف أرنبته ، وقال : يا رسول الله ، لو شئتَ لفرّيتُ به المزاد ؛ فقال : « يا حسّان وكيف وهو مني وأنا منه » ؟ قال : والله لأسلنّه منك كما يُسلُّ الشّعْر من العجين ؛ قال : « يا حسّان فأتِ أبا بكر فإنّه أعلمُ بأنساب القوم منك » . فأتى أبا بكر فأعلمه ما قال رسول الله ﷺ ؛ فقال : كُفَّ عن فلانة واذكُرْ فلانة . فقال¹ :

هَجَوْتُ محمداً فأجبتُ عنه وعندَ الله في ذاك الجزاءُ
فإنَّ أباي ووالدهَ وعِرْضِي لِعِرضِ محمديٍّ منكم وِقَاءُ
أتَهجوه ولستَ له بكُفٍّ فشرُّكمَا لخَيْرِكمَا الفِداءُ

[لما بلغ قريشاً شعر حسّان اتهموا فيه أبا بكر]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدثنا أحمد بن زهير قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثنا أحمد بن سليمان عن الأصمعيّ عن عبد الرحمن بن أبي الزناد قال : لما أنشدت قريش شعر حسّان قالت : إن هذا الشتم ما غاب عنه ابن أبي قحافة .

قال الزبير : وحدثني محمد بن يحيى عن يعقوب بن إسحاق بن مَجْمَع عن رجلٍ من بني العجلان قال : لما بلغ أهل مكّة شعر حسّان ولم يكونوا عليموا أنّه قوله ، جعلوا يقولون : لقد قال أبو بكر الشّعْر بعدنا .

[نهى عمر بن الخطّاب عن إنشاد مناقضات الأنصار ومشركي قريش]

قال الزبير : وحدثني الحسن بن عليّ قال حدثنا أحمد بن زهير قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني محمد بن فضالة عن أبيه عن خالد بن محمد بن فضالة عن أبيه عن خالد بن محمد بن ثابت بن قيس بن شماس قال : نهى عمر بن الخطّاب الناس أن ينشدوا شيئاً من مناقضة الأنصار ومشركي قريش ، وقال : في ذلك شتمُ الحيّ بالميّت ، وتجديد الضغائن ، وقد هدم الله أمرَ الجاهليّة بما جاء من الإسلام . فقدم المدينة عبد الله بن الزبير السهميّ وضرار بن الخطّاب الفهريّ ثم الحاربيّ ، فنزلا على أبي أحمد بن جحش ، وقالوا له : نحبُّ أن تُرسِلَ إلى حسّان بن ثابت حتى يأتيك ، فننشدّه وننشدنا ممّا قلنا له وقال لنا . فأرسل إليه

1 ديوان حسّان : 18 . والمخاطب بقوله «هجوت» هو أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب وهو ابن عمّ الرسول ﷺ ؛ والقصيدة التي منها الأبيات قيلت يوم فتح مكّة . وانظر سيرة ابن هشام 1 : 421-424 .

فجاءه ؛ فقال له : يا أبا الوليد ، هذان أخواك ابن الزبيرى وضرارُ قد جاءا أن يُسمعك وتُسمعهما ما قالَا لك وقلتَ لهما . فقال ابن الزبيرى وضرار : نَعَمْ يا أبا الوليد ، إن شِعركَ كان يُحتمَل في الإسلام ولا يُحتمَل شعْرنا ، وقد أحببنا أن نُسمعك وتُسمعنا . فقال حسان : أفتَبَدآن أم أبداً ؟ قالَا : نبدأ نحن . قال : ابتدئا ؛ فأنشدها حتى فارَّ فصار كالمُرَجَلِ غَضَباً ، ثم استويا على راحلتيهما يريدان مكة ؛ فخرج حسان حتى دخل على عُمر بن الخطاب فقصَّ عليه قصَّتَهُما وقصَّتَهُ . فقال له عمر : لن يذهبنا عنك بشيءٍ إن شاء الله ، وأرسل من يرُدُّهُما ، وقال له عمر : لو لم تُدرِكهُما إلا بمكة فاردُّهُما عليّ . وخرجا فلما كانا بالروحاء¹ رجع ضرار إلى صاحبه بكّره ، فقال له يا ابن الزبيرى : أنا أعرف عمر وذبّه عن الإسلام وأهله ، وأعرف حسان وقلة صبره على ما فعلنا به ، وكأنّي به قد جاء وشكا إليّ ما فعلنا ، فأرسل في آثارنا وقال لرسوله : إن لم تلتحقهُما إلا بمكة فاردُّهُما عليّ ؛ فابح بنا ترك العناء وأقم بنا مكاننا ؛ فإن كان الذي ظننتُ فالرجوع من الروحاء أسهلُ منه من أبعد منها ، وإن أخطأ ظنّي فذلك الذي نُحبُّ ونحن من وراء المُضي . فقال ابن الزبيرى : نَعَمْ ما رأيت . قال : فأقاما بالروحاء ، فما كان إلا كمرَّ الطائر حتى وافاهما رسولُ عمر فردَّهُما إليه ، فدعا لهما بحسان ، وعمرُ في جماعةٍ من أصحاب رسول الله ﷺ ، فقال لحسان : أنشدُهما ممّا قلتَ لهما ؛ فأنشدُهما حتى فرغ ممّا قال لهما فوقف . فقال له عمر : أفرغتَ ؟ قال نعم . فقال له : أنشدك في الخلاء وأنشدتَهُما في الملأ . وقال لهما عمر : إن شئتما فأقيما ، وإن شئتما فانصرفا . وقال لمن حضره : إنّي قد كنت نهيتكم أن تذكروا ممّا كان بين المسلمين والمشركين شيئاً دُفِعاً للتضاغنُ عنكم وبثَّ القبيح فيما بينكم ، فأما إذ أبوا فاكثبوه واحتفظوا به ؛ فدوتوا ذلك عندهم . قال خلاد بن محمد : فأدركنهُ والله وإن الأنصار لتُجددّه عندها إذا خافت بِلأه .

[شعره في هجو أبي سفيان بن الحارث]

أخبرنا أحمد بن عبد العزيز قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثنا عفان بن مسلم قال حدثنا عمران بن زيد قال : سمعتُ أبا إسحاق قال في قصة حسان وأبي سفيان بن الحارث نحو ما ذكره ممّا قدّمنا ذكره ، وزاد فيه : فقال حسان فيه² :

[من الطويل]

وإن سنّامَ المجدِّ من آلِ هاشمٍ بنو بنتِ مخزومٍ ، ووالدك العبدُ

1 الروحاء : موضع بين مكة والمدينة .

2 ديوان حسان : 398 من قصيدة أولها :

لقد علم الأقبام أن ابن هاشم هو الغصن ذو الأفنان لا الواحد الوغد

وَمَنْ وَلَدَتْ أَبْنَاءَ زُهْرَةَ مِنْكُمْ كِرَامٌ وَلَمْ يَلْحَقْ عَجَائِزَكَ الْمَجْدُ
وَإِنَّ امْرَأً كَانَتْ نَثِيلَةً أُمَّهُ وَسَمْرَاءُ مَغْلُوبٌ إِذَا بَلَغَ الْجَهْدُ¹
وَأَنْتَ هَجِيئٌ نَيْطٌ فِي آلِ هَاشِمٍ كَمَا نَيْطٌ خَلْفَ الرَّأكِبِ الْقَدْحُ الْفَرْدُ²

فقال العباس : وما لي وما لحسان ! يعني في ذكره نثيلة ، فقال فيها : [من الطويل]

وَلَسْتَ كَعَبَّاسٍ وَلَا كَابِنِ أُمَّهِ وَلَكِنْ هَجِيئٌ لَيْسَ يُورَى لَهُ زَنْدُ

[أعانه جبريل في مدح النبي]

أخبرنا أحمد قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثنا القعني قال حدثنا مروان بن معاوية قال
حدثنا إياس السلمي عن ابن بريدة قال : أعان جبريل عليه السلام حسان بن ثابت في مدح
النبي ﷺ بسبعين بيتاً .

[مدحه النبي ومدح كعباً وعبد الله بن رواحة]

أخبرنا أحمد قال حدثنا عمر قال حدثنا محمد بن منصور قال حدثنا سعيد بن عامر قال
حدثني جويرية بن أسماء قال : بلغني أن رسول الله ﷺ قال : «أمرت عبد الله بن رواحة فقال
وأحسن ، وأمرت كعب بن مالك فقال وأحسن ، وأمرت حسان بن ثابت فشفى واشتفى» .
[أخبره النبي أن روح القدس يؤيده]

أخبرنا أحمد قال حدثنا عمر قال حدثنا أحمد بن عيسى قال حدثنا ابن وهب قال أخبرنا
عمرو بن الحارث عن سعيد بن أبي هلال عن مروان بن عثمان ويعلى بن شداد بن أوس عن
عائشة قالت : سمعت رسول الله ﷺ يقول لحسان بن ثابت الشاعر : «إن روح القدس لا
يزال يؤيدك ما كافحت عن الله عز وجل وعن رسول الله ﷺ» .
[استنشده النبي وجعل يصني إليه]

أخبرنا أحمد قال حدثنا عمر قال حدثنا هوزة بن خليفة قال حدثنا عوف بن محمد قال :
قال النبي ﷺ ليلة وهو في سفر : «أين حسان بن ثابت» ؟ فقال حسان : لبيك يا رسول الله
وسعديك . قال : «أحد» ، فجعل حسان ينشد ويصغي إليه النبي ﷺ ويستمع ، فما زال
يستمع إليه وهو سائق راحته حتى كان رأس الراحلة يمس الورك حتى فرغ من نشيده . فقال
النبي ﷺ : «لهدأ أشد عليهم من وقع النبل» .
[انتهره عمر لإنشاده في مسجد الرسول]

أخبرنا أحمد قال حدثنا عمر قال حدثنا أبو عاصم النبيل قال أخبرنا ابن جريج قال أخبرنا

1 نثيلة في رواية أخرى : سمية . سمراء : أم أبي سفيان المهجور .

2 الهجين : من كان أبوه عربياً وأمه غير عربية . نيط : ألحق بهم وليس منهم .

زياد بن أبي سهل قال حدثني سعيد بن المسيّب : أن عمر مرّ بحسان بن ثابت وهو يُنشد في مسجد رسول الله ﷺ فانتهره عمر ؛ فقال حسان : قد أنشدتُ فيه من هو خيرٌ منك ؛ فانطلق عمر .

أخبرنا أحمد قال حدثنا أبو داود الطيالسي قال حدثنا إبراهيم بن سعد عن الزُّهري عن سعيد بن المسيّب : أن عمر مرّ على حسان وهو يُنشد في مسجد رسول الله ﷺ ، فذكر مثله وزاد فيه : وعلمتُ أنه يريد النبي ﷺ .

أخبرنا أحمد قال حدثنا عمر قال حدثنا محمد بن حاتم قال حدثنا شجاع بن الوليد عن الإفريقي عن مسلم بن يسار : أن عمر مرّ بحسان وهو يُنشد الشعر في مسجد رسول الله ﷺ ، فأخذ بأذنه وقال : أرغاء كرغاء البعير ! فقال حسان : دعنا عنك يا عمر ، فوالله لتعلم أني كنت أنشد في هذا المسجد من هو خيرٌ منك فلا يُغيّر عليّ ! فصدقه عمر .

[مدح الزبير بن العوام شعره]

حدثنا محمد بن جرير الطبري والحرمي بن أبي العلاء وعبد العزيز بن أحمد عمّ أبي وجماعة غيرهم قالوا حدثنا الزبير بن بكار قال حدثنا أبو غزيرة محمد بن موسى قال حدثني عبد الله بن مصعب عن هشام بن عروة عن فاطمة بنت المنذر عن جدتها أسماء بنت أبي بكر قالت : مرّ الزبير بن العوام بمجلس من أصحاب رسول الله ﷺ ، وحسان بن ثابت يُنشدهم من شعره وهم غيرُ نشاطٍ لما يسمعون منه ، فجلس معهم الزبير فقال : مالي أراكم غير آذنين لما تسمعون من شعر ابن الفريرة ! فلقد كان يعرض لرسول الله ﷺ فيحسن استماعه ويُجزل عليه ثوابه ، ولا يشتغل عنه بشيء . فقال حسان¹ :

أقام على عهد النبي وهدية	حوارُيه والقولُ بالفعل يُعدلُ
أقام على منهاجه وطريقه	يوالي وليّ الحق والحقُ أعدلُ
هو الفارسُ المشهورُ والبطلُ الذي	يصولُ إذا ما كان يومٌ مُحجّلُ
إذا كشفت عن ساقها الحربُ حشها	بأبيض سباقٍ إلى الموتِ يُرقلُ ²
وإن امرءاً كانت صفيّة أمه	ومن أسدٍ في بيتها لمرفلُ ³

1 ديوان حسان : 433 وهي فيه كما وردت في الأغاني ترتيباً وعدد الأبيات .

2 حشها : زاد وقودها .

3 المرفل : المعظم المسود .

له من رسول الله قُرْبَى قَرِيْبَةٌ وَمِنْ نُصْرَةِ الْإِسْلَامِ نَصْرٌ مُؤْتَلٌ¹
فَكَمْ كُرْبِيَّةٌ ذَبَّ الزُّبَيْرُ بِسَيْفِهِ عَنِ الْمِصْطَفَى وَاللَّهُ يُعْطِي فَيُجْزَلُ
فَمَا مِثْلُهُ فِيهِمْ وَلَا كَانَ قَبْلَهُ وَلَيْسَ يَكُونُ الدَّهْرَ مَا دَامَ يَذْبَلُ²
ثَنَائُكَ خَيْرٌ مِنْ فِعَالٍ مَعَاشِرٍ وَفَعْلُكَ يَا ابْنَ الْهَاشِمِيَّةِ أَفْضَلُ

[تقدم هو وكعب وابن رواحة لحماية أعراض المسلمين فاختره النبي دونهما]

أخبرني أحمد بن عيسى العجلي قال حدثنا واصل بن عبد الأعلى قال حدثنا ابن فضيل عن مُجَالِدٍ عَنِ الشَّعْبِيِّ قَالَ : لَمَّا كَانَ عَامُ الْأَحْزَابِ وَرَدَّهُمُ اللَّهُ بِغِيظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : « مَنْ يَحْمِي أَعْرَاضَ الْمُسْلِمِينَ ؟ » فَقَالَ كَعْبٌ : أَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ ، وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ ابْنُ رَوَاحَةَ : أَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ ، وَقَالَ حَسَّانُ بْنُ ثَابِتٍ : أَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ ؛ فَقَالَ : « نَعَمْ أَهْجُهُمْ أَنْتَ فَإِنَّهُ سَيُعِينُكَ عَلَيْهِمْ رُوحُ الْقُدُسِ » .

[سبه قوم في مجلس ابن عباس فدافع عنه]

أخبرني أحمد بن عبد الرحمن قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثنا أبو داود قال حدثنا حُدَيْجُ بْنُ مَعَاوِيَةَ عَنِ أَبِي إِسْحَاقَ عَنِ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ قَالَ : كُنَّا عِنْدَ ابْنِ عَبَّاسٍ فَجَاءَ حَسَّانُ ، فَقَالُوا : قَدْ جَاءَ اللَّعِينُ . فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ : مَا هُوَ بَلَعِينُ ؛ لَقَدْ نَصَرَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بِلِسَانِهِ وَيَدِهِ .

حَدَّثَنِيهِ أَحْمَدُ بْنُ الْجَعْدِ قَالَ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بَكَّارٍ قَالَ حَدَّثَنَا حُدَيْجُ بْنُ مَعَاوِيَةَ قَالَ حَدَّثَنَا أَبُو إِسْحَاقَ عَنِ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ قَالَ : جَاءَ رَجُلٌ إِلَى ابْنِ عَبَّاسٍ فَقَالَ : قَدْ جَاءَ اللَّعِينُ حَسَّانُ مِنَ الشَّامِ . فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ : مَا هُوَ بَلَعِينُ ؛ لَقَدْ جَاهَدَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِلِسَانِهِ وَنَفْسِهِ .

[قدم وفد تميم على النبي مفتخرين فأمره النبي أن يجيب شاعرهم]

أخبرنا أحمد قال حدثنا عمر قال حدثنا عبد الله بن عمر وشُرَيْحُ بْنُ النُّعْمَانَ قَالَا حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبِي الزُّنَادِ عَنِ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ عَنِ أَبِيهِ عَنِ عَائِشَةَ قَالَتْ : لَمَّا قَدِمَ وَفَدَ بَنِي تَمِيمٍ وَضَعَ النَّبِيُّ ﷺ لِحَسَّانٍ مِئْبَرًا وَأَجْلَسَهُ عَلَيْهِ ، وَقَالَ : « إِنَّ اللَّهَ لَكَيْوَيْدٌ حَسَّانُ بَرُوحُ الْقُدُسِ مَا نَافَعٌ³ عَنِ نَبِيِّهِ » ﷺ . هَكَذَا رَوَى أَبُو زَيْدٍ هَذَا الْخَبْرَ مَخْتَصِرًا . وَأَتَيْنَا بِهِ عَلَى تَمَامِهِ هَاهُنَا ؛ لِأَنَّ ذَلِكَ حَسَنٌ فِيهِ : أَخْبَرَنَا بِهِ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ قَالَ حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ زَهْرٍ قَالَ حَدَّثَنَا الزُّبَيْرُ قَالَ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الضَّحَّاكِ عَنِ أَبِيهِ قَالَ : قَدِمَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ وَفَدَّ بَنِي تَمِيمٍ⁴ وَهُمْ سَبْعُونَ أَوْ ثَمَانُونَ رَجُلًا ، فِيهِمْ

1 نصر في ل : مجد .

2 يذبل : جبل في نجد .

3 نافع : هذه رواية ل ، وفي رواية أخرى « كافح » وكتلتها بمعنى .

4 قصة الوفادة وما فيها من خطب وشعر في كتب السيرة . وانظر ديوان حسان : 101-104 .

الأقرع بن حابس ، والزبير بن بدر ، وعطارد بن حاجب ، وقيس بن عاصم ، وعمرو بن الأهتم ، وانطلق معهم عيينة بن حصن ، فقدموا المدينة ، فدخلوا المسجد ، فوقفوا عند الحجرات ، فنادوا بصوت عالٍ جافٍ : اخرج إلينا يا محمد ؛ فقد جئنا لنفأخرك ، وقد جئنا بشاعرنا وخطيبنا . فخرج إليهم رسول الله ﷺ فجلس . فقام الأقرع بن حابس فقال : والله إن مدحي لزيّن ، وإن ذمي لشتين . فقال النبي ﷺ « ذلك الله » . فقالوا : إنا أكرمُ العرب . فقال رسول الله ﷺ : « أكرمُ منكم يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليه السلام » . فقالوا : ائذن لشاعرنا وخطيبنا . فقام رسول الله ﷺ فجلس وجلس معه الناس ، فقام عطارد بن حاجب فقال : الحمد لله الذي له الفضل علينا وهو أهله ، الذي جعلنا ملوكاً وجعلنا أعزَّ أهل المشرق ، وآتانا أموالاً عظيماً نفعل فيها المعروف ، ليس في الناس مثلاً ؛ ألسنا بروؤس الناس وذوي فضلهم ؟ فمن فآخرنا فليعدد مثل ما عددنا ، ولو نشاء لأكثرنا ، ولكننا نستحي من الإكثار فيما حولنا الله وأعطانا . أقول هذا ، فأتوا بقول أفضل من قولنا ، أو أمرأين من أمرنا ، ثم جلس .

فقام ثابت بن قيس بن شماس فقال : الحمد لله الذي السموات والأرض خلقه ، قضى فيهن أمره ووسّع كرسيه علمه ، ولم يقض شيئاً إلا من فضله وقدرته ؛ فكان من قدرته أن اصطفى من خلقه لنا رسولاً أكرمهم حسباً وأصدقهم حديثاً وأحسنهم رأياً ، فأنزل عليه كتاباً ، وأتمنه على خلقه ، وكان خيرة الله من العالمين . ثم دعا رسول الله ﷺ إلى الإيمان ، فأجابه من قومه وذوي رحمة المهاجرون أكرمُ الناس أنساباً ، وأصبحُ الناس وجوهاً ، وأفضلُ الناس فعلاً . ثم كان أول من أتبع رسول الله ﷺ من العرب واستجاب له نحن معشر الأنصار ؛ فتحن أنصار الله ووزراء رسوله ، نقاتل الناس حتى يؤمنوا ويقولوا : لا إله إلا الله . فمن آمن بالله ورسوله منع منا ماله ودمه ، ومن كفر بالله ورسوله جاهدناه في الله ، وكان جهاده علينا يسيراً . أقول قولي هذا ، وأستغفر الله للمؤمنين والمؤمنات .

فقام الزبير بن قيس فقال¹ :

[من البسيط]

نحنُ الملوکُ فلا حیُّ یقارینا	مینا الملوکُ وفینا یؤخذُ الرُبُعُ
تلك المکارمُ حُرناها مُقارعةً	إذا الکرامُ علی أمثالها اقترعوا
کم قد نشدنا من الأحياء کلهم	عند النهابِ وفضلُ العزِّ یبتع ²

1 ورد هذا الشعر في سيرة ابن هشام (2 : 563 وما بعدها) برواية مختلفة في كثير من الأبيات ، وقارن بما جاء في ديوان حسان .

2 نشدنا في ل : قسرنا .

وَنَحَرُّ الْكُومَ عَيْطًا فِي مَنَازِلِنَا
وَنَحْنُ نُطْعِمُ عِنْدَ الْمَحَلِّ مَا أَكَلُوا
وَنَنْصُرُ النَّاسَ تَأْتِينَا سَرَائِهِمْ
فَأَرْسَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى حَسَانَ بْنِ
حَسَانَ :

إِنَّ الذَّوَابَّ مِنْ فَهْرِ وَإِخْوَتِهِمْ
يَرْضَى بِهَا كُلُّ مَنْ كَانَتْ سَرِيرَتُهُ
قَوْمٌ إِذَا حَارَبُوا ضَرُّوا عَدُوَّهُمْ
سَجِيَّةً تِلْكَ مِنْهُمْ غَيْرُ مُحَدَّثَةٍ
لَا يَرْقَعُ النَّاسُ مَا أَوْهَتْ أَكْفُهُمْ
إِنْ كَانَ فِي النَّاسِ سَبَّاقُونَ بَعْدَهُمْ
أَعْفَى ذَكِرَتْ فِي الْوَحْيِ عِفَّتُهُمْ
وَلَا يَضُنُّونَ عَنِ جَارٍ بِفَضْلِهِمْ
يَسْمُونَ لِلْحَرْبِ تَبَدُّوْهُي كَالْحَلَّةِ
لَا يَفْرَحُونَ إِذَا نَالُوا عَدُوَّهُمْ
كَأَنَّهُمْ فِي الْوَعْيِ وَالْمَوْتِ مُكْتَنِعٌ
خُذْ مِنْهُمْ مَا أَتَى عَفْوًا وَإِنْ مَنَعُوا
فَإِنَّ فِي حَرْبِهِمْ ، فَاتْرُكْ عِدَاوَتَهُمْ ،
أَكْرَمَ بِقَوْمِ رَسُولِ اللَّهِ قَائِدُهُمْ
أَهْدَى لَهُمْ مِدْحِي قَلْبٌ يُوَازِرُهُ
فَإِنَّهُمْ أَفْضَلُ الْأَحْيَاءِ كُلِّهِمْ

قَد بَيَّنَّا سُنَّةً لِلنَّاسِ تَتَّبِعُ
تَقْوَى الْإِلَهِ وَبِالْأَمْرِ الَّذِي شَرَعُوا
أَوْ حَافِلُوا النَّفْعَ فِي أَشْيَاعِهِمْ نَفَعُوا
إِنَّ الْخَلَائِقَ فَاعْلَمْ سَرَّهَا الْبِدْعُ
عِنْدَ الدَّفَاعِ وَلَا يُوهُونَ مَا رَقَعُوا
فَكُلُّ سَبْقٍ لِأَدْنَى سَبْقِهِمْ تَبِعُ
لَا يَطْمَعُونَ وَلَا يُزْرِي بِهِمْ طَمَعُ
وَلَا يَمْسُهُمْ مِنْ مَطْمَعٍ طَبَعُ
إِذَا الزَّعَانِفُ مِنْ أَظْفَارِهَا خَشَعُوا
وَإِنْ أُصِيبُوا فَلَا خُورٌ وَلَا جُرْعُ
أَسُودُ بَيْشَةَ فِي أَرْسَاقِهَا فَدَعُ²
فَلَا يَكُنْ هَمُّكَ الْأَمْرَ الَّذِي مَنَعُوا³
سُمًّا يُخَاضُ عَلَيْهِ الصَّابُ وَالسَّلْعُ⁴
إِذَا تَفَرَّقَتِ الْأَهْوَاءُ وَالشَّيْعُ
فِيمَا أَرَادَ لِسَانٌ حَائِكٌ صَنَعُ
إِنْ جَدَّ بِالنَّاسِ جِدُّ الْقَوْلِ أَوْ شَمَعُوا⁵

1 الكوم : جمع كوماً وهي الناقة الضخمة .

2 مكتنع : قريب . أسد بيشة أو أسد حلية . فدع : اعوجاج الرسغ .

3 أتى في ل : أتوا .

4 يخاض : يخلط . الصاب والسَّلْع : نوعان من الشجر مران .

5 شمعوأ : لم يجدوا .

فقام عطارد بن حاجب فقال¹ :

[من الطويل]

أتيناك كيما يعلم الناس فضلنا
إذا اجتمعوا وقت احتضارِ المواسمِ
وأنا فروعُ الناسِ في كلِّ موطنٍ
وأن ليس في أرضِ الحجازِ كدارمِ

فقام حسان بن ثابت فقال² :

[من الطويل]

منعنا رسول الله من غضب له
هل المجد إلا السؤددُ العودُ والندي
على أنفِ راضٍ من معدٍّ وراغمِ
وجاهُ الملوكِ واحتمالُ العظامِ³

قال : فقال الأفرع بن حابس : والله إن هذا الرجل لموتى له ؛ والله لشاعره أشعرُ من

شاعرنا ، ولخطيبه أخطبُ [من خطيبنا] ، ولأصواتهم أرفعُ من أصواتنا ؛ أعطني يا محمد فأعطاه . فقال : زدني فزاده . فقال : اللهم إني سيد العرب . فنزلت فيهم : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ .

[إسلام وفد تميم وإكرام النبي لهم]

ثم إن القوم أسلموا ، وأقاموا عند النبي ﷺ يتعلمون القرآن ، ويتفقهون في الدين . ثم أرادوا الخروج إلى قومهم ، فأعطاهم رسول الله ﷺ وكساهم ، وقال : «أما بقي منكم أحد ؟» ، وكان عمرو بن الأهتم في ركبهم ، فقال قيس بن عاصم ، وهو من رهطه وكان مُشاحناً له .

[مناقضة عمرو بن الأهتم وقيس بن عاصم]

لم يبقَ منا أحدٌ إلا غلامٌ حديث السن في ركبنا ؛ فأعطاه رسول الله ﷺ مثل ما أعطاهم .

فبلغ عمراً ما قال قيس ؛ فقال عمرو بن الأهتم لقيس :

[من البسيط]

ظَلَلْتَ مُفْتَرِشَ الْهَلْبَاءِ تَشْتَمِنِي
عندَ الرسولِ فلم تصدقْ ولم تصبِ⁴
إن تُبْغِضُونَا فَإِنَّ الرُّومَ أَصْلُكُمْ
والرُّومُ لا تملكُ البغضاءَ للعربِ
فإنَّ سؤدَدَنَا عَوْدٌ وَسؤوددكم
مؤخَّرٌ عند أصل العجبِ والذنبِ

فقال له قيس :

[من السريع]

لولا دفاعي كنتمُ أعبدًا
داركم الحيرةُ والسيلحون⁵

1 نسب الشعر في سيرة ابن هشام للزبيرقان .

2 ديوان حسان : 109 .

3 العود : القديم .

4 الهلباء : الاست .

5 السيلحون : موضع بين الكوفة والقادسية .

[شعر حسان الذي يقرر به إيمانه بالرسول]

أخبرنا أحمد بن عبد العزيز وحبيب بن نصر قالاً حدثنا عمر بن شبة قال حدثني عمر بن علي بن مقدم عن يحيى بن سعيد عن أبي حيان التيمي عن حبيب بن أبي ثابت ، قال أبو زيد وحدثنا محمد بن عبد الله بن الزبير قال حدثنا مسعر عن سعد بن إبراهيم ، قالوا : قال حسان بن ثابت للنبي ﷺ¹ :

صوت

شَهِدْتُ بِإِذْنِ اللَّهِ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ الَّذِي فَوْقَ السَّمَاوَاتِ مِنْ عَلٍ¹
وَأَنَّ أَخَا الْأَحْقَافِ إِذْ يَعْدُلُونَهُ يَقُومُ بِدِينِ اللَّهِ فِيهِمْ فَيَعْدِلُ²
وَأَنَّ أَبَا يَحْيَى وَيَحْيَى كِلَاهُمَا لَهُ عَمَلٌ فِي دِينِهِ مُتَقَبَّلٌ³
وَأَنَّ الَّذِي عَادَى الْيَهُودَ ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولٌ أَتَى مِنْ عِنْدِ ذِي الْعَرْشِ مُرْسَلٌ⁴
وَأَنَّ الَّذِي بِالْجِزْعِ مِنْ بَطْنِ نَخْلَةٍ وَمَنْ دُونَهَا فَلٌ مِنَ الْخَيْرِ مَعَزَلٌ⁴

غنى في هذه الأبيات معبد خفيف ثقيل أول بالنصر من رواية يونس وغيره ، فقال النبي ﷺ : «أنا أشهد معك» .

[أنكرت عليه عائشة شعراً له في مدحها]

أخبرنا أحمد قال حدثنا عمر قال حدثنا زهير بن حرب قال حدثني جرير عن الأعمش عن أبي الضحى عن مسروق ، وأخبرني بها أحمد بن عيسى العجلي قال حدثنا سفيان بن وكيع قال حدثنا جرير عن الأعمش عن أبي الضحى عن مسروق قال : دخلت على عائشة وعندها حسان وهو يرثي بنتاً له ، وهو يقول⁵ :

رَزَانٌ حَصَانٌ مَا تُزَنُّ بِرَبِيبَةٍ وَتُصْبِحُ غَرَّتِي مِنْ لُحُومِ الْغَوَافِلِ
فَقَالَتْ عَائِشَةُ : لَكِنْ أَنْتَ لَسْتَ كَذَلِكَ . فَقُلْتَ لَهَا : أَيْدِخِلْ عَلَيْكَ هَذَا وَقَدْ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ ! فَقَالَتْ : أَمَا تَرَاهُ فِي عَذَابِ عَظِيمٍ قَدْ ذَهَبَ بِصُرْهُ !

1 ديوان حسان : 203 .

2 أخو الأحقاف : النبي هود .

3 يحيى النبي وأبوه زكريا .

4 الشطر الأول في الديوان : وأن النبي بالسد من بطن نخلة . الفل : المقفر من الخير .

5 هذا البيت من جملة أبيات يعتذر لعائشة عما نسب إليه من حديث الأفك (انظر ديوانه 1 : 292 و510 برواية السيرة) . وأبياته في رثاء ابنته في ص 234 . ولعل تشابه البيت الثاني منها والبيت الأول من أبيات عائشة كان وراء القصة المنسوبة إلى مسروق .

[أخبر بوقعة صفين قبل وقوعها]

أخبرنا محمد بن خلفٍ وكيع قال حدثنا إسماعيل بن إسحاق القاضي قال حدثنا ابن أبي أُويس قال حدثني أبي ومالك بن الربيع بن مالك حدثاني جميعاً عن الربيع بن مالك بن أبي عامر عن أبيه أنه قال : بينا نحن جلوسٌ عند حسان بن ثابت ، وحسان مضطجعٌ مُسنِدٌ رجليه إلى فارِعٍ¹ قد رفعهما عليه ؛ إذ قال : مه ، أما رأيتم ما مرَّ بكم الساعة ؟ قال مالك : قلنا : لا والله ، وما هو ؟ فقال حسان : فاحتةٌ مرَّت الساعة بيني وبين فارِع فصدمتني ، أو قال : فرحمتني . قال : قلنا : وما هي ؟ قال² :

ستاتيكمُ غدواً أحاديثُ جمَّةٌ فأصغوا لها آذانكم وتسمَّعوا
قال مالك بن أبي عامر : فصبَّحنا من الغد حديث صفيين .

[سمعه المغيرة بن شعبة ينشد شعراً فبعث إليه بمال]

أخبرنا وكيع قال حدثنا الليث بن محمد عن الحنظليّ عن أبي عبدة عن العلاء بن جزء العنبري قال : بينا حسان بن ثابت بالخيف وهو مكفوفٌ ، إذ زفر زفرةً ثم قال³ :

وكانَ حاقِرَها بكلِّ خَميلةٍ صاعٌ يَكيلُ به شحيحٌ مُعَدُّمٌ
عاري الأشاجع من تَقيفِ أصله عبدٌ ويزعمُ أَنَّهُ مِن يَقدُم⁴

قال : والمغيرة بن شعبة جالسٌ قريباً منه يسمع ما يقول ، فبعث إليه بخمسة آلاف درهم . فقال : من بعث بهذا ؟ قال : المغيرة بن شعبة سمع ما قلت . قال : واسوءُ تاه ! وقيلها .

[استجار الحارث بن عوف من شعره بالنبي]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثني الأصمعي قال : جاء الحارث بن عوف بن أبي حارثة إلى النبي ﷺ فقال : أجرتني من شعر حسان ، فلو مُزج البعثرُ بشعره لمزجه . قال : وكان السبب في ذلك ، فيما أخبرني به أحمد بن عبد العزيز عن عمر بن شبة عن الأصمعي ، وأخبرني به الحسن بن عليّ قال حدثنا أحمد بن زهير قال حدثنا الزبير قال حدثني عمي مُصعب : أن الحارث بن عوف أتى رسولَ الله ﷺ فقال : ابعتْ معي من يدعو إلى دينك وأنا له جار . فأرسل معه رجلاً من الأنصار . فعدرتُ بالحارث عشيرته فقتلوا الأنصاري ، فقدم الحارث على رسول الله ﷺ ، وكان عليه الصلاة والسلام لا يؤتُّب أحداً

1 فارِع : أطم بالمدينة ، كان لحسان .

2 ديوان حسان : 492 .

3 ديوان حسان : 438 .

4 يقدم : أبو قبيلة وعلى هذا جاز رفعه .

في وجهه ، فقال : «ادْعُوا لي حَسَّان» ؛ فدُعِيَ له . فلَمَّا رأى الحارث أنشدته¹ : [من الكامل]

يا حارٍ مَنْ يَغْدُرُ بِدِمَّةِ جَارِهِ مِنْكُمْ فَإِنَّ مُحَمَّدًا لَمْ يَغْدُرِ
إِنْ تَغْدُرُوا فَالغَدْرُ مِنْكُمْ شِيمَةٌ والغَدْرُ يَنْبُتُ فِي أَصُولِ السَّخْبِرِ²

فقال الحارث : اكْفُفْهُ عَنِّي يا محمد ، وأُوَدِّي إليك دِيَةَ الخُفَّارَةِ ؛ فأدَّى إلى النبي ﷺ سبعين عُشْرَاءَ ، وكذلك دِيَةَ الخُفَّارَةِ ، وقال : يا محمد ، أنا عائدٌ بك من شَرِّهِ ، فلو مُزج البحر بشعره مزجه .

[بلغ النبي شعره قاله فضربه ابن المعطل]

أخبرنا أحمد بن عبد العزيز قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثني إبراهيم بن المنذر قال حدثنا عبد الله بن وهب قال أخبرنا العطاء بن خالد قال : كان حسان بن ثابت يجلس إلى أطمه فارِعٍ ، ويجلس معه أصحابٌ له ويضع لهم بساطاً يجلسون عليه ؛ فقال يوماً ، وهو يرى كثرة مَنْ يأتي إلى النبي ﷺ من العرب فيُسَلِّمون : [من البسيط]

أرى الجلابيبَ قد عَزَّوا وقد كَثُرُوا وابنُ الفُرَيْعَةِ امسى يَبِضَّةَ البَلَدِ³

فبلغ ذلك رسولَ الله ﷺ ، فقال : «مَنْ لي بأصحابِ البِساطِ بفارِعٍ ؟» . فقال صفوان بن المعطل : أنا لك يا رسول الله منهم ؛ فخرج إليهم فاخترط سيفه ، فلَمَّا رآوه عرفوا الشرَّ في وجهه ففروا وتبددوا ، وأدرك حَسَّانُ داخلاً بيته ، فضربه وقلق أليته . قال : فبلغنا أن النبي ﷺ عَوَّضَهُ وأعطاه حائطاً⁴ ، فباعه من معاوية بعد ذلك بمال كثير ، فبناه معاوية قصرًا ، وهو الذي يقال له : «قصر الدارين» . وقد قيل : إن صفوان بن المعطل إنما ضرب حَسَّانَ لِمَا قاله فيه وفي عائشة زوج النبي ﷺ من الإفك ؛ لأن صفوان هو الذي رمى أهل الإفك عائشة به .

وأخبرنا محمد بن جرير قال حدثنا محمد بن حُمَيْدٌ قال حدثنا سَلْمَةُ عن محمد بن إسحاق عن يعقوب بن عتبة قال : اعترض صفوان بن المعطل حَسَّانَ بن ثابت بالسيف لِمَا قَدَفَهُ⁵ به من الإفك حين بلغه ما قاله . وقد كان حَسَّانُ قال شعراً يعرضُ بابن المعطل وبمن أسلم من العرب من مُضَرِّ فقال⁶ : [من البسيط]

1 ديوان حسان : 137 .

2 السخبر : نوع من الشجر .

3 الجلابيب : لقب كان المنافقون يبنون به المهاجرين .

4 الحائط : البستان .

5 ل : قرفه .

6 ديوان حسان : 284 . وانظر الخبر والشعر في سيرة ابن هشام : 304 فما هنا متابع للسيرة .

أَمَسَى الْجَلَابِيبُ قَد عَزَوْا وَقَد كَثُرُوا وَابْنُ الْفُرَيْعَةِ أَمَسَى بِيضَةَ الْبَدَدِ
 قَد تَكَلَّتْ أُمُّهُ مَن كُنْتُ صَاحِبَهُ أَوْ كَانَ مُنْتَشِبًا فِي بُرْنِ الْأَسَدِ
 مَا لِلْقَتِيلِ الَّذِي أَعَدُّو فَآخِذُهُ مِنْ دِيَةِ فِيهِ أُعْطِيهَا وَلَا قَوْدِ
 مَا الْبَحْرُ حِينَ تَهَبُ الرِّيحُ شَامِيَةً فَيَعْطَلُّ وَيَرْمِي الْعَبْرَ بِالزَّبْدِ
 يَوْمًا بِأَغْلَبَ مَنِّي حِينَ تُبْصِرُنِي بِالسَّيْفِ أَفْرِي كَفْرِي الْعَارِضِ الْبَرْدِ

فاعترضه صفوان بن المعطل بالسيف فضربه وقال : [من الطويل]

تَلَقَّ ذُبَابَ السَّيْفِ عَنِّي فَإِنِّي غَلَامٌ إِذَا هُوَ جِيتُ لَسْتُ بِشَاعِرِ

[قبض ثابت بن قيس على ابن المعطل ثم انتهى الأمر إلى النبي فاسترضاه]

وحدثنا محمد بن جرير قال حدثنا ابن حميد قال حدثنا سلمة عن محمد بن إسحاق عن محمد بن إبراهيم بن الحارث التيمي : أن ثابت بن قيس بن الشماس أخا بلحارث بن الخزرج وثب على صفوان بن المعطل في ضربه حسان فجمع يديه على عنقه ، فانطلق به إلى دار بني الحارث بن الخزرج ، فلقيه عبد الله بن رواحة فقال : ما هذا ؟ فقال : ألا أعجبك ؛ ضرب حسان بالسيف ، والله ما أراه إلا قد قتله . فقال له عبد الله بن رواحة : هل علم رسول الله ﷺ بشيء من هذا ؟ قال : لا والله . لقد اجترأت ! أطلق الرجل ، فأطلقه . ثم أتوا رسول الله ﷺ فذكر ذلك له ، فدعا حسان وصفوان بن المعطل ؛ فقال ابن المعطل : يا رسول الله ، آذاني وهجاني فضربته . فقال رسول الله ﷺ لحسان : «يا حسان أتعيب على قومي أن هداهم الله عز وجل للإسلام !» ، ثم قال : «أحسن يا حسان في الذي أصابك» . قال : هي لك يا رسول الله . [برواية أخرى حول الموضوع نفسه]

أخبرنا أحمد بن عبد العزيز قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثني المدائني قال حدثنا إسماعيل بن إبراهيم قال حدثنا محمد بن إسحاق عن أبيه إسحاق بن يسار عن بعض رجال بني النجار بمثل ذلك ، وزاد في الشعر الذي قاله حسان زيادة ، ووافقه عليها مصعب الزبيري ، فيما أخبرنا به الحسن بن علي ، قال قال حدثنا أحمد بن زهير قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني عمي مصعب وخالف في القصة ، فذكر أن فتية من المهاجرين والأنصار تنازعوا على الماء وهم يسقون خيولهم ، فغضب من ذلك حسان فقال هذا الشعر .

وذكر الزهري ، فيما أخبرنا أحمد بن يحيى بن الجعد ، قال حدثنا محمد بن إسحاق المسيبي قال حدثنا محمد بن فليح عن موسى بن عقبة عن ابن شهاب الزهري أن هذا الخبر كان بعد غزوة النبي ﷺ بني المصطلق . قال : وكان في أصحاب رسول الله ﷺ رجل يقال له : سنان ، ورجل من بني غفار يقال له : جهجاه ؛ فخرج جهجاه بفرس لرسول

الله ﷺ وفرس له يومئذ يسقيهما ، فأوردهما الماء ، فوجد على الماء فتيّة من الأنصار ، فتنازعوا فاقتلوا ؛ فقال عبد الله بن أبي بن سلؤل يومئذ : هذا ما جزونا به ، آويناهم ثم هم يقاتلوننا ؛ وبلغ حسّان بن ثابت الذي بين جهجاه وبين الفتيّة الأنصار ، فقال وهو يريد المهاجرين من القبائل الذين قدّموا على رسول الله ﷺ في الإسلام ، وهذا الشعر من رواية مُصعب دون الزُّهريّ :

أَمَسَى الْجَلَابِبُ قَدْ عَزَّوْا وَقَدْ كَثُرُوا
يَمْشُونَ بِالْقَوْلِ سِرًّا فِي مُهَادَنَةٍ
قَدْ تَكَلَّتْ أُمُّهُ مِنْ كُنْتُ صَاحِبَهُ
مَا لِلْقَتِيلِ الَّذِي أَسْمَوْا فَأَقْتَلُهُ
مَا الْبَحْرُ حِينَ تَهَبُّ الرِّيحُ شَامِيَةً
يَوْمًا بِأَغْلَبَ مِنِّي حِينَ تُبْصِرُنِي
أَمَّا قَرِيشٌ فَإِنِّي لَسْتُ تَارِكَهُمْ
وَيَتْرَكُوا اللَّاتَ وَالْعَزَى بِمَعْرَلَةٍ
وَيَشْهَدُوا أَنَّ مَا قَالَ الرَّسُولُ لَهُمْ
أَبْلَغُ بَنِي بَأْنِي قَدْ تَرَكْتُ لَهُمْ
الدَّارُ وَاسْطَةَ وَالنَّخْلُ شَارِعَةٌ
وَابْنُ الْفُرَيْعَةِ أَمَسَى بِيضَةَ الْبَلَدِ
تَهْدُدًا لِي كَأَنِّي لَسْتُ مِنْ أَحَدٍ
أَوْ كَانَ مُنْتَشِيًّا فِي بُرْتَنِ الْأَسَدِ
مِنْ دِيَةِ فِيهِ أُعْطِيهَا وَلَا قَوْدٍ
فَيَعْطَلُ وَيَرْمِي الْعَيْرَ بِالزُّبْدِ
أَفْرِي مِنَ الْغَيْظِ فَرِي الْعَارِضِ الْبَرْدِ
حَتَّى يُنْيَبُوا مِنَ الْغِيَاتِ بِالرُّشْدِ
وَيَسْجُدُوا كُلَّهُمْ لِلوَاحِدِ الصَّمَدِ
حَقٌّ وَيُوفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ فِي سَدَدِ
مِنْ خَيْرٍ مَا تَرَكَ الْآبَاءَ لِلْوَلَدِ
وَالْبِيضُ يَرْفُلْنَ فِي الْقَسِيِّ كَالْبَرْدِ

قال : فقال رسول الله ﷺ : « يا حسّان نفست عليّ إسلام قومي » وأغضبه كلامه . فغدا صفوان بن المعطل السُّلَميّ على حسّان فضربه بالسيف . وقال صفوان :

تَلَقَّ ذُبَابَ السَّيْفِ عَنِّي فَإِنِّي
غَلَامٌ إِذَا هُوَ جِيتُ لَسْتُ بِشَاعِرٍ

فوثب قومه على صفوان فحبسوه ، ثم جاؤوا سعد بن عبادة بن دُكَيْم بن حارثة بن أبي حزيمة بن ثعلبة بن طريف بن الخزرج بن ساعدة بن كعب بن الخزرج بن حارثة بن ثعلبة بن عمرو بن عامر ، وهو مُقبِلٌ على ناضحه بين القريتين ، فذكروا له ما فعل حسّان وما فعلوا ؛ فقال : أشاورتُم في ذلك رسولَ الله ﷺ ؟ قالوا لا . فقعد إلى الأرض وقال : وانقطع ظهراه ! أتأخذون بأيديكم ورسولَ الله ﷺ بين ظهرائكم ؟ ودعا بصفوان فأتي به ، فكساه وخلاه . فجاء إلى النبيّ ﷺ ؛ فقال له رسول الله ﷺ : « مَنْ كَسَاكَ كَسَاهُ اللَّهُ » . وقال حسّان لأصحابه : احمِلوني إلى رسول الله ﷺ أترضاه ففعلوا ؛ فأعرض عنه رسول الله ﷺ ، فردّوه . ثم سألهم فحملوه إليه الثانية ؛ فأعرض عنه رسول الله ﷺ ، فانصرفوا به . ثم قال

لهم : عودوا بي إلى رسول الله ﷺ ؛ فقالوا له : قد جئنا بك مرتين كل ذلك يُعرض فلا نبرمه بك . فقال : اجهلوني إليه هذه المرة وحدها ، ففعلوا . فقال : يا رسول الله ، بأبي أنت وأمي ! احفظ قولي :

هجوتَ محمداً فأجبتُ عنه وعندَ الله في ذاك الجزاء
فإنَّ أبي ووالدهَ وعِرْضِي لِعِرضِ محمدي منكم وِقَاءُ

فرضي عنه رسول الله ﷺ ووهب له سيرين أخت مارية أم ولد رسول الله ﷺ إبراهيم . هذه رواية مُصعب . وأما الزهري فإنه ذكر أن رسول الله ﷺ لما بلغه ضربُ السُّلَمِيِّ حَسَّان قال لهم : «خذوه فإن هلك حسان فاقتلوه» . فأخذوه فأسروه وأوثقوه ، فبلغ ذلك سعد بن عبادة ، فخرج في قومه إليهم فقال : أرسلوا الرجل ، فأبوا عليه ؛ فقال : أعمدتم إلى قوم رسول الله ﷺ تؤذونهم وتشتُمونهم وقد زعمتم أنكم نصرتموهم ؟ أرسلوا الرجل ؛ فأبوا عليه حتى كاد يكون قتالاً ، ثم أرسلوه . فخرج به سعد إلى أهله فكساه حُلَّةً ، ثم أرسله سعد إلى أهله . فبلغنا أن النبي ﷺ دخل المسجد ليُصَلِّي فيه فرآه ، فقال : «مَنْ كَسَاكَ كَسَاهُ اللهُ مِنْ ثِيَابِ الْجَنَّةِ» . فقال : كساني سعد بن عبادة . وذكر باقي الخبر نحوه .

وحدَّثني محمد بن جرير الطبري قال حدَّثني ابن حُمَيْد قال حدَّثنا سلمة عن ابن إسحاق عن محمد بن إبراهيم بن الحارث : أن رسول الله ﷺ أعطاه عَوْضاً منها بيرحاء¹ ، وهي قصر بني جَدْيَلَةَ اليوم بالمدينة ، كانت مالاً لأبي طلحة بن سهل تصدَّق بها إلى رسول الله ﷺ ، فأعطاه حَسَّان في ضربته ، وأعطاه سيرين (أُمَّة قِبْطِيَّة) فولدت له عبد الرحمن بن حَسَّان . قال : وكانت عائشة تقول : لقد سئل عن صفوان بن المَعْطَل ، فإذا هو حَصُورٌ² (لا يأتي النساء) ؛ قُتِل بعد ذلك شهيداً .

[شعره في مدح عائشة والاعتذار عما رماها به]

قال ابن إسحاق في روايته عن يعقوب بن عتبة : فقال حَسَّان يعتذر من الذي قال في عائشة :

حَصَّانُ رَزَانُ مَا تُزَنُّ بِرَيْبَةِ وَتُصْبِحُ غَرَّتِي مِنْ لُحُومِ الْغَوَافِلِ
فَإِنْ كُنْتُ قَدْ قَلْتُ الَّذِي قَدْ زَعَمْتُمْ فَلَا رَفَعْتُ سَوْطِي إِلَيَّ أَنَا مِلي
وَكَيْفَ وَوُدِّي مِنْ قَدِيمٍ وَنُصْرَتِي لَأَلِ رَسُولِ اللهِ زَيْنَ الْمَحَافِلِ

1 بيرحاء : موضع بالمدينة .

2 ل : فوجدوه حصوراً ما يأتي النساء .

فإن الذي قد قيلَ ليس بلائطٍ ولكنه قولُ امرئِ بيِّ ماجلٍ¹

[هجاه رجل بما فعل به ابن المعطل]

قال الزبير وحدثني محمد بن الضحّاك : أن رجلاً هجا حسّان بن ثابت بما فعل به ابن المعطل فقال :

وإن ابنَ المعطلِّ من سُلَيْمٍ أَذَلَّ قِيَادَ رَأْسِكَ بِالْخِطَامِ

[سبه أناس فدافعت عنه عائشة]

أخبرنا أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال حدّثنا عمر بن شبّة قال أخبرنا أبو عاصمٍ قال أخبرنا ابن جرّيج قال أخبرني محمد بن السائب عن أمّه : أنّها طافت مع عائشة ومعها أمّ حكيم وعاتكة : (امرأتان من بني مخروم) . قالت : فابتدرنا حسّان نشتّمه وهو يطوف ؛ فقالت : أبنَ الفرّعة تسبّبِن ؟ قلن : قد قال فيك فبرك الله . قالت : فأين قوله : [من الوافر]

هجوتَ محمداً فأجبتُ عنه وعندَ الله في ذلكَ الجزاءِ

فإنَّ أبي ووالدهَ وعرضي لعرضِ محمدٍ منكم وِقَاءِ

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا أحمد بن زهير قال حدّثني إبراهيم بن المنذر عن سفيان بن عيينة عن محمد بن السائب بن بركة عن أمّه بنحو ذلك ، وزاد فيه : إني لأرجو أن يدخله الله الجنّة بقوله .

أخبرني الحسن قال حدّثنا الزبير عن عبد العزيز بن عمران عن سفيان بن عيينة وسلم بن خالد عن يوسف بن ماهك عن أمّه قالت : كنتُ أطوف مع عائشة بالبيت ، فذكرتُ حسّانَ فسبّيته ؛ فقالت : بئس ما قلت ! أتسبّيه وهو الذي يقول : [من الوافر]

فإنَّ أبي ووالدهَ وعرضي لعرضِ محمدٍ منكم وِقَاءِ

فقلت : أليس مَن لعن الله في الدنيا والآخرة بما قال فيك ؟ قالت : لم يقلُ شيئاً ، ولكنه

الذي يقول :

حَصَانٌ رَزَانٌ مَا تُزَنُّ بِرِيْبَةٍ وَتُصْبِحُ غَرَّتِي مِنْ لُحُومِ الْغَوَافِلِ

فإنَّ كان ما قد جاء عني قلته فلا رفعتُ سوطي إليّ أناملي

أخبرني الحسن قال حدّثنا الزبير قال حدّثني مصعب عمّي قال حدّثني بعض أصحابنا عن هشام بن عروة عن أبيه قال : كنتُ قاعداً عند عائشة ، فمرُّ بجنّازة حسّان بن ثابتٍ فبنتُ منه ؛

1 محل به : كاده بسعاية . ورواية الديوان : «بك الدهر بل سعي امرئ بك ماجل» .

فقلت : مهلاً ؛ فقلت : أليس الذي يقول ؟ قالت : فكيف بقوله : [من الوافر]
 فإنّ أبي ووالده وعرضي لعرض محمدٍ منكم وقاء
 [افتخاره بلسانه]

أخبرني الحسن قال حدثنا أحمد قال حدثني أحمد بن سلمان عن سليمان بن حرب قال
 حدثنا حماد بن زيد عن أيوب عن محمد بن سيرين : أنّ حسان أخذ يوماً بطرف لسانه وقال :
 يا رسول الله ، ما يسرُّني أنّ لي به مقولاً بين صنعاء وبُصرى ، ثم قال : [من الوافر]
 لِسَانِي مِقْوَلٌ لَا عَيْبَ فِيهِ وَيَحْرِي مَا تُكَدِّرُهُ الدَّلَاءُ
 [جنبه عن مناصرة صفية بنت عبد المطلب يوم الخندق]

أخبرنا محمد بن جرير قال حدثنا محمد بن حميد قال حدثنا سلمة قال حدثني محمد بن
 إسحاق عن يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير عن أبيه قال : كانت صفية بنت عبد المطلب في
 فارع (حصن حسان بن ثابت) ، يعني يوم الخندق . قالت : وكان حسان معنا فيه والنساء
 والصبيان . قالت : فمرّ بنا رجلٌ من يهود فجعل يُطيف بالحصن ، وقد حاربت بنو قريظة
 وقطعت ما بينها وبين رسول الله ﷺ ، ليس بيننا وبينهم أحدٌ يدفع عنّا ، ورسول الله والمسلمون
 في نُحور عدوهم لا يستطيعون أن ينصرفوا إلينا عنهم ، إذ أتانا آتٍ . قالت : فقلت : يا حسان ،
 إن هذا اليهودي كما ترى يُطيفُ بالحصن ، وإني والله ما آمنه أن يدلّ على عوراتنا من وراءنا من
 يهود ، وقد شغل عنّا رسول الله ﷺ وأصحابه ، فانزل إليه فاقئلته ؛ فقال : يغفر الله لك يا ابنة
 عبد المطلب ؛ لقد عرفت ما أنا بصاحب هذا . قالت : فلما قال ذلك ولم أر عنده شيئاً
 احتجرت¹ ثم أخذت عموداً ثم نزلتُ إليه من الحصن فضربته بالعمود حتى قتلته ، فلما فرغت
 منه رجعت إلى الحصن ، فقلت : يا حسان ، انزل إليه فاسلبه ؛ فإنه لم يمنعني من سلبه إلا أنه
 رجلٌ . قال : مالي بسلبه من حاجة يا بنت عبد المطلب .
 [حديث ابن الزبير عن يوم الخندق وجين حسان]

وأخبرني الحسن بن عليّ قال حدثنا أحمد بن زهير قال حدثنا الزبير قال حدثنا عليّ بن
 صالح عن جدّي عبد الله بن مصعب عن أبيه قال : كان ابن الزبير يحدث أنّه كان في فارع
 (أطم حسان بن ثابت) مع النساء يوم الخندق ومعهم عمر بن أبي سلمة . قال ابن الزبير :
 ومعنا حسان بن ثابت ضارباً وتبدأ في آخر الأطم ، فإذا حمل أصحاب رسول الله ﷺ على
 المشركين حمل على الوتد فضربه بالسيف ؛ وإذا أقبل المشركون انحاز عن الوتد حتى كأنّه

1 ل : اعتجرت . واحتجز بردائه : إذا شدّه على وسطه .

يُقَاتِلُ قِرْنًا ، يَتَشَبَّهُ بِهِمْ كَأَنَّهُ يُرِي أَنَّهُ مُجَاهِدٌ حِينَ جَبْنٍ . وَإِنِّي لِأُظْلِمُ ابْنَ أَبِي سَلْمَةَ وَهُوَ أَكْبَرُ مِنِّي بَسْتَيْنِ فَأَقُولُ لَهُ : تَحْمِلُنِي عَلَى عُنُقِكَ حَتَّى أَنْظُرَ ، فَإِنِّي أَحْمِلُكَ إِذَا نَزَلْتُ . قَالَ : فَإِذَا حَمَلَنِي ثُمَّ سَأَلَنِي أَنْ يَرْكَبَ قَلْتُ لَهُ : هَذِهِ الْمَرَّةَ أَيْضًا . قَالَ : وَإِنِّي لِأَنْظُرَ إِلَى أَبِي مُعَلِّمًا بَصْفَرَةٍ ، فَأَخْبَرْتُهَا أَبِي بَعْدَ ؛ فَقَالَ : أَيْنَ كُنْتَ حِينَئِذٍ ؟ فَقُلْتُ : عَلَى عُنُقِ ابْنِ أَبِي سَلْمَةَ يَحْمِلُنِي . فَقَالَ : أُمَّا وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ حِينَئِذٍ لَيَجْمَعُ لِي أَبَوَيْهِ .

قال ابن الزبير : وجاء يهودي يرتقي إلى الحصن ، فقالت صفيّة له : أعطني السيف ، فأعطها . فلما ارتقى اليهودي ضربته حتى قتله ، ثم احتزّت رأسه فأعطته حسّان وقالت : طوّح به ؛ فإن الرجل أقوى وأشدّ رميةً من المرأة . تريد أن تُرعب به أصحابه .
[كان حسّان مقطوع الأكل]

قال الزبير : وحدثني عمي مصعب عن الواقدي قال : كان أكحل حسّان قد قطع فلم يكن يضرب بيده .
[أنشد النبي شعراً في شجاعته فضحك]

قال الزبير وحدثني علي بن صالح عن جدي أنه سمع أن حسّان بن ثابت أنشد رسول الله ﷺ :
[من البسيط]

لقد غدوتُ أمامَ القومِ مُنتَطِقاً بصارمٍ مثلَ لَوْنِ المِلْحِ قَطَّاعِ
يَحْفِزُ عَنِّي نِجَادَ السِّيفِ سَابِغَةً فَضْفَاضَةً مِثْلَ لَوْنِ النَّهْيِ بِالْقَاعِ²

قال : فضحك رسول الله ﷺ ؛ فظنّ حسّان أنه ضحك من صفته نفسه مع جبته .

[قال النابغة حسان شاعر والخنساء بكاءة]

قال الزبير وحدثني محمد بن الحسن قال : قال حسّان بن ثابت : جئتُ نابعة بني ذبيان ، فوجدت الخنساء بنت عمرو حين قامت من عنده ، فأنشدته ؛ فقال : إنك لشاعرٌ ، وإن أُخْتَ بَنِي سُلَيْمٍ لَبَكَّاءَةٌ .

[سمعه الخطيئة ينشد فسأله رأيه فأجابته الخطيئة بما لم يرضه]

قال الزبير وحدثني يحيى بن محمد بن طلحة بن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق قال أخبرني غير واحدٍ من مشايخي : أنّ الحُطَيْيئةَ وقف على حسّان بن ثابت وحسّان يُنشد من شعره ؛ فقال له حسّان وهو لا يعرفه : كيف تسمع هذا الشعر يا أعرابي ؟ قال الحُطَيْيئة : لا أرى به بأساً . فغضب حسان وقال : اسمعوا إلى كلام هذا الأعرابي ! ما كُنيتُك ؟ قال : أبو

1 ديوان حسان : 300 .

2 الشطر الثاني في رواية الديوان «تغشى الأنامل مثل النهي بالقاع» .

مُليكة . قال : ما كنت قطُّ أهونَ عليّ منك حين كُنيتَ بامرأةٍ ، فما اسمك ؟ قال : الحُطيئة فقال حسان : امضِ بِسلام .

[اتهمه أعشى بكر بالخل فاشتري كلّ الخمر وأراقها]

أخبرني محمد بن العباس اليزيديّ قال حدّثني محمد بن الحسن بن مسعود الزُّرقيّ قال حدّثنا عبد الله بن شبيب قال حدّثني الزُّبير ، وأخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا أحمد بن زهير قال حدّثني الزُّبير قال حدّثني بعض القرشيين قال : دخل حسان بن ثابت في الجاهلية بيت خَمَّارٍ بالشَّام ومعه أعشى بكر بن وائل ، فاشتريا خمرًا وشربا ، فنام حسان ثم اتبته ، فسمع الأعشى يقول للخمّار : كره الشيخ الغرم . فتركه حسان حتى نام ، ثم اشترى خمر الخمّار كلّها . ثم سكبها في البيت حتى سالت تحت الأعشى ؛ فعلم أنّه سمع كلامه فاعتذر إليه ؛ فقال حسان¹ :

[من الطويل]

وَلَسْنَا بِشَرْبِ فَوْفَهُمْ ظِلُّ بُرْدَةٍ	يُعِدُّونَ لِلخَمَّارِ تَيْسًا وَمِفْصَدًا
وَلَكِنَّا شَرِبُ كِرَامٍ إِذَا انْتَشَوْا	أَهَانُوا الصَّرِيحَ وَالسَّدِيفَ الْمُسْرَهْدًا ²
كَأَنَّهُمْ مَاتُوا زَمَانَ حَلِيمَةٍ	فَإِنْ تَأْتَيْهِمْ تَحْمَدُ نِدَامَتَهُمْ عَدَا ³
وَإِنْ جِئْتَهُمْ أَلْفَيْتَ حَوْلَ بُيُوتِهِمْ	مِنَ الْمِسْكَ وَالْجَادِي فَتَيْتًا مُبَدَّدًا
تَرَى حَوْلَ أَثْنَاءِ الزَّرَابِيِّ سَاقِطًا	نِعَالًا وَقَسُوبًا وَرِيطًا مُنْضَدًّا ⁴
وَذَا نُمْرُقٍ يَسْعَى وَمُلْصِقٍ خَدَّهُ	بِدِيَابِجَةٍ تَكْفَأُهَا قَد تَقَدَّدًا

[تعبيره الحارث بن هشام بفراره]

وهذه القصيدة يقولها حسان بن ثابت في وقعة بدرٍ يفخر بها ويُعير الحارث بن هشام بفراره عن أخيه أبي جهل بن هشام . وفيها يقول⁵ :

[من الكامل]

صوت

إِنْ كُنْتَ كَاذِبَةً الَّذِي حَدَّثَنِي
فَنَجَوْتِ مَنْجَى الْحَارِثِ بْنِ هِشَامٍ
وَنَجَا بِرَأْسِ طِمْرَةٍ وَلِجَامٍ
تَرَكَ الْأَجْبَةَ أَنْ يُقَاتِلَ دُونَهُمْ

1 ديوان حسان : 312 .

2 الصريح : الذي ذهب رغوته . السديف المرهد : لحم أو شحم السنام السمين .

3 يشير إلى يوم حليلة بين المنذر الأكبر والحارث الأكبر وبه يضرب المثل «ما يوم حليلة بسر» .

4 الزرابي : الطنافس . القسوب : الخف . الريط : جمع ربطة وهي الملاة .

5 من قصيدة من 28 بيتاً . انظر ديوانه : 29 .

غناه يحيى المكيّ خفيفَ ثَقِيلٍ أَوَّلَ بالوسطى . ولَعَزَّةَ المِلاءِ فيه خفيف رمل بالنصر . وفيه خفيف ثَقِيلٍ بالنصر لموسى بن خارجة الكوفيّ ، فأجاب الحارث بن هشام ، وهو مشرك يومئذٍ ، فقال¹ :

صوت

اللهُ يَعْلَمُ ما تَرَكْتُ قِتالَهُمْ حَتَّى رَمَوْا فَرَسِي بِأَشَقَرٍ مُزِيدِ
وَعَلِمْتُ أَنِّي إِنْ أَقَاتِلُ واحِداً أَقْتَلُ ولا يَضُرُّرُ عَدُوِّي مَشْهَدِي
فَفَرَرْتُ مِنْهُمْ والأَجِبَةُ فِيهِمْ طَمَعاً لَهُم بِعِقابِ يَوْمِ مُرْصَدِ
غَنَى فِيهِ إِبْراهِيمُ الموصليّ خفيفِ ثَقِيلٍ أَوَّلَ بالنصر ، وقيل : بل هو لَفْلِج .

[تمثل رتبيل بشعر حسان]

أخبرنا محمد بن خَلْفِ وكَيْعُ قال حَدَّثَنِي سَليمانُ بنُ أَيُّوبَ قال حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بنُ سَلامٍ عن يونس قال : لَمَّا صار ابنُ الأَشعثِ إلى رُتَبيل ، تَمَثَّلَ رَتَبيلُ بقولِ حَسانَ بنِ ثابتٍ في الحارثِ بنِ هشامِ :

تَرَكَ الأَجِبَةَ أَنْ يُقَاتِلَ دُونَهُمْ وَنَجَا بِرَأْسِ طِمِرَّةٍ وَلِجَامِ
فَقَالَ لَهُ ابنُ الأَشعثِ : أَوْ ما سَمِعْتَ ما رَدَّ عَلَيْهِ الحارثُ بنُ هشامِ ؟ قال : وما هو ؟
فَقَالَ قال :

اللهُ يَعْلَمُ ما تَرَكْتُ قِتالَهُمْ حَتَّى رَمَوْا فَرَسِي بِأَشَقَرٍ مُزِيدِ
وَعَلِمْتُ أَنِّي إِنْ أَقَاتِلُ واحِداً أَقْتَلُ ولا يَضُرُّرُ عَدُوِّي مَشْهَدِي
فَفُصِدَتْ عَنْهُمْ والأَجِبَةُ فِيهِمْ طَمَعاً لَهُم بِعِقابِ يَوْمِ مُرْصَدِ
فَقَالَ رُتَبيلُ : يا مَعْشَرَ العَرَبِ ، حَسَنْتُمْ كُلَّ شَيْءٍ حَتَّى حَسَنْتُمُ الفِرارَ .

[47] - ذكر الخبر عن غزاة بدر¹

[أخبار غزاة بدر]

حدَّثني بخبرها محمد بن جرير الطبري في المغازي قال حدَّثنا محمد بن حُميد قال حدَّثنا سلمة قال حدَّثني محمد بن إسحاق² قال حدَّثني محمد بن مُسلم الزهري وعاصم بن عُمر بن قتادة وعبد الله بن أبي بكر ويزيد بن رومان عن عروة بن الزبير وغيرهم من علمائنا عن عبد الله بن عباس ، كلُّ قد حدَّثني بعض هذا الحديث ، فاجتمع حديثهم فيما سمعت من حديث بدر ، قالوا :

[ندب النبي المسلمين للعر واستنفر أبي سفيان لقريش]

لما سمع رسول الله ﷺ بأبي سفيان مُقبلاً من الشام ندب المسلمين إليهم ، وقال : « هذه عيرُ قریش فيها أموالهم فاخرجوا إليها ؛ ففعل الله أن يُنفلكموها » . فانتدب الناس ، فحفّ بعضهم وثقل بعضهم ؛ وذلك أنّهم لم يظنوا أنّ رسول الله ﷺ يلقى حرباً . وكان أبو سفيان حين دنا من الحجاز وجعل يتحسّس الأخبار ، ويسأل من لقي من الرُكبان ، تخوّفاً على أموال³ الناس ، حتى أصاب خبيراً من بعض الرُكبان أنّ محمداً استنفر أصحابه لك ولعيرك ، فجدّ⁴ عند ذلك فاستأجر ضمّضم بن عمرو الغفاري فبعثه إلى مكة وأمره أن يأتي قریشاً يستنفرهم إلى أموالهم ويُخبرهم أنّ محمداً قد عرض لها في أصحابه ؛ فخرج ضمّضم بن عمرو سريعاً إلى مكة .

[رؤيا عاتكة بنت عبد المطلب]

قال ابن إسحاق⁵ : وحدَّثني من لا أتتهم عن عكرمة مولى ابن عباس ويزيد بن رومان عن عروة بن الزبير قال : وقد رأت عاتكة بنت عبد المطلب قبل قدوم ضمّضم [مكة] بثلاث [ليال] رؤيا أفزعتها ، فبعثت إلى أخيها العباس بن عبد المطلب ، فقالت : يا أخي ، والله لقد رأيت الليلة رؤيا أفظعتني وتخوّفتُ أن يدخل على قومك [منها] شرٌّ أو مصيبة ، فاكم عني

1 سيرة ابن هشام 1 : 606 وتاريخ الطبري 2 : 421 ومغازي الواقدي 1 : 19 .

2 هو نصّاً عن ابن هشام 1 : 606-607 .

3 السيرة (س) : على أمر .

4 السيرة : فحذر .

5 متابع للسيرة 1 : 607-608 .

ما أحدثك . قال لها : وما رأيت ؟ قالت : رأيتُ راکباً أقبل على بعيرٍ له حتى وقف بالأبطح ، ثم صرخ بأعلى صوته : ألا انفروا يا آلَ عُذَرَ لمصارعكم في ثلاث ؛ وأرى الناس قد اجتمعوا إليه ، ثم دخل المسجد والناس يتبعونه ؛ فبينما هم حوله مثلٌ به بعيره على ظهر الكعبة ، ثم صرخ بأعلى صوته : انفروا يا آلَ عُذَرَ لمصارعكم في ثلاث ، ثم مثلٌ به بعيره على رأس أبي قُبَيْس فصرخ بمثلها ، ثم أخذ صخرةً فأرسلها فأقبلت تهوي ، حتى إذا كانت بأسفل الجبل ارفضتُ ، فما بقي بيتٌ من بيوت مكة ولا دارٌ من دورها إلا دخلتها منها فِلقة . قال العباس : إن هذه لرؤيا ، وأنتِ فاكتميهيها ولا تذكرهيا لأحد .

ثم خرج العباس¹ فلقي الوليد بن عتبة بن ربيعة ، وكان له صديقاً ، فذكرها [له] واستكتمه إياها ؛ فذكرها الوليد لأبيه عتبة ، ففشا الحديث [بمكة] حتى تحدّثت به قريش . قال العباس : فغدوتُ أطوفُ بالبيت ، وأبو جهل بن هشام ورهطٌ من قريش قُعودٌ يتحدّثون برويا عاتكة . فلما رأني أبو جهل قال : يا أبا الفضل ، إذا فرغتَ من طوافك فأقبل إلينا ؛ فلما فرغتُ أقبلتُ إليه حتى جلست معهم . فقال لي أبو جهل : يا بني عبد المطلب² ، متى حدثتُ فيكم هذه النبيّة؟! قال : قلتُ : وما ذلك ؟ قال : الرؤيا التي رأيتُ عاتكة . قلتُ : وما رأيتُ ؟ قال : يا بني عبد المطلب ، أما رضيتم أن تتنبأ رجالكم حتى تتنبأ نساؤكم ؟ قد زعمت عاتكة في رؤياها أنها قالت : انفروا في ثلاث ؛ فستربص بكم هذه الثلاث ؛ فإن يكن ما قالت حقاً فسيكون ، وإن تمض الثلاث ولم يكن من ذلك شيء نكتب كتاباً عليكم أنكم أكذب أهل بيتٍ في العرب . قال العباس : فوالله ما كان إليه مني كبيرٌ إلا أن جحدتُ ذلك وأنكرتُ أن تكون رأيتُ شيئاً . قال : ثم تفرقتنا . فلما أمسينا لم تبق امرأةٌ من بني عبد المطلب إلا أتتني فقالت : أقررتم لهذا الفاسق الخبيث أن يقع في رجالكم ، ويتناول النساء وأنت تسمع ، ولم يكن عندك غيرٌ لشيءٍ مما سمعت ؟ قلتُ : قد والله فعلتُ ، ما كان مني إليه من كبيرٍ ، وإنما الله لأتعرّضنَّ له ؛ فإن عاد لأكفينكته . قال : فغدوتُ في اليوم الثالث من رؤيا عاتكة وأنا حديدٌ مُغضبٌ أرى [أنّي] قد فاتني منه أمرٌ أحبُّ أن أدركه منه . قال : فدخلت المسجد فرأيتُه ، فوالله إنني لأمشي نحوه العرّضنة³ ليعود لبعض ما كان فأوقع به . وكان رجلاً خفيفاً حديد الوجه حديد اللسان حديد النظر ، إذ خرج نحو باب المسجد يشتد . قال : قلت في نفسي : ما له لعنه الله ؟ أكلُّ هذا فرقاً مني أن أشاتمهُ ؟ فإذا هو قد سمع ما لم أسمع ، صوتٌ ضمضم بن

1 متابع للسيرة 608-609 .

2 ل : يا بني عبد مناف .

3 يمشي العرضنة : يمشي مشية فيها تحدُّ ؛ وفي س : إنني لأمشي نحوه أتعرضه .

عمرو الغفاريّ وهو يصرخ ببطن الوادي [واقفاً على بعيره قد جدّ ع بعيره وحول رحله وشقّ قميصه وهو يقول]: يا معشر قريش اللطيمة! [اللطيمة!] أموالكم مع أبي سفيان بن حرب قد عرض لها محمد في أصحابه ، لا أرى أن تدركوها ؛ الغوث الغوث ! قال : فشغلني عنه وشغلني عني ما جاء من الأمر .

قال¹ : فتجهّز الناسُ سراعاً ، وقالوا : لا يظنّ محمدٌ وأصحابه أن تكون كعير ابن الحضرمي ؛ كلاً والله ليعلمنّ غير ذلك ! فكانوا بين رجلين : إما خارج وإما باعث مكانه رجلاً .

[خروج قريش وإرسال أبي هب العاصي بن هشام مكانه]

وأوعبت قريش فلم يتخلف من أشرافها أحدٌ إلا أبو لهب بن عبد المطلب تخلف فبعث مكانه العاصي بن هشام بن المغيرة ، وكان لَط² له بأربعة آلاف درهمٍ كانت له عليه ، فأفلس بها ، فاستأجره بها على أن يُجزىء عنه بعثه ، فخرج عنه وتخلف أبو لهب . هكذا في الحديث . فذكر أبو عبيدة وابن الكلبيّ : أن أبا لهب قامر العاصي بن هشام في مائة من الإبل ، فقمره أبو لهب ، ثم عاد فقمره أيضاً ، ثم عاد فقمره أيضاً الثالثة ، فذهب بكل ما كان يملكه . فقال له العاصي : أرى القِداح قد حالفتك يا ابن عبد المطلب ، هلّمّ نجعلها على أينا يكون عبداً لصاحبه ؛ قال : ذلك لك ؛ فدحاها فقمره أبو لهب ، فأسلمه قيناً ، وكان يأخذ منه ضريبةً . فلما كان يوم بدر وأخذت قريش كل من لم يُخرج بإخراج رجلٍ مكانه أخرجه أبو لهب عنه وشرط له العتق ؛ فخرج فقته علي بن أبي طالب رضي الله عنه .

رجع الحديث إلى وقعة بدر³

[ويخ ابن أبي معيط أمية بن خلف لإجماعه القعود]

قال محمد بن إسحاق : وحدثني عبد الله بن أبي نجيح : أن أمية بن خلف كان قد أجمع القعود ، وكان شيخاً [جليلاً جسيماً] ثقيلاً ، فجاءه عفة بن أبي معيط وهو جالس في المسجد بين ظهراني قومه بمجمرة يحملها ، فيها نارٌ ومجمرٌ حتى وضعها بين يديه ، ثم قال : يا أبا علي ، استجمرُ فإنما أنت من النساء ! قال : قبحك الله وقبح ما جئت به ؛ ثم تجهّز وخرج مع الناس . فلما فرغوا من جهازهم وأجمعوا السير ، ذكروا ما [كان] بينهم

1 متابع للسيرة : 609-610 .

2 لظ بالمال : ماطل .

3 متابع للسيرة : 610-612 .

5 . كتاب الأغاني - ج 4 .

وبين بني بكر بن عبد مناة بن كنانة من الحرب ، فقالوا : إنا نخشى أن يأتوا من خلفنا .
[تخوف قريش من كنانة وتأمين إبليس لهم]

قال محمد بن إسحاق : فحدثني يزيد بن رومان عن عروة بن الزبير قال : لما أجمعت قريش المسير ذكرت الذي بينها وبين بني بكر بن عبد مناة ، فكاد ذلك أن يثبّطهم ، فتبدى لهم إبليس في صورة سُرّاقة بن جُعشم المدلجّي ، وكان من أشرف بني كنانة ، فقال : إني جاز لكم من أن تأتيكم كنانة [من خلفكم] بشيء تكرهونه ، فخرجوا سريعا .
[خروج النبي وعدد جيشه والطريق التي سلكها]

وخرج رسول الله ﷺ ، فيما بلغني عن غير ابن إسحاق ، لثلاث ليالٍ خلون من شهر رمضان المعظم في ثلاثمائة وبضعة عشر رجلاً من أصحابه . فاختلف في مبلغ الزيادة على العشرة ؛ فقال بعضهم : كانوا ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً . وكان المهاجرون يوم بدر سبعة وسبعين رجلاً ، وكان الأنصار مائتين وستة وثلاثين رجلاً ، وكان صاحب راية رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، وكان صاحب راية الأنصار سعد بن عُبادة .

حدثنا محمد قال حدثنا هارون بن إسحاق قال حدثنا مصعب بن المقدام ، قال أبو جعفر وحدثني محمد بن إسحاق الأهوازي قال حدثنا أبو أحمد الزبيري قال حدثنا إسرائيل قال حدثنا أبو إسحاق عن البراء قال : كنا نتحدث أن عدّة أصحاب بدر على عدّة أصحاب طالوت الذين جازوا معه النهر ، ولم يجر معه إلا مؤمن ، ثلاثمائة وبضعة عشر .

قال ابن إسحاق¹ في حديثه عمّن روى عنه : وخرج رسول الله ﷺ في أصحابه ، وجعل على الساقّة قيس بن أبي صعصعة أخا بني مازن بن النجار ، في ليالٍ مضت من رمضان ؛ فسار حتى إذا كان قريباً من الصفراء بعث بسبس بن عمرو الجهني حليف بني ساعدة وعدي بن أبي الزغباء حليف بني النجار إلى بدر يتجسّسان له الخبر عن أبي سفيان بن حرب وغيره ، ثم ارتحل رسول الله ﷺ وقدمهما . فلما استقبل الصفراء ، وهي قرية بين جبلين ، سأل عن جبلية ما اسمها ؟ فقيل : يقال لأحدهما هذا مسلح ، وللآخر هذا مخزي ؛ وسأل عن أهلها فقالوا : بنو النّار ، وبنو حراق (بطنان من غفار) ؛ فكترهما رسول الله ﷺ والمرور بينهما ، وتفاءل باسميهما وأسماء أهاليهما ، فتركهما والصفراء يساراً ، وسلّك ذات اليمين عل وادٍ يقال له ذفران فخرج منه ، حتى إذا كان ببعضه نزل ، وأتاه الخبر عن قريش بمسيرهم ليمنعوا غيرهم .

[استشارة النبي لأصحابه وتأييد الأنصار له]

فاستشار النبي ﷺ الناس وأخبرهم عن قريش ، فقام أبو بكر فقال فأحسن ، ثم قام عمر فقال فأحسن ، ثم قام المقداد بن عمرو فقال : يا رسول الله ، امض لما أمرك الله فنحن معك ؛ والله لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى : اذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون ، ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون معلّمون . فوالذي بعثك بالحق لو سرت بنا إلى برك الغماد ، يعني مدينة الحبشة ، لجالدنا معك من دونه حتى تبلّغه . فقال رسول الله ﷺ خيراً ودعا له بخير .

حدثنا محمد قال حدثنا محمد بن عبيد المحاربي قال حدثني إسماعيل بن إبراهيم أبو يحيى قال حدثنا المخارق عن طارق عن عبد الله بن مسعود قال : شهدت من المقداد مشهداً لأن أكون صاحبه أحب إليّ مما في الأرض من كل شيء : كان رجلاً فارساً ، وكان رسول الله ﷺ إذا غضب احمارت وجنتاه ، فأثاه المقداد على تلك الحال ، فقال : أبشّر يا رسول الله ، فوالله لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى : اذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون ، ولكن والذي بعثك بالحق لنكونن بين يديك ومن خلفك وعن يمينك وشمالك أو يفتح الله تبارك وتعالى .

رجع الحديث إلى حديث ابن إسحاق

ثم قال رسول الله ﷺ : «أشيروا عليّ أيها الناس» ، وإنما يريد الأنصار ؛ وذلك أنهم كانوا عدّد الناس ، وأنهم حين بايعوا بالعقبة قالوا : يا رسول الله إنا براء من ذمامك حتى تصير إلى دارنا ، فإذا وصلت فأنت في ذماننا ، نمنعك مما نمنع منه أنفسنا وأبناؤنا ونساءنا . فكان رسول الله ﷺ يتخوف ألا تكون الأنصار ترى عليها نصرته إلا ممن دهمه بالمدينة من عدوّه ، وأن ليس عليهم أن يسير بهم إلى عدوّ في غير بلادهم . فلما قال ذلك رسول الله ﷺ قال له سعد بن معاذ : والله لكأنتك تريدنا يا رسول الله . قال : «أجل» . قال : فقد آمنّا بك يا رسول الله وصدّقناك وشهدنا أن ما جئت به هو الحق ، وأعطيناك على ذلك عهدنا وموآثيقنا على السمع والطاعة ، فامض بنا يا رسول الله لما أردت [فنحن معك] . فوالذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر وخضتته لخصناه معك ما يتخلف منا رجل واحد ، وما نكره أن تلقى بنا عدواً غداً . إنا لصبر عند الحرب ، صدق عند اللقاء ، لعل الله تعالى أن يريك [مناً] ما تقرّ به عينك ؛ فسير بنا على بركة الله . فسرّ رسول الله ﷺ [يقول سعد] ونشّطه ذلك ؛ ثم قال : «سيروا على بركة الله وأبشروا ؛ فإن الله قد وعدني إحدى

الطائفتين ، والله لكانني أنظر إلى مصارع القوم» .

[نزول النبي قريبا من بدر]

ثم ارتحل رسول الله ¹ من دفران ، وسلك على ثنايا يُقال لها الأصافر ، ثم انحطّ منها على بلدٍ يقال له الدبّة ، ثم ترك الحنّان يمينه ، وهو كثيبٌ عظيم كالجبل ، ثم نزل قريبا من بدر ، فركب هو ورجلٌ من أصحابه ، قال الطبري قال محمد بن إسحاق : حدّثني محمد بن يحيى بن حبان ، حتى وقف على شيخ من العرب ، فسأله عن قريش وعن محمد وأصحابه وما بلغه عنهم ؛ فقال الشيخ : لا أخبر كما حتى تُخبراني ممن أتتما . فقال له رسول الله ² : «إذا أخبرتنا أخبرناك» . فقال : أوذاك بذاك ؟ فقال : «نعم» . قال الشيخ : فإنه بلغني أنّ محمداً وأصحابه خرجوا يوم كذا وكذا ؛ فإن كان صدقني الذي أخبرني ، فهم اليوم بمكان كذا وكذا (للمكان الذي به رسول الله ³) . وبلغني أنّ قريشاً خرجوا يوم كذا وكذا ؛ فإن كان الذي حدّثني صدقني ، فهم اليوم بمكان كذا وكذا (للمكان الذي به قريش) . فلما فرغ من خبره قال : ممن أتتما ؟ فقال رسول الله ⁴ : «نحن من ماء» ، ثم انصرف الشيخ عنه . قال يقول الشيخ : ما من ماء ؟ أمّن ماء العراق ؟ ثم رجع رسول الله ⁵ إلى أصحابه .

[أرسل النبي نقرأ إلى بدر يلتمسون الخير]

فلما أمسى بعث عليّ بن أبي طالب ، رضي الله عنه ، والزبير بن العوام ، وسعد بن أبي وقاص في نفرٍ من أصحابه إلى بدر يلتمسون له الخبر عليه .

[قبض هؤلاء النفر على غلامين لقريش لمعرفة أخبارهم منها]

قال محمد بن إسحاق ² : حدّثني يزيد بن رومان عن عروة بن الزبير : فأصابوا راويةً لقريش فيها أسلمٌ غلام بني الحجاج ، وعريض ³ أبو يسار غلام بني العاصي بن سعيد ، فأتوا بهما رسول الله ⁴ وهو يصلي . فسألوهما فقالا : نحن سقاة لقريش بعثونا نسقيهم من الماء . فكره القوم خبرهما ورجوا أن يكونا لأبي سفيان فضربوهما ، فلما أذلقوهما قالوا : نحن لأبي سفيان ، فتركوهما . وركع رسول الله ⁵ وسجد سجدين ثم سلّم ، ثم قال : «إذا صدقكم ضربتموهما ، فإذا كذبكم تركموهما ، صدقاً والله إنهما لقريش . أخبراني أين قريش» ؟ قال : هم وراء [هذا الكثيب الذي ترى بالعدوة القصوى و] الكثيب : العنقل ، فقال لهما رسول الله ⁶ : «كم القوم» ؟ قال : لا ندري . قال : «كم ينحرون كل يوم» ؟ قال : يوماً تسعاً

1 تابع للسيرة : 615-616 .

2 متابع للسيرة : 616 .

3 ل : وغريض .

ويوماً عَشْرًا . فقال رسول الله ﷺ : «القوم ما بين التسعمائة والألف» . ثم قال لهما رسول الله ﷺ : «فَمَنْ فِيهِمْ مِنْ أَشْرَافِ قُرَيْشٍ» ؟ قالوا : عُنْبَةُ بن ربيعة ، وشَيْبَةُ بن ربيعة ، وأبو البخترى بن هشام ، وحكيم بن حزام ، ونوفل بن خويلد ، والحارث بن عامر بن نوفل ، وطُعَيْمَةُ بن عَدِيٍّ ، والنضْرُ بن الحارث ، وزَمْعَةُ بن الأسود ، وأبو جهل بن هشام ، وأمِيَّةُ بن خَلْفٍ ، ونُبَيْهٌ ومُنَبِّهُ ابنا الحجاج ، وسهيل بن عمرو ، وعمرو بن وُدٍّ . فأقبل رسول الله ﷺ على الناس فقال : «هذه مكة قد رمت إليكم أفلاذ كَبِدِها» .

قال ابن إسحاق¹ : وقد كان بَسْبَسُ بن عمرو وعَدِيٌّ بن أبي الزُّبَلاء مَضِيًّا حتى نزلا بدرًا فأناخا إلى تلٍّ قريب من الماء ، ثم أخذَا شَنًّا يستقيان فيه ، ومَجْدِيٌّ بن عمرو الجُهَنِيُّ على الماء ، فسمع عَدِيٌّ وبَسْبَسُ جاريتين من جوارى الحاضر وهما تتلازمان على الماء ، والملزومة تقول لصاحبتهما : إِنَّمَا تَأْتِي الْعَيْرُ غَدًا أو بعد غدٍ فَأَعْمَلُ لهن ثم أَقْضِيكَ الذي لك . قال مَجْدِيٌّ : صدقت ، ثم خَلَصَ بينهما . وَسَمِعَ ذلك عَدِيٌّ وبَسْبَسُ فجلسا على بعيريهما ثم انطلقا حتى أتيا رسول الله ﷺ فأخبراه بما سمعا .

[قدم أبو سفيان إلى بدر متجسسًا ثم أتجه بالعير نحو الساحل]

وأقبل أبو سفيان حتى² تقدّم العير حذرًا حتى ورد الماء ، فقال لمجدي بن عمرو : هل أحسستَ أحدًا ؟ قال : ما رأيتَ أحدًا أنكره ، إلا أنِّي رأيتَ راكبين أناخا إلى هذا التلِّ ثم استقيا في شَنٍّ لهما ثم انطلقا . فأتى أبو سفيان مُنَاخَهُمَا فأخذ من أبعاد بعيريهما فَفَتَّهُ فإذا فيه النوى ، فقال : هذه والله علائفُ يَثْرِب . فرجع إلى أصحابه سريعًا فَصَرَفَ وجهه عِيره عن الطريق فساحل³ بها وترك بدرًا يسارًا ، ثم انطلق حتى أسرع .

[رؤيا جهيم بن أبي الصلت]

وأقبلت قريش ، فلما نزلوا الجُحفة رأى جُهَيْم بن أبي الصلِّت بن مَخْرَمَةَ بن عبد المطلب بن عبد منافٍ رؤيا ، فقال : إِنِّي رأيتُ فيما يرى النائم ، وإني لَبِينُ النَّائِمِ واليقظان إذ نظرتُ إلى رجلٍ أقبلَ على فرَسٍ حتى وقفَ ومعه بعيرٌ له ثم قال : قُتِلَ عُنْبَةُ بن ربيعة ، وشَيْبَةُ بن ربيعة ، وأبو الحكم بن هشام ، وأمِيَّةُ بن خَلْفٍ ، وفلانٌ وفلانٌ ، فعدّد رجالاً مَن قُتِلَ يومئذٍ من أشْرافِ قُرَيْشٍ ، ورأيتُهُ ضَرَبَ في لَبَةِ بعيره ثم أرسله في العسكر ، فما بقي خِيَابًا من أخبية العسكر إلا أصابه نَضْحٌ من دمه . قال : فبلغتُ أبا جهل فقال : وهذا أيضًا نبيٌّ آخَرُ من بني عبد المطلب !

1 السيرة : 618-620 .

2 ل : حين .

3 ساحل : أتجه نحو الساحل .

سيعلم غداً من المقتول إن نحن التقينا .

[نصح أبو سفيان بالرجوع فأتى أبو جهل]

ولما رأى أبو سفيان أنه قد أحرز عيرَه ، أرسل إلى قريش : إنكم إنما خرجتم لتمنعوا عيركم ورحالكم وأموالكم فقد نجاها الله فارجعوا . فقال أبو جهل : والله لا نرجع حتى نرد بدرًا ، وكان بدرٌ مؤسماً من مواسم العرب تجتمع به ، لهم بها سوقٌ كل عام ، فنقيم عليه ثلاثاً ، وننحرُ الجُرُزَ وننطمع الطعامَ ونسقي الخمر ، وتعرّف علينا القيان ، وتسمع بنا العربُ [بمسيرنا وجمّعنا] ، فلا يزالون يهابوننا أبداً ، فامضوا .

[رجوع بني زهرة]

فقال الأحنس بن شريق بن عمرو [بن وهب] الثَّقَفِيُّ ، وكان حليفاً لبني زهرة ، وهم بالجحفة : يا بني زهرة قد نجى الله لكم عيركم وخلّص لكم صاحبكم مخزّمة بن نوفل ، وإنما نفرتم لتمنعوه وماله ، فاجعلوا بي جنبها وارجعوا ؛ فإنه لا حاجة بكم في أن تخرجوا في غير ضيعةٍ لما يقول هذا (يعني أبا جهل) ؛ فلم يشهدّها زهري ، وكان فيهم مطاعاً ، ولم يكن بقي من قريش بطنٌ إلا نفر منهم ناسٌ ، إلا بني عدي بن كعب لم يخرج منهم رجلٌ واحد . فرجعت بنو زهرة مع الأحنس بن شريق ، فلم يشهد بدرًا من هاتين القبيلتين أحد . ومضى القوم .

[اتهم قريش لبني هاشم]

وقد كان بين طالب بن أبي طالب ، وكان في القوم ، وبين بعض قريش محاورةً ؛ فقالوا : والله لقد عرفنا يا بني هاشم ، وإن خرجتم معنا ، أن هواكم [لمع] محمد ؛ فرجع طالبٌ إلى مكة فيمن رجع . وأما ابن الكلبي فإنه قال فيما حدثت عنه : شخّص طالبُ بن أبي طالب إلى بدرٍ مع المشركين ، أخرج كرهاً ، فلم يوجد في الأسرى ولا في القتلى ولم يرجع إلى أهله ، وكان شاعراً ، وهو الذي يقول :

يا ربّ إمّا يعزّون طالبٌ في مقبٍ من هذه المقابِ
فلئكنّ المسلوبَ غيرَ السالبِ وليكنّ المغلوبَ غيرَ الغالبِ

رجع الحديث إلى حديث ابن إسحاق¹

[نزول قريش بالعدوة القصوى من الوادي]

قال : ومضت قريشٌ حتى نزلوا بالعدوة القصوى من الوادي خلف العنقل . وبطنٌ

الوادي ، وهو يَلِيل ، بين بَدْرٍ وبين العقنقل : الكثيب الذي خَلَفَهُ قريشٌ . والقَلِيب بيدر من العُدوة الدنيا من بطن يَلِيل إلى المدينة . وبعث الله عَزَّ وَجَلَّ السماء ، وكان الوادي دَهْسًا ، فأصاب رسول الله ﷺ [وأصحابه منها] ما لَبَدَ لهم الأرضَ ولم يمنعهم المسيرَ ، وأصاب قريشاً منها ما لم يَقْدِرُوا على أن يَرتَحِلُوا معه . فخرج رسولُ الله ﷺ يبادرهم إلى الماء حتى حاذى ماءً من مياه بَدْرٍ فنزل به .

[مشورة الحباب بن المنذر على النبي]

قال ابن إسحاق : فحدثني عشرة رجال من بني سَلَمَةَ ذكروا أن الحُبابَ بن المُنْذِرِ بن الجَمُوح قال : يا رسول الله ، أرايتَ هذا المنزلَ ، أُنزِلَ أنزَلَكهُ الله ليس لنا أن نتقدّمه ولا نتأخّر عنه ، أم هو الرأْي والحربُ والمكيدة ؟ قال : «بل هو الرأْي والحرب والمكيدة» . فقال : يا رسول الله ، إن هذا ليس لك بمنزل ، فانهض بالناس حتى تأتي أدنى ماءٍ من مياه القوم فنزله ، ثم تُعَوِّرَ ما سواه من القَلْبِ ثم تبني عليه حوضاً فتملأه ماءً ، ثم نُقاتل القوم فنشرب ولا يشربوا . فقال رسول الله ﷺ : «لقد أشرتَ بالرأْي» . فنهض رسول الله ﷺ ومَن معه من الناس حتى أتى أدنى ماءٍ من القوم فنزل عليه . ثم أمر بالقَلْبِ فَعَوَّرَتْ وَبَنُوا حوضاً على القَلِيب الذي نزل عليه فملئ ماءً ثم قذفوا فيه الآنية .

[بناء عريش من جريد للنبي]

قال محمد بن إسحاق : فحدثني محمد بن أبي بكر أن سعد بن مُعَاذ قال : يا رسول الله ، نَبِئني لك عَرِيشاً من جريد فتكون فيه ونُعدُّ عندك ركائبك ، ثم نلقَى عدوّنا ؛ فإن نحن أَعَزَّنَا الله وأظَهَرْنَا على عدوّنا كان ذلك ما أحيينا ، وإن كانت الأخرى جلستَ على ركائبك فَلَحِجَّتْ بمن ورائنا من قومنا ؛ فقد تخلفَ عنك أقوامٌ يا نبي الله ما نحن بأشدَّ حُبّاً لك منهم ، [ولو ظنوا أنك تلقى حرباً ما تخلفوا عنك ، يمنعك الله بهم ، يُناصحونك ويُجاهدون معك] . فأثنى [عليه] رسول الله ﷺ خيراً ، ودعا له بخير .

[إقبال قريش ودعاء النبي عليها]

ثم بُني لرسول الله ﷺ عَرِيشٌ فكان فيه . وقد ارتحلت قريشٌ حين أصبحت وأقبلت . فلما رآها رسول الله ﷺ تَصَوَّبُ من العقنقل ، وهو الكثيب الذي منه جاؤوا ، إلى الوادي قال : «اللهم هذي قريشٌ قد أقبلت بُخَيْلائها وفخرها تُحَادِّثُ وتكذِّبُ رسولك . اللهم فَصَرِّك الذي وعدتني . اللهم فَأَجْنِهُمُ الغداة» . وقد قال رسول الله ﷺ ورأى عُتْبَةَ بن ربيعة في القوم على جمل له أحمر : «إن يكن عند أحدٍ من القوم خيرٌ فعند صاحب الجمل الأحمر إن يُطِيعوه يرشدوا» .

[عرض خفاف بن إيماء معونته على قريش]

وقد كان خفاف [بن إيماء] بن رَحْضَةَ الْغِفَارِيِّ ، أو أبوه أَيْمَانُ بن رَحْضَةَ ، بعث إلى قريش حين مرُّوا به ابناً له بجزائر أهداها لهم وقال لهم : إن أحببتهم أن نُمِدَّكم بسلاحٍ ورجالٍ فعلنا . فأرسلوا [إليه] مع ابنه : أن وَصَلْتَك رَحِمٌ ! فقد قضيت الذي عليك . فَاعْمُرِي لئن كُنَّا إِنْما نُقاتل الناسَ فما بنا ضعفٌ [عنهم] ، ولئن كُنَّا نقاتل اللهَ كما يزعم محمد فما لأحد بالله من طاقة . فلما نزل الناسَ أقبل نفرٌ من قريش حتى وردوا الحوض حوض رسول الله ﷺ . فقال رسول الله ﷺ : «دَعُوهُمْ» . فما شَرِبَ منهم رجلٌ إلَّا قُتِلَ يومئذٍ ، إلَّا ما كان من حَكِيمِ بن حِزَامٍ فإنه لم يُقتل ، نجا على فرس له يقال له الْوَجِيه ، وأسلمَ بعد ذلك فَحَسَنَ إسلامه ؛ فكان إذا اجتهد [في] يمينه قال : والذي نَجَّاني من يومِ بَدْرٍ .

[بعث قريش عمير بن وهب متجسساً فأخبرهم بما رَوَعهم]

قال محمد بن إسحاق¹ : وحدثني أبي إسحاق بن يسار وغيره من أهل العلم عن أشياخ من الأنصار قالوا : لما اطمأنَّ القوم بعثوا عُمَيْرَ بن وهبَ الْجُمَحِيِّ فقالوا : احزُرْ لنا أصحاب محمد ؛ فاستجال بفرسه حول العسكر ثم رجع إليهم ، فقال : ثلاثمائة رجل يزيدون قليلاً أو ينقصونه ، ولكن أمهلوني حتى أنظر : أَلَلْقَوْمَ كَمِينٌ أو مددٌ . قال : فضرب في الوادي حتى أمعن ، فلم ير شيئاً ، فرجع فقال : لم أر شيئاً ، ولكن قد رأيت يا معشر قريش الولايا تحمل المنايا ! نواضح يثرب تحمل الموت الناقع ؛ قومٌ ليس لهم منعةٌ ولا ملجأٌ إلَّا سيوفهم . والله ما أرى أن يُقتلَ رجلٌ منهم حتى يقتلَ رجلاً منكم ! فإذا أصابوا منكم أعدادهم ، فما خيرُ العيش بعد ذلك ! فرؤوا رأيكم . فلما سمع حَكِيمِ بن حِزَامٍ ذلك مشى في الناس فأتى عتبة بن ربيعة وقال : يا أبا الوليد ، إنك كبيرُ قريش الليلة وسيدها والمطاع فيها ، هل لك إلى أمرٍ لا تزال تُذكرُ منه بخيرٍ إلى آخر الدهر ؟ قال : وما ذاك يا حَكِيمِ ؟ قال : ترجع بالناس وتحمل دمَ حليفك عمرو بن الحضرمي . قال : قد فعلتُ ، أنت على ذلك شهيدٌ ، إنما هو حليفي فعلي عقله وما أصيبَ من ماله ؛ فأت ابنَ الحَنْظَلِيَّةَ فَأَنِّي لا أخشى أن يسحرَ الناسَ غيره (يعني أبا جهل بن هشام) .

[حَكِيمِ بن حِزَامٍ يقص حديث بدر لمروان بن الحكم]

حدثنا محمد قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثنا غمامة بن عمرو السهمي قال حدثنا مسور بن عبد الملك اليربوعي عن أبيه عن سعيد بن المسيب قال : بينا نحن عند مروان بن الحكم إذ دخل عليه حاجبه فقال : هذا أبو خالدٍ حَكِيمِ بن حِزَامٍ . قال : إيذن له . فلما

دخل حكيم بن حزام ، قال : مرحباً بك يا أبا خالد ، اذن ؛ فحال له مروان عن صدر المجلس حتى كان بينه وبين الوسادة ، ثم استقبله مروان فقال : حدثنا حديث بدر . قال : خرجنا حتى إذا نزلنا الجحفة رجعت قبيلة من قبائل قريش بأسرها ، فلم يشهد أحد من مشركيهم بديراً ؛ ثم خرجنا حتى نزلنا العُدوة التي قال الله عز وجل ؛ فجئت عُتَبة بن ربيعة فقلت : يا أبا الوليد ، هل لك أن تذهب بشرف هذا اليوم ما بقيت ؟ قال : أفعلُ ماذا ؟ قال : قلتُ : إنكم لا تطلبون من محمد إلا دمَ واحدٍ : (ابن الحضرمي) وهو حليفك ، فتحَمَل ديتَه فيرجع الناس . قال : أنت وذاك ، وأنا أحمَل ديتَه ، فاذهب إلى ابن الحنظليَّة (يعني أبا جهل) فقل له : هل لك أن ترجع اليوم بمن معك عن ابن عمك ؟ فجننته فإذا هو في جماعةٍ من بين يديه ومن ورائه ، فإذا ابن الحضرمي واقفٌ على رأسه وهو يقول : قد فسختُ عقدي من بني عبد شمس ، وعقدي إلى بني مخزوم . فقلت له : يقول لك عُتَبة بن ربيعة : هل لك أن ترجع اليوم عن ابن عمك بمن معك ؟ قال : أما وجد رسولاً غيرك ؟ قلتُ : لا ، ولم أكن لأكون رسولاً لغيره . قال حكيم : فخرج مُبادراً إلى عتِبة وخرجتُ معه لئلا يفوتني من الخبر شيء ، وعُتَبة يتكيء على إيماء بن رَحْضَةَ الغفاري ، وقد أهدى إلى المشركين عشر جزائر ، فطلع أبو جهل والشرُّ في وجهه ، فقال لعُتَبة : انتفخ سحرُك ! فقال عُتَبة : فستعلم . فسئل أبو جهل سيفه فضرب به متن فرسه ؛ فقال إيماء بن رَحْضَةَ : بعس المقام هذا ؛ فعند ذلك قامت الحرب .

رجع الحديث إلى ابن إسحاق¹

[نصح عتِبة بالرجوع فأتى أبو جهل]

ثم قام عُتَبة بن ربيعة خطيباً ، فقال : يا معشر قريش ، والله ما تصنعون بأن تلقوا محمداً وأصحابه شيئاً ! والله لئن أصبتموه ، لا يزال الرجلُ منكم ينظر في وجه رجلٍ يكره النظر إليه ، رجلٍ قتلَ ابن عمِّه أو ابن خاله أو رجلاً من عشيرته ، فارجعوا وخلُّوا بين محمد وبين سائر العرب ؛ فإن أصابوه فذلك الذي أردتم ، وإن كان غير ذلك ألكم ولم تعدموا منه ما تريدون . قال حكيم : فانطلقتُ حتى جئت أبا جهل ، فوجدته قد نثَلَ درعاً له من جرابها وهو يُهيئها ؛ فقلت له : يا أبا الحكم ، إن عُتَبة أرسلني إليك بكذا وكذا (الذي قال) ؛ فقال : انتفخ والله سحرُه حين رأى محمداً وأصحابه . كلاً والله ! لا مرجع حتى يحكم الله بيننا وبين محمد وأصحابه ؛ وما بعُتَبة ما قال ، ولكنه قد رأى أن

محمدًا وأصحابه أَكَلَةُ جَزُورٍ ، وفيهم ابنه قد تَخَوَّفَكُم عليه . ثم بعث إلى عامر بن الحضرمي فقال له : هذا حليفك يريد أن يرجع بالناس وقد رأيتَ تُأْرَكُ بعينك ، فقمُ فأنشدْ خُفْرَتَكَ¹ ومقتل أخيك . فقام عامر بن الحضرمي فاكتشف² ثم صرخ : وَاَعْمَرَاهُ ! وَاَعْمَرَاهُ ! فَحَمَيْتِ الحرب ، وَحَقَّبَ³ أمر الناس ، واستوسقوا على ما هم عليه من الشرِّ ، وأفسد على الناس الرَّأْيَ الذي دعاهم إليه عُتْبَةُ بن ربيعة . ولما بلغ عتبة قول أبي جهل : «انتفخ سَحْرُهُ» قال : سيعلم مُصَفِّرُ الأَسْتِ مَنْ انتفخ سَحْرُهُ : أنا أم هو ؟ ثم التمس عتبة بيضةً ليدخلها في رأسه فلم يجد في الجيش بيضةً تسعُه من عِظْمِ هامته ؛ فلما رأى ذلك اعتجَرَ على رأسه بيْرِدٍ له .

[أقسم الأسود بن عبد الأسد ليشرين من حوض المسلمين فقتل]

وقد خرج الأسود⁴ بن عبد الأسد المخزومي ، وكان رجلاً شرساً سييء الخلق ، فقال : أعاهد الله لأشرين من حوضهم أو لأهدمته أو لأموتنّ دونه . فلما خرج خرج له حمزة بن عبد المطلب ، فلما التقيا ضربه حمزة فأبان قَدَمَهُ بنصف ساقه وهو دون الحوض ، فوقع على ظهره تَشَخَّبُ رجله دماً نحو أصحابه ، ثم حبا إلى الحوض حتى اقتحم فيه يريد أن يُيرِّ يمينه ، وأتبعه حمزة فضربه حتى قتله في الحوض .

[طلب عتبة بن ربيعة وابنه وأخوه المبارزة فندب لهم النبي من قتلهم]

ثم خرج بعده عُتْبَةُ بن ربيعة بين أخيه شَيْبَةَ بن ربيعة وابنه الوليد بن عتبة ، حتى إذا نَصَلَ⁵ من الصفِّ دعا إلى المبارزة ، فخرج إليه فتيية من الأنصار ثلاثة نفر ، وهم : عوف ومُعَوِّذ ابنا الحارث ، وأمُّهُمَا عفراء ، ورجلٌ آخر يقال : هو عبد الله بن رواحة ؛ فقالوا : مَنْ أنتم ؟ قالوا : رهطٌ من الأنصار . قالوا : ما لنا بكم حاجة . ثم نادى مناديهم : يا محمد ، أخرج إلينا أكفاءنا من قومنا . فقال رسول الله ﷺ : «قم يا حمزة بن عبد المطلب ، قم يا عبيدة بن الحارث ، قم يا علي بن أبي طالب» . فلما قاموا ودنوا منهم ، قالوا : مَنْ أنتم ؟ فقال عبيدة : عبيدة ، وقال حمزة : حمزة ، وقال علي : علي . قالوا : نعم أكفاء كيرام . فبارز عبيدة بن الحارث ، وكان أسنَّ القوم ، عتبة بن ربيعة ؛ وبارز حمزة

1 ل : حقوقك .

2 ل : فاكتشف .

3 ل : وخفت .

4 السيرة : 624 .

5 ل : فضل .

شيبة بن ربيعة ؛ وبارز عليّ الوليد بن عتبة . فأما حمزة فلم يُمهّل شيبة أن قتله . وأما عليّ فلم يُمهّل الوليد بن عتبة أن قتله . واختلف عبدة وعتبة بينهما بضربتين كلاهما أثبت¹ صاحبه ؛ فكَرَّ حمزة وعليّ على عتبة بأسياهما فذقنا² عليه فقتلاه ، واحتملا صاحبهما عبدة ، فجاءا به إلى أصحابه وقد قُطعت رِجله ومُخّه يسيل . فلما أتوا بعبدة إلى رسول الله ﷺ قال : أَلستُ شهيداً يا رسول الله ؟ قال «بلى» . فقال عبدة . لو كان أبو طالب حياً لعلم أنّي بما قال أحقُّ منه حيث يقول : [من الطويل]

وَنُسِّلِمُهُ حَتَّى نُصَرِّعَ حَوْلَهُ وَنَذْهَلَ عَن أُنْبَائِنَا وَالْحَلَالِئِلِ

قال محمد بن إسحاق³ : وحدثني عاصم بن عمر بن قتادة : أن عتبة بن ربيعة قال للفتية من الأنصار حين اتسبوا له : أكفأ كراماً ، إنما نريد قومنا . ثم تراحف الناس ودنا بعضهم من بعض ، وقد أمر رسول الله ﷺ [أصحابه] ألاّ يحملوا حتى يأمرهم ، وقال : «إن اكتفكم القوم فانضحهم عنكم بالنبل» ، ورسول الله ﷺ في العريش معه أبو بكر .

وكانت وقعة بدر يوم الجمعة صبيحة سبع عشرة من شهر رمضان ، قال ابن إسحاق : كما حدثني أبو جعفر محمد بن عليّ بن الحسين .

[تعديل النبي لصفوف أصحابه وقصة سواد بن غزوة]

قال محمد بن جرير وحدثنا ابن حميد⁴ قال حدثنا سلمة قال قال لي محمد بن إسحاق حدثني حبان بن واسع بن حبان عن أشياخ من قومه : أن رسول الله ﷺ عدل صفوف أصحابه يوم بدر ، وفي يده قدح يُعدّل به القوم ، فمرّ بسواد بن غزوة حليف بني عدي بن النجار وهو مُستتيل من الصف ، فطعن رسول الله ﷺ في بطنه بالقدح ، ثم قال : «استو يا سواد بن غزوة» . فقال : يا رسول الله ، أوجعتني ؛ وقد بعثك الله بالحق ، فأقذني . قال : فكشف رسول الله ﷺ عن بطنه وقال : «استقد» ؛ فاعتقه وقبّل بطنه . فقال : ما حملك على هذا يا سواد ؟ فقال : يا رسول الله ، حضر ما ترى ، فلم آمن الموت ، فأردت أن يكون آخر العهد بك أن يمسّ جلدي جلديك ؛ فدعا له رسول الله ﷺ بخير وقال له خيراً . ثم عدل رسول الله ﷺ الصفوف ، ورجع إلى العريش ودخله ومعه أبو بكر ليس معه غيره ، ورسول الله ﷺ يُناشد ربّه ما وعده من النصر ، ويقول فيما يقول : «اللهم إن تهلك هذه العصابة

1 أثبتته : أثنه جراحاً .

2 ذفف على الجريح : أجهز عليه .

3 السيرة : 625 .

4 ل : ابن أحمد ، وهو خطأ .

اليوم ، يعني المسلمين ، لا تُعبَد بعد اليوم» ، وأبو بكر يقول : يا نبيَّ الله خَلِّ بعض مُناشدتك ربِّك ؛ فإنَّ الله مُنجزٌ لك ما وعدك .

[دعاء النبي يوم بدر]

حدَّثنا محمد بن جرير قال حدَّثنا محمد بن عبيد المحاربي قال حدَّثنا عبد الله بن المبارك عن عكرمة بن عمَّار قال حدَّثني سيماءُ الحنفيَّة قال سمعتُ ابن عباس يقول : حدَّثني عمر بن الخطاب قال : لما كان يوم بدر ونظر رسول الله ﷺ إلى المشركين وعدتهم وإلى أصحابه وهم نيِّفٌ على ثلاثمائة ، استقبل الكعبة وجعل يدعو ويقول : «اللهم أنجز لي ما وعدتني . اللهم إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام لا تُعبَد في الأرض» ، فلم يزل كذلك حتى سقط رداؤه ؛ فأخذ أبو بكر فوضع رداءه عليه ، ثم التزمه من ورائه فقال : كفاك يا نبيَّ الله ، بأبي أنت وأُمِّي ، مناشدتك لربِّك ، سيُنجزُ لك ما وعدك . فأنزل الله تعالى : ﴿إِذ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَبَ لَكُمْ أَنِّي مُُمِدِّكُمْ بِالْفِ مِنْ الْمَلَائِكَةِ مُرَدِّينَ﴾ .

حدَّثنا محمد قال حدَّثنا ابن وكيع قال حدَّثنا الثَّقفي (يعني عبد الوهَّاب) عن خالد عن عكرمة عن ابن عباس : أن النبي ﷺ قال وهو في قبته يوم بدر «اللهم أسألك عهدك ووعدك . اللهم إن شئت لم تُعبَد بعد اليوم» . قال : فأخذ أبو بكر بيده فقال : حسبك يا نبيَّ الله ، فقد ألححت على ربِّك ، وهو في الدرع ؛ فخرج وهو يقول : ﴿سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَذَى وَأَمْرٌ﴾ .

رجع الحديث إلى حديث ابن إسحاق¹

[أخذت النبي سنة ثم انتبه مبشراً بالنصر ومحرضاً على القتال]

قال : وقد خَفَقَ رسول الله ﷺ خَفَقَةً وهو في العريش ، ثم انتبه فقال : «يا أبا بكر أتاك نصرُ الله ، هذا جبريل آخِذٌ بعنان فرسه يقوده وعلى ثناياه النَّعْ» . قال وقد رُمي مهججٌ مولى عمَّر بن الخطاب بسهمٍ فقتل ، فكان أوَّلَ قَتيلٍ من المسلمين . ثم رُمي حارثة بن سُراقَة أحدُ بني عَدِيِّ بن النجَّار وهو يشرب من الحوض بسهمٍ فأصاب نَحْرَهُ فقتل . ثم خرج رسول الله ﷺ إلى الناس فحرَّضهم ونَفَّلَ كلَّ امرئٍ ما أصاب ، وقال : «والذي نفسي بيده لا يُقاتلهم اليوم رجلاً فيقتل صابراً مُحْتَسِباً مُقْبِلاً غير مُدْبِرٍ إلا أدخله الله الجنة» .

[استهانة أصحاب النبي بالموت]

فقال عمير بن الحمام أخو بني سلمة في يده تَمَرَاتٌ يأكلها : بَخِ بَخِ ! أما بيني وبين أن أدخل الجنة إلا أن يقتلني هؤلاء ! قال : ثم قَذَفَ التَّمَرَاتِ مِنْ يَدِهِ وَأَخَذَ سَيْفَهُ فَقَاتَلَ الْقَوْمَ حَتَّى قُتِلَ ، وَهُوَ يَقُولُ :

[من الرجز]

رَكُضًا إِلَى اللَّهِ بِغَيْرِ زَادٍ إِلَّا التَّقَى وَعَمَلَ المَعَادِ
وَالصَّبْرَ فِي اللَّهِ عَلَى الجِهَادِ وَكُلُّ زَادٍ عُرْضَةُ النَّفَادِ
غَيْرَ التَّقَى وَالْبِرِّ وَالرَّشَادِ

حدَّثنا محمد بن جرير قال حدَّثنا ابن حُمَيْد قال حدَّثنا سلمة قال حدَّثنا محمد بن إسحاق عن عاصم بن عمر بن قنادة : أَنَّ عَوْفَ بْنَ الحَارِثِ ، وَهُوَ ابْنُ عَفْرَاءَ ، قَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، مَا يُضْحِكُ الرَّبَّ مِنْ عِبْدِهِ ؟ قَالَ : «عَمْسُهُ يَدَهُ فِي العَدُوِّ حَاسِرًا» ؛ فَنَزَعَ دِرْعًا كَانَتْ عَلَيْهِ فَقَذَفَهَا ، ثُمَّ أَخَذَ سَيْفَهُ فَقَاتَلَ الْقَوْمَ حَتَّى قُتِلَ .

[التقاء الفريقين وهزيمة المشركين]

حدَّثنا محمد قال حدَّثنا ابن حُمَيْد قال حدَّثنا سلمة عن ابن إسحاق قال وحدَّثني محمد بن مسلم الزُّهْرِيُّ عن عبد الله بن ثعلبة بن صُعَيْرِ العُدْرِيِّ حَلِيفِ بَنِي زُهْرَةَ قَالَ : لَمَّا التَّقَى النَّاسُ وَدَنَا بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ ، قَالَ أَبُو جَهْلٍ : اللَّهُمَّ أَقْطَعْنَا لِلرَّحِمِ وَأَنَا بِمَا لَا يُعْرَفُ فَأَجِنُهُ العُدَاةَ ؛ فَكَانَ هُوَ المُسْتَفْتَحَ عَلَى نَفْسِهِ . ثُمَّ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَخَذَ حَفْنَةً مِنَ الحِصْبَاءِ وَاسْتَقْبَلَ بِهَا قَرِيشًا ، ثُمَّ قَالَ : «شَاهَتِ الوجوه» ثُمَّ نَفَحَهُمْ بِهَا ، وَقَالَ لِأَصْحَابِهِ : «شُدُّوا» ؛ فَكَانَتِ الهَزِيمَةُ ، فَقَتَلَ اللَّهُ مَنْ قَتَلَ مِنْ صِنَادِيدِ قَرِيشٍ ، وَأَسْرَ مَنْ أُسْرَ مِنْهُمْ . فَلَمَّا وَضَعَ الْقَوْمُ أَيْدِيَهُمْ يَأْسِرُونَ ، وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي العَرِيشِ ، وَسَعْدُ بْنُ مَعَاذٍ قَائِمٌ عَلَى بَابِ العَرِيشِ الَّذِي فِيهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مُتَوَسِّحًا بِالسَّيْفِ فِي نَفَرٍ مِنَ الْأَنْصَارِ ، يَحْرَسُونَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ، يَخَافُونَ عَلَيْهِ كَرَّةَ العَدُوِّ ، رَأَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، فِيمَا ذُكِرَ لِي ، فِي وَجْهِ سَعْدِ بْنِ مَعَاذٍ الكِرَاهَةَ فِيمَا يَصْنَعُ النَّاسُ ؛ فَقَالَ لَهُ : «كَأَنَّكَ كَرِهْتَ مَا يَصْنَعُ النَّاسُ» ! قَالَ : أَجَلٌ يَا رَسُولَ اللَّهِ ! كَانَتْ أَوَّلَ وَقْعَةٍ أَوْقَعَهَا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِأَهْلِ الشَّرْكِ ؛ فَكَانَ الإِثْحَانُ فِي القِتْلِ أَعْجَبَ إِلَيَّ مِنْ اسْتِيقَاءِ الرِّجَالِ .

[نهى النبي عن قتل جماعة أخرجوا كارهين]

حدَّثنا محمد قال حدَّثنا ابن حُمَيْد قال حدَّثنا سلمة عن محمد بن إسحاق قال ، وحدَّثني العباس بن عبد الله بن معبد عن بعض أهله عن ابن عباس¹ : أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ لِأَصْحَابِهِ

يومئذ : «إني قد عرفتُ أن رجلاً من بني هاشم وغيرهم قد أُخرجوا كرهاً لا حاجة لهم بقتالنا ؛ فمن لقي منكم أحداً من بني هاشم فلا يقتله ، ومن لقي أبا البختري [بن هشام] بن الحارث فلا يقتله ومن لقي العباس بن عبد المطلب ، عم رسول الله ﷺ ، فلا يقتله ، وإنما خرج مُستكرهاً» . قال : فقال أبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة : أقتل أبوانا وأبنائنا وإخواننا وعشيرتنا ونترك العباس ! والله لئن لقيته لأحيمنه السيف ! فبلغت رسول الله ﷺ ، فجعل يقول لعمر بن الخطاب : «يا أبا حفص أما تسمع إلى قول أبي حذيفة يقول أضرب وجه عم رسول الله ﷺ ، بالسيف» . فقال عمر : يا رسول الله ، دعني فلا أضربن عنقه بالسيف ، فوالله لقد نافق . قال عمر : والله إنه لأول يوم كُناني فيه رسول الله ﷺ بأبي حفص . قال : فكان أبو حذيفة يقول : ما أنا بأمنٍ من تلك الكلمة التي قلت يومئذٍ ولا أزال منها خائفاً إلا أن تكفرها عني الشهادة ؛ فقتل يوم اليمامة [شهيداً] .

[سبب نهى النبي عن قتل أبي البختري]

قال : وإنما نهى رسول الله ﷺ عن قتل أبي البختري ، لأنه كان أكف القوم عن رسول الله ﷺ وهو بمكة ، كان لا يؤذيه ولا يبلغه عنه بمكة شيء يكرهه ، وكان ممن قام في نقض الصحيفة التي كتبت قريش على بني هاشم وبني المطلب . فلقية المجذّر بن زياد البلوي حليف الأنصار من بني عدي ، فقال المجذّر بن زياد لأبي البختري : إن رسول الله ﷺ قد نهى عن قتلك ، ومع أبي البختري زميل له خرج معه من مكة ، وهو جنادة بن مليحة بن زهير بن الحارث بن أسد ، وجنادة رجل من بني ليث . واسم أبي البختري العاصي بن هشام بن الحارث بن أسد ، قال : وزميلي ؟ فقال المجذّر : لا والله ما نحن بتاركي زميلك ؛ ما أمرنا رسول الله ﷺ إلا بك وحدك . قال : والله إذا لأموتن أنا وهو جميعاً ! لا تتحدث عني نساء قريش بين أهل مكة أني تركت زميلي حرصاً على الحياة . فقال أبو البختري حين نازله المجذّر وأبى إلا القتال وهو يرتجز :

لن يُسلمَ ابنُ حُرّةٍ أكيلَه
حتى يموتَ أو يرى سبيله

فاقتتلا ، فقتله المجذّر بن زياد . ثم أتى المجذّر بن زياد رسول الله ﷺ فقال : والذي بعثك بالحق ، لقد جهدتُ عليه أن يستأسرَ فاتيك به ، فأبى إلا القتال ، فقاتلته فقتلته .

[عبد الرحمن بن عوف وأمّية بن خلف]

قال محمد بن إسحاق : وحدثني يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير عن أبيه ، قال : وحدثني أيضاً عبد الله بن أبي بكر وغيرهما عن عبد الرحمن بن عوف قال¹ : كان أمّية بن خلف لي صديقاً

بمكة . قال : وكان اسمي عبد عمرو ، فسُمِّيت حين أسلمتُ عبدَ الرحمن ونحن بمكة . قال : وكان يلقاني بمكة فيقول : يا عبد عمرو ، أرغبتَ عن اسمِ سَمَّاكَ به أبواك ؟ فأقول نعم ؛ فيقول : فإنِّي لا أعرفَ الرحمن ، فأجعل بيني وبينك شيئاً أدعوكُ به ، أما أنت فلا تُجيبني باسمك الأول ، وأما أنا فلا أدعوكُ بما لا أعرف . قال : فكان إذا دعاني : يا عبد عمرو ، لم أجبه . فقلت : اجعلُ بيني وبينك يا أبا عليٍّ ما شئت . قال : فأنت عبد الإله . فقلت نعم . قال : فكنتُ إذا مررتُ به قال : يا عبد الإله فأجيبه فأحدتُ معه . حتى إذا كان يوم بدرٍ ، مررتُ به وهو واقفٌ مع عليٍّ ابنه آخذاً بيده ، ومعني أدراعٌ قد سلبتها وأنا أحملها . فلما رأني قال : يا عبد عمرو ، فلم أجبه . فقال : يا عبد الإله ، قلت نعم . قال : هل لك في فأنا خيرٌ لك من هذه الأدراع ؟ قلت : نعم ، هلُمَّ إذاً . فطرحتُ الأدراعَ من يدي وأخذتُ بيده ويده ابنه عليٍّ ، وهو يقول : ما رأيتُ كالיום قطُّ ، أما لكم حاجةٌ في اللبن ؟ ثم خرجتُ أمشي بينهما .

[مقتل أمية بن خلف وابنه]

قال ابن إسحاق : وحدثني عبد الواحد بن أبي عون عن سعد بن إبراهيم بن عبد الرحمن عن أبيه عن عبد الرحمن بن عوف قال : قال لي أمية بن خلفٍ وأنا بينه وبين ابنه آخذ بأيديهما : يا عبد الإله ، من الرجلُ المُعَلَّمُ منكم بريش نعامية في صدره ؟ قال قلت : ذلك حمزة بن عبد المطلب . قال : ذلك الذي فعل بنا الأفاعيل . قال عبد الرحمن : فوالله إنِّي لأقودهما إذ رآه بلالٌ معي ، وكان هو الذي يعذب بلالاً بمكة على أن يترك الإسلام ، فيُخرجه إلى رمضاء مكة إذا حميت فيضجعه على ظهره ، ثم يأمر بالصخرة العظيمة فتوضع على صدره ، ثم يقول : لا تزال هكذا حتى تفارق دين محمد ؛ فيقول بلالٌ : أحدٌ أحدٌ ، فقال بلالٌ حين رآه : رأسُ الكُفْرِ أميةُ بن خلفٍ ، لا نجوتُ إن نجوا ! قال : قلت : أي بلال ، أبأسيري ؟ قال : لا نجوتُ إن نجوا ! قلت : أي بلال ، أبأسيري تُسمَعُ يا ابن السوداء ! قال : لا نجوتُ إن نجوا ! ثم صرخ بأعلى صوته : يا أنصار الله ، رأسُ الكُفْرِ أميةُ بن خلف ، لا نجوتُ إن نجوا . قال : فأحاطوا بنا حتى جعلونا في مثل المسكة وأنا أذبُّ عنه . قال : فأخلفَ رجلُ السيفِ فضربَ رجلَ ابنه فوقع ، وصاح أمية صيحة ما سمعت بمثله قطُّ . قال قلت : أنج بنفسك ولا نجاء ! فوالله ما أغني عنك شيئاً . قال : فهبَّروهما بأسياهم حتى فرغوا منهما . قال : فكان عبد الرحمن يقول : رَحِمَ اللهُ بلالاً ؛ ذهب بأدراعي وفجعني بأسيري .

[قتال الملائكة في غزوة بدر]

قال ابن إسحاق حدثني عبد الله بن أبي بكر أنه حدث عن ابن عباس قال حدثني رجلٌ

من بني غِفَار¹ قال : أقبلتُ أنا وابن عمِّ لي حتى أُصعدنا في جبلٍ يُشرفُ بنا على بدر ، ونحن مشركان ننتظر الواقعة على مَنْ تكون الدَّبْرَة ؛ فنَهَبَ مع من يَنْهَب . فبينما نحن في الجبل إذ دنتُ منّا سحابةٌ ، فسمعنا فيها حَمَحَمَة الخيل ، وسمعتُ قائلاً يقول : أَقْدِمْ حَيْرُومُ . قال : فأما ابن عمِّي فانكشف قِنَاعُ قلبه فمات مكانه . وأما أنا فكدتُ أهْلِكُ ، ثم تماسكتُ .

قال محمد بن إسحاق حدّثني أبي إسحاق بن يسار عن رجالٍ من بني مازن بن النجّار عن أبي داود المازني ، وكان شهيداً بدرأ ، قال² : إنِّي لأتبعُ رجلاً من المشركين يوم بدرٍ لأضربه ، إذ وقعَ رأسه قبل أن يصل إليه سيفي ، فعلمتُ أنّه قد قتله غيري .

حدّثنا محمد بن جرير قال حدّثنا عبد الرحمن بن عبد الله بن الحكم المصريّ قال حدّثنا يحيى بن بُكَيْرٍ قال حدّثني محمد بن إسحاق عن العلاء بن كَثِيرٍ عن أبي بكر بن عبد الرحمن بن المسور بن مَخْرَمَة عن أبي أمامة بن سهل بن حنيف قال : قال لي أبي : يا بُنيّ ، لقد رأيتنا يوم بدرٍ وإنّ أحدنا لَيُشِيرُ إلى المُشْرِكِ بسيفه فيقع رأسه عن جسده قبل أن يصل إليه السيف .

[لباس الملائكة يوم بدر وحين]

حدّثنا محمد قال حدّثنا ابن حميدٍ قال حدّثنا سلمة عن محمد قال ، وحدّثني الحسن بن عُمارة قال أخبرنا سلمة عن الحكم بن عتيبة³ عن مِقْسَم مولى عبد الله بن الحارث عن عبد الله بن عباس قال⁴ : كانت سيمتا الملائكة يوم بدرٍ عمائم بيضاً قد أرسلوها على ظهورهم ، ويوم حنين عمائم حمراً ، ولم تُقاتل الملائكة في يومٍ من الأيام سوى يوم بدر ، وكانوا يكونون فيما سواه من الأيام مدّداً وعدّداً ولا يضربون .

[مقتل أبي جهل بن هشام]

حدّثنا محمد قال حدّثنا ابن حميدٍ قال حدّثنا سلمة قال ، قال محمد وحدّثني ثور بن زيد مولى بني الدليل عن عكرمة مولى ابن عباس عن ابن عباس ، قال وحدّثني عبد الله بن أبي بكر ، قال : كان معاذ بن عمرو بن الجَموح أخو بني سلمة يقول⁵ : لما فرغ رسول الله ﷺ من غزوة بدر أمر بأبي جهل أن يُلْتَمَسَ في القتلى ، وقال : «اللهم لا يُعجزنك» . وكان أوّل مَنْ لقي أبا

1 السيرة : 633 .

2 السيرة : 633 .

3 ل : عيينة .

4 السيرة : 633 .

5 السيرة : 634-636 .

جهل مُعَاذُ بن عمرو بن الجَمُوح ، قال : سمعتُ القوم ، وأبو جهل في مثل الحَرْجَةِ ، وهم يقولون : أبو الحَكَم لا يُخَلِّصُ إليه . فلَمَّا سمعتها جعلتها من شَأني ، فعمدْتُ نحوه ، فلَمَّا أمكنني حملتُ عليه ، فضربته ضربةً ¹ أطنَّتْ قدمه بنصف ساقه ، فوالله ما شبَّهتها حين طاحت إلا كالنواة تطيح من تحت مرضخة ² النوى حين يُضرب بها . قال : وضربني ابنه عكرمة على عاتقي فطرح يدي ، فتعلقتُ بجلدته من جنبي ، وأجهضني القتال عنها ؛ فلقد قاتلتُ عامَّةً يومي وأناي لأسحبها خلفي ، فلَمَّا آذنتني جعلتُ عليها رجلي ثم تمطَّيتُ بها حتى طرحتها . قال : ثم عاش معاذ بعد ذلك حتى كان في زمن عثمان بن عفان .

قال : ثم مرَّ بأبي جهل ، وهو عقير ³ ، مُعوذ بن عفراء ، فضربه حتى أثبته ، فتركه وبه رمقٌ ، وقاتل معوذ حتى قُتِل . فمرَّ عبد الله بن مسعود بأبي جهل حين أمر رسول الله ﷺ أن يُلتَمَسَ في القتلى ، وقال لهم رسول الله ﷺ فيما بلغني : «انظروا إن خفي عليكم في القتلى إلى أثر جرح بركبته ؛ فإنِّي ازدحمتُ أنا وهو يوماً على مأذبة لعبد الله بن جدعان ونحن غلامان وكنت أشبُّ ، أو أشفَّ ، منه بيسير ، فدفعته فوق علي ركبتيه فخدش في إحداهما خدشاً لم يزل أثره فيها بعد» . فقال عبد الله بن مسعود : فوجدته بأخر رمقٍ فعرفته ، فوضعتُ رجلي على عنقه . قال : وقد كان ضبث ⁴ بي مرةً بمكة فآذاني ولكرني ، ثم قلت : هل أخزأك الله يا عدو الله ؟ قال : وبماذا أخزاني ! أعمد ⁵ من رجلٍ قتلتموه !؟ لمن الدبرة اليوم ؟ قال : قلت : لله ولرسوله ﷺ .

حدَّثنا محمد بن جرير قال حدَّثنا ابن حُميد قال حدَّثنا سلمة عن محمد قال ⁶ : زعم رجالٌ من بني مخزوم أن ابن مسعود كان يقول : قال لي أبو جهل : لقد ارتقيت يا رُويعي الغنم مُرتقى صعباً ؛ ثم احتزرتُ رأسه ، ثم جئتُ به رسول الله ﷺ ، فقلت : يا رسول الله ، هذا رأس عدو الله أبي جهل . فقال رسول الله ﷺ : «الله الذي لا إله غيره» ! ، وكانت يمين رسول الله ﷺ ، قلت : نعم والله الذي لا إله غيره ، ثم ألقى رأسه بين يدي رسول الله ﷺ ؛ قال : فحميد الله .

1 أطنت : قطعت .

2 مرضخة النوى : حجر يكسر به النوى .

3 عقير : جريح .

4 ضبث بالشيء : قبض عليه بكفه .

5 أعمد : أعجب .

6 السيرة : 636 .

[تكليم النبي أصحاب القلب بعد موتهم]

قال محمد بن إسحاق وحدثني يزيد بن رومان عن عروة بن الزبير عن عائشة قالت¹ : لما أمر رسول الله ﷺ بالقتلى أن يُطرحوا في القلب طرّحوا فيها إلا ما كان من أمية بن خلف ، فإنه انتفخ في درعه فملاًها ؛ فذهبوا به ليخرجه فتزائل ، فأقروه وألقوا عليه ما غيبه من التراب والحجارة . فلما ألقوهم في القلب ، وقف رسول الله ﷺ فقال : « يا أهل القلب هل وجدتم ما وعدكم ربكم حقاً فإني وجدت ما وعدني ربي حقاً » . فقال له أصحابه : يا رسول الله ، أتكلّم قوماً موتى ؟ قال : « لقد علموا أن ما وعدهم ربهم حقٌّ » . قالت عائشة : والناس يقولون : « لقد سمعوا ما قلت لهم » ، وإنما قال رسول الله ﷺ : « لقد علموا » .

قال ابن سحاق وحدثني حميد الطويل عن أنس بن مالك قال : لما سمع أصحاب رسول الله ﷺ رسول الله ﷺ وهو يقول من جوف الليل : « يا أهل القلب يا عتبة بن ربيعة ويا شيبة بن ربيعة ويا أبا جهل بن هشام ، فعدّد من كان منهم في القلب ، هل وجدتم ما وعدكم ربكم حقاً فإني قد وجدت ما وعدني ربي حقاً » قال المسلمون : يا رسول الله ، أتنادي قوماً قد جيّفوا ! فقال : « ما أنتم بأسمع لما أقول منهم ، ولكنهم لا يستطيعون أن يجيبوني » .

قال محمد بن إسحاق وحدثني بعض أهل العلم : أن رسول الله ﷺ يوم قال هذه المقالة قال : « يا أهل القلب بئس عشيرة النبي كنتم لنيكم ؛ كذبتُموني وصدقتني الناس ، وأخرجتموني وآواني الناس ، وقاتلتموني ونصرني الناس » . ثم قال : « هل وجدتم ما وعدكم ربكم حقاً » للمقالة التي قالها . ولما أمر بهم رسول الله ﷺ أن يُلقوا في القلب ، أخذ عتبة فسُحب إلى القلب ، فنظر رسول الله ﷺ ، فيما بلغني ، إلى وجه أبي حذيفة بن عتبة ، فإذا هو كتيبٌ قد تعيّر ؛ فقال رسول الله ﷺ : « يا أبا حذيفة لعلك قد دخلك من شأن أهلك شيء » أو كما قال . قال فقال : لا والله يا رسول الله ما شككت في أبي ولا في مصرعه ، ولكنني كنتُ أعرف من أبي رأياً وفضلاً وحِلماً ، فكنتُ أرجو أن يهديه الله إلى الإسلام ، فلما رأيتُ ما أصابه وذكرتُ ما مات عليه من الكفر بعد الذي كنتُ أرجو له ، أحزنتني ذلك . قال : فدعا رسول الله ﷺ له بخير وقال له خيراً .

[اختلاف المسلمين على الفيء]

ثم إن رسول الله ﷺ أمر بما في العسكر ممّا جمع الناس فجُمع ، واختلف المسلمون فيه : فقال من جمعه : هو لنا ، وقد كان رسول الله ﷺ نفل كل امرئ ما أصاب . فقال

1 السيرة : 638-639 ، 640 .

2 السيرة : 641-642 .

الذين كانوا يُقاتلون العدو ويطلبونهم : لولا نحن ما أصبتموه ، لنحن شَعَلْنَا القوم عنكم حتى أصبتم ما أصبتم . وقال الذين كانوا يحرسون رسول الله ﷺ مخافة أن يُخَالِفَ إليه العدو : والله ما أنتم بأحقَّ منا ، ولقد رأينا أن نقتل العدو إذ ولأنا الله وَمَنَحْنَا أكتافهم ، ولقد رأينا أن نأخذ المتاع حين لم يكن دونه من يمنعه ، ولكن خِفْنَا على رسول الله ﷺ كَرَّةَ العدو ، فقمنا دونه ، فما أنتم بأحقَّ به منا .
[مقتل النضر بن الحارث]

قال ابن إسحاق وحدثني عاصم بن عُمَر بن قتادة ويزيد بن رومان¹ : أن رسول الله ﷺ جمع الأسارى من المشركين ، وكانوا أربعة وأربعين أسيراً ، وكان من القتلى مثل ذلك ، وفي الأسارى عُقبه بن أبي معيط ، والنَّضْر بن الحارث بن كَلْدَة ، حتى إذا كان رسول الله ﷺ بالصِّقْرَاء ، قُتِل النَّضْر بن الحارث بن كَلْدَة ، قَتَلَهُ علي بن أبي طالب رضي الله عنه .
[تعنيف سودة لسهيل بن عمرو حين أُسر]

قال محمد بن إسحاق حدثني عبد الله بن أبي بكر عن يحيى بن عبد الله بن عبد الرحمن بن سعد بن زرارة قال² : قُدِمَ بالأسارى حين قُدِمَ بهم ، وسودة بنت زَمْعَة (زوج النبي ﷺ) عند آل غَفْرَاء في مَنَاحَتِهِمْ علي عَوْفٌ ومُعَوِّذُ ابني غَفْرَاء ، وذلك قبل أن يُضْرَبَ عليهنَّ الحجاب . قال : تقول سودة : والله إنِّي لعندهم إذ أتينا ، فقيل : هؤلاء الأسارى قد أتيتي بهم ، فرُحِتْ إلى بيتي ورسول الله ﷺ فيه ، وإذا أبو يزيد سهيل بن عمرو في ناحية الحُجْرَة مجموعةٌ يده إلى عنقه بجبل . قالت : فوالله ما ملكتُ نفسي حين رأيتُ أبا يزيد كذلك أن قلتُ : يا أبا يزيد ، أُعْطِيتُمْ بأيديكم ، ألا مُتُّم كِرَاماً ؟ فوالله ما أنبهني إلا قولُ رسول الله ﷺ من البيت : «يا سودة أَعْلَى اللهُ وعلى رسوله» قالت فقلت : يا رسول الله ، والذي بعثك بالحق ما ملكتُ نفسي حين رأيتُ أبا يزيد مجموعةٌ يده إلى عنقه بجبل أن قلتُ ما قلت .
[إخبار الحيسمان أهل مكة عن قتلى بدر]

قال محمد بن إسحاق³ : وكان أولُ مَنْ قَدِمَ مكةَ بمُصَابِ قريش ، الحَيْسُمَان بن عبد الله بن إياس بن ضَبِيعَة بن رومان بن كعب بن عمرو الخُزَاعِي . قالوا : ما وراءك ؟ قال : قُتِلَ عُتبَة بن ربيعة ، وشبَّية بن ربيعة ، وأبو الحَكَم بن هشام ، وأمِّية بن خَلْف ، وزَمْعَة بن الأسود ، وأبو البخترِي بن هشام ، ونُبَيْه ومُنْبَه ابنا الحَجَّاج . قال : فلما جعل يُعَدِّدُ أشْرَافَ قريش قال

1 السيرة : 644 .

2 السيرة : 645 .

3 السيرة : 646 .

صفوان بن أمية وهو قاعدٌ في الحجر : والله إن يعقل هذا فسألوه عني . قالوا : ما فعل صفوان بن أمية ؟ قال : هو ذلك جالس في الحجر ، وقد والله رأيتُ أباه وأخاه حين قُتلا .
[أبو لب وتخلّفه عن الحرب ثم موته]

قال محمد بن إسحاق حدثني حسين بن عبد الله بن عبيد الله بن عباس عن عكرمة مولى ابن عباس قال¹ : قال أبو رافع مولى رسول الله ﷺ : كنتُ غلاماً للعباس بن عبد المطلب ، وكان الإسلام قد دخلنا أهل البيت ، فأسلم العباس وأسلمت أم الفضل ، وأسلمت ، وكان العباس يَهَابُ قومه ، ويكره خيلافهم ، وكان يكتُم إسلامه ، وكان ذا مالٍ كثيرٍ متفرّق في قومه ، وكان أبو لهبٍ عدوُّ الله قد تخلّف عن بدر ، وبعث مكانه العاصي بن هشام بن المغيرة ، وكذلك صنعوا ، لم يتخلّف رجلٌ إلّا بعث مكانه رجلاً . فلما جاء الخبر عن مُصاب أهل بدر من قريش ، كتبه الله وأخزاه ، ووجدنا في أنفسنا قوّةً وعزّاً ؛ وكنت رجلاً ضعيفاً ، وكنتُ أعمل القِداح أنحتّها في حُجرة زمزم ؛ فوالله إنني لجالسٌ فيها أنحت القِداح ، وعندني أم الفضل جالسة وقد سرّنا ما جاءنا من الخبر ، إذ أقبل الفاسق أبو لهبٍ يجرُّ رجله يسير حتى جلس على طنب الحُجرة ، فكان ظهره إلى ظهري . فبينما هو جالس إذ قال الناس : هذا أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب قد قدِم ؛ فقال أبو لب : هلُمَّ إليّ يا ابن أخي ، فعندك لعمرى الخير . فجلس إليه والناس قيامٌ عليه . فقال يا ابن أخي أخبرني كيف كان أمرُ الناس ؟ قال : لا شيء والله ، إن كان إلّا أن لقيناهم فأبحناهم أكتافنا يقتلون ويأسرون كيف شاؤوا . وإيمُ الله مع ذلك ما أمتُ الناس ، لقينا رجالاً بيضاً على خيلٍ بلقي بين السماء والأرض ما تليق شيئاً ولا يقوم لها شيء . قال أبو رافع : فرفعتُ طنب الحُجرة بيدي ، ثم قلتُ : تلك والله الملائكة ، فرفع أبو لهب يده فضرب وجهي ضربةً شديدة . قال : فساورته فاحتملني فضرب بي الأرض ، ثم برك عليّ يضربني ، وكنتُ رجلاً ضعيفاً ؛ فقامت أم الفضل إلى عمود من عمُد الحُجرة فأخذته فضربته به ضربةً ، فشجّت في رأسه شجّةً منكّرة وقالت : أتستضعفه أن غاب عنه سيده ؟ فقام مؤلياً ذليلاً . فوالله ما عاش فيها إلّا سبع ليالٍ حتى رماه الله جلّ جلاله بالعدسة فقتلته ؛ فلقد تركه ابناه ليلتين أو ثلاثاً لا يدفناه حتى أتتني في بيته ، وكانت قريش تنقي العدسة كما يُتقى الطاعون ، حتى قال لهما رجلٌ من قريش ويحكما ! لا تستحيان أن أباكما قد أتتني في بيته لا تعيانه ! فقالا : نخشى هذه القرحة . قال : فانطلقا فأنّا معكما . فما غسلوه إلّا قذفاً بالماء عليه من بعيد ما يمسونه ؛ فاحتملوه فدفنوه بأعلى مكة على جدار ، وقذفوا عليه الحجارة حتى واروه .

[العباس بن عبد المطلب وتأم النبي لأسره]

قال محمد بن إسحاق وحدثني العباس بن عبد الله بن معبد عن بعض أهله عن الحكم بن عتيبة عن ابن عباس قال: لما أمسى القوم من يوم بدر، والأسارى محبسون في الوثاق، بات رسول الله ﷺ ساهراً أول ليلته. فقال له أصحابه: يا رسول الله، ما لك لا تنام؟ فقال: «سمعتُ تَصَوَّرُ العَبَّاسَ في وثاقه»؛ فقاموا إلى العباس فأطلقوه؛ فنام رسول الله ﷺ.

قال ابن إسحاق وحدثني الحسن بن عمارة عن الحكم بن عتيبة عن ابن عباس قال: كان الذي أسر العباس أبو اليسر كعب بن عمرو أخو بني سلمة، وكان رجلاً مجموعاً، وكان العباس رجلاً جسيماً. فقال رسول الله ﷺ لأبي اليسر: «كيف أسرت العباس يا أبا اليسر؟» فقال: يا رسول الله، أعانني عليه رجل ما رأيته قبل ذلك ولا بعده، هيئته كذا وكذا. فقال رسول الله ﷺ: «لقد أعانك عليه مَلَكٌ كريم».

[طلب منه النبي الفداء وأخبره عن أمواله بمكة]

قال ابن إسحاق عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس: أن رسول الله ﷺ قال للعباس بن عبد المطلب حين انتهى به إلى المدينة: «يا عباس أفد نفسك، وابن أخيك عقيل بن أبي طالب، ونوفل بن الحارث، وحليفك عتبة بن عمرو بن جحدم أخا بني الحارث بن فهر؛ فإنك ذو مال». فقال: يا رسول الله، إنني كنتُ مسلماً ولكن القوم استكروهوني. فقال «الله أعلم بإسلامك، إن يكن ما تذكر حقاً فالله يجزيك به، فأما ظاهرُ أمرِك فقد كان علينا؛ فأفد نفسك». وكان رسول الله ﷺ قد أخذ منه عشرين أوقيةً من ذهب. فقال العباس: يا رسول الله، احسبها لي في فِدائِي. قال: «لا، ذلك شيء أعطانا الله منك». قال: فإنه ليس لي مال. قال قال: «فأين المال الذي وضعت بمكة حين خرجت من عند أم الفضل بنت الحارث ليس معكما أحد، ثم قلت لها إن أُصِبتُ في سفرتي هذه فللفضل كذا ولعبد الله كذا ولقثم كذا ولعبيد الله كذا؟» قال: والذي بعثك بالحق ما علم هذا أحدٌ غيري وغيرها، وإني لأعلم أنك رسول الله. ففدى العباس نفسه وابن أخيه وحليفه.

[فدت زينب زوجها فرد عليها النبي الفداء]

قال ابن إسحاق: وحدثني يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير عن أبيه عن عائشة قالت¹: لما بعث أهل مكة في فداء أسراهم، بعثت زينب بنت رسول الله ﷺ في فداء أبي العاصي بن الربيع بمال، وبعثت فيه بقلادة لها كانت خديجة أدخلتها بها على أبي العاصي حين بنى عليها. فلما رآها رسول الله ﷺ رَقَّ لها رقةً شديدة وقال: «إن رأيتم أن تُطلقوا لها أسيرها وتردوا عليها

الذي لها فافعلوا» ! فقالوا : نعم يا رسول الله ؛ فأطلقوه وردّوا عليها الذي لها .
[رثاء الأسود بن المطّلب لأولاده]

قال ابن إسحاق : حدّثني يحيى بن عبّاد عن أبيه قال¹ : ناحت قريش على قتلاها ، ثم قالت : لا تفعلوا فيبلغ ذلك محمداً وأصحابه فيشتمتوا بكم ، ولا تبعثوا في فداء أسراكم حتى تستأنوا بهم ، لا يتأربّ عليكم محمد وأصحابه في الفداء . قال : وكان الأسود بن المطّلب قد أصيب له ثلاثة من ولده : زمعة وعقيل والحارث بنو الأسود ، وكان يحبّ أن يبكي على بنيه . فبينما هو كذلك إذ سمع نائحة في الليل ، فقال لغلامه وقد ذهب بصره : انظر هل أحلّ النحيب ؟ وهل بكت قريش على قتلاها ؟ لعليّ أبكي على أبي حكيمة (يعني زمعة) ؛ فإنّ جوفي قد احترق . فلما رجع إليه الغلام قال : إنّما هي امرأة تبكي على بعير لها أضلته ؛ فذلك حين يقول الأسود :

أتبكي أنّ أضلّ لها بعيرٌ
ولا تبكي على بكرٍ ولكنّ
على بدرٍ سراة بني هضيضٍ
وبكّي إنّ بكيت على عقيلٍ
وبكّهم ولا تُسمي جميعاً
ألا قد سادَ بعدهم رجالٌ
ويمنعها البكاء من الهجودِ
على بدرٍ تقاصرت الجدود²
ومخزومٍ ورهط أبي الوليدِ
وبكّي حارثاً أسدَ الأسودِ
فما لأبي حكيمة من نديدِ
ولولا يومُ بدرٍ لم يسودوا³

[رثاء هند بنت عتبة أبها]

ومما قيل في بدر من الشعر وغني به قول هند بنت عتبة ترثي أبها⁴ : [من مجزوء الكامل]

صوت

مَنْ حَسَّ لِي الْأَخَوَيْنِ كَالِ
قَرْمَانَ لَا يَتَّظَلَّمَا
وَيْلِي عَلَى أَبَوِيٍّ وَالْ
غُضْنَيْنِ أَوْ مَنْ رَاهُمَا
نِ وَلَا يُرَامُ جِمَاهُمَا
قَبْرِ الَّذِي وَاوَاهُمَا

1 السيرة : 647-648 .

2 في هذا البيت إقواء .

3 في هذا البيت إقواء .

4 وردت هذه الأبيات في ديوان الخنساء (طبعة دار صادر ، بيروت ، 1963) وأثبت في الحاشية أنّها تنسب لهند بنت عتبة .

لا مِثْلَ كَهْلِي فِي الْكُهُو لٍ وَلَا فَتَى كَفَتْهُمَا

ذكر الهشاميّ أنّ الغناء لابن سريج رمل ، وفي الكتاب الكبير المنسوب إلى إسحاق أنّه للغريص ، وتمام هذه الأبيات : [من مجزوء الكامل]

أَسْدَانٍ لَا يَتَذَلَّلَا نِ وَلَا يُرَامُ حِمَاهَا
رُمَحَيْنِ خَطَّيْنِ فِي كِبِدِ السَّمَاءِ تَرَاهَا
مَا خَلَفَا إِذْ وَدَّعَا فِي سُودَدِ شَرَوَاهُمَا
سَادَا بَغِيرَ تَكْلُفِي عَفْوًا يَفِيضُ نَدَاهُمَا

[معاظمتها الخنساء بعكاظ وشعرهما في مصابهما]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدثني الحارث بن أبي أسامة قال حدثنا محمد بن سعد عن الواقديّ ، وأخبرني ابن أبي الأزهر قال حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه عن الواقديّ عن عبد الرحمن بن أبي الزناد قال : لما كانت وقعة بدر ، قُتِلَ فيها عُتْبَةُ بن ربيعة ، وشيبة بن ربيعة ، والوليد بن عُتْبَةَ ؛ فأقبلت هند بنت عُتْبَةَ ترثيهم ، وبلغها تسويم¹ الخنساء هودجها في الموسم ومعاظمتها العرب بمصيبتها بأبيها عمرو بن الشريد وأخويها صخر ومعاوية ، وأنها جعلت تشهد الموسم وتبكيهم ، وقد سومت هودجها براية ، وأنها تقول : أنا أعظم العرب مصيبةً ، وأنّ العرب قد عرفت لها بعض ذلك . فلما أصيبت هند بما أصيبت به وبلغها ذلك ، قالت : أنا أعظم من الخنساء مصيبةً ، وأمرت بهودجها فسوم براية ، وشهدت الموسم بعكاظ ، وكانت سوقاً يجتمع فيها العرب ، فقالت : اقربونا جمليّ بجمل الخنساء ، ففعلوا . فلما أن دنت منها ، قالت لها الخنساء : من أنت يا أختي ؟ قالت : أنا هند بنت عُتْبَةَ أعظم العرب مصيبةً ، وقد بلغني أنّك تُعَاطِمِينَ العرب بمصيبتك ، فيمّ تُعَاطِمِينَهم ؟ فقالت الخنساء : بعمرو بن الشريد ، وصخر ومعاوية ابني عمرو ، ويمّ تُعَاطِمِينَهم أنت ؟ قالت : بأبي عُتْبَةَ بن ربيعة ، وعمّي شيبة بن ربيعة ، وأخي الوليد . قالت الخنساء : أو سواهم هم عندك ؟ ثم أنشدت تقول² : [من الطويل]

أَبْكِي أَبِي عَمْرًا بَعِينَ غَزِيرَةَ قَلِيلٌ إِذَا نَامَ الْخَلِيُّ هُجُودَهَا
وَصِنُوِيَّ لَا أَنْسَى مُعَاوِيَةَ الَّذِي لَهُ مِنْ سَرَاةِ الْحَرَّتَيْنِ وَفُودَهَا

1 تسويم : وضع علامة للتمييز .

2 في الديوان (طبعة دار صادر) أن هند بنت عُتْبَةَ أنشدت والخنساء أجابت مع أن في مقدمة الشعر ما يفيد أن شارح الديوان إنما ينقل عن الأغاني .

وصحراً، وَمَنْ ذَا مِثْلُ صَخْرٍ إِذَا عَدَا
فذلك يا هندُ الرِّزِيَّةَ فاعلمي
فقلت هندُ تُجيبها :

[من الطويل]

أَبْكِي عَمِيدَ الْأَبْطَحِينَ كِلَيْهِمَا
أَبِي عُتْبَةَ الْخَيْرَاتِ وَيُحَكِّ فاعلمي
أولئك آلُ المَجْدِ من آلِ غالبٍ
وقالت لها أيضاً يومئذٍ :

[من مجزوء الكامل]

مَنْ حَسَّ لِي الْأَخَوَيْنِ كَالِ
مُغْضَنِينَ أَوْ مَنْ رَاهِمَا

[لم ينكر معاوية على عبد الله بن جعفر سماعه الغناء]

أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه قال حدثني بعض القُرَشِيِّينَ قال : قَدِمَ
عبدالله بن جعفر على معاوية وافداً ، فدخل عليه إنساناً ثم ذهب إلى معاوية فقال : هذا ابن
جعفر يشرب النبيذ ، ويسمع الغناء ، ويُحَرِّكُ رأسَه عليه . فجاء معاوية مُتَغَيِّراً حتى دخل
على ابن جعفر ، وعَزَّةُ المِئْلَاءِ بين يديه كالشمس الطالعة في كِوَاءِ³ البيت يُضيء بها
البيت ، تُغْنِيهِ على عودها :

[من الكامل]

تَبَلَّتْ قُودَاكَ فِي الظَّلَامِ خَرِيدَةً تَشْفِي الضَّجِيعَ بَارِدِ بَسَامٍ⁴

وبين يديه عُسٌّ ؛ فقال : ما هذا يا أبا جعفر ؟ قال : أقسمتُ عليك يا أمير المؤمنين
لَتَشْرَبَنَّ منه ، فإذا عسلٌ مَجْدُوحٌ بِمِسْكِ وكافور . فقال : هذا طَيِّبٌ ، فما هذا الغناء ؟
قال : هذا شعرُ حَسَّانِ بنِ ثابتٍ في الحارث بن هشام . قال : فهل تُغْنِي بغير هذا ؟ قال :
نعم ، بالشعر الذي يَأْتِيكَ به الأعرابيُّ الجافي الأَدْفَرُ ، القبيح المنظر ، فَيُشَافِهُكَ به ، فتعطيه
عليه ؛ وآخذه أنا ، فأختار محاسنه ورقيق كلامه ، فأعطيه هذه الحسنة الوجه ، اللَّيْنَةَ
اللمس ، الطيبة الريح ، فترتله بهذا الصوت الحسن . قال : فما تحريكُكَ رأسَكَ ؟ قال :
أرِيحِيَّةُ أجدها إذا سمعت الغناء ، لو سئلت عندها لأعطيتُ ، ولو لقيت لأبليت . فقال
معاوية : قَبِّحَ اللهُ قوماً عَرَّضُونِي لكَ . ثم خرج وبعث إليه بصلَّة .

1 بساهمة الأبطال في ل : بسلهمة الأبطال .

2 الأبطحان : بطحاء مكة وسهل تهامة .

3 كِوَاء : جمع كوة وهي النافذة .

4 في الظلام في في ديوان حسان : «في المنام» وتشفي الضجيع «تسقي الضجيع» .

[عمر بن أبي ربيعة ونعم]

صوت من المائة المختارة

[من الخفيف]

أَيُّهَا الْقَلْبُ لَا أَرَاكَ تُفِيقُ طَالَمَا قَدْ تَعَلَّقْتَكَ الْعُلُوقُ¹
 مَنْ يَكُنْ مِنْ هَوَى حَبِيبٍ قَرِيباً فَأَنَا النَّازِحُ الْبَعِيدُ السَّحِيقُ
 قُضِيَ الْحُبُّ بَيْنَنَا فَالتَقِينَا وَكَلَانَا إِلَى اللَّقَاءِ مَشُوقُ

الشعر في البيت الأول والثالث لعمر بن أبي ربيعة ، والبيت الثاني ليس له ، ولكن هكذا غني ؛ وليس هو أيضاً مُشاكلاً لحكاية ما في البيت الثالث . والغناء لبابويه الكوفي ، خفيف ثقيل أول . وهذا الشعر يقوله عمر بن أبي ربيعة في امرأة من قريش ، يقال لها نعم ، كان كثير الذكر لها في شعره . أخبرني بذلك محمد بن خلف بن المرزبان عن أبي عبد الله التميمي عن القحذمي والمدائني . قال : وهي التي يقول فيها :

أَمِنْ آلِ نَعْمٍ أَنْتَ غَادٍ فَمُبَكِّرُ

قال : وكانت تكنى أم بكر ، وهي من بني جُمَح . وتماّم هذه الأبيات على ما حكاها

[من الخفيف]

ابن المرزبان عمّن ذكرت :

فالتقينا ولم نحف ما لقينا ليلة الخفيف ، والمنى قد تشوق
 وجرى بيننا فجدد وصلا قلب حول أريب رفيق
 لا تظني أن التراسل والبذ ل لكل النساء عندي يليق
 هل لك اليوم إن نأت أم بكر وتولت إلى عزاء طريق

أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال حدثت عن محمد بن حميد عن عبد الله بن سوار القاضي عن بشر بن المفضل قال : بلغ عمر بن أبي ربيعة أن نعماً اغتسلت في غدِير ، فاتاه فأقام عليه ، وما زال يشرب منه حتى جف .

أخبرني محمد بن خلف قال : قال محمد بن حبيب الراوية : بلغني أن نعماً استقبلت عمر بن أبي ربيعة في المسجد الحرام ، وفي يدها خلوق من خلوق المسجد ، فمسحت به ثوبه ، ومضت

1 ديوان عمر (طبعة دار صادر) : 266 وقد تضمن البيت الثاني الذي نفى أبو الفرج نسبه إليه ، ومع بعض اختلاف في الرواية .

وهي تضحك ؛ فقال عمر¹ : [من الخفيف]

أدخل الله ربُّ موسى وعيسى
مسحته من كفِّها في قميصي
عَضَيْتُ أَنْ نَظَرْتُ نَحْوَ نِسَاءِ
وَأرى بينها وبين نساء
جَنَّةِ الخُلْدِ مَنْ مَلَاني خُلوقاً
حين طافتُ بالبيتِ مَسْحاً رَفيقاً
ليس يَعْرِفَنِي سَلَكنَ طريقاً
كنتُ أَهْذي بِهِنَّ بَوناً سَحيقاً
وهذا البيت الأول مما عيب على عمر .

ومما غني فيه من تشبيب عمر بنعم هذه² :

صوت

دينَ هذا القلبُ مِنْ نُعمٍ
إِنَّ نُعماً أَقصدتُ رجلاً
بِشَّيتِ نَبْتُهُ رَتلٍ
وَبِوَحْفِ مائلِ رَجَلٍ
بِسقامٍ ليس كالسقمِ
أَمناً بالخيفِ إِذ تَرَمي
طَيِّبِ الأنيابِ والطَّعمِ
كعناقيدِ مِنَ الكَرَمِ

ومنها³ :

صوت

خَليلِيَّ ارْبَعاً وسَلاً
بأعلى الوادِ عند البُءِ
وقد تَغني بِهِ نُعمٌ
ليالي لا نُحبُّ لَنَا
بمغنى الحَيِّ قد مثلاً
رِ هَيَّجَ عِبْرَةً سَبلاً
وكنت بوصلِها جَدِلاً
بِعِيشٍ قد مضى بَدَلاً
وتَهوانا ونَهواها
ونَعْصي قَوْلَ مَنْ عَدَلاً
وتُرْسيلُ في مُلاطفةٍ
ونُعْميلُ نَحوها الرُّسلاً

غناه الهذلي ، ولحنه من القدر الأوسط من التثقيب الأول بالسبابة في مجرى الوسطى عن إسحاق . وفيه لابن سريج لحنان : رملٌ بالبنصر في مجراها عن إسحاق ، وخفيف ثقيل

1 ديوان عمر بن أبي ربيعة : 270 .

2 ديوان عمر بن أبي ربيعة : 386 ورواية البيت الأول :

قد أصاب القلب من نُعمٍ سقم داء ليس كالسقمِ

3 ديوان عمر بن أبي ربيعة : 337 .

بالوسطى عن عمرو . وفيها عن إسحاق ثاني ثقليل ، ولُسَلِيم خفيف رملٍ ، جميعاً عن الهشامي . قال : ويقال : إِنَّ اللّٰحْنَ الْمَسْبُوبَ إِلَى سُلَيْمٍ لِحَكَمِ الْوَادِي .
ومنها من قصيدة أولها¹ :

[من الطويل]

لقد أرسلتُ نَعْمَ إِلَيْنَا أَنْ آتَيْنَا فَأَحِبِّبْ بِهَا مِنْ مُرْسِلٍ مُتَغَضِّبٍ
يُغْنِيْ مِنْهَا فِي قَوْلِهِ :

صوت

فَقَلْتُ لِحَنَادٍ خُذِ السِّيفَ وَاشْتَمِلْ عَلَيْهِ بِرَفْقٍ وَارْقُبِ الشَّمْسَ تَغْرُبِ
وَأَسْرِجْ لِي الدَّهْمَاءَ وَأَعْجَلْ بِمِمْطَرِي وَلَا تُعَلِّمَنْ حَيًّا مِنَ النَّاسِ مَذْهَبِي
فَلَمَّا التَّقِينَا سَلَّمْتُ وَتَبَسَّمْتُ وَقَالَتْ مَقَالَ الْمُعْرِضِ الْمُتَجَنِّبِ
أَمِنْ أَجَلٍ وَاشْ كَاشِحِ بِنَمِيمَةٍ مَشَى بَيْنَنَا صَدَقْتَهُ لَمْ تُكْذِبِ²
وَقَطَّعْتَ حَبْلَ الْوَصْلِ مَنَا ، وَمَنْ يُطِيعُ بَدِي وَدَّهُ قَوْلَ الْمُرْشِ يُعْتَبِ³

صوت

[من مجزوء الكامل]

مَا بَالُ أَهْلِكَ يَا رَبَابُ خُزْرًا كَأَنَّهُمْ غِضَابُ
إِنْ زُرْتُ أَهْلَكَ أَوْعَدُوا وَتَهَرَّ دُونَهُمْ الْكَلَابُ

عروضه من الكامل ، الشعر لعَلَسِ ذِي جَدَنِ الْحَمِيرِيِّ ، أخبرنا بذلك محمد بن الحسن بن دريد عن عمه عن العباس بن هشام بن أبيه . والغناء لطُوَيْسٍ ؛ ولحنه المختار خفيف رملٍ بالينصر .

1 ديوان عمر بن أبي ربيعة : 55-56 مع بعض اختلاف في الرواية .

2 مشى في ل : جرى .

3 أَرَشَ بَيْنَ الْقَوْمِ : أَفْسَدَ .

[48] - نسب عَلسِ ذِي جَدَنٍ وَأَخْبَارِهِ

[نسبه]

هو عَلسُ بن زيد بن الحارث بن العوث بن سعد بن عوف بن عدِيّ بن مالك بن زيد الجُمهور بن سَهْل بن عمرو بن قيس بن معاوية بن جُشَم بن عبد شمس بن وائل بن الغوث بن قَطَن بن عَرِيب بن زهير بن أعز بن الهم بن الهميسع بن جَمِير بن سبأ بن يَشْجُب بن يَعْرُب بن قحطان . وهو مَلِكٌ من ملوك جَمِير . ولُقِّبَ ذا جَدَنٍ لحسن صوته ، والجَدَن : الصوت بلغتهم ، ويقال : إنه أوّل من تغنّى باليمن .

أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه عن ابن الكلبي وأبي مسكين قالا : إنما سُمِّيَ ذا جَدَنٍ لحسن صوته .

[غيره بصنعا وأتاره]

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدثنا علي بن الصباح عن ابن الكلبي عن إسماعيل بن إبراهيم بن ذي الشعار الهمداني عن حيّان بن هانيء الأرحبي عن أبيه قال : أخبرني رجلٌ من أهل صنعا : أنّهم حفروا حفيراً في زمن مروان ، فوقفوا على أزج له بابٌ ، فإذا هم برجل على سريرٍ كأعظم ما يكون من الرجال ، عليه خاتمٌ من ذهب وعصاة من ذهب ، وعند رأسه لوحٌ من ذهب مكتوبٌ فيه : «أنا عَلسُ ذو جَدَنٍ القَيْلُ ، لخليلي مني النَيْلُ ، ولعدوّي مني الوَيْلُ . طلبت فأدركتُ وأنا ابن مائة سنة من عمري ، وكانت الوحشُ تَأْذُنُ¹ لصوتي . وهذا سيفي ذو الكفّ عندي ، ودرعي ذاتُ الفروج ، ورُمحي الهزبري ، وقوسي الفَجْواء² ، وقرني³ ذاتُ الشرّ ، فيها ثلاثمائة حَشْر ، من صنعة ذي نمر⁴ ؛ أعددت ذلك لدفع الموت عني فخانني» . قال : فنظرنا فإذا جميعُ ذلك عنده . ووجدت هذا الخبر عن ابن الكلبي في بعض الكتب من غير رواية ابن عمار ، فوجدت فيه : فإذا طولُ السيف اثنا عشر شبراً ، وعليه مكتوبٌ تحت شاريه بالمُسْتَدِ : «بِأَسْتِ امرىءٍ كنتَ في يده فلم يَنْتَصِرِ» .

انقضت أخباره .

- 1 تأذن لصوتي : تستمع ، تعبيراً عن جمال صوته .
- 2 القوس الفجواء : هي التي بين وترها عن كبدها .
- 3 القرن : الجعبة .
- 4 ل : ذو نمر ، وهو واد في ديار بني كلاب .

[49] - أخبار طويس¹ ونسبه

[أول من صنع الهزج والرمل]

طُوَيْسٌ لَقَبٌ ، واسمه طاووس ، مولى بني مخزوم . وهو أول من غنّى الغناء المُتَقَنَ من المختنّين . وهو أول من صنع الهزج والرمل في الإسلام . وكان يقال : أحسنُ الناسُ غناءً في الثَّقِيلِ ابنُ مُحَرِّزٍ ، وفي الرملِ ابنُ سُرَيْجٍ ، وفي الهزجِ طُوَيْسٌ . وكان الناسُ يضربون به المثل ، فيقال : «أهزجُ من طُوَيْسٍ» .

[غنى أبان بن عثمان فطرب وسأله عن عقيدته وسنه وشؤمه]

أخبرني محمد بن مَرْيَد بن أَبِي الأَزْهَر والحسين بن يحيى قالا : حدّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه عن ابن الكلبي عن أبيه وأبي مسكين ، قال إسحاق : وحدّثني المدائني والهيثم بن عدي عن صالح بن كيسان : أن أبان بن عثمان وفد على عبد الملك بن مروان ، فأمره على الحجاز ؛ فأقبل حتى إذا دنا من المدينة تلقاه أهلها ، وخرج إليه أشرافها ، فخرج معهم طُوَيْسٌ ؛ فلما رآه سلّم عليه ، ثم قال له : أيها الأمير ، إني كنتُ أعطيتُ الله عهداً لئن رأيتك أميراً لأخضبتُ يدي إلى المرفقين ، ثم أزدو² بالدّف بين يديك ، ثم أبدى عن دُفّه وتغنّى بشعر ذي جدن الحميري :

ما بالُ أهليكَ يا ربابُ حُزراً كأنّهمُ غضابُ

قال : فطرب أبان حتى كاد أن يطير ، ثم جعل يقول له : حَسْبُكَ يا طاووس ، ولا يقول له : يا طُوَيْسُ لِنَبْلِهِ في عينه ، ثم قال له : اجلسْ فجلس . فقال له أبان : قد زعموا أنّك كافر . فقال : جُعِلْتُ فِدَاءِكَ ! والله إني لأشهدُ أن لا إله إلا اللهُ وأنّ محمداً رسولُ اللهِ ، وأصليّ الخمس ، وأصوم شهر رمضان ، وأحجُّ البيت . فقال : أفأنت أكبرُ أم عمرو بن عثمان ؟ ، وكان عمرو أخا أبان وأمه ، فقال له طويس : أنا والله ، جُعِلْتُ فِدَاءِكَ ، مع جلائل نساء قومي ، أُمِسِكُ بذيوهنّ يومَ زَفَّتْ أُمُّكَ المباركة إلى أبيك الطيّب . قال : فاستحيا أبان ورمى بطرفه إلى الأرض .

وأخبرني بهذه القصة إسماعيل بن يونس الشيعي قال حدّثنا عمر بن شبة قال حدّثنا العتبي

1 تقدّم ذكر طويس وأخباره في المجلد الثالث صفحة 22 من الأغاني (ذكر طويس وأخباره) وقد أعاد أبو الفرج بعض أخباره التي تقدّمت .

2 أزدو : أضرب .

عن أبيه بمثل هذه القصة عن أبان وطويس . وزاد فيها أن طويساً قال له : نذري أيها الأمير ؛ قال : وما نذرك ؟ قال : نذرت إن رأيتك أميراً في هذه الدار أن أغني لك وأزدو بدفي بين يديك . فقال له : أوف بنذرك ؛ فإن الله عز وجل يقول : ﴿يُؤْفُونَ بِالَّذِينَ﴾ . قال : فأخرج يديه مخضوبتين ، وأخرج دُفَّهُ وتغنى :

ما بال أهلِك يا ربابُ

وزاد فيه : فقال له أبان : يقولون : إنك مشؤوم ، قال : وفوق ذلك ؛ قال : وما بلغ من شؤمك ؟ قال : وُلدت ليلة قبض النبي ﷺ ، وفُطمتُ ليلة مات أبو بكر رضي الله عنه ، واحتلمتُ ليلة قُتلَ عمَرُ رضوان الله عليه ، وزُفَّتْ إليَّ أهلي ليلة قُتلَ عثمان رضي الله عنه . قال : فأخرج عني عليك الدِّبَارُ¹ .

[أهدر دمهُ أمير المدينة مع المختئين]

أخبرني إسماعيل قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثنا محمد بن الوليد قال حدثني مُصعب بن عثمان عن نوفل بن عمارة قال : خرج يحيى² بن الحكم وهو أمير على المدينة ، فبصر بشخص بالسَّبْخَةِ ممَّا يلي مسجد الأحزاب ، فلما نظر إلى يحيى بن الحكم جلس ، فاستراب به ، فوجه أعوانه في طلبه ؛ فأتي به كأنه امرأة في ثياب مُصَبَّعة مصقولة وهو مُمتَشِطٌ مُخْتَضِبٌ . فقال له أعوانه : هذا ابن نغاش المختنث . فقال له : ما أحسبُك تقرأ من كتاب الله عز وجل شيئاً ، اقرأ أم القرآن . فقال : يا أبانا لو عرفت أمهنَّ عرفت البنات . فقال له : أنتهزاً بالقرآن لا أم لك ! وأمر به فضربت عنقه . وصاح في المختئين : من جاء بواحدٍ منهم فله ثلاثمائة درهم . قال زرجون المختنث : فخرجت بعد ذلك أريد العالية ، فإذا بصوت دُفٍّ أعجبنى ، فدنوت من الباب حتى فهمت نغمات قوم آتس بهم ، ففتحته ودخلت ، فإذا بطويس قائم في يده الدُفُّ يتغنى ؛ فلما رأني قال لي : إيه يا زرجون ! قتل يحيى بن الحكم ابن نغاش ؟ قلت نعم . قال : وجعل في المختئين ثلاثمائة درهم ؟ قلت نعم . فاندفع يغني : [من مجزوء الكامل]

ما بال أهلِك يا ربابُ خُزراً كأنهمُ غضابُ
إن زرتُ أهلِك أوعدوا وتَهَرَّ دونهمُ كلابُ

ثم قال لي : ويحك ! أفما جعل في زيادة ولا فضلتني عليهم في الجعل بفضلٍ شيئاً .

1 الدبار : الهلاك .

2 هذا الخبر مما كرهه أبو الفرج .

[مالك بن أنس وحسين بن دحمان الأشقر]

أخبرني محمد بن عمرو العتّابي قال حدثنا محمد بن خلف بن المرزبان ، ولم أسمعها أنا من محمد بن خلف ، قال حدثني إسحاق بن محمد بن أبان الكوفي قال حدثني حسين بن دحمان الأشقر قال : كنتُ بالمدينة ، فخلّيتُ لي الطريق وسطَ النهار ، فجعلتُ أتغنى : [من مجزوء الكامل]

ما بال أهلِكَ يا رَبِّابُ حُزْرًا كأنَّهمُ غِضابُ

قال : فإذا خَوَّخَةً¹ قد فُتحت ، وإذا وجهٌ قد بدا تَتَّبِعُهُ لَحِيَّةُ حمراء ، فقال : يا فاسق أسأتَ التادية ، ومنعتَ القائلة ، وأذعتَ الفاحشة ؛ ثم اندفع يغنيه ، فظننتُ أنّ طويساً قد نُشِرَ بعينه ؛ فقلت له : أصلحك الله ! من أين لك هذا الغناء ؟ فقال : نشأتُ وأنا غلامٌ حَدَّثْتُ أتبع المغنين وأخذ عنهم ، فقالت لي أمي : يا بُنَيَّ إنَّ المغني إذا كان قبيح الوجه لم يَلْتَفِتْ إلى غنائه ، فدع الغناء واطلب الفقه ؛ فإنه لا يضرر معه قبح الوجه . فتركت المغنين واتّبعْتُ الفقهاء ، فبلغ الله بي عز وجل ما ترى . فقلت له : فأعيد جُعِلتُ فداءك ! قال : لا ولا كرامة ! أتريد أن تقول : أخذته عن مالك بن أنس ؟ وإذا هو مالك بن أنس ولم أعلم .

صوت

من المائة المختارة

[من الهزج]

لَمَنْ رَعِيَ بذات الجِيءِ	شِ أَمْسَى دارساً خَلَقَا
وَقَفْتُ بِهِ أسأئلُه	وَمَرَّتْ عَيْسُهُمْ حِرْقَا
عَلَّوْا بِكَ ظَاهِرَ البَيْدَا	وَالْحُزُونَ قَدْ قَلِقَا

[حديث انخساف الأرض بجيش يغزو الكعبة]

ذات الجيش : موضع . ذكر النبي ﷺ أن جيشاً يغزو الكعبة ، فيُخَسَفُ بهم إلا رجلاً واحداً يُقَلَّبُ وجهُهُ إلى قفاه ، فيرجع إلى قومه كذلك ، فيخبرهم الخبر . حدثني بهذا الحديث أحمد بن محمد الجعدي قال حدثنا محمد بن بكّار قال حدثنا إسماعيل بن زكريّا عن محمد بن سُوقَةَ قال سمعتُ نافعَ بن جُبَيْرِ بن مُطْعِمٍ يقول حدثني عائشة قالت : قال رسول الله ﷺ : « يغزو جيشُ الكعبة حتى إذا كانوا ببَيْداء من الأرض خُسِفَ بأولهم وآخرهم » . قالت عائشة : فقلت يا رسول الله ، كيف يُخَسَفُ بأولهم وآخرهم وفيهم سواهم ومن ليس

1 الخوخة : باب صغير في باب كبير .

منهم ؟ قال : «يُخَسَفُ بأولهم وآخرهم ثم يُعَثَّون على قَدْرِ نِيَاتِهِمْ» ، الشعر للأحوص¹ ، والغناء في هذا اللحن المختار للدلال المخنث وهو أحد مَنْ خَصَّاه ابن حَزْم ، بأمر الوليد بن عبد الملك ، مع المخنثين . والخبر في ذلك يُذَكَّرُ بعد . ولحنه المختار من الثقيل الأول بإطلاق الوتر في مجرى البِنَصْر في الأول والثالث . وإِسْحاق فيه ثَقِيلُ أَوَّلٍ آخر . وفيه لمالك لحنٌ من خفيف الرمل عن يونس والمُهْشَامِيَّ وغيرهما . وفيه رمل يُنسب إلى ابن سريج ، وهو ممَّا يُشْتَكُّ في نسبته إليه . وقيل : إنَّ خفيف الرمل لابن سريج ، والرمل لمالك . وذكر حَبَشٌ أنَّ فيه للدلال خفيف ثقيل بالبِنَصْر أيضاً .

1 شعر الأحوص : 162 عن الأغاني .

[50] - ذكر الأحوص وأخباره ونسبه¹

[نسه]

هو الأحوص ، وقيل : إن اسمه عبد الله ، وإنه لُقّب بالأحوص لحوص² كان في عينيه . وهو ابن محمد بن عبد الله بن عاصم بن ثابت بن أبي الأفلح ، واسم أبي الأفلح قيس ، بن عَصِيْمَةَ بن النعمان بن أمية بن ضبيعة بن زيد بن مالك بن عوف بن عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس . وكان يقال لبني ضبيعة بن زيد في الجاهلية : بنو كِسْرِ الذَّهَبِ . وقال الأحوص حين نُفِي إلى اليمن³ :

بَدَلُ الدَّهْرُ مِنْ ضُبَيْعَةَ عَكَأَ جَبْرَةً وَهُوَ يُعْقَبُ الأَبْدَالَا

[سبب تسمية جدّه عاصم حمي الدبر]

وكان جدّه عاصمٌ يقال له حمي الدبر ؛ وكان رسول الله ﷺ بعثه بعثاً ، فقتله المشركون ؛ وأرادوا أن يصلبوه فحتمته الدبر ، وهي النحل ، فلم يقدروا عليه ، حتى بعث الله عز وجل الوادي في الليل فاحتمله فذهب به . وفي ذلك يقول الأحوص مفتخراً⁴ :

وَأَنَا ابْنُ الَّذِي حَمَتَ لِحْمَهُ الدَّبُّ رُقَيْلِ اللّٰحْيَانِ يَوْمَ الرَّجِيعِ

[قصّة وفد عضل والقارة وقتل البعث الذي أرسل معهم]

حدّثنا بالخبر في ذلك محمد بن جرير الطبري قال حدّثنا ابن حميد قال حدّثنا سلمة بن الفضل قال حدّثنا محمد بن إسحاق عن عاصم بن عمر بن قتادة قال : قدّم على رسول الله ﷺ بعد أخذ رهط من عضل والقارة ، فقالوا : يا رسول الله ، إنّ فينا إسلاماً وخيراً ، فابعث معنا نفرأ من أصحابك ، يُفقهونا في الدين ، ويُقرئونا القرآن ، ويُعلّمونا شرائع الإسلام⁵ ، فبعث رسول

1 ترجمة الأحوص في الشعر والشعراء (طبعة دار الثقافة ، بيروت) : 424-426 والمؤتلف : 48 والخزانة : 2 : 15-20 ، 52-55 والسبط : 73 وطبقات ابن سلام : 534 والموشح : 187 وانظر بروكلمان : 1 : 196 وقد نقل ابن حمدون من شعره وأخباره 27 فقرة في مواضع متفرقة من التذكرة الحمدونية . وقد جمع شعره د . إبراهيم السامرائي وأعاد جمعه عادل سليمان جمال (الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر ، القاهرة ، 1970) وعليه نعتد .

2 الحوص : ضيق في مؤخر العينين أو في إحداهما .

3 شعر الأحوص : 177 .

4 شعر الأحوص : 157 .

5 ل : شعائر .

6 ه . كتاب الأغاني - ج 4 .

الله ﷺ معهم نفرًا ستّة من أصحابه : مرثد بن أبي مرثد الغنوي حليف حمزة بن عبد المطلب ،
 وخالد بن البكير حليف بني عدي بن كعب ، وعاصم بن ثابت بن أبي الأقلح أخا بني عمرو بن
 عوف ، وخبيب بن عدي أخا بني جحجبي بن كلفة بن عمرو بن عوف ، وزيد بن الدثنة أخا
 بني بياضة بن عامر ، وعبد الله بن طارق حليفًا لبني ظفر من نبي ، وأمر رسول الله ﷺ عليهم
 مرثد بن أبي مرثد ، فخرجوا مع القوم ، حتى إذا كانوا على الرجيع (ماء لهديل بناحية من الحجاز
 من صدر الهداة) غدروا بهم ، واستصرخوا عليهم هذيلًا ، فلم يُرَع القوم وهم في رحالهم إلا
 بالرجال في أيديهم السيوف قد غشوهوم ؛ فأخذوا أسيافهم ليقاتلوا القوم ؛ فقالوا : [إنا] والله ما
 نريد قتلكم ، ولكننا نريد أن نصيب بكم شيئًا من أهل مكة ، ولكم عهد الله وميثاقه ألا نقتلكم .
 فأما مرثد بن أبي مرثد ، وخالد بن البكير ، وعاصم بن ثابت بن أبي الأقلح فقالوا : إنا والله لا
 نقبل من مشرك عهدًا ولا عقدًا أبدًا ! فقاتلوهم حتى قتلوهم جميعًا . وأما زيد بن الدثنة ،
 وخبيب بن عدي ، وعبد الله بن طارق فلانوا ورقوا ورغبوا في الحياة وأعطوا بأيديهم ؛
 فأسروهم ، ثم خرجوا بهم إلى مكة ليبيعوهم بها ؛ حتى إذا كانوا بالظهران انتزع عبد الله بن
 طارق يده من القران ، ثم أخذ سيفه واستأخر عن القوم ، فرمّوه بالحجارة حتى قتلوه ، فقبره
 بالظهران . وأما خبيب بن عدي وزيد بن الدثنة ، فقدِموا بهما مكة فباعوهما . فابتاع خبيبًا
 حجير بن أبي إهاب التميمي حليف بني نوفل لعقبة بن الحارث بن عامر بن نوفل ، وكان حجير
 أخا الحارث بن عامر بن نوفل لأمه ، ليقته بأبيه . وأما زيد بن الدثنة فابتاعه صفوان بن أمية
 ليقته بأمية بن خلف أبيه . وقد كانت هذيل حين قُتل عاصم بن ثابت قد أردادوا رأسه لبيعه من
 سلافة بنت سعد بن شهيد ، وكانت قد نذرت حين قُتل عاصم ابنها يوم أُحد لئن قَدَرْتُ على
 رأس عاصم لتَشْرِبَنَّ في قحفه الخمر ، فمنعته الدبر . فلما حالت بينهم وبينه قالوا : دعوه حتى
 يُمسي ، فتذهب عنه فَنَأْخُذُه . فبعث الله عز وجل الوادي فاحتمل عاصمًا فذهب به . وكان
 عاصم قد أعطى الله عز وجل عهدًا لا يمسّه مشرك أبدًا ولا يمسّ مشركًا أبدًا تنجسًا منه . فكان
 عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول حين بلغه أن الدبر منعه : «عجبًا لحفظ الله عز وجل العبد
 المؤمن ! كان عاصم نذرًا ألا يمسّه مشرك ولا يمسّ مشركًا أبدًا في حياته ، فمنعه الله بعد مماته كما
 امتنع منه في حياته !» .

[رواية أخرى عن البعث ومصيره]

قال محمد بن جرير : وأما غير ابن إسحاق ، فإنه قصّ من خبر هذه السرية غير الذي قصّه
 غيره : من ذلك ما حدثنا أبو كريب قال حدثنا جعفر بن عون العمري قال حدثنا إبراهيم بن
 إسماعيل عن عمرو بن أسيد عن أبي هريرة : أن رسول الله ﷺ بعث عشرة رهط ،

وأمر عليهم عاصم بن ثابت بن أبي الأفلح ، فخرجوا ، حتى إذا كانوا بالهدأة ذُكروا لحيٍّ من هذيل يقال لهم بنو لحيان ، فبعثوا إليهم مائة رجلٍ رامياً ، فوجدوا ما كلَّهم حيث أكلوا التمر ، فقالوا : نوى يثرب ! ثم اتبعوا آثارهم ؛ حتى إذا أحسَّ بهم عاصم وأصحابه التجؤوا إلى جبل ، فأحاط بهم الآخرون فاستنزلوهم ، وأعطوهم العهد . فقال عاصم : والله لا أنزل على عهد كافرٍ ، اللهم أخبر نبيك عنا . ونزل إليهم ابن الدثنة البياضي ، وخبيب ، ورجلٌ آخر ؛ فأطلق القوم أوتار قسيهم ، ثم أوثقوهم ، فجرحوا رجلاً من الثلاثة ، فقال : هذا والله أولُ العدر ، والله لا أتبعكم ، فضربوه وقتلوه ؛ وانطلقوا بخبيب وابن الدثنة إلى مكة ، فدفعوا خبيباً إلى بني الحارث بن عامر بن نوفل بن عبد مناف ، وكان خبيب هو الذي قتل الحارث بأحدٍ . فبينما خبيب عند بنات الحارث ، استعار من إحدى بنات الحارث موسى ليستجدَّ بها للقتل ، فما راع المرأة ولها صبيٌ يدرج إلا خبيب قد أجلس الصبي على فخذه والموسى بيده ، فصاحت المرأة ؛ فقال خبيب : أحسبين أنني أقتله ! إن العدر ليس من شأننا . قال : فقالت المرأة بعدُ : ما رأيتُ أسيراً قطُّ خيراً من خبيب ، لقد رأيتُه وما بمكة من ثمرة وإن في يده لقطفاً من عنبٍ يأكله ، إن كان إلا رزقاً رزقه الله خبيباً . وبعثَ حيٍّ من قيس إلى عاصم ليؤتوا من لحمه بشيء ، وقد كان لعاصم فيهم آثاراً بأحدٍ ، فبعث الله عليه دبراً فحمت لحمه فلم يستطيعوا أن يأخذوا من لحمه شيئاً . فلما خرجوا بخبيب من الحرم ليقتلوه ، قال : ذروني أصل ركعتين ، فتركوه فصلَّى ركعتين ، فجرت سنة لمن قُتل صبراً أن يُصلَّى ركعتين ، ثم قال : لولا أن يقال جرع لردت ، وما أبالي² :

على أي شيق كان لله مصرعي

ثم قال :

[من الطويل]

وذلك في ذات الإله وإن يشأ يُبارك على أوصالِ شلِّوٍ مُمزَّع

اللهم أحصهم عدداً³ ، وخذهم بدداً . ثم خرج به أبو سروعة بن الحارث بن عامر بن

نوفل بن عبد مناف فضربه فقتله .

حدَّثنا محمد قال حدَّثنا أبو كريب قال حدَّثنا جعفر بن عون عن إبراهيم بن إسماعيل ، قال

1 ل : أوتار وهي جمع وتر ، وآثار : جمع ثار .

2 من قصيدة نسبها ابن هشام إلى خبيب مطلعها :

لقد جمع الأحزاب حولي وألبوا قبائلهم واستجمعوا كل مجمع

3 أحصهم عدداً : أهلكهم فلا يبقى من عددهم أحد .

وأخبرني جعفر بن عمرو بن أمية عن أبيه عن جدّه : أنّ رسول الله ﷺ بعثه وحده عيناً إلى قريش . قال : فجئتُ إلى خشبة حُبَيْب وأنا أتخوفُ العيون ، فرَقِيتُ فيها ، فحللتُ حُبَيْباً فوقع إلى الأرض ، فانتبذتُ¹ غير بعيدٍ ، ثم التفتُ فلم أرَ لحُبَيْبِ أثراً ، فكأنتما الأرض ابتلعته ، فلم تَظْهَرُ لحُبَيْبِ رَمَّةٌ حتى الساعة .

قال محمد بن جرير : وأمّا زيد بن الدثنة ، فإنّ صفوان بن أمية بعثَ به ، فيما حدّثنا ابن حميد قال حدّثنا سلمة عن ابن إسحاق ، مع مولى له يقال له نسطاس إلى التّنعيم ، فأخرجه من الحرّم ليقته ؛ واجتمع إليه رهطٌ من قريش فيهم أبو سفيان بن حرب ؛ فقال له أبو سفيان حين قدّم ليقتل : أنشدك الله يا زيد ، أتُحِبُّ أنّ محمداً عندنا الآن مكانك فنضرب عنقه وأنتك في أهلِكَ ؟ فقال : والله ما أحبُّ أنّ محمداً الآن في مكانه الذي هو فيه تُصيبه شوكةٌ تُؤذيه وأنا جالسٌ في أهلي ! قال يقول أبو سفيان : ما رأيت من الناس أحداً يُحِبُّ أحداً كحُبِّ أصحاب محمدٍ محمداً ؛ ثم قتله نسطاس .

[نزول عبد الله وأبي أحمد ابني جحش على عاصم بن ثابت]

أخبرني أحمد بن الجعد قال حدّثنا محمد بن إسحاق المُسيبيّ قال حدّثنا محمد بن فليح عن موسى بن عقبة عن ابن شهاب قال : نزل عبد الله وأبو أحمد ابنا جحش ، حين قدما مهاجرين ، على عاصم بن ثابت ، وكنيته أبو سليمان .

[شعر لعاصم بن ثابت وكنيته]

وقال عاصم :

أبو سليمانَ وريشُ المقعدِ ومُجنأُ من جلدِ ثورٍ أُجرِدِ²

وذكر لنا الحرّميّ بن أبي العلاء عن الزبير أنّ عاصماً ، فيما قيل ، كان يُكنى أبا سفيان .

قال : وقال في يوم الرّجيع :

أنا أبو سفيانٍ مثلي راما أضربُ كبشَ العارضِ القدّاما³

[كنية الأحوص واسم أمه وبعض صفاته]

أخبرني الحرّميّ قال حدّثنا الزبير قال حدّثنا إسماعيل بن عبد الله عن إسماعيل بن إبراهيم بن عقبة عن عمّه قال : كنية الأحوص أبو محمد . وأمّه أثيلة بنت عمير بن مخشي ؛ وكان أحمر أحوص العينين .

1 ل : فاستدرت .

2 المقعد : فرخ النسر وقيل اسم رجل كان يريش السهام . المجنأ : الترس ليس فيه حديد .

3 كبش : رئيس . والعارض : الجيش . والقدّام : الذي يتقدّم في الشرف .

[رأي الفرزدق في شعره]

قال الزبير فحدثني محمد بن يحيى قال : قَدِمَ الفرزدق المدينة ، ثم خرج منها ، فسُئِلَ عن شعرائها ، فقال : رأيتُ بها شاعرين وَعَجِبْتُ لهما : أحدهما أُخْضِرُ يسكن خارجاً من بطحان¹ (يريد ابن هرمة) ؛ والآخر أحمَرُ كأنه وَحَرَّةٌ على بُرودِةٍ في شعره (يريد الأحوص) .
والوَحَرَّةُ : يَعْسُوبٌ أحمَرٌ ينزل الأنبار² .
[هجاؤه لابنه]

وقال الأحوص يهجو نفسه ويذكر حَوَصَه³ :

أَقْبَحُ به من وَلَدٍ وَأَشْقَحُ مِثْلَ جُرَيِّ الكلبِ لم يُفْقَحُ
إِنْ يَرَ سُوءًا لم يَقُمْ فَيَنْبَحُ بالبابِ عند حاجَةِ المُسْتَفْتَحِ⁴
قال الزبير : ولم يبقَ للأحوص من وَلَدِهِ غيرُ رجلين .

[طبقته في الشعر عند ابن سلام]

قال الزبير : وجعل محمد بن سلام الأحوص ، وابن قيس الرقيبات ، ونُصَيِّباً ، وجميل بن معمر طبقةً سادسةً من شعراء الإسلام⁵ ، وجعله بعد ابن قيس ، وبعد نُصَيِّب . قال أبو الفرج : والأحوص ، لولا ما وضع به نفسه من ذنئ الأَخلاق والأفعال ، أَشَدُّ تقدماً منهم عند جماعة أهل الحجاز وأكثر الرواة ؛ وهو أَسْمَحُ طبعاً ، وأسهل كلاماً ، وَأَصَحُّ معنًى منهم ؛ ولشعره رونقٌ ودياجةٌ صافية وحلاوةٌ وعدوبةٌ أَلْفَاظٍ ليست لواحدٍ منهم . وكان قليلَ المروءة والدين ، هجاءً للناس ، مأبوناً فيما يروى عنه .

[جلده سليمان بن عبد الملك]

أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه قال حدثني أبو عبيدة أن جماعةً من أهل المدينة أخبروه : أن السبب في جلدِ سليمان بن عبد الملك ، أو الوليد بن عبد الملك إِيَّاهُ ونفيه له ، أن شهوداً شهدوا عليه عنده أنه قال : إذا أخذتُ جريري⁶ لم أبالِ أيَّ الثلاثة لَقِيتُ ناكحاً أو منكوحاً أو زانياً . قالوا : وانضاف إلى ذلك أن سَكِينَةَ بنت الحسين رضي الله عنهما فَخَرَتْ يوماً برسول الله ﷺ ففأخراها بقصيدته التي يقول فيها :

[من الخفيف]

1 بطحان : واد بالمدينة .

2 ل : يلزم البقار .

3 البيتان في مجموع شعره : 90 وفي الحيوان للجاحظ 1 : 254-255 أتتهما لأبي الأحوص يهجو فيهما ابنه .

4 هذه رواية الجاحظ ، والشطر الثاني في الديوان «بالباب عند خلقه المستقبح» .

5 شعراء الطبقة السادسة عند ابن سلام هم : عبيد الله بن قيس الرقيبات والأحوص وجميل ونصيب .

6 الجرير : الزمام .

ليس جهلٌ أتيتِه بديع

فزاده ذلك حنقاً عليه وغيظاً حتى نفاه .

[فخرت سكينه بالنبي ففاخرها بجده وخاله]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال حدثنا عمر بن شبة : أن الأحوص كان يوماً عند سكينه ، فأذن المؤذن ، فلما قال : أشهد أن لا إله إلا الله ، أشهد أن محمداً رسول الله ، فخرت سكينه بما سمعت ؛ فقال الأحوص¹ :

[من الخفيف]

فخرت وانتمت فقلت ذريني ليس جهلٌ أتيتِه بديع
فأنا ابنُ الذي حمته الدب رُ قتل اللحيان يوم الرجيع
غسلت خالي الملائكة الأب راراً ميتاً طوبى له من صريع

قال أبو زيد : وقد لعمرى فخر بفخر لو على غير سكينه فخر به ؛ وبأبي سكينه عليه السلام حمته أباه الدبر وغسلت خاله الملائكة .

[هجاؤه لابن حزم عامل المدينة]

أخبرني الحرزمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني محمد بن يحيى عن أيوب بن عمر عن أبيه قال : لما جاء ابن حزم عمله من قتل سليمان بن عبد الملك على المدينة والحج ، جاءه ابن أبي جهم بن حذيفة وحميد بن عبد الرحمن بن عوف وسراقه ، فدخلوا عليه فقالوا له : إيه يا ابن حزم ! ما الذي جاء بك ؟ قال : استعملني والله أمير المؤمنين على المدينة على رغم أنف من رغم أنفه . فقال له ابن أبي جهم : يا ابن حزم ، فإني أول من يرغم من ذلك أنفه . قال فقال ابن حزم : صادق ، والله يُحب الصادقين . فقال الأحوص² :

[من الطويل]

سليمان إذ ولأك ربك حكمتنا وسلطاننا فاحكم إذا قلت واعدل
يوم حجيج المسلمين ابن فرتنى فهب ذاك حجاً ليس بالمتقبل

فقال ابن أبي عتيق للأحوص : الحمد لله يا أحوص ، إذ لم أحج ذلك العام بنعمة ربي وشكركه . قال : الحمد لله الذي صرف ذلك عنك يا ابن أبي بكر الصديق ، فلم يضل دينك ، ولم تعن نفسك ، وتر ما يعيظك ويعيظ المسلمين معك .

[تعرض لحجازي الوليد فأمر عامل المدينة بجلده]

أخبرني الحرزمي قال حدثنا الزبير قال حدثني عبد الرحمن بن عبد الله عن عمه موسى بن

1 شعر الأحوص : 157 .

2 شعر الأحوص : 178 .

عبد العزيز قال : وَفَدَّ الْأَحْوَصُ عَلَى الْوَلِيدِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ وَامْتَدَحَهُ ، فَأَنْزَلَهُ مَنْزِلًا ، وَأَمَرَ بِمَطْبُخِهِ أَنْ يُمَالَ عَلَيْهِ ؛ وَنَزَلَ عَلَى الْوَلِيدِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ شُعَيْبُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِي ، فَكَانَ الْأَحْوَصُ يُرَاوِدُ وَصَفَاءَ لِلْوَلِيدِ خَبَّازِينَ عَنْ أَنْفُسِهِمْ وَيُرِيدُهُمْ أَنْ يَفْعَلُوا بِهِ . وَكَانَ شُعَيْبٌ قَدْ غَضِبَ عَلَى مَوْلَى لَهُ وَنَحَاهُ . فَلَمَّا خَافَ الْأَحْوَصُ أَنْ يَفْتَضِحَ بِمُرَاوَدَتِهِ الْغُلَمَانَ ، ائْتَسَّ لِمَوْلَى شُعَيْبٍ ذَلِكَ فَقَالَ : ادْخُلْ عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ فَادْكُرْ لَهُ أَنَّ شُعَيْبًا أَزَادَكَ عَنْ نَفْسِكَ ، فَفَعَلَ الْمَوْلَى ذَلِكَ . فَالْتَفَتَ الْوَلِيدُ إِلَى شُعَيْبٍ فَقَالَ : مَا يَقُولُ هَذَا ؟ فَقَالَ : لِكَلَامِهِ غَوْرٌ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، فَاشْدُدْ بِهِ يَدَكَ يَصْدُقُكَ . فَشَدَّدَ عَلَيْهِ ، فَقَالَ : أَمَرَنِي بِذَلِكَ الْأَحْوَصُ . فَقَالَ قَيْمُ الْخَبَّازِينَ : أَصْلَحَكَ اللَّهُ ! إِنَّ الْأَحْوَصَ يُرَاوِدُ الْخَبَّازِينَ¹ عَنْ أَنْفُسِهِمْ . فَأَرْسَلَ بِهِ الْوَلِيدُ إِلَى ابْنِ حَزْمٍ بِالْمَدِينَةِ ، وَأَمَرَهُ أَنْ يَجْلِدَهُ مِائَةً ، وَيَصُبَّ عَلَى رَأْسِهِ زَيْتًا ، وَيُقِيمَهُ عَلَى الْبُلْسِ² ؛ فَفَعَلَ ذَلِكَ بِهِ . فَقَالَ وَهُوَ عَلَى الْبُلْسِ أَيْبَاتَهُ الَّتِي يَقُولُ فِيهَا : [من الكامل]

مَا مِنْ مُصِيبَةٍ نَكَبَتْ أَمْنِي بِهَا إِلَّا تَشَرَّفُنِي وَتَرْفَعُ شَانِي

[شعره الذي أنشده حين شهر به]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدثنا عُمَرُ بْنُ شَبَّةٍ قَالَ حَدَّثَنِي أَيُّوبُ بْنُ عَمْرِو قَالَ أَخْبَرَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عِمْرَانَ بْنِ أَبِي فَرَوَةَ قَالَ : رَأَيْتُ الْأَحْوَصَ حِينَ وَقَفَهُ ابْنُ حَزْمٍ عَلَى الْبُلْسِ فِي سَوْقِ الْمَدِينَةِ وَإِنَّهُ لَيَصِيحُ وَيَقُولُ³ :

مَا مِنْ مُصِيبَةٍ نَكَبَتْ أَمْنِي بِهَا إِلَّا تَعْظُمُنِي وَتَرْفَعُ شَانِي
وَتَزُولُ حِينَ تَزُولُ عَنْ مُتَخَمِّطٍ تُخْشَى بِوَادِرِهِ عَلَى الْأَقْرَانِ⁴
إِنِّي إِذَا خَفِيَ اللَّئَامُ رَأَيْتَنِي كَالشَّمْسِ لَا تَخْفَى بِكُلِّ مَكَانٍ

[شعره في هجو ابن حزم]

قال : وهجا الأحوصُ ابن حزمٍ بشعرٍ كثيرٍ ، منه⁵ :

أَقُولُ وَأَبْصُرْتُ ابْنَ حَزْمٍ بِنِ فَرْتَنِي وَقُوفًا لَهُ بِالْمَأْرَمِينَ الْقِبَائِلُ

1 ل : غلمانك .

2 البلس : غرائر كبار تُخشى بالتين ويجعل عليها من يراد التنكيل والتشهير به .

3 شعره : 203 . وقد وردت الأبيات في مصادر عديدة بروايات مختلفة . انظر مثل الحماسية رقم 54 في شرح

المرزوقي .

4 متخمط : متكبر .

5 شعر الأحوص : 165 .

تُرَى فَرْتَنِي كَانَتْ بِمَا بَلَغَ ابْنُهَا مُصَدَّقَةً لَوْ قَالَ ذَلِكَ قَائِلٌ
 أَخْبَرَنِي الْحَرَمِيُّ قَالَ حَدَّثَنَا الزُّبَيْرُ عَنْ أَبِي عبيدة قَالَ : كُلُّ أُمَّةٍ يُقَالُ لَهَا فَرْتَنِي . وَأَخْبَرَنَا أَبُو
 حليفة عن محمد بن سلام قَالَ : فَرْتَنِي : الأُمَّةُ بنت الأُمَّة ، قال الزُّبَيْرُ : فقال ابن حَزْمٍ حين سَمِعَ
 قَوْلَ الأَحْوَصِ فِيهِ «ابن فَرْتَنِي» لرجلٍ من قومه له علمٌ : أَنَحْنُ من ولد فَرْتَنِي ؟ أَوْ تَعْرِفُهَا ؟ فقال :
 لا والله ؛ قال : ولا أنا أعَلِمُ والله ذلك ! ولقد عَصَهَنِي به ، ولو كانت ولدتني لم أَجْهَلْ ذلك .
 قال الزُّبَيْرُ : وحدثني عَمِّي مُصْعَبٌ عن عبد الله بن محمد بن عُمارة قال : فَرْتَنِي : أمُّ لهم في
 الجاهلية من بَلَقَيْنِ ، كانوا يُسَبُّونَ بها ، لا أدري ما أمرُها ، قد طرحوها من كتاب النَسَبِ ، وهي
 أمُّ خالد بنت خالد بن سِنان بن وهب بن لؤذان السَّاعِدِيَّةِ أمُّ بني حَزْمِ .

أَخْبَرَنِي الْحَرَمِيُّ قَالَ حَدَّثَنَا الزُّبَيْرُ قَالَ حَدَّثَنِي عبد الملك بن عبد العزيز عن يوسف بن
 الماجشون : أَنَّ الأَحْوَصَ قال لابن حَزْمٍ¹ :

لَعَمْرِي لَقَدْ أَجْرَى ابْنُ حَزْمٍ بِنَ فَرْتَنِي
 وَقَدْ قَلْتُ مَهَلًا آلَ حَزْمٍ بِنَ فَرْتَنِي
 وهي طويلة . وقال أيضاً³ :

إِلَى غَايَةِ فِيهَا السَّمَامُ الْمُثْمَلُ²
 فِي ظِلْمِنَا صَابٌ مُمِرٌّ وَحَنْظَلُ
 أَهْوَى أُمِيَّةَ إِنْ شَطَطَتْ وَإِنْ قَرُبَتْ
 وَلَوْ وَرَدَتْ عَلَيْهَا الْفَيْضَ مَا حَفَلَتْ
 لَا تَأْوِينِ لِحَزْمِي رَأَيْتَ بِهِ
 النَّاحِسِينَ بِمَرَوَانٍ بِذِي خُشْبِ

[دفع عنه بنو زريق فمدحهم]

أَخْبَرَنَا الْحَرَمِيُّ قَالَ حَدَّثَنَا الزُّبَيْرُ قَالَ حَدَّثَنِي جماعةٌ من مشايخ الأنصار : أَنَّ ابْنَ حَزْمٍ لَمَّا
 جَلَدَ الأَحْوَصَ وَوَقَفَهُ عَلَى البُلْسِ يَضْرِبُهُ ، جَاءَهُ بَنُو زُرَيْقٍ فَدَفَعُوا عَنْهُ ، واحتملوه من أعلى
 البُلْسِ . فقال في ذلك ، قال ابن الزُّبَيْرِ : أَنشَدَنِيه عبد الملك بن الماجشون عن يوسف بن أبي
 سلمة الماجشون⁴ :

إِنَّمَا تُصِيبُنِي المَنَايَا وَهِيَ لَاحِقَةٌ
 وَكُلُّ جَنْبٍ لَهُ قَدْ حُمَّ مُضْطَجِعُ

1 شعر الأحوص : 172 .

2 السمام المثمل : السم المقوى بالسلع أو الذي طال نفعه .

3 شعر الأحوص : 131-132 .

4 شعر الأحوص : 143 عن الأغاني .

فقد جَزَيْتُ بني حَزْمٍ بظُلْمِهِمْ وقد جَزَيْتُ زُرَيْقًا بالذي صنعوا
 قسومٌ أباي طَبِيعَ الأخلاقِ أُولِهِمْ فهِمٌ على ذلك من أخلاقِهِمْ طُبِعُوا¹
 وإنَّ أناسًا ونَوًا عن كلِّ مَكْرَمَةٍ وضاقَ باعُهُمْ عن وَسْعِهِمْ وَسِعُوا
 إنِّي رأيتُ غداةَ السُّوقِ مَحْضَرَهُمْ إذْ نحنُ ننظرُ ما يُتلى ونَسْتَمِعُ

[نفاه ابن حزم إلى ذهلك وشعره في ذلك]

أخبرني الحَرَمِيُّ قال حدثنا الزبير قال حدثني عُمَرُ بن أبي بكر المؤمِّلِي قال حدثني غيرُ واحدٍ من أهل العلم : أن أبا بكر بن محمد بن عمرو بن حزم جَلَدَ الأحوصَ في الخنثِ ، وطاف به وغرَّبه إلى ذهلك في محمِلِ عَرِيانًا . فقال الأحوصُ وهو يُطافُ به :

[من الكامل]

ما مِنْ مُصِيبَةٍ نَكَبَتْ أبلى بها

الآيات . وزاد فيها :

[من الكامل]

إنِّي على ما قد تَرَوْنُ محسَدٌ أنمي على البغضاءِ والشنآنِ
 أصبحتُ للأنصارِ فيما نابهم خَلَفًا وللشُعراءِ من حَسَانِ
 قال الزبير : ومما ضُرب فيه أيضًا قوله² :

[من الطويل]

شَرُّ الجِزَامِيِّينَ ذو السِّنِّ منهمُ وخيرُ الجِزَامِيِّينَ يَعْدِلُهُ الكَلْبُ
 فإنَّ جئتَ شيخًا من حِرامٍ وجدته من التَّوَكُّ والتقصيرِ ليس له قلبُ
 فلو سَبَّني عَوْنٌ إذا لَسَبْتُهُ بشِعْرِي أو بعضِ الأوَّلَى جَدُّهُمُ كَعَبُ

عون ، يعني عون بن محمد بن علي بن أبي طالب عليه رضوان الله . وكعب ، يعني كعب بن لؤي :

[من الطويل]

أولئك أكفأ لبيتِي بُيوتُهُمْ ولا تستوي الأعْلاتُ والأقدحُ القُضْبُ

[أعانه فتى من بني جحجبي فدعا عليه]

أخبرني الحَرَمِيُّ بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير قال حدثني محمد بن ثابت الأنصاري عن محمد بن فضالة قال : كان الأحوص بن محمد الأنصاري قد أوسع قومه هجاء فملاهم شرًا ، فلم يبق له فيهم صديقٌ ، إلا فتى من بني جَحْجَبِي . فلما أراد الأحوص الخروج إلى يزيد بن عبد الملك ، نهض الفتى في جهازه وقام بحوائجه وشيِّعه ؛ فلما كان بسقاية سليمان وركب الأحوص

1 طبع : الدنس والعب ، وكل شين في دين أو دنيا فهو طبع .

2 شعر الأحوص : 73 .

مَحْمِلُهُ ، أَقْبَلَ عَلَى الْفَتَى فَقَالَ : لَا أُخْلَفَ اللَّهُ عَلَيْكَ بِخَيْرٍ ؛ فَقَالَ : مَهْ ! غَفَرَ اللَّهُ لَكَ ! قَالَ الْأَحْوَصُ : لَا وَاللَّهِ أَوْ أُعْلِقُهَا حَرْبًا ! يَعْنِي قُبَاءَ وَبَنِي عَمْرُو بْنِ عَوْفٍ .

[هجا معن بن حميد الأنصاري فغفا عنه]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثني محمد بن يحيى قال قال غسان بن عبد الحميد : أقبل الأحوص حتى وقف على معن بن حميد الأنصاري ، أحد بني عمرو بن عوف بن جحجبي ، فقال¹ :

رَأَيْتُكَ مَزْهُوًّا كَأَنَّ أَبَاكُمْ صُهِيبَةَ أَمْسَى خَيْرَ عَوْفٍ مُرْكَبًا
تُقَرُّ بِكُمْ كُوْثَى إِذَا مَا نُسِبْتُمْ وَتُنْكِرُكُمْ عَمْرُو بْنُ عَوْفٍ بْنِ جَحْجَبِي²
عَلَيْكَ بِأَدْنَى الْخَطْبِ إِنْ أَنْتَ نِلْتَهُ وَأَقْصِرْ فَلَا يَذْهَبُ بِكَ التِّيَهُ مَذْهَبًا³

فقام إليه بنوه ومواليه ؛ فقال : دعوا الكلب ، خلّوا عنه ، لا يمسه أحد منكم ؛ فانصرف . حتى إذا كان عند أحجار المراء بقاء⁴ لقيه ابن أبي جرير أحد بني العجلان ، وكان شديدًا ضابطًا ؛ فقال له الأحوص :

إِنْ بِقَوْمٍ سَوْدُوكَ لِحَاجَةٍ إِلَى سَيِّدٍ لَوْ يَطْفَرُونَ بِسَيِّدٍ⁵

فألقي ثيابه وأخذ بخلق الأحوص ، ومع الأحوص راويته ، وجاء الناس ليخلصوه ، فحلف لئن خلّصه أحد من يديه ليأخذنه وليدعن الأحوص ؛ فخنقه حتى استرخى ، وتركه حتى أفاق ؛ ثم قال له : كل مملوك لي حرٌّ ، لئن سُمِعَ أو سمعتُ هذا البيت من أحد من الناس لأضربنك ضربة بسيفي أريد بها نفسك ولو كنت تحت أستار الكعبة . فأقبل الأحوص على راويته فقال : إن هذا مجنون ، ولم يسمع هذا البيت غيرك ؛ فأياك أن يسمعه منك خلق .

[لقى عباد بن حمزة ومحمد بن مصعب فهذه إن هجأهما]

أخبرني الحرّمي والطوسي قالا حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني بعض أصحابنا : أن الأحوص مرّ بعباد بن حمزة بن عبد الله بن الزبير ومحمد بن مصعب بن الزبير بخيمتي⁶ أم

1 شعر الأحوص : 81 .

2 كوْثَى : محلة بمكة لبني عبد الدار .

3 التيه في ل : اللوم .

4 ل : المزيقيا .

5 ل : لفاقة . هذا البيت في القسم المنسوب إلى الأحوص : 219 ، وهو في الخزانة 1 : 165 لأبي نخيلة .

6 خيمة أم معبد (ويقال بئر أم معبد) : موضع بين مكة والمدينة نزل الرسول ﷺ وأبو بكر أثناء هجرتهما .

معبد ، وهما يريدان الحجَّ مرجعه من عند يزيد بن عبد الملك ، وهو على نجيب له فارهٍ ورَحْلٍ فآخرٍ وِبزةٍ مرتفعة ، فحدثهما أَنَّهُ قَدِيمٌ عَلَى يزيد بن عبد الملك ، فأجازه وكساه وأخدمه ؛ فلم يَرهما يَهَشَّانَ لذلك . فجعل يقول : خِيَمَتِي أُمُّ معبد ، عَبَادٌ ومحمد ، كَأَنَّهُ يَرُوضُ القوافي للشعر يريد قوله . فقال له محمد بن مصعب : إِنِّي أَرَاكَ فِي تَهْيِئَةِ شعرٍ وقوافٍ وَأَرَاكَ تُرِيدُ أَنْ تهجونا ؛ وكلُّ مملوكٍ لي حُرٌّ لئن هجوتنا بشيءٍ إن لم أضربك بالسيف مجتهداً على نفسك . فقال الأحوصُ : جعلني الله فداك ! إِنِّي أَخَافُ أَنْ تُسَمِعَ هذا فِي عَدُوٍّ فيقول شعراً يهجوكم كما به فينحني به ، وأنا أبرئكما الساعة ، كلُّ مملوكٍ لي حُرٌّ إن هجوتكما بيت شعرٍ أبداً .

[رفض محمد بن عباد صحبته في طريقه إلى مكة]

أخبرني الجرهمي قال حدثنا الزبير قال حدثني عمي مصعب قال حدثنا الزبير بن خبيب عن أبيه خبيب بن ثابت قال : خرجنا مع محمد بن عباد بن عبد الله بن الزبير إلى العمرة ، فإننا ليُقربُ قُدَيْدٌ إذ لحقنا الأحوص الشاعر على جملي برحل ؛ فقال : الحمدُ لله الذي وفَّقكم لي ، ما أُحِبُّ أنكم غيركم ، وما زلت أُحرِّكُ في آثاركم مذرُفَتم لي ؛ فقد ازددت بكم غبطةً . فأقبل عليه محمد ، وكان صاحب جَدٍّ يكره الباطل وأهله ، فقال : لكننا والله ما اغتبطنا بك ولا نجبُ مسائرتك ، فتقدّم عَنَّا أو تأخّر . فقال : والله ما رأيتُ كالِيومِ جواباً ! قال : هو ذاك . قال : وكان محمد صاحب جَدٍّ يكره الباطل وأهله ، فأشفقنا ممَّا صنع ، ومعه عدّة من آل الزبير ، فلم يقدر أحدٌ منهم أن يرُدَّ عليه . قال : وتقدّم الأحوص ، ولم يكن لي شأنٌ غير أن أعتذر إليه . فلمّا هبطنا من المُشَلَّلِ على خيمتي أم معبد سمعتُ الأحوص يُهمهم بشيء ، فتفهّمته فإذا هو يقول : خيمتي أم معبد ، محمد ، كأنه يُهَيِّئُ القوافي ، فأمسكتُ راحلتي حتى جاءني محمد ، فقلت : إِنِّي سمعتُ هذا يُهَيِّئُ لك القوافي ، فإمّا أذنتَ لنا أن نعتذر إليه ونرضيه ، وإمّا خلّيتَ بيننا وبينه فنضربه ؛ فإننا لا نصادفه في أخلى من هذا المكان . قال : كلاً ! إن سعد بن مصعب قد أخذ عليه ألا يهجو زبيرياً أبداً ، فإن فعل رجوتُ أن يُخزِيَه اللهُ ، دَعَه .

[هجا سعد بن مصعب فلمّا أراد ضربه حلف له ألا يهجو زبيرياً]

قال الزبير : وأمّا خبره مع سعد بن مصعب ، فحدثني به عمي مصعب قال أخبرني يحيى بن الزبير بن عباد أو مصعب بن عثمان ، شكّ : أيُّهما حدثه ، قال : كانت أمةُ الملك بنت حمزة بن عبد الله بن الزبير ، تحت سعد بن مصعب بن الزبير ، وكان فيهم مأتَمٌ ، فاتهمته بامرأة ، فغارت عليه وفضحته . فقال الأحوص يُمازحه² :

[من الطويل]

1 جبل يهبط منه إلى قديد .

2 شعر الأحوص : 84-85 عن الأغاني .

وليس بسعدِ النَّارِ مَنْ تَزْعُمُونَهُ ولكنَّ سَعْدَ النَّارِ سَعْدُ بْنُ مُصْعَبٍ
ألم تَرَ أَنَّ الْقَوْمَ لَيْلَةٌ نَوَّحِهِمْ بَعْوُهُ فَأَلْفَوُهُ عَلَى شَرِّ مَرْكَبٍ
فَمَا يَبْتَغِي بِالْعَيْيِّ لَا دَرَّ دَرُّهُ وفي بَيْتِهِ مِثْلُ الْغَزَالِ الْمُرْتَبِ

قال : وسعدُ النارِ رجلٌ يقال له سعد حُضنة ، وهو الذي جدَّد لزياد بن عبيد الله الحارثيَّ الكتابَ الذي في جدار المسجد ، وهو آياتٌ من القرآن أحسبُ أنَّ منها ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ﴾ . فلما فرغ منه قال لزياد : أعطني أجري . فقال له زياد : انتظر ، فإذا رأيتنا نعمل بما كتبت ، فخذ أجرك .

قال : فعلمَ سعد بن مصعبٍ سُفرةً ، وقال للأحوص ، اذهب بنا إلى سدِّ عبيد الله بن عمر نتغدَّد عليه ، ونشرب من مائه ، ونستنقع فيه ؛ فذهب معه . فلما صاروا إلى الماء ، أمر غلمانُه أن يربطوه وأراد ضربه ، وقال : ما جرَّعتُ من هجائك إيَّاي ، ولكن ما ذكركُ زوجتي ؟ فقال له : يا سعدُ ، إنك لتعلم أنَّك إن ضربتني لم أكفُفُ عن الهجاء ، ولكن خيرٌ لك من ذلك : أحلفُ لك بما يُرضيك ألا أهجوكُ ولا أحداً من آل الزبير أبداً ؛ فأحلفه وتركه .

[مجامع بن يزيد فسبه]

أخبرني الحرَّميُّ قال حدَّثنا الزُّبير قال حدَّثني مصعبٌ عمِّي عن مصعب بن عثمان قال : قال الأحوص لمُجمِّع بن يزيد بن جارية¹ :

وجُمِّعتَ من أشياء شتى خبيثةٍ فُسِّمْتَ لما جئتَ منها مُجمِّعاً
فقال له مجمِّع : إنِّي لا أحسن الشعر ، ثم أخذ كُرْنافةً² فغمَّسها في ماءٍ فغاصتُ ، ثم رفع يده عنها فطفتُ ، فقال : هكذا والله كانت تصنع خالاتك السَّواجرُ .

[طلب من أم ليث أن تدخله إلى جارة لها فأبت فعرض بها في شعره]

أخبرني الحرَّميُّ قال وحدَّثنا الزُّبير قال : كانت امرأةٌ يقال لها أمُّ ليث امرأةٌ صديق ، فكانت قد فتحت بينها وبين جارةٍ لها من الأنصار خوخة ، وكانت الأنصارية من أجمل أنصاريةٍ خلقت . فكلمَ الأحوص أمَّ ليث أن تدخله في بيتها يكلمَ الأنصارية من الخوخة التي فتحت بينها وبينها ، فأبت ؛ فقال : أما لأكافئك ، ثم قال³ :

1 شعر الأحوص : 151 .

2 الكرنافة : ما يتبقى في جذع النخلة بعد قطع السعف .

3 شعر الأحوص : 82 .

إِذَا تَشَتَّيْتَ قِنْسِرِينَ أَوْ حَلْبَا هِيَهَاتَ مِنْكَ بَنُو عَمْرٍو وَمَسَاكِنَهُمْ
بَيْنَ السَّقِيفَةِ وَالْبَابِ الَّذِي نُقِيََا قَامَتْ تَرَاءَى وَقَدْ جَدَّ الرَّحِيلُ بِنَا
بِأُمِّ لَيْثٍ إِلَى مَعْرُوفِهَا سَبِيَا إِنِّي لَمَانِحُهَا وَدِّي وَمُنْتَحِذٌ

فلما بلغت الأبيات زوج المرأة ، سدَّ الخوخة ؛ فاعتذرت إليه أمُّ ليث ، فأبى أن يقبل ويصدقها . فكانت أمُّ ليث تدعو على الأحوص .

[وعده مخزومي أن يعينه عند الوليد ثم أخلف]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدثني عمَّر بن شَبَّة قال حدثني أبي قال : ركب الأحوص إلى الوليد بن عبد الملك قبل ضرب ابن حزم إياه ، فلقيه رجلٌ من بني مخزوم يقال له محمد بن عتبة ، فوعده أن يعينه . فلما دخل على الوليد قال ويحك ؛ ما هذا الذي رُميتَ به يا أحوص ؟ قال : والله يا أمير المؤمنين ، لو كان الذي رماني به ابن حزم من أمر الدِّين لاجتنبته ، فكيف وهو من أكبر معاصي الله ؛ فقال ابن عتبة : يا أمير المؤمنين ، إن من فضل ابن حزم وعذله كذا وكذا وأثنى عليه . فقال الأحوص : هذا والله كما قال الشاعر :

وَكُنْتَ كَذُوبِ السُّوءِ لَمَّا رَأَى دَمًا بِصَاحِبِهِ يَوْمًا أَحَالَ عَلَى الدَّمِ

[شكاه أهل المدينة فنفي إلى ذلك ثم استعطف عمر بن عبد العزيز فلم يعطف عليه]

فأما خبره في بقية أيام سليمان بن عبد الملك وعمَّر بن عبد العزيز ، فأخبرني به أبو خليفة الفضل بن الحباب [الجُمحي] قال حدثنا عون بن محمد بن سلام قال حدثني أبي عمَّن حدثه عن الزُّهري ، وأخبرني به الطُّوسيُّ والحَرَمِيُّ بن أبي العلاء قالَا حدثنا الزُّبير بن بَكَّار قال حدثني عمِّي مُصعب عن مصعب بن عثمان قال : كان الأحوص ينسب بنساء ذواتِ أخطار من أهل المدينة ، ويتغنَّى في شعره معبد ومالك . ويشيع ذلك في الناس ، فنهي فلم ينته ؛ فشكى إلى عامل سليمان إلى عامله يأمره أن يضربه مائة سوطٍ ويُقيمه على البُلس إليه ، ففعل ذلك . فكتب سليمان إلى عامله يأمره أن يضربه مائة سوطٍ ويُقيمه على البُلس للناس . ثم يُصيِّره إلى ذلك ؛ ففتوى هناك سلطان سليمان بن عبد الملك . ثم ولي عمر بن عبد العزيز ؛ فكتب إليه يستأذنه في القدوم ويمدحه ؛ فأبى أن يأذن له . وكتب فيما كتب إليه به¹ :

أَيَا رَاكِبًا إِمَّا عَرَضْتَ قَبْلَغُنْ هُدَيْتَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ رَسَائِلِي

وَقُلْ لِأَبِي حَفْصٍ إِذَا مَا لَقَيْتَهُ لقد كنت نفاعاً قليل الغوائل
وكيف ترى للعيش طيباً ولذةً وخالك أسمى موتقاً في الحبائل !

هذه الأبيات من رواية الزبير وحده ، ولم يذكرها ابن سلام ، قال : فأتى رجال من الأنصار عمر بن عبد العزيز ، فكلّموه فيه وسألوه أن يُقدّمه ، وقالوا له : قد عرفت نسبه وموضعَه وقديمه ، وقد أُخرجَ إلى أرض الشُّرك ، فنطلب إليك أن تردّه إلى حرَم رسول الله ﷺ ودارِ قومه . فقال لهم عمر : فمن الذي يقول ¹ :

فما هو إلا أن أراها فجاءةً فأبْهَتَ حَتَّى ما أكادُ أُجيبُ
قالوا : الأحوص . قال : فمن الذي يقول ² :

أدورُ ولولا أن أرى أمَّ جَعْفَرٍ بأبياتكم ما دُرْتُ حيثُ أدورُ
وما كنتُ زوّاراً ولكنَّ ذا الهوى إذا لم يزرُ لا بُدَّ أن سَيَزورُ
قالوا : الأحوص . قال : فمن الذي يقول ³ :

كَأَن لُبْنَى صَبِيرُ غَادِيَةِ أَوْ دُمَيْةٌ زِينَتُهَا بِهَا الْبَيْعُ
اللَّهُ بَيْنِي وَبَيْنَ قَيْمِهَا يَقِرُّ مِنِّي بِهَا وَأَتَّبِعُ
قالوا : الأحوص . قال : بَلِ اللَّهُ بَيْنَ قَيْمِهَا وَبَيْنَهُ . قال : فمن الذي يقول ⁴ :

سَتَبَقِي لَهَا فِي مُضْمَرِ الْقَلْبِ وَالْحَشَا سريرةٌ حُبٌّ يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ
قالوا : الأحوص . قال : إِنَّ الْفَاسِقَ عَنْهَا يَوْمئِذٍ لَمَشغُولٌ ، وَاللَّهُ لَا أَرُدُّهُ مَا كَانَ لِي سُلْطَانُ .
قال : فمكث هناك بقيّة ولاية عمرَ وصدراً من ولاية يزيد بن عبد الملك .
[غنت حباة يزيد بن عبد الملك بشعر فلما علم أنه للأحوص أطلقه وأجازه]

قال : فبينما يزيد وجاريتُه حباة ذات ليلة على سطح تُغنيه بشعر الأحوص ، قال لها : مَنْ يقول هذا الشعر ؟ قالت : لا وعينيك ما أدري ! قال : وقد كان ذهب من الليل شَطْرُهُ ، فقال : ابعثوا إلى ابن شهاب الزهري ، فعسى أن يكون عنده علمٌ من ذلك . فأتى الزهري فقرع عليه بابُه فخرج مُروّعاً إلى يزيد . فلمّا صعد إليه قال له يزيد : لا ترع ، لم ندعك إلا لخير ، اجلس ، مَنْ يقول هذا الشعر ؟ قال : الأحوص بن محمد يا أمير المؤمنين . قال : ما فعل ؟ قال : قد طال حبسه

1 شعر الأحوص (القسم الثاني) : 213 وينسب إلى كثيرين غير الأحوص .

2 شعر الأحوص : 125 .

3 شعر الأحوص : 143-144 .

4 شعر الأحوص : 118 .

بدهلك . قال : قد عَجِبْتُ لِعُمَرُ كَيْفَ أَغْفَلَهُ . ثم أمر بتخليفة سبيله ، ووهب له أربعمائة دينار . فأقبل الزُهْرِيّ من ليلته إلى قومه من الأنصار فبَشَّرَهُمْ بذلك .
[عنايه لعمر بن عبد العزيز]

أخبرني الحَرَمِيُّ قال حدثنا الزُّبَيْرُ بن بَكَّار قال حدثنا محمد بن إسماعيل ومحمد بن زيد الأنصاريّ قالا : لما ولي عمر بن عبد العزيز الخلافة أدنى زيد بن أسلم ، وجفا الأحوص . فقال له الأحوص¹ :

ألسْتَ أبا حَفْصٍ هُدَيْتَ مُخَبَّرِي أفي الحَقِّ أَنْ أَقْصَى وَيُدْنِي ابْنَ أُسْلَمَا
فقال عمر : ذلك هو الحق .

قال الزُّبَيْرُ : وأنشدنيها عبد الملك بن الماجشون عن يوسف بن الماجشون : [من الطويل]

ألا صِلَةَ الأَرْحَامِ أدنى إلى التَّقَى وأظْهَرُ في أَكْفائِهِ لو تَكَرَّمَا
فما ترك الصُّنْعُ الذي قد صنَعْتَهُ ولا الغَيْظُ مِنِّي ليس جِلْدًا وَأَعْظَمَا
وكنا ذَوِي قُرْبَى لَدَيْكَ فأصْبَحْتَ قَرَابَتَنَا ثَدْيًا أَجَدَّ مُصْرَمًا²
وكنْتَ وما أَمَلْتُ مِنْكَ كِبَارِقَ لَوَى قَطْرَهُ من بعد ما كان غَيْمًا
وقد كنتَ أَرْجَى النَّاسِ عِنْدِي مَوَدَّةً لِيَالِي كان الظَّنُّ غَيْبًا مُرْجَمًا
أَعْدُكَ حِرْزًا إِنْ جَنَيْتَ ظُلَامَةً ومالاً ثَرِيًّا حِينَ أَحْمَلُ مَغْرَمًا
تَدَارِكُ بَعْتَبِي عَاتِبًا ذَا قَرَابَةٍ طَوَى الغَيْظُ لم يَفْتَحْ بِسُخْطِ له فَمَا

[قبل إنه دس إلى حباة الشعر الذي غنت يزيد به]

أخبرني الحَرَمِيُّ قال حدثنا الزُّبَيْرُ بن بَكَّار قال : كتب إليّ إسحاق بن إبراهيم أن أبا عبيدة حدثه : أن الأحوص لم يزل مقيمًا بدهلك حتى مات عمر بن عبد العزيز ، فدس إلى حباة فغنت يزيد بأبيات له ، قال أبو عبيدة : أظنها قوله³ :

صوت

أيُّهَذَا المُخَبَّرِيّ عَن يَزِيدٍ بِصَلاحِ فِدَاكَ أَهْلِي وَمَالِي
مَا أَبَالِي إِذَا يَزِيدُ بَقِي لِي مَنْ تَوَلَّتْ بِهِ صُرُوفُ اللَّيَالِي

1 شعر الأحوص : 197 .

2 الثدي الأجد : لا لبن فيه .

3 شعر الأحوص : 184 .

لم يجنسه . كذا جاء في الخبر أنها غنته به ، ولم يذكر طريقته . قال أبو عبيدة : أراه عرّض بعمر بن عبد العزيز ولم يقدر أن يصرّح مع بني مروان ، فقال : مَنْ يقول هذا ؟ قالت : الأحوص ، وهوت أمره ، وكلمته في أمانه فأمنه . فلما أصبح حضر فاستأذنت له ، ثم أعطاه مائة ألف درهم .

أخبرنا الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه عن الهيثم بن عدي عن صالح بن حسان : أن الأحوص دسّ إلى حبابة ، فغنت يزيد قوله¹ :

كريمٌ قريشٍ حين يُنسبُ والذي أقرت له بالملك كهلاً وأمردا
وليس وإن أعطاك في اليوم مانعاً إذا عدت من أضعاف أضعافه غداً²
أهان تِلادَ المالِ في الحمدِ إنّه إمامٌ هدى يجري على ما تعودا
تشرّفَ مجدداً من أبيه وجده وقد ورثا بُنيانَ مجدٍ تشييداً³

فقال يزيد : ويلك يا حبابة ! من هذا من قريش ؟ قالت : ومن يكون ؟ أنت هو يا أمير المؤمنين . فقال : ومن قال هذا الشعر ؟ قالت : الأحوص يمدح به أمير المؤمنين ؛ فأمر به أمير المؤمنين أن يُقدّم عليه من ذلك ، وأمر له بمالٍ وكسوة .

[أخبره يزيد بن عبد الملك بأنه معجب بشعره في مدحهم]

أخبرني الحرّميّ قال حدّثنا الزبير قال حدّثني بعض أهل العلم قال : دخل الأحوص على يزيد بن عبد الملك وهو خليفة ؛ فقال له يزيد : والله لو لم تمتّ إلينا بحرمة ، ولا توسّلت بدالة ، ولا جدّدت لنا مدحاً ، غير أنّك مُقتصرٌ على البيتين اللذين قلتَهما فينا ، لكنّك مُستوجباً لجزيل الصلّة مني حيث تقول⁴ :

وإنّي لأستحييكمُ أن يقودني إلى غيركم من سائر الناس مطمَعُ
وأن أجتدي للنعير غيرك منهم وأنت إمامٌ للرعيّة مَقنَعُ

قال : وهذه قصيدة مدّح بها عمر بن عبد العزيز .

[لما ولي يزيد بعث إليه فأكرمه فمدحه]

أخبرني الحرّميّ قال حدّثنا الزبير قال حدّثني عبد الرحمن بن عبد الله الزهريّ قال حدّثني

1 من قصيدة ضمت 31 بيتاً ؛ شعره : 98 - 104 .

2 الشطر الأول في رواية الديوان : «وليس عطاء كان منه بمانع» .

3 تشرف مجدداً في الديوان : «تردى بمجد» .

4 شعر الأحوص : 141 .

عمر بن موسى بن عبد العزيز قال : لَمَّا وَلِيَ يَزِيدُ بِنَ عَبْدِ الْمَلِكِ بَعَثَ إِلَى الْأَحْوَصِ ، فَأَقْدِمَ عَلَيْهِ ، فَأَكْرَمَهُ وَأَجَازَهُ بِثَلَاثِينَ أَلْفَ دِرْهَمٍ . فَلَمَّا قَدِمَ قُبَاءَ صَبَّ الْمَالُ عَلَى نِطْعٍ وَدَعَا جَمَاعَةً مِنْ قَوْمِهِ ، وَقَالَ : إِنِّي قَدْ عَمِلْتُ لَكُمْ طَعَامًا . فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ كَشَفَ لَهُمْ عَنْ ذَلِكَ الْمَالِ ، وَقَالَ : ﴿أَفْسِحْ هَذَا أَمْ أَنْتُمْ لَا تُبْصِرُونَ﴾ .

قال الزبير : وقال في يزيد بن عبد الملك يمدحه حينئذ بهذه القصيدة¹ : [من الخفيف]

صَرَمَتْ حَبْلَكَ الْغَدَاةَ نَوَارُ إِنَّ صَرْمًا لِكُلِّ حَبْلِ قَصَارُ

وهي طويلة ، يقول فيها :

مَنْ يَكُنْ سَائِلًا فَإِنَّ يَزِيدًا مَلِكٌ مِنْ عَطَائِهِ الْإِكْتَارُ
عَمَّ مَعْرُوفُهُ فَعَزَّ بِهِ الدَّيْبُ مَنْ وَذَلَّتْ لِمُلْكِهِ الْكُفَّارُ
وَأَقَامَ الصَّرَاطَ فَاثْتَهَجَ الْحَدُّ سَقُّ مَنِيرًا كَمَا أَنْارَ النَّهَارُ

ومن هذه القصيدة بيتان يُغْنَى فِيهِمَا ، وَهُمَا :

[من الخفيف]

صوت

بَشْرٌ لَوْ يَدِبُ ذَرٌّ عَلَيْهِ كَانَ فِيهِ مِنْ مَشِيهِ آثَارُ
إِنْ أَرَوَى إِذَا تَذَكَّرُ أَرَوَى قَلْبُهُ كَادَ قَلْبُهُ يُسْتَطَارُ

غَنَّتْ فِيهِ عَرِيبٌ لِحْنًا مِنَ الثَّقِيلِ الْأَوَّلِ بِالْبَنْصَرِ ، وَذَكَرَ ابْنُ الْمَكِّي أَنَّهُ لِحْدَهُ يَحْيَى .

[أراد أن يكيد عند يزيد لابن حزم فلم يقبل منه وأهانه]

أَخْبَرَنِي الْحَرَمِيُّ قَالَ حَدَّثَنَا الزُّبَيْرُ قَالَ حَدَّثَنِي عَمِّي مُصْعَبٌ عَنْ مُصْعَبِ بْنِ عَثْمَانَ قَالَ : حَجَّ يَزِيدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ فَتَزَوَّجَ بِنْتَ عَوْنِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَأَصْدَقَهَا مَالًا كَثِيرًا ؛ فَكَتَبَ الْوَلِيدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ إِلَى أَبِي بَكْرٍ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَمْرِو بْنِ حَزْمٍ : إِنَّهُ بَلَغَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَنَّ يَزِيدَ بْنَ عَبْدِ الْمَلِكِ قَدْ تَزَوَّجَ بِنْتَ عَوْنِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ وَأَصْدَقَهَا مَالًا كَثِيرًا ، وَلَا أَرَاهُ فَعَلَ ذَلِكَ إِلَّا وَهُوَ يَرَاهَا خَيْرًا مِنْهُ ، قَبِّحَ اللَّهُ رَأْيَهُ ؛ فَإِذَا جَاءَكَ كِتَابِي هَذَا فَادْعُ عَوْنًا فَاقْبِضْ الْمَالَ مِنْهُ ؛ فَإِنْ لَمْ يَدْفَعْهُ إِلَيْكَ فَاضْرِبْهُ بِالسَّيَاطِ حَتَّى تَسْتَوْفِيَهُ مِنْهُ ثُمَّ افْسَحْ نِكَاحَهُ . فَأَرْسَلَ أَبُو بَكْرٍ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَمْرِو بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ بِالْمَالِ . فَقَالَ لَهُ : لَيْسَ عِنْدِي شَيْءٌ ؛ وَقَدْ فَرَّقْتُهُ . فَقَالَ لَهُ أَبُو بَكْرٍ : إِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَمَرَنِي أَنْ لَمْ تَدْفَعْهُ إِلَيَّ كَلَّهْ أَنْ أَضْرِبَكَ بِالسَّيَاطِ ثُمَّ لَا أَرْفَعُهَا عَنْكَ حَتَّى أُسْتَوْفِيَهُ مِنْكَ . فَصَاحَ بِهِ يَزِيدُ : تَعَالَ إِلَيَّ ،

فجاءه ؛ فقال له فيما بينه وبينه : كَأَنَّكَ خَشِيتَ أَنْ أُسَلِّمَكَ إِلَيْهِ ، ادْفَعْ إِلَيْهِ الْمَالَ وَلَا تُعْرَضْ لَهُ نَفْسَكَ ؛ فَإِنَّهُ إِنْ دَفَعَهُ إِلَيَّ رَدَدْتُهُ عَلَيْكَ ، وَإِنْ لَمْ يَرُدَّهُ عَلَيَّ أَخْلَفْتُهُ عَلَيْكَ ، ففعل . فلَمَّا وَلِيَ يَزِيدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ ، كَتَبَ فِي أَبِي بَكْرٍ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ عَمْرٍو بْنِ حَزْمٍ وَفِي الْأَحْوَصِ ، فَحُمِّلَا إِلَيْهِ ، لِمَا بَيْنَ أَبِي بَكْرٍ وَالْأَحْوَصِ مِنَ الْعَدَاوَةِ ؛ وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ قَدْ ضَرَبَ الْأَحْوَصَ وَغَرَّبَهُ إِلَى ذَهْلِكَ وَأَبُو بَكْرٍ مَعَ عَمْرِو بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ ، وَعَمْرٌ إِذْ ذَاكَ عَلَى الْمَدِينَةِ . فَلَمَّا صَارَا بِيَابَ يَزِيدٍ أُذِنَ لِلْأَحْوَصِ ، فَرَفَعَ أَبُو بَكْرٍ يَدَيْهِ يَدْعُو ، فَلَمْ يَخْفِضْهُمَا حَتَّى خَرَجَ الْغُلَّامَانِ بِالْأَحْوَصِ مُلْتَبِئًا مَكْسُورِ الْأَنْفِ ، وَإِذْ هُوَ لَمَّا دَخَلَ عَلَى يَزِيدٍ قَالَ لَهُ : أَصْلَحَكَ اللَّهُ ؛ هَذَا ابْنُ حَزْمٍ الَّذِي سَفَّهَ رَأْيَكَ وَرَدَّ نِكَاحَكَ . فَقَالَ يَزِيدٌ : كَذَبْتَ ! عَلَيْكَ لَعْنَةُ اللَّهِ وَعَلَى مَنْ يَقُولُ ذَلِكَ ! اكْسِرُوا أَنْفَهُ ، وَأَمْرٌ بِهِ فَأُخْرِجُ مُلْتَبِئًا .

[فَصَّهَ مَعَ عَبْدِ الْحَكَمِ بْنِ عَمْرِو الْجُمَحِيِّ]

أَخْبَرَنِي الْحَرَمِيُّ قَالَ حَدَّثَنَا الزُّبَيْرُ قَالَ حَدَّثَنِي عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو الْجُمَحِيِّ قَالَ : كَانَ عَبْدُ الْحَكَمِ بْنِ عَمْرِو بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ صَفْوَانَ الْجُمَحِيِّ قَدْ اتَّخَذَ بَيْتًا فَجَعَلَ فِيهِ شِطْرُنَجَاتٍ وَنَزْدَاتٍ وَقِرْقَاتٍ وَدَفَاتِرَ فِيهَا مِنْ كُلِّ عِلْمٍ ، وَجَعَلَ فِي الْجِدَارِ أَوْتَادًا ، فَمَنْ جَاءَ عَلَّقَ ثِيَابَهُ عَلَى وَتَدٍ مِنْهَا ، ثُمَّ جَرَّ دَفْتَرًا فَقَرَأَهُ ، وَأَخَذَ بَعْضَ مَا يُلْعَبُ بِهِ فَلَعِبَ بِهِ مَعَ بَعْضِهِمْ . قَالَ : فَإِنَّ عَبْدَ الْحَكَمِ يَوْمًا لَفِيَ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِذَا فَتَى دَاخِلًا مِنْ بَابِ الْحَنَاطِينِ إِلَى بَابِ بَنِي جُمَحٍ ، عَلَيْهِ ثَوْبَانِ مُعْصِفَرَانِ مَدْلُوكَانِ وَعَلَى أُذُنِهِ ضَيْغُ رِيحَانٍ وَعَلَيْهِ رَدْعُ الْخَلُوقِ ، فَأَقْبَلَ يَشْتَقُّ النَّاسَ حَتَّى جَلَسَ إِلَى عَبْدِ الْحَكَمِ بْنِ عَمْرِو بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ؛ فَجَعَلَ مَنْ رَأَاهُ يَقُولُ : مَاذَا صُبَّ عَلَيْهِ مِنْ هَذَا ؟ أَلَمْ يَجِدْ أَحَدًا يَجْلِسُ إِلَيْهِ غَيْرَهُ ؛ وَيَقُولُ بَعْضُهُمْ : فَأَيَّ شَيْءٍ يَقُولُهُ لَهُ عَبْدُ الْحَكَمِ وَهُوَ أَكْرَمُ مِنْ أَنْ يَجِبَهُ مَنْ يَقْعُدُ إِلَيْهِ ! فَتَحَدَّثَ إِلَيْهِ سَاعَةً ثُمَّ أَهْوَى فَشَبَّكَ يَدَهُ فِي يَدِ عَبْدِ الْحَكَمِ وَقَامَ يَشْتَقُّ الْمَسْجِدَ حَتَّى خَرَجَ مِنْ بَابِ الْحَنَاطِينِ ، قَالَ عَبْدُ الْحَكَمِ : فَقَلْتُ فِي نَفْسِي : مَاذَا سَلَّطَ اللَّهُ عَلَيَّ مِنْكَ ! رَأَيْتُ مَعَكَ نَصْفَ النَّاسِ فِي الْمَسْجِدِ وَنَصْفَهُمْ فِي الْحَنَاطِينِ ، حَتَّى دَخَلَ مَعَ عَبْدِ الْحَكَمِ بَيْتَهُ ، فَعَلَّقَ رِدَائِهِ عَلَى وَتَدٍ وَحَلَّ أَرْزَارَهُ وَاجْتَرَّ الشِّطْرُنَجَ وَقَالَ : مَنْ يَلْعَبُ ؟ فَبَيْنَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ دَخَلَ الْأَبْجَرُ الْمَغْنِيُّ ، فَقَالَ لَهُ : أَيُّ زَنْدِيقٍ مَا جَاءَ بِكَ إِلَى هَاهُنَا ؟ وَجَعَلَ يَشْتُمُهُ وَيُمَازِحُهُ . فَقَالَ لَهُ عَبْدُ الْحَكَمِ : أَتَشْتُمُ رَجُلًا فِي مَنْزِلِي ! فَقَالَ : أَتَعْرِفُهُ ؟ هَذَا الْأَحْوَصُ . فَاعْتَنَقَهُ عَبْدُ الْحَكَمِ وَحَيَّاهُ . وَقَالَ لَهُ : أَمَا إِذْ كُنْتَ الْأَحْوَصَ فَقَدْ هَانَ عَلَيَّ مَا فَعَلْتَ .

[خَطَبَ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ أَهْلَ الْمَدِينَةِ وَتَمَثَّلَ بِشِعْرِهِ]

أَخْبَرَنِي الطُّوسِيُّ وَالْحَرَمِيُّ قَالَا حَدَّثَنَا الزُّبَيْرُ بْنُ بَكَّارٍ قَالَ حَدَّثَنِي حَمِيدُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ عَنْ

أبيه قال : لما قَدِمَ عبد الملك بن مروان حاجاً سنة خمس وسبعين ، وذلك بعد ما اجتمع الناس عليه بعامين ، جلس على المنبر فشتَمَ أهلَ المدينة ووبَّخهم ، ثم قال : إني والله يا أهلَ المدينة قد بلوتكم فوجدتكم تنفُسُون القليلَ وتحسُدون على الكثير ، وما وجدت لكم مثلاً إلا ما قال مُحَنَّتْكُمْ وأخوكم الأحوص¹ :

وَكَمْ نَزَلْتُ بِي مِنْ حُطُوبٍ مُهِمَّةٍ خَدَلْتُمْ عَلَيْهَا ثُمَّ لَمْ أَتَخَشَّعْ
فَأَذْبَرَ عَنِّي شَرُّهَا لَمْ أُبَلِّ بِهَا وَلَمْ أَدْعُكُمْ فِي كَرْبِهَا الْمُتَطَلِّعْ

فقام إليه نوفل بن مُسَاحِقٍ فقال : يا أمير المؤمنين ، أقرنا بالذنب وطلبنا المعذرة ؛ فعدُّ بِجَلْمِكَ ، فذلك ما يُشْبِهُنَا منك وَيُشْبِهُكَ مِنَّا ؛ فقد قال مَنْ ذَكَرْتَ من بعد بيتيه الأولين :

وَأِنِّي لَمُسْتَأْنٍ وَمُنْتَظِرٌ بِكُمْ وَإِنْ لَمْ تَقُولُوا فِي الْمِلْمَاتِ دَعٌ دَعٌ²
أَوْمَلٌ مِنْكُمْ أَنْ تَرَوْا غَيْرَ رَأْيِكُمْ وَشِيكاً وَكَيْمَا تَنْزِعُوا خَيْرَ مَنَزَعٍ

[أثر أهل دهلك عنه الشعر وعن عراق بن مالك الفقه]

أخبرني الحِزْمِيُّ والطُّوسِيُّ قَالَا حَدَّثَنَا الزُّبَيْرُ قَالَ حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ الضَّحَّاكِ عَنِ الْمُنْذَرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْحِزْمِيِّ : أَنَّ عِرَاكَ بْنَ مَالِكٍ كَانَ مِنْ أَشَدِّ أَصْحَابِ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ عَلَى بَنِي مَرْوَانَ فِي انْتِزَاعِ مَا حَازُوا مِنَ الْفَيْءِ وَالْمَظَالِمِ مِنْ أَيْدِيهِمْ . فَلَمَّا وُلِّيَ يَزِيدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ وَوَلَّى عَبْدَ الْوَاحِدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ النَّصْرِيَّ الْمَدِينَةَ ، فَقَرَّبَ عِرَاكُ بْنُ مَالِكٍ وَقَالَ : صَاحِبُ الرَّجُلِ الصَّالِحِ ، وَكَانَ لَا يَقْطَعُ أَمْرًا دُونَهُ ، وَكَانَ يَجْلِسُ مَعَهُ عَلَى سَرِيرِهِ . فَبَيْنَا هُوَ مَعَهُ إِذْ أَتَاهُ كِتَابُ يَزِيدِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ : أَنْ أِبْعَثْ مَعَ عِرَاكِ بْنِ مَالِكٍ حَرَسِيًّا حَتَّى يُنْزِلَهُ أَرْضَ دَهْلَكِ وَخُذْ مِنْ عِرَاكِ حَمُولَتَهُ . فَقَالَ لِحَرَسِيِّ بَيْنَ يَدَيْهِ وَعِرَاكُ مَعَهُ عَلَى السَّرِيرِ : خُذْ يَدَ عِرَاكِ فَابْتَعْ مِنْ مَالِهِ رَاحِلَةً ثُمَّ تَوَجَّهْ بِهِ نَحْوَ دَهْلَكِ حَتَّى تُقِرَّهُ فِيهَا ؛ فَفَعَلَ ذَلِكَ الْحَرَسِيُّ . قَالَ : وَأَقْدَمَ الْأَحْوَصُ ؛ فَمَدَحَهُ الْأَحْوَصُ ؛ فَأَكْرَمَهُ وَأَعْطَاهُ . قَالَ : فَأَهْلُ دَهْلَكِ يَأْتُرُونَ الشَّعْرَ عَنِ الْأَحْوَصِ ، وَالْفَيْقَهُ عَنِ عِرَاكِ بْنِ مَالِكٍ .

[كاد له الجراح الحكمي بأذربيجان فنجاهه يزيد بن المهلب]

أخبرني أبو خَلِيفَةَ الْفَضْلُ بْنُ الْحُبَابِ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سَلَامٍ عَنْ أَبِي الْغَرَّافِ عَمَّنْ يَقْبُحُ بِهِ قَالَ : بَعَثَ يَزِيدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ حِينَ قُتِلَ يَزِيدُ بْنُ الْمُهَلَّبِ فِي الشَّعْرَاءِ ، فَأَمَرَ بِهَجَاءِ يَزِيدِ بْنِ الْمُهَلَّبِ ،

1 شعر الأحوص : 154 مع اختلاف طفيف في الرواية .

2 بكم في ل : معاً .

منهم الفرزدق وكثير والأحوص . فقال الفرزدق : لقد امتدحت¹ بني المهلب بمدائح ما امتدحتُ بمثلها أحداً ، وإنه لقبیح بمثلي أن يكذب نفسه على كبر السن ، فليعفيني أمير المؤمنين ؛ قال : فأعفاه . وقال كثير : إني أكره أن أعرض نفسي لشعراء أهل العراق إن هجوتُ بني المهلب . وأما الأحوص فإنه هجاهم . ثم بعث به يزيد بن عبد الملك إلى الجراح بن عبد الله الحكمي وهو بأذربيجان ، وقد كان بلغ الجراح هجاء الأحوص بني المهلب ، فبعث إليه بزق من خمير فأدخل منزل الأحوص ، ثم بعث إليه خيلاً فدخلت منزله فصبوا الخمر على رأسه ثم أخرجوه على رؤوس الناس فاتوا به الجراح ، فأمر بخلق رأسه ولحيته ، وضربه الحد بين أوجه الرجال ، وهو يقول : ليس هكذا تُضرب الحدود ؛ فجعل الجراح يقول : أجل ! ولكن لما تعلم . ثم كتب إلى يزيد بن عبد الملك يعتذر فأغضى له عليها .

[رأى أبي الفرج فيه]

قال أبو الفرج الأصبهاني² : وليس ما جرى من ذكر الأحوص إرادة للغض منه في شعره ، ولكننا ذكرنا من كل ما يوثرُ عنه ما تُعرفُ به حاله من تقدم وتأخر ، وفضيلة ونقص ؛ فأما تفضيله وتقدمه في الشعر فمتعالم مشهور ، وشعره يُنبىء عن نفسه ويدل على فضله فيه وتقدمه وحسن رونقه وتهذيبه وصفائه .

[رأى الفرزدق وجرير في نسبه]

أخبرني الحرمي بن أبي العلاء والطوسي قالوا حدثنا الزبير بن بكار قال حدثنا عبد الملك بن عبد العزيز قال حدثني عبد الله بن مسلم بن جندب الهذلي قال حدثنا شيخ لنا من هذيل كان خالاً للفرزدق من بعض أطرافه قال : سمعتُ بالفرزدق وجرير على باب الحجاج ، فقلت : لو تعرضتُ ابن أختنا ! فامتطيتُ إليه بعيراً ، حتى وجدتهما قبل أن يخلصا ، ولكل واحدٍ منهما شيعه ؛ فكننتُ في شيعه الفرزدق ؛ فقام الآذن يوماً فقال : أين جرير ؟ فقال جرير : هذا أبو فراس ؛ فأظهرتُ شيعته لومه وأسرتُه . فقال الآذن : أين الفرزدق ؟ فقام فدخل . فقالوا لجرير : أتناوته وتهاجيه وتشاخسه ، ثم تُبدي عليه فتأبى وتبديه ؟ ! قضيتَ له على نفسك ؛ فقال لهم : إنه نزرُ القول ، ولم ينشب أن ينفد ما عنده وما قال فيه فيفاخره ويرفع نفسه عليه ؛ فما جئتُ به بعدُ حُمِدتُ عليه واستُحسِن . فقال قائلهم : لقد نظرتُ نظراً بعيداً . قال : فما نَشِبو أن أخرج الآذن فصاح : أين جرير ؟ فقام جرير فدخل . قال : فدخلتُ ، فإذا ما مدحه به الفرزدق قد نفد ، وإذا هو يقول :

[من الكامل]

1 ل : مدحت .

2 ل : مؤلف هذا الكتاب .

أين الذين بهم تُسامي دارمأ أم من إلى سلفي طهية تجعل

قال : وعمامته على رأسه مثل المنسف ، فصحت من ورائه¹ : [من الكامل]

هذا ابن يوسف فاعلموا وتفهموا برح الخفاء فليس حين تناجي
من سد مطاع النفاق عليكم أم من يصول كصوله الحجاج
أم من يغار على النساء حفيظة إذ لا يتقن بغيره الأزواج
قل للجبان إذا تأخر سرجه هل أنت من شرك المنيّة ناجي

قال : وما تشبيها ؟ وطرب : فقال جرير : [من الكامل]

لجّ الهوى بفؤادك الملجاج فاحبس بتوضيح باكر الأحجاج

وأمرها ، أو قال : أمضاها . فقال : أعطوه كذا وكذا ؛ فاستقلت ذلك . فقال الهذلي :
وكان جرير عربياً قروياً ، فقال للحجاج : قد أمر لي الأمير بما لم يفهم عنه ، فلو دعا كاتباً
وكتب بما أمر به الأمير ؛ فدعا كاتباً واحتاط فيه بأكثر من ضيعفه ، وأعطى الفرزدق أيضاً .
قال الهذلي : فجئت الفرزدق فأمر لي بستين ديناراً وعبيد ، ودخلت على رؤاته فوجدتهم
يعدّلون ما انحرف من شعره ، فأخذت من شعره ما أردت . ثم قلت له : يا أبا فراس ، من
أشعر الناس ؟ قال : أشعر الناس بعدي ابن المراغة . قلت : فمن أنسب الناس ؟ قال الذي
يقول² :

لي ليلتان فليلة معسولة ألقى الحبيب بها بنجم الأسعد
ومريحة همي علي كائني حتى الصباح معلق بالفرقد

قلت : ذاك الأحوص . قال : ذاك هو . قال الهذلي : ثم أتيت جريراً فجعلت أستقلّ عنده
ما أعطاني صاحبي أستخرج به منه ؛ فقال : كم أعطاك ابن أخيتك ؟ فأخبرته . فقال : ولك

1 انظر ديوان جرير (طبعة صادر ، 1964) : 73-74 هناك اختلاف كبير في الرواية والترتيب ويبدو أن البيت
الأول قد لُفّق من بيتين في هذه القصيدة :

إن ابن يوسف فاعلموا وتيقنوا ماضي البصيرة واضح المنهاج
فاستوسقوا وتبينوا سبل الهدى ودعوا النجى فليس حين تناجي

ومطلع القصيدة في الديوان :

هاج الهوى بفؤادك المهتاج فانظر بتوضيح باكر الأحجاج

2 شعر الأحوص : 109 وهما من أبيات سترد فيما بعد مطلعها :

يا للرجال لوجدك المتجدد ولما تؤمل من عقيلة في غد

مثله ؛ فأعطاني ستين ديناراً وعبداً . قال : وجئتُ رُوأته وهم يُقَوِّمون ما انحرف من شعره وما فيه من السِّنَاد ، فأخذتُ منه ما أردت ، ثم قلتُ : يا أبا حَزْرَةَ ، مَنْ أَنْسَبُ النَّاسِ ؟ قال الذي يقول¹ :

يا لَيْتَ شِعْرِي عَمَّنْ كَلَّفْتُ بِهِ مِنْ خَتَعَمٍ إِذْ نَأَيْتُ مَا صَنَعُوا
قَوْمٌ يَحُلُّونَ بِالسَّدِيرِ وَبِالْـ حَجِيرَةٍ مِنْهُمْ مَرَأًى وَمُسْتَمَعُ
أَنْ شَطَّتِ الدَّارُ عَنْ دِيَارِهِمْ أَمْسَكُوا بِالْوِصَالِ أَمْ قَطَعُوا
بِلْ هُمْ عَلَى خَيْرٍ مَا عَهَدْتُ وَمَا ذَلِكَ إِلَّا التَّامِيلُ وَالطَّمَعُ
قلت : وَمَنْ هُوَ ؟ قال : الأَحْوَصُ . فاجتمعا على أن الأَحْوَصُ أَنْسَبُ النَّاسِ .

نسبة ما في هذا الخبر من الغناء

منها الأبيات التي يقول فيها الأَحْوَصُ :

لي لَيْتَانِ فَلَيلَةٌ مَعسُولَةٌ

وأوَّلُ مَا يُغْنَى بِهِ فِيهَا :

[من الكامل]

صوت

يا لِلرِّجَالِ لِيُوجِدِكَ الْمُتَجَدِّدِ وَلِمَا تَوَمَّلُ مِنْ عَقِيلَةٍ فِي غَدِ
تَرْجُو مَوَاعِدَ بَعَثُ آدَمَ دُونَهَا كَانَتْ خَبَالًا لِلْفَوَادِ الْمُقْصَدِ
هَلْ تَذْكُرِينَ عَقِيلُ أَوْ أَنْسَاكِه بَعْدِي تَقَلَّبُ ذَا الرِّمَانِ الْمُفْسَدِ
يَوْمِي وَيَوْمِكَ بِالْعَقِيقِ إِذِ الْهَوَى مَنَا جَمِيعُ الشَّمْلِ لَمْ يَتَبَدَّدِ
لي لَيْتَانِ فَلَيلَةٌ مَعسُولَةٌ أَلْقَى الْحَبِيبَ بِهَا بَنَجْمَ الْأَسْعَدِ
وَمُرِيحَةَ هَمِّي عَلَيَّ كَأَنَّي حَتَّى الصَّبَاحِ مُعَلَّقٌ بِالْفَرْقَدِ

عروضه من الكامل . يقال : يا لِلرِّجَالِ ويا لِلرِّجَالِ بالكسر والفتح وفي الحديث أن عمر رضي الله عنه صاح لَمَّا طَعِنَ : يا لله يا للمسلمين . وقوله «في غد» ، يريد فيما بعد وفي باقي الدهر ؛ قال الله سبحانه : ﴿سَيَعْلَمُونَ غَدًا مَنِ الْكَذَّابُ الْأَشِيرُ﴾ . وَالْخَبَلُ وَالْخَبَالُ : النُّقْصَانُ مِنَ الشَّيْءِ . وَالْمُخَبَّلُ ، أَصْلُهُ مَاخُودٌ مِنَ النُّقْصِ لِأَنَّهُ نَاقِصُ الْعَقْلِ . وَالْمَعسُولَةُ : الْحُلُوةُ الْمَشْتَهَاةُ .

الشعر للأَحْوَصِ . والغناء في البيت الأوَّل والثاني لِمَالِكِ خَفِيفِ رَمَلٍ بِالْبَنْصَرِ عَنِ الْمَهْشَامِيِّ

وحبش . وفي الثالث والرابع لسليمان أخي بابويه ثقيل أول بالوسطى عن عمرو . وفيهما وفي الخامس والسادس لحن لابن سريج ذكره يونس ولم يجنسه . وذكر حماد بن إسحاق عن أبيه أن لمعبد في الأبيات كلها لحناً وأنه من صحيح غنائه ، ولم يجنسه .
[سألت امرأة ابناً للأحوص عن شعر له]

أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه عن أيوب بن عباية قال : بلغني أن ابناً للأحوص بن محمد الشاعر دخل على امرأة شريفة ، وأخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني إبراهيم بن زيد عن عبسة بن سعيد بن العاصي قال أخبرني أشعب بن جبير قال : حضرت امرأة شريفة ودخل عليها ابن الأحوص بن محمد الشاعر ؛ فقالت له : أتروي قول أبيك :

لي ليلتانِ فليلةٌ معسولةٌ ألقى الحبيبَ بها بنجم الأُسعدِ
ومريجةٌ همِّي عليَّ كأنني حتى الصباحِ معلقٌ بالفرقدِ

قال نعم . قالت : أتدري أي الليلتين التي يبيت فيها معلقاً بالفرقد ؟ قال : لا والله . قالت : هي ليلة أمك التي يبيت معها فيها . قال إبراهيم في خبره : فقلت لأشعب : يا أبا العلاء ، فأبي ليلتيه المعسولة ؟ فقال¹ :

ستبدي لك الأيامُ ما كنتَ جاهلاً ويأتيك بالأخبارِ مَنْ لم تُرودِ
هي ليلة الإسراف² ، ولا تسأل عما بعدها .

[ما قاله ابن جندب حين أنشد شعر الأحوص]

أخبرني عبد العزيز ابن بنت الماجشون قال : أنشد ابن جندب قول الأحوص : [من الكامل]

لي ليلتانِ فليلةٌ معسولةٌ ألقى الحبيبَ بها بنجم الأُسعدِ
ومريجةٌ همِّي عليَّ كأنني حتى الصباحِ معلقٌ بالفرقدِ

فقال : أما إن الله يعلم أن الليلة المريجة همِّي لألذ الليلتين عندي . قال الحرمي بن أبي العلاء : وذلك لكلفه بالغرل والشوق والحزن وتمني اللقاء .

[من هي عقيلة التي شغف بها الأحوص]

وللأحوص مع عقيلة هذه أخبارٌ قد ذكرت في مواضع أخر . وعقيلة امرأة من ولد عقيل بن أبي طالب رضي الله عنه . وقد ذكر الزبير عن ابن بنت الماجشون عن خاله أن عقيلة هذه هي سكينه بنت الحسين عليهما السلام ، كنى عنها بعقيلة .

1 هذا البيت من معلقة طرفه .

2 ل : الأشراف .

[أعجب أبو عبيدة بن محمد بن عمّار بيت له]

أخبرني الحرّميّ قال حدّثنا الزُّبير قال حدّثني عمر بن أبي بكر المؤمّلي : أنّ إنساناً أنشد عند إبراهيم بن هشام وهو والي المدينة قول الأحوص :

[من البسيط]

إذ أنتِ فينا لمنَ يَنهاكِ عاصيةٌ وإذ أُجرُّ إليكم سادراً رَسني

فوثب أبو عبيدة بن عمّار بن ياسرٍ قائماً ثم أرخى رِداءه ومضى يمشي على تلك الحال ويَجْرهُ حتى بلغ العِرض ثم رجع . فقال له إبراهيم بن هشام حين جلس : ما شأنك ؟ فقال : أيّها الأمير ، إنّي سمعتُ هذا البيتَ مرّةً فأعجبني ، فحلفتُ لا أسمعُه إلا جَرَرْتُ رَسني¹ .

نسبة هذا البيت وما غني² فيه من الشعر

صوت

[من البسيط]

سَقياً لِرَبْعِكَ من رُبْعِ بذي سَلَمٍ ولِلزَّمانِ به إذ ذاكَ من زَمَنٍ
إذ أنتِ فينا لمنَ يَنهاكِ عاصيةٌ وإذ أُجرُّ إليكم سادراً رَسني

عروضه من البسيط . غنى ابن سُرَيْج في هذين البيتين لحناً من التّقليل الأوّل بالوسطى عن عمرو . وذكر إسحاق فيه لحناً من التّقليل الأوّل بالسّباية في مجرى الوسطى ولم ينسبه إلى أحد ، وذكر حبّش أنّه للغريص .

[كان حمّاد الراوية يفضّله على الشعراء في النّسب]

أخبرني أبو خليفة عن محمد بن سلام عن سالم بن أبي السّحماء³ وكان صاحب حمّاد الراوية : أنّ حمّاداً كان يقدّم الأحوص في النّسب .

[هجا رجلاً فاستعدى عليه الفرزدق وجريراً فلم ينصراه فعاد فضالّحه]

أخبرني الحرّميّ قال حدّثنا الزُّبير قال حدّثنا عمر بن أبي سليمان عن يوسف بن أبي سليمان بن عُنيزة قال : هجا الأحوص رجلاً من الأنصار من بني حرامٍ يقال له ابن بشير ، وكان كثير المال ؛ فغضب من ذلك ، فخرج حتّى قدّم على الفرزدق بالبصرة وأهدى إليه وألطفه ، فقبل منه ، ثم جلسا يتحدّثان ؛ فقال الفرزدق : ممّن أنت ؟ قال : من الأنصار .

1 شعر الأحوص : 203 .

2 ل : ومن غنى .

3 ل : السّمحاء .

قال : ما أقدمك ؟ قال : جئتُ مستجيراً بالله عزّ وجلّ ثم بك من رجلٍ هجاني . قال : قد أجارك الله منه وكفاك مؤنته ، فأين أنت عن الأحوص ؟ قال : هو الذي هجاني . فأطرق ساعة ثم قال : أليس هو الذي يقول¹ :

ألا قف برسم الدارِ فاستنطقِ الرّسماً فقد هاجَ أجزاني وذكّرني نِعْماً
قال بلى . قال : فلا والله لا أهجو رجلاً هذا شعره أبداً . فخرج ابن بشير فاشتري أفضل من الشراء الأوّل من الهدايا ، فقدم بها على جرير ؛ فأخذها وقال له : ما أقدمك ؟ قال : جئت مستجيراً بالله وبك من رجلٍ هجاني . فقال : قد أجارك الله عزّ وجلّ منه وكفاك ، أين أنت عن ابن عمّك الأحوص بن محمد ؟ قال : هو الذي هجاني . قال : فأطرق ساعة ثم قال : أليس هو الذي يقول² :

تمشّى بشمّي في أكّاريس مالك تُشيدُ به كالكلبِ إذ ينبحُ النّجماً³
فما أنا بالمخسوسِ في جذمِ مالك ولا بالمسمّى ثم يلتزمُ الإسمَا
ولكنّ بيتي إنّ سألتَ وجدته توسّطَ منها العزّ والحسبَ الضّخماً⁴
قال : بلى والله . قال : فلا والله لا أهجو شاعراً هذا شعره . قال : فاشتري أفضل من تلك الهدايا وقدم على الأحوص فأهداها إليه وصالحه .

نسبة ما في هذا الخبر من الغناء

صوت

[من الطويل]
ألا قف برسم الدارِ فاستنطقِ الرّسماً فقد هاجَ أجزاني وذكّرني نِعْمي
فبتُ كأنّي شاربٌ من مُدَامَةٍ إذا أذهبتُ همّاً أتاحتُ له همّاً
غناه إبراهيم الموصليّ خفيف رملٍ بالوسطى عن الهشاميّ . وذكر عبد الله بن العباس الرّبيعيّ أنّه له .

1 شعر الأحوص : 194 .

2 شعرا الأحوص : 193-194 .

3 رواية الديوان :

وكت وشمّي في أرومة مالك بسبي به كالكلبِ إذ ينبحُ النجما

والأكاريس : جمع كرس وهو الجماعة من الناس .

4 بيتي في الديوان : أبي .

[أنشد أبو السائب المخزومي شعراً له فطرب]

أخبرني الحرّميّ قال حدّثني الزُّبير قال حدّثني عبد الملك بن عبد العزيز قال : قال لي أبو السائب المخزوميّ : أنشيدني للأحوص ؛ فأنشدته قوله¹ :

قالتُ وقلتُ تَحَرَّجِي وصلي حَبْلُ امرِيءِ بوصالكم صَبٌّ
واصِلُ إِذَا بَعَلِي فَقُلْتُ لها الغَدْرُ شيءٌ ليس من ضَرْبِي

صوت

[من الكامل]

ثُتَانِ لَا أَدْنُو لَوْصِلَهُمَا عِرْسُ الخَلِيلِ وَجَارَةُ الجَنْبِ
أَمَّا الخَلِيلُ فَلَسْتُ فَاجِعَهُ وَالجَارُ أوصَانِي بِهِ رَبِّي
عُوجُوا كَذَا نَذَرُ لَغَانِيَةِ بَعْضَ الحَدِيثِ مَطِيئِكُمْ صَحْبِي
وَنَقَلُهَا فِيَمِ الصُّدُودُ وَلَمْ نَذْنِبْ بَلْ أَنْتِ بَدَأْتِ بِالدَّنْبِ
إِنْ تُقْبَلِي نُقْبِلُ وَنُنزِلُكُمْ مِنَّا بَدَارُ السَّهْلِ والرُّحْبِ
أَوْ تُدْبِرِي تَكْذُرُ مَعِيشَتَنَا وَتُصَدِّعِي مُتَلَاثِمَ الشَّعْبِ

غنى في «ثنتان لا أدنو» والذي بعده ابنُ جامعٍ ثقيلاً أوّل بالوسطى . وغنى في «عوجوا كذا نذكر لغانية» والأبيات التي بعده ابنُ مُحَرِّزٍ لحناً من القدر الأوسط من التثنية الأولى مطلقاً في مجرى البصر ، قال : فأقبل عليّ أبو السائب فقال : يا ابن أخي ، هذا والله المَجِبُ عَيْنًا لا الذي يقول :

وكنْتُ إِذَا خَلِيلُ رَامَ صُرْمِي وَجَدْتُ وَرَايَ مُنْفَسِحًا عَرِيضًا

أذهب فلا صَحيك² الله ولا وسع عليك (يعني قائل هذا البيت) .

[سأل المهدي عن أنسب بيت فأجاب رجل من شعره فأجازه]

أخبرني الحرّميّ قال حدّثني الزُّبير قال حدّثنا خالد بن وضّاح قال حدّثني عبد الأعلى بن عبد الله بن محمد بن صفوان الجُمحيّ قال : حملتُ دَيْنًا بعسكر المهديّ ، فركب المهديّ بين أبي عبيد الله وعمر بن بزيع ، وأنا وراءه في موكبه على بردونٍ قَطُوف ؛ فقال : ما أنسبُ بيتٍ قالته العرب ؟ فقال له أبو عبيد الله : قولُ امرِيءِ القيس :

[من الطويل]

1 شعر الأحوص : 82 - 84 .

2 ل : أصبحك .

وما ذرَفَتْ عَيْنَاكَ إِلَّا لِتَضْرِبِي بِسَهْمَيْكَ فِي أَعْشَارِ قَلْبٍ مُقْتَلٍ¹

فقال : هذا أعرابيٌّ قُحٌّ . فقال عمر بن بزيق : قول كَثِيرٌ يا أمير المؤمنين : [من الطويل]

أُرِيدُ لِأَنْسَى ذِكْرَهَا فَكَأَنَّهَا تَمَثَّلُ لِي لَيْلَى بِكُلِّ سَبِيلٍ

فقال : ما هذا بشيءٍ ، وماله يريد أن يَنْسَى ذِكْرَهَا حَتَّى تَمَثَّلَ لَهُ ؟ فقلتُ : عندي حاجتُك يا أمير المؤمنين جعلني الله فداك ! قال : الحقُّ بي . قلتُ : لا لحاقَ بي ، ليس ذلك في دابَّتِي . قال : احمِلوه على دابَّةٍ . قلتُ : هذا أوَّلُ الفَتْحِ ؛ فَحُمِلَتْ عَلَى دَابَّةٍ ، فَلَحِقَتْ . فقال : ما عندك ؟ فقلتُ : قول الأحوص :

إِذَا قَلْتُ إِنِّي مُشْتَفٍ بِلِقَائِهَا فَحُمِّ التَّلَاقِي بَيْنَا زَادَنِي سُقْمَا

فقال : أحسنَ والله ! اقضُوا عنه دَيْنَهُ ؛ فَقَضَيْ عَنِّي دَيْنِي .

نسبة ما في هذا الخبر من الأغاني

منها الشعر الذي هو : [من الطويل]

أُرِيدُ لِأَنْسَى ذِكْرَهَا فَكَأَنَّهَا تَمَثَّلُ لِي لَيْلَى بِكُلِّ سَبِيلٍ

وقال² :

صوت

أَلَا حَيِّيَا لَيْلَى أَجَدَّ رَحِيلِي وَآذَنَ أَصْحَابِي غَدَاً بِقُفُولِ

وَلَمْ أَرَ مِنْ لَيْلَى نَوَالاً أَعْدُهُ أَلَا رُبَّمَا طَالِبْتُ غَيْرَ مُنِيلِ

أُرِيدُ لِأَنْسَى ذِكْرَهَا فَكَأَنَّهَا تَمَثَّلُ لِي لَيْلَى بِكُلِّ سَبِيلِ

وَلَيْسَ خَلِيلِي بِالْمَلُولِ وَلَا الَّذِي إِذَا غَبْتُ عَنْهُ بَاعَنِي بِخَلِيلِ

وَلَكِنْ خَلِيلِي مَنْ يَدُومُ وَصَالُهُ وَيَحْفَظُ سِرِّي عِنْدَ كُلِّ دَخِيلِ

عروضه من الطويل ، الشعر لكثير . والغناء في ثلاثة الأبيات الأول لإبراهيم ، ولحنه من

الثقيل الأول بإطلاق الوتر في مجرى البنصر . ولابنه إسحاق في :

وليس خليلي بالملول ولا الذي

ثقيلٌ آخرٌ بالوسطى .

1 لتضربي في ل : لتقدحي . والبيت من معلقة امرئ القيس .

2 ديوان كثير : 108 .

[حديث ابن سلام عن كثير وجميل]

أخبرني أبو خليفة قال حدثنا محمد بن سلام ، وأخبرني الحرّميّ قال حدثنا الزبير عن محمد بن سلام قال : كان لكثير في النسب حظاً وافر ، وجميل مقدّم عليه وعلى أصحاب النسب جميعاً ، ولكثير من فنون الشعر ما ليس لجميل . وكان كثير راوية جميل ، وكان جميل صادق الصّابة والعشق ، ولم يكن كثير بعاشق ، وكان يقول . قال : وكان الناس يستحسنون بيت كثير في النسب :

أريد لأنسى ذكراً فكأنما تمثّل لي لئلي بكلّ سبيل

قال : وقد رأيت من يفضّل عليه بيت جميل¹ :

خليليّ فيما عشتما هل رأيتما قتيلاً بكى من حبّ قاتله قبل

[حديث ابن مصعب الزبيري عن كثير]

قرأت في كتاب منسوب إلى أحمد بن يحيى البلاذريّ : وذكر إسحاق بن إبراهيم الموصلي أنّ عبد الله بن مصعب الزبيري كان يوماً يذكر شعر كثير ويصف تفضيل أهل الحجاز إياه ، إلى أن انتهى إلى هذا البيت . قال إسحاق : فقلت له : إنّ الناس يعيئون عليه هذا المعنى ويقولون : ما له يريد أن ينساها ؟ فتبسّم ابن مصعب ثم قال : إنكم يا أهل العراق لتقولون ذلك .

[سئل كثير عن أنسب بيت قاله فأجاب]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثني أبو يحيى الزهريّ قال حدثني الحرّبيّ قال : قيل لكثير : ما أنسب بيت قتله ؟ قال : الناس يقولون :

أريد لأنسى ذكراً فكأنما تمثّل لي لئلي بكلّ سبيل

وأنسب عندي منه قولي :

وقلّ أمّ عمريّ داؤه وشفاهه لديها وربّاه الشفاء من الخبل²

وقد قيل : إنّ بعض هذه الأبيات للمتوكّل اللّيثيّ .

[قال محرز بن جعفر إنّ الشعر في الأنصار]

أخبرني الحرّميّ قال حدثنا الزبير قال حدثني عثمان ، قال الحرّميّ : أحسبه ابن عبد الرحمن

1 ديوان جميل : 99 .

2 «لديها وربّاه الشفاء من الخبل» في ل : «لديها وربّاه إليه طيب» .

المخزوميّ ، قال حدّثنا إبراهيم بن أبي عبد الله قال : قيل لمُحرز بن جعفر : أنت صاحبُ شعرٍ ،
ونُراك تَلزَمُ الأنصار ، وليس هناك منه شيء ؛ قال : بلى والله ، إنّ هناك للشعرَ عين الشعر ،
وكيف لا يكون الشعر هناك وصاحبهم الأحوص الذي يقول¹ : [من الطويل]

يقولون لو ماتتْ لقد غاض حُبُّهُ وذلك حينَ الفاجِعاتِ وحيني
لَعَمْرُكَ إِنِّي إنْ تُحَمَّ وفاتها بصُحبةٍ مَنْ يَبْقَى لَغَيْرِ ضَيِّينِ

وهو الذي يقول² : [من الطويل]

وَإِنِّي لِمَكْرَامٍ لِسَادَاتِ مَالِكِ وَإِنِّي لِنَوْكِي مَالِكٍ لَسَبُوبُ
وَإِنِّي عَلَى الْحِلْمِ الَّذِي مِنْ سَجِيَّتِي لِحَمَالٍ أَضْعَانٍ لَهُنَّ طُلُوبُ

[ما قاله الأحوص من الشعر في مرض موته]

أخبرني الحرّميّ قال حدّثني الزُّبير قال حدّثني عمِّي مُصعب قال حدّثني يحيى بن الزبير بن
عبّاد بن حمزة بن عبد الله بن الزبير ، قال الزُّبير وحدّثني عليُّ بن صالح عن عامر بن صالح : أنّ
الأحوص قال في مرضه الذي مات فيه ، وقال عامر بن صالح : حين هرب من عبد الواحد
النَّصْرِيّ إلى البصرة³ : [من البسيط]

يا بِشْرُ يا رَبِّ مَحْزُونٍ بِمَصْرَعِنَا وشامِتٍ جَدِلٍ ما مَسَّهُ الحَزَنُ
وما شَمَاتُ امرئٍ إنْ ماتَ صاحِبُهُ وقد يَرى أَنَّهُ بالموتِ مُرْتَهَنُ
يا بِشْرُ هُبِّي فَإِنَّ النَّوْمَ أَرْقَهُ نَائِي مُشِتِّ وأَرْضٍ غَيْرُهَا الوَطَنُ

1 شعر الأحوص : 205 .

2 شعر الأحوص : 80 .

3 شعر الأحوص : 202 .

[51] - ذكر خبر الدلال وقصته حين خصي ومن خصي معه والسبب في ذلك وسائر أخباره

[اسمه وكنيته]

الدلال اسمه ناقد¹ ، وكنيته أبو زيد² ، وهو مدني مولى بني فهم .
وأخبرني علي بن عبد العزيز عن ابن خردادبه قال : قال إسحاق : لم يكن في المختئين أحسن
وجهاً ولا أنظف ثوباً ولا أظرف من الدلال . قال : وهو أحد من خصاه ابن حزم . فلما فعل
ذلك به قال : الآن تم الخنث .

وأخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه عن أبي عبد الله مصعب الزبيري قال : الدلال
مولى عائشة بنت سعيد بن العاص .

[كان ظريفاً صاحب نوادر]

وأخبرني الحسين بن يحيى عن حماد بن إسحاق عن أبيه عن أبي عبد الله مصعب
الزبيري قال : كان الدلال من أهل المدينة ، ولم يكن أهلها يعدون في الظرفاء وأصحاب
النوادر من المختئين بها إلا ثلاثة : طويس ، والدلال ، وهيب³ ؛ فكان هيب أقدمهم ،
والدلال أصغرهم . ولم يكن بعد طويس أظرف من الدلال ولا أكثر ملحاً .

قال إسحاق : وحدثني هشام بن المرية عن جرير ، وكانا تديمين مدنيين ، قال : ما
ذكرت الدلال قط إلا ضحكت لكثرة نوادره . قال : وكان نزر الحديث ، فإذا تكلم أضحك
الثكلي ، وكان ضاحك السن ، وصنعتة نزر جيدة ، ولم يكن يغني إلا غناء مضجعاً ، يعني
كثير العمل .

[كان أهل المدينة يفخرون به]

قال إسحاق : وحدثني أيوب بن عباية قال : شهدت أهل المدينة إذا ذكروا الدلال
وأحاديثه ، طولوا رقابهم وفخروا به ؛ فعلمت أن ذلك لفضيلة كانت فيه .

[كان يلزم النساء]

قال وحدثني ابن جامع عن يونس قال : كان الدلال مبتلي بالنساء والكون معهن ، وكان

1 ل : نافذ .

2 ل : يزيد .

3 ل : وهيت .

يُطَلَّبُ فلا يُقدَّرُ عليه ، وكان بديعَ الغِناءِ صحیحَه حَسَنَ العِرمِ¹ .

[سبب لقبه ، وتوسّطه بين الرجال والنساء]

قال إسحاق وحدثني الزبيری قال : إنّما لُقِّبَ بالدّلال لشكّله وحُسن دَلِّه وظرفه وحلاوة منطِقته وحُسن وجهه وإشارته . وكان مشغولاً بمخالطة النساء يكثر وِصفِهِنَّ للرجال . وكان² مَنْ أراد خِطبةَ امرأةٍ سأله عنها وعن غيرها ، فلا يزال يصف له النساء واحدةً فواحدةً حتى ينتهي إلى وصف ما يُعجبه ؛ ثم يتوسّط بينه وبين من يُعجبه منهنّ حتى يتزوَّجها ؛ فكان يُشاغِلُ كلَّ مَنْ جالسه عن الغِناء بتلك الأحاديث كراهةً منه للغِناء .

قال إسحاق وحدثني مُصعب الزبيری قال : أنا أعلمُ خلقَ الله بالسبب الذي من أجله حُصِيَ الدّلال ؛ وذلك أنّه كان القادمُ يقدِّمُ المدينة ، فيسأل عن المرأة يتزوَّجها فيدُلُّ على الدّلال ؛ فإذا جاءه قال له : صِفْ لي مَنْ تعرف من النساء للتزويج ؛ فلا يزال يصف له واحدةً بعد واحدة حتى ينتهي إلى ما يُوافق هواه ؛ فيقول : كيف لي بهذه ؟ فيقول : مهرُها كذا وكذا ؛ فإذا رضي بذلك أتاه الدّلال ، فقال لها : إنِّي قد أصبتُ لك رجلاً من حاله وقصّته وهيبته ويساره ولا عهد له بالنساء ، وإنّما قدِمَ بلدنا أنّفاً ؛ فلا يزال بذلك يُشوّقها ويُحرّكها حتى تُطيعه ؛ فيأتي الرجل فيعلمه أنّه قد أحكم له ما أراد . فإذا سوَّيَ الأمر وتزوَّجته المرأة ، قال لها : قد آن لهذا الرجل أن يدخل بك ، واللييلة موعده ، وأنت مُغتلمةٌ شبقةٌ جامّةٌ ؛ فساعة يدخل عليك³ قد دَفقت عليه مثل سَيْلِ العِرمِ ، فيقدِّرك ولا يُعاودُك ، وتكونين من أشام النساء على نفسك وغيرك . فتقول : فكيف أصنع ؟ فيقول : أنتِ أعلمُ بدواءِ حِرِّكِ⁴ ودائه وما يُسكِّنُ غِلْمَتَكَ . فتقول : أنتِ أعرف . فيقول : ما أجِدُ له شيئاً أُشفى من النّيك . فيقول لها : إن لم تخافي الفضيحة فابعثي إلى بعض الزُّنوج حتى يقضى بعض وطرك ويكفَّ عاديةً حِرِّكِ ؛ فتقول له : ويلك ؛ ولا كلّ هذا ! فلا تزال المُحاورة بينهما حتى يقول لها : فكما جاء⁵ عليّ أقوم ، فأخفّفك وأنا والله إلى التخفيف أحوج . فتفرّج المرأة فتقول : هذا أمرٌ مستور ، فينيكها ؛ حتى إذا قضى لذّته منها ، قال لها : أمّا أنتِ فقد استرحتِ وأمنتِ العيبَ ، وبقيتُ أنا . ثم يجيء إلى الزوج فيقول له : قد واعدتها أن تدخل عليك اللييلة ، وأنت رجلٌ

1 العِرم هنا : الصوت أو جهازه .

2 ل : وكل .

3 ل : يجامعك .

4 ل : فرجك .

5 ل : حكم .

عَزَبٌ ، ونساء المدينة خاصة يُردن المطاولة في الجِماع¹ ، وكأنتي بك كما تُدخله عليها تُفرغ وتقوم ، فتُبغِضُك وتَمُتُّك ولا تُعاودك بعدها ولو أعطيتها الدنيا ، ولا تنظر في وجهك بعدها . فلا يزال في مثل هذا القول حتى يعلم أنه قد هاجت شهوته ؛ فيقول له : كيف أعمل ؟ قال : تطُلب زنجيةً فتنيكها مرتين أو ثلاثاً حتى تسكن غلْمُك ؛ فإذا دخلت الليلة إلى أهلك لم تجد² أمرك إلا جميلاً . فيقول له ذلك : أعوذُ بالله من هذه الحال ، أزنأ وزنجية ؟ لا والله لا أفعل ! فإذا أكثر محاورته قال له : فكما جاء علي قَم فنيكني أنا حتى تسكن غلْمُك وشبُّك ؛ فيفرح فينيكه مرةً أو مرتين . فيقول له : قد استوى أمرك الآن وطابت نفسك ، وتدخل على زوجتك فتنيكها نيكاً يملؤها سروراً ولذة . فنيك المرأة قبل زوجها ، ونيكهُ الرجل قبل امرأته . فكان ذلك دأبه ، إلى أن بلغ خبره سليمان بن عبد الملك ، وكان غيوراً شديد الغيرة ، فكتب بأن يُخصى هو وسائر المختئين [بالمدينة ومكة] ، وقال : إن هؤلاء يدخلون على نساء قريش ويُفسدونهن . فورد الكتاب على ابن حزم فخصاهم . هذه رواية إسحاق عن الزبيرى . والسبب في هذا أيضاً مختلف فيه ، وليس كل الرواة يروون ذلك كما رواه مُصعب³ .

[رواية أخرى في السبب الذي خصى من أجله الدلال وسائر المختئين بالمدينة]

فمما روي من أمرهم ما أخبرني به أحمد بن عبد العزيز الجوهري ، وهذا الخبر أصح ما روي في ذلك إسناداً ، قال أخبرنا أبو زيد عمر بن شبة عن معن بن عيسى ، هكذا رواه الجوهري ، وأخبرنا به إسماعيل بن يونس قال حدثني عمر بن شبة قال حدثني أبو غسان قال : قال ابن جناح حدثني معن بن عيسى عن عبد الرحمن بن أبي الزناد عن أبيه وعن محمد بن معن الغفاري قالا : كان سبب ما خصى له المختئون بالمدينة أن سليمان بن عبد الملك كان في نادية له يسمر ليلة على ظهر سطح ، ففرق عنه جلساؤه ، فدعا بوضوء فجاءت به جارية له . فبينما هي تصب عليه إذ أوماً بيده وأشار بها مرتين أو ثلاثاً ، فلم تصب عليه ؛ فأنكر ذلك فرفع رأسه ، فإذا هي مُصغية بسمعها إلى ناحية العسكر ، وإذا صوت رجل يغني ، فأنصت له حتى سمع جميع ما تغنى به . فلما أصبح أذن للناس ، ثم أجرى ذكراً الغناء فلين فيه حتى ظن القوم أنه يشتهي ويريده ، فأفاضوا فيه بالتسهيل وذكروا من كان يسمعه . فقال سليمان : فهل بقي أحد يُسمع منه الغناء ؟ فقال رجل من القوم : عندي يا أمير المؤمنين

1 ل : النيك .

2 ل : يجيء .

3 ل : مصعب الزبيرى .

رجلانٍ من أهل أيلةٍ مُجيدان مُحكمان . قال : وأين منزلُك ؟ فأوماً إلى الناحية التي كان الغناء منها . قال : فابعث إليهما ، ففعل . فوجد الرسول أحدهما ، فأدخله على سليمان ؛ فقال : ما اسمُك ؟ قال : سُمير ؛ فسأله عن الغناء ، فاعترف به . فقال : متى عهدُك به ؟ قال : الليلة الماضية . قال : وأين كنتَ ؟ فأشار إلى الناحية التي سمع سليمان منها الغناء . قال : فما غنيت به ؟ فأخبره بالشعر الذي سمعه سليمان . فأقبل على القوم فقال : هَدَرَ الجملُ فضبعتِ الناقة ، وَبَّ التيسُ فشكرتِ الشاةُ ، وهَدَرَ الحمامُ فزافت الحمامة ، وَغَنَّى الرجلُ فطربَتِ المرأةُ ، ثم أمر به فخصي . وسأل عن الغناء أين أصلُه ؟ فقيل : بالمدينة في المخنثين ، وهم أئمتُّه والحذَّاق فيه . فكتب إلى أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم الأنصاري ، وكان عامله عليها ، أن اخْصِرْ مَنْ قَبْلَكَ من المخنثين المغنِّين ، فرعمَ موسى بن جعفر بن أبي كثير قال أخبرني بعض الكُتَّاب قال : قرأت كتابَ سليمان في الديوان ، فرأيتُ على الخاءِ نقطةً كتمرة العجوة . قال : ومَنْ لا يعلم يقول : إنَّه صَحَّفَ القارىء ، وكانت أخصُ ، قال : فتبَّعهم ابن حزم فخصي منهم تسعة ؛ فمنهم الدلال ، وطريف ، وحبیب نومة الضحى . وقال بعضهم حين خُصي : سلِّم الخاتن والمختون . وهذا كلام يقوله الصبي إذا خُن .

قال : فرعم ابن أبي ثابت الأعرج قال أخبرني حماد بن نسيط الحسني قال : أقبلنا من مكة ومعنا بدراقس وهو الذي ختنهم ، وكان غلامه قد أعانه على خصائهم ، فنزلنا على حبيب نومة الضحى ، فاحتفل لنا وأكرمنا . فقال له ثابت : مَنْ أنت ؟ قال : يا ابن أخي أتجهلني وأنت وليت ختاني ! أو قال : وأنت ختنتي . قال : واسوءتاه ! وأيُّهم أنت ؟ قال أنها حبيب . قال ثابت : فاجتنبت طعامه وخفتُ أن يسمني¹ . قال : وجعلتُ لحيه الدلال بعد سنة أو سنتين تتناثر . وأما ابن الكلبي فإنه ذكر عن أبي مسكين ولقيط أن أيمن كتب بإحصاء من في المدينة من المخنثين ليعرفهم ، فيؤفد عليه من يختاره للوفادة ؛ فظنَّ الوالي أنه يريد الخصاء ، فخصاهم .

أخبرني وكيع قال حدثني أبو أيوب المدني قال حدثني محمد بن سلام قال حدثني ابن جعدبة ، ونسختُ أنا من كتاب أحمد بن الحارث الخزاز عن المديني عن ابن جعدبة واللفظ له : أن الذي هاج سليمان بن عبد الملك على ما صنعه بمن كان بالمدينة من المخنثين ، أنه كان مستلقياً على فراشه في الليل ، وجارية له إلى جنبه ، وعليها غلالة ورداء معصفران ، وعليها وشاحان من ذهب ، وفي عنقها فصلانٍ من لؤلؤ وزبرجد وياقوت ، وكان سليمان بها

1 ل : فاجتنب طعامه وخاف أن يسمه .

مشغولاً ، وفي عسكره رجلٌ يقال له سُمَيْرُ الأَيْلِيِّ يَغْنِي ، فلم يفكر سليمان في غنائهِ شُغلاً بها وإقبالاً عليها ، وهي لاهيةٌ عنه لا تُجيبه مُصغيةٌ إلى الرجل ، حتى طال ذلك عليه ، فحوّل وجهه عنها مُغضباً ، ثم عاد إلى ما كان مشغولاً عن فهمه بها ، فسمع سُمَيْراً يَغْنِي بأحسن صوت وأطيب نغمة :

صوت

محبوبةٌ سمعتُ صوتي فأرقها من آخر الليل حتى شَفها السَهْرُ
تُدني على جيديها تُنسي مُعصَرةً والحلي منها على لباتها خَصْرُ
في ليلة النصف ما يدري مُضاجِعُها أوجهها عنده أبهى أم القمرُ
ويروى : أوجهها ما يرى أم وجهها القمرُ

لَوْ خُلِيتْ لَمَشْتُ نَحْوِي عَلَى قَدَمٍ تكاد من رِقّةٍ للمشي تَنْفَطِرُ

الغناء لسُمَيْرِ الأَيْلِيِّ ، رمل مطلق بالينصر عن حبش . وأخبرني ذُكاء وجه الرُزّة أَنَّهُ سَمِعَ فيه لحناً للدلال من الثقيل الأول ، فلم يشكك سليمان أنّ الذي بها ممّا سمعتُ ، وأنها تهوى سُمَيْراً ؛ فوجّه من وقته مَنْ أحضره وحبسه ، ودعا لها بسيف ونطع ، وقال : والله لَتَصُدُقَنِي أو لأضربنَ عنقك ! قالت : سَلَنِي عَمَّا تريد . قال : أخبريني عمّا بينك وبين هذا الرجل . قالت : والله ما أعرفه ولا رأيته قطُّ ، وأنا جاريةٌ مَنْشَعِي الحجاز ، ومن هناك حُمِلْتُ إليك ، ووالله ما أعرف بهذه البلاد أحداً سواك . فرق لها ، وأحضر الرجلَ فسأله ، وتلطّف له في المسألة ، فلم يجد بينه وبينها سبيلاً ، ولم تطبُ نفسه بتخليته سويّاً فخصاه ؛ وكتب في المختنن بمثل ذلك . هذه الرواية الصحيحة . -

[أسف ابن أبي عتيق لخصاء الدلال]

وقد أخبرني الحرّميّ بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني عمّي قال : قيل للوليد بن عبد الملك : إن نساء قريش يدخل عليهنّ المختنون بالمدينة ، وقد قال رسول الله ﷺ : «لا يدخل عليكنّ هؤلاء» . فكتب إلى ابن حزم الأنصاريّ أن اخضهم ، فخصاهم . فمرّ ابن أبي عتيق فقال : أَخَصَيْتُمُ الدَّلَالَ ! أما والله لقد كان يُحسن :

لِمَنْ رَجَعَتْ بَدَاتِ الْجَيْدِ شِ أَمْسَى دَارِساً خَلَقَا

تَأْبَدُ بَعْدَ سَاكِنِهِ فَأَصْبَحَ أَهْلُهُ فِرْقَا

وَقَفْتُ بِهِ أَسْأَلُهُ وَمَرَّتْ عَيْسُهُمْ حِرْقَا

ثم ذهب ثم رجع ، فقال : إنّما أعني خفيفه ، لستُ أعني ثقيله .

[أسف الماجشون لذلك]

أخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه عن الواقديّ عن ابن الماجشون : أنّ خليفة صاحب الشرطة لما خصي المختّون مرّ بأبيه الماجشون وهو في حلّقه ؛ فصاح به : تعال ، فجاءه ؛ فقال : أخصّيتم الدّلال ؟ قال نعم . قال : أما إنّه كان يُجيد : [من الهزج]

لِمَنْ رُبِعَ بذات الجيد ش أمسى دارساً خلّقاً

ثم مضى غير بعيد فردّه ، ثم قال : أستغفر الله ؛ إنّما أعني هزجه لا ثقله .

[أضحك الناس في الصلاة]

أخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه قال حدّثني حمزة النوفليّ قال : صلّى الدّلال المختّ إلى جانبي في المسجد ، فضرّط ضرطه هائلة سمعها من في المسجد ، فرفعنا رؤوسنا وهو ساجد ، وهو يقول في سجوده رافعاً بذلك صوته : سبح لك أعلاي وأسفلي ؛ فلم يبق في المسجد أحدًا إلّا أفتن وقطع صلاته بالضحك .

[طرب شيخ في مجلس ابن جعفر للغناء]

أخبرني الحسين عن حمّاد عن أبيه عن المدائنيّ عن أشياخه : أنّ عبد الله بن جعفر قال لصديق له : لو غنّتك جاريتي فلانة :

[من الهزج]

لِمَنْ رُبِعَ بذات الجيد ش أمسى دارساً خلّقاً

لَمَّا أدركت دُكّانك . فقال : جعلتُ فِداك ، قد وجبتْ جُوبُها فكلّوا منها وأطعموا البائس الفقير . فقال عبد الله : يا غلام ، مرّ فلانة أن تخرج ؛ فخرجتْ معها عودُها . فقال عبد الله : إنّ هذا الشيخ يكره السماع . فقالت : وبجّه ! لو كره الطعم والشراب كان أقرب له إلى الصواب ! فقال الشيخ : فكيف ذاك وبهما الحياة ؟ فقالت : إنهما ربّما قتلا وهذا لا يقتل . فقال عبد الله غنيّ :

[من الهزج]

لِمَنْ رُبِعَ بذات الجيد ش أمسى دارساً خلّقاً

فغنّت ؛ فجعل الشيخ يصفق ويرقص ويقول :

هذا أوانُ الشدِّ فاشتدّي زيم

ويحرّك رأسه ويدور حتى وقع¹ مغشيّاً عليه ، وعبد الله بن جعفر يضحك منه .

[غنى الدلال الغمر بن يزيد فطرب]

أخبرني إسماعيل بن يونس قال حدّثنا عمّر بن شبة قال حدّثني أبو غسان قال : مرّ

الغمر بن يزيد بن عبد الملك حاجاً ، فغناه الدلال : [من البسيط]

بانَتْ سَعَادُ وَأَمْسَى حَبْلُهَا انصَرَمَا واحْتَلَّتِ الغَمْرَ فالأَجْرَاعَ من إضْمَا

فقال له الغمر : أحسنت والله ، وغلبت فيه ابن سريج ! فقال له الدلال : نعمة الله عليّ فيه أعظم من ذلك . قال : وما هي ؟ قال : السُّمعة ، لا يسمعه أحدٌ إلاّ علِمَ أنه غناء مُخَنَّثٌ حقّاً .

نسبة هذا الصوت¹ : [من البسيط]

صوت

بانَتْ سَعَادُ وَأَمْسَى حَبْلُهَا انصَرَمَا واحْتَلَّتِ الغَمْرَ فالأَجْرَاعَ من إضْمَا²
إحْدَى بَلِيٍّ وما هَامَ الفَوَاذُ بها إلاّ السَّفَاةَ وإلاّ ذِكْرَةَ حُلْمَا
هَلَا سَأَلْتَ بني ذُبْيَانَ ما حَسَبِي إذا الدُّخَانَ تَغَشَّى الأَشْمَطَ البَرْمَا

الشعر للنابغة الذبيانيّ ، والغناء للدلال خفيف ثقيل أول بالوسطى عن الهشاميّ . وفيه خفيف ثقيل بالنصر لمبعد عن عمرو بن بانه . وفيه لابن سريج ثقيل أول بالنصر عن حيش . وفيه لنشيط ثاني ثقيل بالنصر عنه . وذكر الهشاميّ أنّ لحن مَعْبَدٍ ثقيلٌ أول ، وذكر حماد أنّه للغريص . وفيه لجميلة ودحمان لحنان ، ويقال : إنهما جميعاً من الثقيل الأول .
[احتكم إليه شيمي ومرجىء]

أخبرني الحسين بن يحيى قال أخبرنا حماد بن إسحاق إجازة عن أبيه عن المدائنيّ قال : اختصم شيعيٌّ ومرجىءٌ ، فجعلا بينهما أول من يطلع ، فطلع الدلال : فقالا له : أبا زيد ، أيُّهما خيرٌ : الشيعيُّ أم المرجىء ؟ فقال : لا أدري إلاّ أنّ أعلاي شيعيٌّ وأسفلي مرجىء !
[هرب من المدينة إلى مكة]

قال إسحاق قال المدائنيّ وأخبرني أبو مسكين عن فليح بن سليمان قال : كان الدلال ملازماً لأُمّ سعيد الأسلمية وبنّت ليحيى بن الحكم بن أبي العاصي ، وكانتا من أمجن النساء ، كانتا تخرجان فتركبان الفرسين فتستبقان عليهما حتى تبتدوا خلاخيلهما . فقال معاوية لمروان بن الحكم : اكفني بنت أخيك ؛ فقال : أفعل . فاستزارها ، وأمر بيئر فحفرت في طريقها ، وغطيت بحصير ، فلما مشت عليه سقطت في البئر فكانت قبرها . وطلب الدلال

1 ديوان النابغة (تحقيق أبو الفضل إبراهيم) : 61-62 .

2 انصرما في الديوان : اتجذما . الغمر في الديوان : الشرع .

فهرَب إلى مَكّة . فقال له نساء أهل مَكّة : قتلت نساء أهل المدينة وجئت لتقتلنا ! فقال : والله ما قتلهنّ إلاّ الحُكّاك . فقلن : اعزّبُ أحزّاك الله ، ولا أدنى بك [دارا ، ولا آذانا بك] ! قال : فمنّ لَكُنّ بعدي يدلّ على دائكُنّ ويعلم موضع شِفائِكُنّ ؟ والله ما زنيت قطّ ولا زُني بي ، وإنّي لأشتهي ما تشتهي نساؤُكم ورجالكم .

[كان الماخشون يقرب الدلال ويستحسن غناءه]

قال إسحاق وحدثني الواقديّ عن ابن الماخشون قال : كان أبي يُعجبه الدّلال ويستحسن غناءه ويُدنيه ويُقرّبه ، ولم أره أنا ، فسمعتُ أبي يقول : غنّاني الدّلال يوماً بشعر مجنون بني عامر ، فلقد خفتُ الفتنة على نفسي . فقلت : يا أبتِ ، وأيّ شعر تَغنّي ؟ قال قوله¹ :

صوت

عسى الله أن يُجري المودّة بيننا ويوصل حبلاً منكم بجباليا
فكم من خليلي جفوة قد تقاطعا على الدهر لما أن أطلا التلاقيا²
وإنّي لفي كربٍ وأنت خليلي لقد فارقت في الوصف حالك حاليًا
عتبتُ فما أعتيتني بمودّة ورمتُ فما أسعفتني بسؤاليا

الغناء في هذا الشعر للغريض ثقيلٌ أوّل بالوسطى ، ولا أعرف فيه لحناً غيره . وذكر حماد في أخبار الدّلال أنّه للدّلال ، ولم يجنسه .

[غرر بمخّة المخنث فعابت خثيم بن عراك صاحب الشرطة]

قال إسحاق وحدثني الواقديّ عن عثمان بن إبراهيم الخاطبيّ قال : قدّم مخنث من مَكّة يقال له مُخّة ، فجاء إلى الدّلال فقال : يا أبا زيد ، دلّني على بعض مُخنثي أهل المدينة أكايده وأمازحه ثم أجاذبه . قال : قد وجدته لك ، وكان خثيم بن عراك بن مالك صاحب شرطة زياد بن عبيد الله الحارثي جازه ، وقد خرج في ذلك الوقت ليصلي في المسجد ، فأوماً إلى خثيم فقال : الحقّه في المسجد ؛ فإنّه يقوم فيه فيصلي ليُرائي الناس ، فإنك ستظفر بما تريد منه . فدخل المسجد وجلس إلى جنب ابن عراك ، فقال : عجّلني بصلاتك لا صلى الله عليك ! فقال خثيم : سبحان الله ! فقال المخنث : سبحت في جامعة قرّاصية ، انصرفي حتى أتحدّث معلن . فانصرف خثيم من صلاته ، ودعا بالشرط والسيّاط فقال : خذوه فأخذوه ، فضربه مائة وحبسه .

1 ديوان مجنون ليلي ، 311 عن الأغاني .

2 تقاطعا في ل : تواسلا ، ولا معنى له .

[أضحك الناس في الصلاة فتهدده الوالي.]

أخبرني الحسين عن حماد عن أبيه قال : صَلَّى الدَّلَالُ يوماً خَلْفَ الإمامِ بِمَكَّةَ ، فَقَرَأَ : ﴿وَمَا لِي لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ ؛ فَقَالَ الدَّلَالُ : لَا أَدْرِي وَاللَّهِ ؛ فَضَحِكَ أَكثَرَ النَّاسِ وَقَطَعُوا الصَّلَاةَ . فَلَمَّا قَضَى الْوَالِي صَلَاتَهُ دَعَا بِهِ وَقَالَ لَهُ : وَيْلَكَ ! أَلَا تَدْعُ هَذَا الْمَجُونَ وَالسَّفَهَةَ ! فَقَالَ لَهُ : قَدْ كَانَ عِنْدِي أَنَّكَ تَعْبُدُ اللَّهَ ، فَلَمَّا سَمِعْتُكَ تَسْتَفْهِمُ ، ظَنَنْتُ أَنَّكَ قَدْ تَشَكَّكَتَ فِي رَبِّكَ فَتَبَّتُكَ . فَقَالَ لَهُ : أَنَا شَكَّكَتُ فِي رَبِّي وَأَنْتَ تَبَّتَّنِي ! اذْهَبْ لَعَنَكَ اللَّهُ ؛ وَلَا تُعَاوِدْ فَأُبَالِغَ وَاللَّهِ فِي عَقُوبَتِكَ !

[قَصَّته مع رجل زوجه امرأة لم يدخل بها]

قال إسحاق وحدثني الواقدي عن عثمان بن إبراهيم قال¹ : سأل رجل الدَّلَالُ أن يزوجه امرأة فزوجه . فلما أعطها صداقها وجاء بها إليه فدخلت عليه ، قام إليها فواقعها ، فضرطت قبل أن يطأها ، فكسبل عنها الرجل ومقتها وأمر بها فأخرجت ، وبعث إلى الدَّلَالِ ، فعرفه ما جرى عليه . فقال له الدَّلَالُ : فديتك ! هذا كله من عزة نفسها . قال : دعني منك ؛ فإنني قد أبغضتها ، فاردد عليّ دراهمي ، فردّ بعضها . فقال له : لِمَ رددتَ بعضها وقد خرجت كما دخلت ؟ قال : للروعة التي أدخلتها على استيها . فضحك وقال له : اذهب فأنت أفضى الناس وأفقههم .

[سكر مع فتية من قريش فأراد الأمير أن يحده ثم عفا عنه]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدثنا أبو أيوب المدينيّ قال حدثني محمد بن سلام عن أبيه قال وأخبرني به الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه عن محمد بن سلام عن أبيه قال : إن الدَّلَالِ خرج يوماً مع فتية من قريش في زهية لهم ، وكان معهم غلامٌ جميلُ الوجه ، فأعجبه ؛ وعلم القوم بذلك ، فقالوا : قد ظفّرنا به بقيّة يومنا ، وكان لا يبصر في مجلس حتى ينقضي ، وينصرف عنه استثقلاً لمحادثة الرجال ومحبةً في محادثة النساء . فغمزوا الغلام عليه ؛ وفطن لذلك فغضب ، وقام لينصرف ؛ فأقسم الغلام عليه والقوم جميعاً فجلس . وكان معهم شرابٌ فشربوا ، وسقوه وحملوا عليه لئلا يبرح² ، ثم سألوه أن يُغنيهم فغناهم :

صوت

زُبَيْرِيَّةٌ بِالْعَرَجِ مِنْهَا مَنَازِلٌ وَبِالْخَيْفِ مِنْ أَدْنَى مَنَازِلِهَا رَسْمٌ

1 نقل ابن حمدون هذه الحكاية في التذكرة 9 : 423 (رقم 1007) .

2 ل : يخرج .

أَسْأَلُ عَنْهَا كُلَّ رَكْبٍ لَقِيْتَهُ ومالي بها من بعد مَكْتِنَا عِلْمُ
أَيَا صَاحِبِ الْخِيَمَاتِ مِنْ بَطْنِ أُرْتَدٍ إِلَى النَّخْلِ مِنْ وَدَانَ مَا فَعَلْتَ نَعْمُ¹
فَإِنْ تَكُ حَرْبٌ بَيْنَ قَوْمِي وَقَوْمِهَا فَإِنِّي لَهَا فِي كُلِّ نَائِرَةٍ سَلِمُ²

ذكر يحيى المكيّ وعمرو بن بانة أن الغناء في هذا الشعر لمعبد ثاني ثقيل بالوسطى ، وذكر غيرهما أنه للدّلال . وفيه لمُخَارِقُ رَمْلٌ . وذكر إسحاق هذا اللحن في طريقة الثقيل الثاني ولم ينسبه إلى أحد ، قال : فاستطير القومُ فرحاً وسروراً وعلا نعيمهم ؛ فنذر بهم السُّلطان ، وتعادت الأشرط³ ، فأحسوا بالطلب فهربوا ؛ وبقي الغلام والدّلال ما يطيقان براحاً من السُّكر ؛ فأخذاً فَأَتَيْتَ بِهِمَا أَمِيرَ الْمَدِينَةِ . فقال للدّلال : يا فاسق ؛ فقال له : من فيك إلى السماء . قال : جئوا فكّه ؛ قال : وعُنُقَه أيضاً . قال : يا عدو الله ! أما وسِعَكَ بَيْتُكَ حَتَّى خَرَجْتَ بِهَذَا الْغَلامِ إِلَى الصَّحْرَاءِ تَفْسُقُ بِهِ ! فقال : لو علمتُ أَنَّكَ تَغَارُ عَلَيْنَا وَتَشْتَهِي أَنْ نَفْسُقَ سِرّاً مَا خَرَجْتُ مِنْ بَيْتِي . قال : جَرَدُوهُ وَاضْرِبُوهُ حَدّاً . قال : وما ينفعك من ذلك ؛ وأنا والله أُضْرَبُ فِي كُلِّ يَوْمٍ حَدوداً . قال : وَمَنْ يَتَوَلَّى ذَلِكَ مِنْكَ ؟ قال : أَيُورُ الْمُسْلِمِينَ . قال : ابْطَحُوهُ عَلَى وَجْهِهِ وَاجْلِسُوا عَلَى ظَهْرِهِ . قال : أَحْسِبُ أَنَّ الْأَمِيرَ قَدْ اشْتَهَى أَنْ يَرَى كَيْفَ أَنَاكَ . قال : أقيموه لعنه الله واشهروه في المدينة مع الغلام . فأخرجوا يُدار بهما في السُّكِّ . فقيل له : ما هذا يا دلال ؟ قال : اشتهى الأمير أن يجمع بين الرأسين ، فجمع بيني وبين هذا الغلام ونادى علينا ، ولو قيل له الآن : إِنَّكَ قَوَادٌ غَضِبَ ! فبلغ قوله الوالي فقال : خَلُّوا سَبِيلَهُمَا ، لعنة الله عليهما !

[شهادة معبد في غناء الدلال]

قال إسحاق في خبره خاصّةً ، ولم يذكره أبو أيوب ، فحدثني أبي عن ابن جامع عن سيباطٍ قال : سمعت يونس يقول قال لي معبدٌ : ما ذكرت غناء الدّلال في هذا الشعر : [من الطويل]

زُبَيْرِيَّةٌ بِالْعَرَجِ مِنْهَا مَنَازِلٌ

إِلَّا جَدَّدَ لِي سُرُوراً ، وَلَوِ دِدْتُ أَنِّي كُنْتُ سَبَقْتُهُ إِلَيْهِ لِحُسْنِهِ عِنْدِي . قال يونس : فقلت له : ما بلغ من حُسْنِهِ عِنْدَكَ ؟ قال : يَكْفِيكَ أَنِّي لَمْ أَسْمَعْ أَحْسَنَ مِنْهُ قَطُّ .

[ما كان بينه مع بعض المخنئين وبين عبد الرحمن بن حسان]

أخبرني الحسين عن حماد عن أبيه عن الهيثم بن عديّ عن صالح بن حسان قال : كان

1 أرتد في ل : أريد .

2 نائرة : عداوة .

3 تعادت الأشرط : أخذ رجال الشرطة يعدون .

بالمدينة عرس ، فاتَّفَق فيه الدَّلَال وطُويس والوليد المَخْنَث ، فدخل عبد الرحمن بن حَسَّان ، فلَمَّا رآهم قال : ما كنتُ لأجلِسَ في مجلسٍ فيه هؤلاء . فقال له طُويس : قد علمتَ يا عبد الرحمن نِكايتي فيكَ وأنَّ جِرْحِي إِيَّاكَ لم يندمل ؛ يعني خبره معه بحضرة عبد الله بن جعفر ، وذكَّره لَعَمْتَه الفارعة ، فاربحَ نفسَكَ وأقْبِلْ على شَأْنِكَ ؛ فإنه لا قيامَ لك بمن يفهمك فَهَمِي . وقال له الدَّلَال : يا أخا الأنصار ! إنَّ أبا عبد النِّعَمِ أَعْلَمُ بك مِنِّي ، وسأُعَلِّمُك بعض ما أَعْلَمُ به . ثم اندفع ونَقَرَ بالدُّفِّ ، وكلَّهم ينقُرُ بدُّفَّهُ معه ، فتغنَّى : [من الطويل]

صوت

أتهجُرُ يا إنسانَ مَنْ أنتَ عاشقُهُ وَمَنْ أنتَ مشتاقٌ إليه وشائِقُهُ
ورِيسِ أَحَمِّ المقلتينِ مُوشِحِ زرابِيه مِثوثةٌ ونَمَارِقُهُ
ترى الرِّقَمَ والدِّباجَ في بيته معاً كما زَيْنَ الروضِ الأنيقِ حدائقُهُ¹
وسيربِ ظباءَ تَرْتَعِي جانبَ الحِمَى إلى الجوِّ فالخَبْتَيْنِ بيضٌ عَفَائِقُهُ
وما مِنِ جَمِيٍّ في الناسِ إلَّا لنا جَمِيٍّ وإلَّا لنا غَرِيْبُهُ ومَشَارِقُهُ

فاستضحك عبد الرحمن وقال : اللَّهُمَّ غَفِّراً ، وجلس .

لحن الدَّلَال في هذه الأبيات هزج بالنصر عن يحيى المكيِّ وحمّاد .

[استدعاه سليمان بن عبد الملك سرّاً فغناه ثم أعاده إلى الحجاز مكرماً]

أخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه عن أبي عبد الله الجُمَحِيِّ عن محمد بن عثمان عن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام قال : سمعتُ عَمِّي عُنْبَةَ يقول حدثني مولى للوليد بن عبد الملك قال : كان الدَّلَال ظريفاً جميلاً حسنَ البيان ، مِن أَحْضَرَ الناسِ جواباً وأحجَّهُم ؛ وكان سليمان بن عبد الملك قد رقَّ له حين خُصِي غَلَطاً ، فوجَّه إليه مولى له وقال له : جئني به سرّاً ، وكانت تبلغه نوادره وطيبه ، وحذَّرَ رسوله أن يعلمَ بذلك أحدٌ . فنَفَذَ المولى إليه وأعلمه ما أمره به ، وأمر بالكِتْمَانِ وحذَّره أن يَقِفَ على مقصده أحد ، ففعل . وخرج به إلى الشام ، فلَمَّا قَدِمَ أنزله المولى منزله وأعلم سليمان بمكانه ؛ فدعا به ليلاً فقال : ويلك ما خَبْرُكَ ؟ فقال : جِئْتُ من القُبُلِ مرّةً أُخرى يا أمير المؤمنين ، فهل تريد أن تجبني المرّة من الدُّبُرِ ! فضحك وقال : اعزبَ أخزاك اللهُ ؛ ثم قال له : غَنِّ . فقال : لا أحسن إلَّا بالدُّفِّ . فأمر فأتني له بدُّفٍّ ؛ فغننى في شعر العرجي² :

1 الأنيق في ل : الأنيث .

2 ديوان العرجي : 89-92 .

أفي رسم دارِ دَمْعِكَ الْمُتَحَدِّرُ سَفَاهًا وَمَا اسْتَنْطَاقُ مَا لَيْسَ يُخْبِرُ
تَغَيَّرَ ذَاكَ الرَّبِيعُ مِنْ بَعْدِ جِدَّةِ وَكُلُّ جَدِيدٍ مَرَّةً مُتَغَيِّرُ
لَأَسْمَاءَ إِذْ قَلْبِي بِأَسْمَاءٍ مُغْرَمٌ وَمَا ذِكْرُ أَسْمَاءِ الْجَمِيلَةِ مُهْجَرُ
وَمَمَشَى ثَلَاثَ بَعْدِ هَدْيٍ كَوَاعِبِ كَمِثْلِ الدُّمَى بِلِ هُنَّ مِنْ ذَاكَ أَنْضَرُ
فَسَلَّمَنَ تَسْلِيمًا خَفِيًّا وَسَقَطَتْ مَصَاعِيَةٌ ظُلَعٌ مِنْ السَّيْرِ حُسْرُ
لَهَا أَرْجٌ مِنْ زَاهِرِ الْبَقْلِ وَالثَّرَى وَبُرْدٌ إِذَا مَا بَاشَرَ الْجِلْدَ يَخْضَرُ
فَقَالَتْ لِتَرْبِيئِهَا الْغَدَاةَ تَبَقِيَا بَعِينٍ وَلَا تَسْتَبِعِدَا حِينَ أَنْصِرُ
وَلَا تُظْهِرَا بُرْدَيْكُمَا وَعَلَيْكُمَا كِسَاءَانِ مِنْ حَزْرٍ بِنَقْشٍ وَأَخْضَرُ
فَعَدِّي فَمَا هَذَا الْعَتَابُ بِنَافِعِ هَوَايَ وَلَا مُرْجِي الْهَوَى حِينَ يُقْضِرُ

فقال له سليمان : حق لك يا دلال أن يقال لك الدلال ! أحسنت وأجملت ! فوالله ما أدري أي أمرتك أعجب : أسرعة جوابك وجودة فهمك أم حسن غنائك ، بل جميعاً عجب ؛ وأمر له بصلة سنية . فأقام عنده شهراً يشرب على غنائه ، ثم سرّحه إلى الحجاز مكرماً .

[قصته مع شامي من قواد هشام أراد أن يتزوج من المدينة]

أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه عن الأصمعي قال : حجّ هشام بن عبد الملك ، فلما قديم المدينة نزل رجل من أشرف أهل الشام وقوادهم بجنب دار الدلال ، فكان الشامي يسمع غناء الدلال ويصغي إليه ويصعد فوق السطح ليقرب من الصوت ؛ ثم بعث إلى الدلال : إمان أن تزورنا وإمان أن نزورك ؛ فبعث إليه الدلال : بل تزورنا . فتهياً الشامي ومضى إليه ، وكان للشامي غلمان روفةً ، فمضى معه بغلامين منهم كأنهما درّتان . فغناه الدلال :

قد كنتُ أملُ فيكمُ أملاً والمرءُ ليس بمُدْرِكِ أَمَلِهِ
حتى بدا لي منكم خُلْفٌ فزجرتُ قلبي عن هوى جَهْلَةٍ¹
ليس الفتى بمُخَلِّدِ أبداً حقاً وليس بفائتِ أَجَلَةٍ
حيّ العمودُ ومن يعقوته وقفا العمودِ وإن جلا أهله

قال : فاستحسن الشامي غنائه ، وقال له : زدني ؛ فقال : أوّماً يكفيك ما سمعت ؟ قال :

لا والله ما يكفيني . قال : فإن لي إليك حاجة . قال : وما هي ؟ قال : تبيعني أحد هذين الغلامين أو كليهما . قال : اختر أيهما شئت ؛ فاختر أحدهما . فقال الشامي : هو لك ؛ فقبله الدلال ، ثم غناه :

دَعَنْتِي دَوَاعٍ مِنْ أُرْيَا فِهَيْجَتْ هَوَى كَان قِدَمًا مِنْ فَوَادِ طُرُوبِ
لَعَلَّ زَمَانًا قَدْ مَضَى أَنْ يَعُودَ لِي فَتَغْفِرَ أُرْوَى عِنْدَ ذَاكَ ذُنُوبِي
سَتَنِي أُرْيَا يَوْمَ نَعْفَ مُحَسَّرٍ بُوْجِهِ جَمِيلٍ لِلْقُلُوبِ سَلُوبِ

فقال له الشامي : أحسنت ! ثم قال له : أيها الرجل الجميل ، إن لي إليك حاجة . قال : وما هي ؟ قال : أريد وصيفةً وُلدت في حجرٍ صالح ، ونشأت في خير ، جميلة الوجه مجدولة ، وضيئة ، جعدة ، في بياض مُشربة حمرةً ، حسنة القامة ، سبطةً ، أسيلة الخد ، عذبة اللسان ، لها شِكْلٌ ودَلٌّ¹ ، تملأ العين والنفس . فقال له الدلال : قد أصبتُها لك ، فما لي عليك إن دَلتُك ؟ قال : غلامي هذا . قال : إذا رأيتها وقبَلتها² فالغلام لي ؟ قال نعم . فأتى امرأةً كنى عن اسمها ، فقال لها : جُعِلتُ فِدَاك ! إنه نزل بقُرْبِي رجلٌ من أهل الشام من فَوَادِ هشام له ظرفٌ وسخاء ، وجاءني زائرًا فأكرمتُه ، ورأيت معه غلامين كأنهما الشمس الطالعة والقمر المنير والكواكب الزاهرة ، ما وقعت عيني على مثلهما ولا ينطلق لساني بوصفهما ، فوهب لي أحدهما والآخر عنده ؛ وإن لم يصل إلي نفسي خارجة . قالت : فتريد ماذا ؟ قال : طلب مني وصيفةٌ يشتريها على صِفةٍ لا أعلمها في أحدٍ إلا في فلانة بنتك ، فهل لك أن تُريها له ؟ قالت : وكيف لك بأن يدفع الغلام إليك إذا رآها ؟ قال : فإني قد شرطتُ عليه ذلك عند النظر لا عند البيع . قالت : فشأنك ولا يعلم أحدٌ بذلك . فمضى الدلال فجاء الشامي معه . فلما صار إلى المرأة أدخلته ، فإذا هو بحجلةٍ وفيها امرأةٌ على سريرٍ مُشرفٍ برزةً جميلةً ، فوضع له كرسيًّا فجلس . فقالت له : أمن العرب أنت ؟ قال نعم . قالت : من أيهم ؟ قال : من خُزاعة . قالت : مرحباً بك وأهلاً ، أي شيء طلبتَ ؟ فوصف الصفة ؛ فقالت : أصبتها ، وأصغتُ إلى جاريةٍ لها فدخلت فمكثت هنيهةً ثم خرجت ؛ فنظرتُ إليها المرأة فقالت لها : أي حبيبتِي ، اخرجي ؛ فخرجتُ وصيفةً ما رأى الرأون مثلها . فقالت لها : أقبل فأقبلت ، ثم قالت لها : أدبري ، فأدبرت تملأ العين والنفس ؛ فما بقي منها شيء إلا وضع يده عليه . فقالت : أتُحِبُّ أن نُوزِّرها لك ؟ قال نعم . قالت : أي حبيبتِي اثترري ، فضمَّها الإزار

1 ل : متكِّم ودلال .

2 ل : وقلبتُها .

وظهرت محاسنها الخفية ، وضرب بيده على عجزتها وصدرها . ثم قالت : أتُحِبُّ أن نُجَرِّدها لك ؟ قال نعم . أي حبيتي وَضُحِّي ؛ فألقت إزارها فإذا أحسن خلق الله كأنها سبيكة . فقالت : يا أبا أهل الشام كيف رأيتَ ؟ قال : مُنية المتمني¹ . قال : بكم تقولين ؟ قالت : ليس يوم النظر يوم البيع ، ولكن تعود غداً حتى نبايعك ولا تنصرف إلا على الرضى ، فانصرف من عندها . فقال له الدلال : أرَضِيتَ ؟ قال : نعم ، ما كنت أحسب أن مثل هذه في الدنيا ؛ فإن الصفة لتَقْصُرُ دونها . ثم دفع إليه الغلام الثاني . فلما كان من الغد قال له الشامي : امْضِ بنا ، فمَضِياً حتى قرَعَا الباب ؛ فأذِن لهما ، فدخلا وسلما ، ورحبت المرأة بهما ، ثم قالت للشامي : اعْطِنَا ما تبذل ؛ قال : ما لها عندي ثمن إلا وهي أكبر منه ، فقولي يا أمة الله . قالت : بل قُلْ ؛ فإننا لم نوطئك أعقابنا ونحن نريد خِلافَكَ وأنت لها رِضاً . قال : ثلاثة آلاف دينار . فقالت : والله لَقَبْلَةُ من هذه خيرٌ من ثلاثة آلاف دينار . قال : بأربعة آلاف دينار . قالت : عَفَرَ الله لك ! اعْطِنَا أيُّها الرجل . قال : والله ما معي غيرها ، ولو كان لزدتُك ، إلا رقيقٌ ودوابٌ وخرثي² أحمله إليك . قالت : ما أراك إلا صادقاً ، أتدري من هذه ؟ قال : تخبريني . قالت : هذه ابنتي فلانة بنت فلان ، وأنا فلانة بنت فلان ، وقد كنت أردتُ أن أعرض عليك وصيفةً عندي ، فأحببتُ إذا رأيتَ غداً غلظ أهل الشام وجفأهم ، ذكرت ابنتي فعلمت أنكم في غير شيء ، فمُ راشداً . فقال للدلال : خدعتني ! قال : أولاً ترضى أن ترى ما رأيتَ من مثلها وتَهَبَ مائة غلام مثل غلامك ؟ قال : أما هذا فنعم . وخرجا من عندها .

نسبة ما عرفتُ نسبته من الغناء المذكور في هذا الخبر

صوت

[من الكامل]

قد كنتُ أملُ فيكمُ أملاً والمرءُ ليس بمُدْرِكِ أُمَّلَةٍ
حتى بدا لي منكمُ خُلْفٌ فزجرتُ قلبي عن هوى جَهْلَةٍ³

الشعر للمغيرة بن عمرو بن عثمان ، والغناء للدلال ، ولحنه من القدر الأوسط من الثقل الأول بالبنصر في مجراها ؛ وجدته في بعض كتب إسحاق بخط يده هكذا .

1 ل : منتهى المتمني .

2 خرثي : متاع البيت وأثاثه .

3 عن هوى في ل : فارعوى .

وذكر علي بن يحيى المنجم أن هذا اللحن في هذه الطريقة لابن سريج ، وأن لحن الدلال خفيف ثاني ثقيل نشيد . وذكر أحمد بن المكي أن لحن الدلال ثاني ثقيل بالوسطى ، ولحن ابن سريج ثقيل أول . وفيه مُتَمِّمٌ وعَرِيبٌ خفيفاً ثقيل ، المطلقُ المُسَجَّحُ منهُما لعريب .
ومنها :

صوت

دعنتي دواعٍ من أريًا فهَيَّجَتْ هوى كان قِدمًا من فؤادِ طُرُوبِ
سبنتي أريًا يومَ نَعْفِ مُحَسَّرٍ بوجهٍ صبيحٍ للقلوبِ سَلُوبِ
لعلَّ زمانًا قد مضى أن يعودَ لي وتَغْفِرَ أروى عند ذاك ذُنُوبِي

الغناء للدلال خفيفٌ ثقيلٌ أولٌ بالوسطى في مجراها من رواية حماد عن أبيه ، وذكر يحيى المكي أنه لابن سريج .
[غنى نائلة بنت عمار الكلبي فأجازته]

أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه عن أبي قبيصة قال : جاء الدلال يوماً إلى منزل نائلة بنت عمار الكلبي ، وكانت عند معاوية فطلَّقها ، ففرَّع الباب فلم يُفتح له ؛ فغنى في شعر مجنون بن عامرٍ ونَقَرَ بدُّقُه :

خَلِيلِيَّ لَا وَاللَّهِ مَا أَمْلِكُ الْبُكََا إِذَا عَلَمٌ مِنْ أَرْضِ لَيْلَى بَدَا لِيَا
خَلِيلِيَّ إِنْ بَانُوا بَلِيلَى فَهَيْئًا لِي النَّعْشَ وَالْأَكْفَانَ وَاسْتَعْفِرَا لِيَا

فخرج حَشَمُهَا فزجروه وقالوا : تَنَحَّ عن الباب . وَسَمِعَتِ الْجَلْبَةَ¹ فقالت : ما هذه الضجَّة بالباب ؟ فقالوا : الدلال . فقالت : ائذَنُوا له . فلَمَّا دخل عليها شقَّ ثيابه وطرح التراب على رأسه وصاح بوَيْلِهِ وَحَرَبِهِ ؛ فقالت له : الويل وويلك ! ما دَهاك ؟ وما أَمْرُك ؟ قال : ضربني حَشَمُكَ . قالت : ولم ؟ قال : غَنَيْتُ صوتاً أريد أن أسمعَكَ إِيَّاه ، لأُدخلَ إِلَيْكَ ؛ فقالت : أَفَّ لَهم وَتُفَّ ! نحن نبلِّغُ لك ما تُحِبُّ ونُحسِنُ تَأديبَهُم . يا جارية هاتي ثياباً مقطوعة . فلَمَّا طُرِحَتْ عليه جلس . فقالت : ما حاجتك ؟ قال : لا أسألك حاجةً حَتَّى أُغْنِيكَ . قالت : فذاك إِلَيْكَ ؛ فاندفع يُغْنِي شعرَ جميلٍ² :

ارْحَمِينِي فَقَدْ بَلَيْتُ فَحَسْبِي بَعْضُ ذَا الدَّاءِ يَا بُيْتِنَةُ حَسْبِي

1 ل : الضجَّة .

2 ديوان جميل (طبعة دار صادر) : 22 .

لَا تَلُومُوا قَدْ أَقْرَحَ الْحُبُّ قَلْبِي لَأَمْنِي فِيكَ يَا بَثِينَةُ صَحْبِي
أَنْتِ وَاللَّهِ يَا بَثِينَةُ طِبِّي زَعَمَ النَّاسُ أَنَّ دَائِي طِبِّي

ثم جلس فقال : هل من طعام ؟ قالت : عليّ بالمائدة ؛ فأتني بها كأنّها كانت مهياًة عليها أنواع الأطعمة ، فأكل ، ثم قال : هل من شراب ؟ قالت : أمّا نبيذ فلا ، ولكن غيره . فأتني بأنواع الأشربة ، فشرب من جميعها . ثم قال : هل من فاكهة ؟ فأتني بأنواع الفواكه فتفكّه ، ثم قال : حاجتي خمسة آلاف درهم ، وخمس حُللٍ من حلال معاوية ، وخمس حلال من حلال حبيب بن مسلمة ، وخمس حلال من حلال النعمان بن بشير . فقالت : وما أردت بهذا ؟ قال : هو ذاك ، والله ما أرضى ببعض دون بعض ، فإمّا الحاجة وإمّا الردّ . فدعت له بما سأل ، فقبضه وقام . فلما توسّط الدار غنّى ونقّر بدفّه² :

[من الخفيف]

لَيْتَ شِعْرِي أَجْفَوَةٌ أَمْ دَلَالٌ أَمْ عَدُوٌّ أَتَى بُثِينَةَ بَعْدِي
فَمُرِينِي أَطْعَمِكَ فِي كُلِّ أَمْرٍ أَنْتِ وَاللَّهِ أَوْجَهُ النَّاسِ عِنْدِي

وكانت نائلة عند معاوية ، فقال لفاختة بنت قرظة : اذهبي فانظري إليها ، فذهبت فنظرت إليها ، فقالت له : ما رأيت مثلها ، ولكنني رأيت تحت سُرَّتِهَا خالاً لِيُوضَعَنَّ مِنْهُ رَأْسُ زَوْجِهَا فِي حَجْرِهَا . فطلّقها معاوية ؛ فتزوجها بعده رجلان : أحدهما حبيب بن مسلمة ، والآخر النعمان بن بشير ؛ فقُتِلَ أحدهما فوُضِعَ رَأْسُهُ فِي حَجْرِهَا .

نسبة ما في هذا الخبر من الأغاني

صوت³

[من الطويل]

إِذَا عَلِمَ مِنْ أَرْضِ لَيْلِي بَدَا لِيَا خَلِيلِي لَا وَاللَّهِ مَا أَمْلِكُ الْبُكَاءُ
لِي النَّعْشَ وَالْأَكْفَانَ وَاسْتَغْفِرَا لِيَا⁴ خَلِيلِي إِنْ بَأَسُوا بَلِيلِي فَهَيْبَا
وَمَتَّخِذْ ذَنْباً لَهَا أَنْ تَرَانِيَا أَمْضُورِيَّةٌ لَيْلِي عَلَى أَنْ أَزُورَهَا
قَضَى اللَّهُ فِي لَيْلِي وَلَا مَا قَضَى لِيَا خَلِيلِي لَا وَاللَّهِ مَا أَمْلِكُ الَّذِي

1 يا بئينة في ل : يا حبتك .

2 ديوان جميل (طبعة دار صادر) : 49 .

3 الأبيات من مواضع متفرقة من الياثية المنسوبة للمجنون في ديوانه : 297 .

4 فهيباً في ل : فقرباً .

فَضاها لغيري وابتلاني بِحُبِّها فهَلأَ بشيءٍ غير لَيْلى ابتلانيا

الشعر للمجنون ، والغناء لابن محرز ثاني ثقيل بإطلاق الوتر في مجرى البصر عن إسحاق .
وذكر الهشامي أنّ فيه لحناً لمعبد ثقيلاً أوّل لا يشكّ فيه . قال : وقد قال قوم : إنّهُ منحول يحيى
المكيّ . وفيه لإبراهيم خفيف ثقيل عن الهشاميّ أيضاً . وفيه ليحيى المكيّ رملٌ من رواية ابنه
أحمد . وفيه خفيف رملٍ عن أحمد بن عبيد لا يُعرَف صانعه .

[من الخفيف]

ومنها :

صوت

لَيْتَ شِعْري أَجْفُوَةٌ أم دَلالٌ أم عَدُوٌّ أتى بشيئةٍ بعدي
فمُرِّني أَطْعَمِكِ في كُلِّ أمرٍ أنتِ واللهِ أوجهُ الناسِ عندي

الشعر لجميل ، والغناء لابن محرز خفيف ثقيل بالسّابة في مجرى البصر عن إسحاق . وفيه
لعُلويّه خفيف ثقيل آخر . وذكر عمرو بن بانه أنّ فيه خفيف ثقيل بالوسطى لمعبد . وذكر
إسحاق أنّ فيه رملًا بالبصر في مجراها ولم ينسبه إلى أحد ، وذكر الهشاميّ أنّه لملك . وفيه مُتيم
خفيف رملٍ . وفيه لعريب ثقيل أوّل [بالبصر] . وذكر حبش أنّ فيه للغريض ثقيلًا أوّل
بالبصر . ولمعبد فيه ثقيل أوّل بالوسطى . وذكر ابن المكيّ أنّ فيه خفيف ثقيل لملك وعلويّه .

[غنّى في زفاف ابنة عبد الله بن جعفر]

أخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه عن المدائنيّ عن عوّانة بن الحَكَم قال : لما أراد
عبد الله بن جعفر إهداء بنته إلى الحجاج ، كان ابن أبي عتيق عنده ، فجاءه الدلال متعرّضاً
فاستأذن . فقال له ابن جعفر : لقد جئتنا يا دلال في وقت حاجتنا إليك . قال : ذلك قصدتُ .
فقال له ابن أبي عتيق : غنّنا ؛ فقال ابن جعفر : ليس وقتَ ذلك ، نحن في شغل عن هذا . فقال ابن
أبي عتيق : وربّ الكعبة ليُغنينّ . فقال له ابن جعفر : هات . فغنّى ونقرّ بالدُفّ ، والهوارج
والرّواحل¹ قد هيئت ، وصيّرت بنت ابن جعفر فيها مع جواربها والمشيعين لها : [من المنسرح]

يا صاح لو كنتَ عالماً خيراً بما يلاقِي المُحِبُّ لم تَلُمهُ
لا ذنبَ لي في مُقرّطِ حَسَنٍ أعجبنى ذلكُ ومُبتَسَمُهُ²
شيمته البُخلُ والبِعادُ لنا يا حَبّذا هُوَ وَحَبّذا شيمُهُ
مُضْمَخٌ بالعِبيرِ عارضُهُ طوبى لِمَنْ شَمَهُ وَمَنْ لَثَمَهُ

1 ل : الرمائيل .

2 مقرط في ل : مقرطق .

قال : ولابن محرز في هذا الشعر لحن أجود من لحن الدلال ، فطرب ابن جعفر وابن أبي عتيق . وقال له ابن جعفر : زدني وطرب . فأعاد اللحن ثلاثاً ثم غنى¹ : [من مجزوء الكامل]

بَكَرَ العَوَازِلُ فِي الصَّبَا ح يَلْمَنِّي وَأَلُومُهُنَّه
وَيَقْلَنَ شَيْبٌ قَدَ عَلَا كَ وَقَدَ كَبَّرَتْ فَقُلْتُ إِنَّهُ

ومضت بنت ابن جعفر ، فاتبعها يُغنيها بهذا الشعر ، ولبعد آل الهذلي فيه لحن وهو أحسنها² : [من الكامل]

إِنَّ الخَلِيْطَ أَجَدَّ فَاحْتِمَلَا وَأَرَادَ غَيْظَكَ بِالذِي فَعَلَا³
فَوَقَفْتُ أَنْظِرُ بَعْضَ شَأْنِهِمْ وَالنَّفْسُ مِمَّا تَأْمَلُ الأَمَلَا
وَإِذَا البِغَالُ تُشَدُّ صَافِنَةً وَإِذَا الحِدَاةُ قَدَ ازْمَعُوا الرِّحَلَا
فَهِنَاكَ كَادَ الشَّوْقُ يَقْتُلَنِي لَوْ أَنَّ شَوْقًا قَبْلَهُ قَتَلَا

فدمعت عينا عبد الله بن جعفر ، وقال للدلال : حسبك ؛ فقد أوجعت قلبي ؛ وقال لهم : امضوا في حفظ الله على خير طائر وأيمن نقيبة .

نسبة ما في هذا الخبر من الغناء

صوت

[من مجزوء الكامل]

بَكَرَ العَوَازِلُ فِي الصَّبَا ح يَلْمَنِّي وَأَلُومُهُنَّه
وَيَقْلَنَ شَيْبٌ قَدَ عَلَا كَ وَقَدَ كَبَّرَتْ فَقُلْتُ إِنَّهُ
لَا بُدَّ مِنْ شَيْبٍ فَدَعَا نَ وَلَا تُطْلَنَ مَلَا مَكْنَه
يَمْشِينَ كَالْبَقْرِ الثَّقَا لِ عَمَدَنَ نَحْوِ مُرَاجِهِنَه
يَحْفِينَ فِي المَمْشَى القَرِيبِ بَ إِذَا يُرْدَنَ صَدِيقُهِنَه

الشعر لابن قيس الرقيات ، والغناء لابن مسجح خفيف ثقيل أول بالسبابة في مجرى البنصر عن إسحاق . وفيه ثقيل أول للغريض عن الهشامي . وفيه خفيف ثقيل آخر بالوسطى ليعقوب بن هبّار عن الهشامي ودنانير ، وذكر حبش أنه ليعقوب .

[من الطويل]

ومنها :

1 ديوان ابن قيس الرقيات (طبعة دار صادر) : 66-67 .

2 ديوان عمر (طبعة دار صادر) : 326 مع اختلاف كبير في الرواية .

3 وأراد في ل : وازداد .

صوت

إِنَّ الْخَلِيْطَ أَجَدَّ فَاحْتِمَلَا وَأَرَادَ غِيْظَكَ بِالَّذِي فَعَلَا¹

الآبيات الأربعة .

الشعر لعمر بن أبي ربيعة ، والغناء للغريض ثقيل أول بالسبابة عن يحيى المكي . وفيه ليحيى أيضاً ثقيل أول بالوسطى من رواية أحمد ابنه ، وذكر حبش أن هذا اللحن لبسباسة بنت معبد .

[سأله ابن أبي ربيعة الغناء في شعر له فغناه فأجازه]

أخبرني الحسين عن حماد عن أبيه عن عثمان بن حفص التَّقْفِيّ قال : كان للدلال صوت يُغْنِي به ويُجِده ، وكان عمر بن أبي ربيعة سأله الغناء فيه وأعطاه مائة دينار ففعل ، وهو قول عمر² :

صوت

ألم تَسْأَلِ الْأَطْلَالَ وَالتَّرَبْعَا يِطْنِ حُلِيَّاتِ دَوَارِسَ بَلَقَعَا
إِلَى السَّرْحِ مِنْ وَادِي الْمُغَمَّسِ بَدَلْتُ مَعَالِمُهُ وَبَلَاءَ وَنَكْبَاءَ زَعَزَعَا
وَقَرَّبْتَنَ أَسْبَابَ الْمَهْوَى لِمَتِّمٍ يَقِيْسُ ذِرَاعاً كُلَّمَا قَسَنَ إِصْبَعَا
فَقَلْتُ لِمَطْرِيهِنَّ فِي الْحُسْنِ إِنَّمَا ضَرَّرْتُ فَهَلْ تَسْطِيعُ نَفْعاً فَتُنْفَعَا

الشعر لعمر بن أبي ربيعة ، والغناء للغريض فيه لحنان : أحدهما في الأول والثاني من الآبيات ثقيل أول بالنصر عن عمرو ، والآخر في الثالث والرابع ثاني ثقيل بالنصر . وفي هذين البيتين الآخرين لابن سريج ثقيل أول بالسبابة في مجرى النصر عن إسحاق . وفي الأول والثاني للهدلي خفيف ثقيل أول بالوسطى عن عمرو . وفيهما لابن جامع رمل بالوسطى عنه أيضاً . وقال يونس : لملك فيه لحنان ، ولمعبد لحن واحد .

[روى هشام بن المرتبة عن جرير صوتين له]

أخبرني الحسين عن حماد عن أبيه قال حدثني هشام بن المرتبة قال : كنا نعرف للدلال صوتين عجيبين ، وكان جرير يُغْنِي بهما فأعجب من حسنيهما ، فأخذتهما عنه وأنا أُغْنِي بهما . فأما أحدهما فإنه يُفْرِح القلب . والآخر يُرْقِص كل من سمعه . فأما الذي يُفْرِح القلب فلاين سريج فيه أيضاً لحن حسن وهو :

1 وأراد في ل : وازداد .

2 تقدّم هذا الشعر في الجزء الأول ، ص 103 ، 130 .

ولقد جرى لك يوم سرحه مالك
أحوى القوادم بالبياض ملّمع
الحبُّ أبغضه إليّ أقله
بانّت عويمه فالفؤاد قرع
مما تعيف سانح وبريح
قلق المواقع بالفراق يصيح
صرح بذاك فراحتي التصريح
ودموع عينك في الرداء سفوح

[من مجزوء الرمل]

والآخر :

كلما أبصرتُ وجهاً
فإذا ما لم يكنهُ
فصلي جبلٍ مُجيبٌ
وانظري لا تخذليه
حسنًا قلتُ خليلي
صحتُ ويلي وعويلي
لكم جدّ وصولٍ
إنه غيرُ خذولٍ

نسبة هذين الصوتين

للدلال في الشعر الأول الذي أوله :

ولقد جرى لك يوم سرحه مالك
خفيف ثقيل بالوسطى . وفيه لابن سريج ثقيل أول عن الهشامي . وقال حبش : إن للدلال
فيه لحنين : خفيف ثقيل أول وخفيف رمل . وأول خفيف الرمل :

[من الكامل]

بانّت عويمه فالفؤاد قرع

وذكر أن لحن ابن سريج ثاني ثقيل ، وأن لابن مسجح فيه أيضاً خفيف ثقيل .

[من مجزوء الرمل]

والصوت الثاني الذي أوله :

كلما أبصرتُ وجهاً
حسنًا قلتُ خليلي

الغناء فيه لعطرد خفيف ثقيل بالوسطى عن حبش ، ويقال إنه للدلال . وفيه ليونس
خفيف رمل . وفيه لإبراهيم الموصلي خفيف ثقيل أول بالبصر عن عمرو .

[شرب النبيذ وكان لا يشربه فسكر حتى خلع ثيابه]

أخبرني الحسين عن حماد عن أبيه عن مصعب بن عبد الله الزبيري قال : كان الدلال لا يشرب
النبيذ ، فخرج مع قوم إلى منتزه لهم ومعهم نبيذ ، فشربوا ولم يشرب منه ، فسقوه عسلاً
مجدوحاً ، وكان كلّمًا تغافل صيروا في شرابه النبيذ فلا يُنكره ، وكثر ذلك حتى سكر وطرب ،
وقال : اسقوني من شرابكم ، فسقوه حتى ثمل ، وغنّاهم في شعر الأحوص¹ : [من البسيط]

طاف الخيالُ وطاف الهمُّ فاعتكرا
عند الفراشِ فباتَ الهمُّ مُحْتَضِراً
أراقبُ النَجْمَ كالْحَيْرَانَ مُرْتَبِياً
وقلصَ النومَ عن عيني فانشمراً
من لوعةٍ أورتتُ قَرْحاً على كَبِدِي
يوماً فأصبحَ منها القلبُ مُنْفِطِراً
ومَنْ يَبِتُ مُضْمِراً هَمًّا كما ضَمِنْتُ
مِنِّي الضَّلوعُ يَبِتُ مُسْتَبْطِناً غَيْراً

[من المتقارب] فاستحسنه القوم وطربوا وشربوا . ثم غنّاهم :

طَرِبْتُ وَهَاجَكَ مَنْ تَدَكَّرُ
وَمَنْ لَسْتَ مِنْ حَبِّهِ تَعْتَدِرُ
فإن نلتُ منها الذي أرتجي
فذاك لَعْمَرِي الذي أَنْتَظِرُ
والأ صبرتُ فلا مُفْجِشاً
عليها بِسوءٍ ولا مُبْتَهَر¹

لحن الدلال في هذا الشعر خفيف ثقيل أول بالبنصر عن حبش . قال : وذكر قوم أنه للغريص ، قال : وسكر حتى خلع ثيابه ونام عرياناً ، فغطاه القوم بثيابهم وحملوه إلى منزله ليلاً فنوموه وانصرفوا عنه . فأصبح وقد تقياً ولوث ثيابه بقيته ، فأنكر نفسه ، وحلف ألا يُغني أبداً ولا يُعاشر من يشرب النبيذ ؛ فوفى بذلك إلى أن مات . وكان يُجالس المشيخة والأشراف فيفيض معهم في أخبار الناس وأيامهم حتى قضى نَجَبَهُ .
[انقضت أخبار الدلال] .

ومأ في شعر الأحوص من المائة المختارة

صوت من المائة المختارة²

[من البسيط]

يا دِينَ قَلْبِكَ مِنْهَا لَسْتَ ذَاكِرْهَا
إلَّا تَرَفَّرَقَ مَاءُ الْعَيْنِ أَوْ دَمْعاً³
أدعو إلى هَجْرِهَا قَلْبِي فَيَتْبَعُنِي
حتى إذا قلتُ هذا صادقٌ نَزَعاً
لا أَسْتَطِيعُ نَزوعاً عن مَحَبَّتِهَا
أو يَصْنَعُ الحُبُّ بِي فَوْقَ الَّذِي صَنَعَا
كَمْ مِنْ دَيْبِي لَهَا قَدْ صرْتُ أَتْبَعُهُ
ولو سلا القلبُ عنها صارَ لي تَبَعُهَا
وزادني كَلْفاً في الحُبِّ أنْ مُبِعْتُ
وحبُّ شيءٍ إلى الإنسانِ ما مُبِعَا

1 مبتهر في ل : منتهر .

2 هذه الأبيات مما ينسب إلى الأحوص (انظر ديوانه : 152-153) وللمجنون (انظر ديوانه : 200-201) .

3 دين هنا : داء .

الشعر للأحوص ، والغناء ليحيى بن واصلٍ المكيّ ، وهو رجلٌ قليل الصنعة غير مشهور ، ولا وجدتُ له خبراً فأذكره . ولحنه المختار ثقيلٌ أوّل بالوسطى في مجراها عن إسحاق . وذكر يونس أن فيه لحناً لمعبد ولم يجنسه .

[محبوبة الأحوص في كبرها]

أخبرني الحرّميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزبير بن بكّار قال حدّثنا مطرّف بن عبد الله المدني¹ [قال] حدّثني أبي عن جدّي قال : بينا أطوفُ بالبيت ومعّي أبي ، إذا بعجوزٌ كبيرة يضرب أحدَ لَحْيَيْهَا الآخر .

فقال لي أبي : أتعرف هذه ؟ قلت : لا ، ومن هي ؟ قال : هذه التي يقول فيها الأحوص :

يا سلّم ليت لساناً تنطيقين به قبل الذي نالني من حُبِّكم قطعاً
يلومني فيك أقوامٌ أجالسهم فما أبالي أطارَ اللومُ أم وقعا
أدعو إلى هجرها قلبي فيتبعني حتّى إذا قلتُ هذا صادقٌ نزعا

قال : فقلت له : يا أبت ، ما أرى أنّه كان في هذه خيرٌ قط . فضحك ثم قال : يا بُني هكذا يصنع الدهرُ بأهله .

حدّثنا به وكيع قال حدّثنا ابن أبي سعد قال حدّثنا إبراهيم بن المنذر قال حدّثنا أبو خويلد مطرّف بن عبد الله المدني¹ عن أبيه ، ولم يقل عن جدّه ، وذكر الخبر مثل الذي قبله .

صوت

من المائة المختارة

[من الكامل]

كالبيض بالأدحجّ يلمع في الضحى فالحسنُ حسنٌ والنعيمُ نعيمُ
حلّين من دُرِّ البحورِ كأنّه فوق النحورِ إذا يلوحُ نجومُ
الأدحجّ : المواضع التي يبيض فيها النعام ، وحدثها أدحجّة . وذكر أبو عمرو الشيباني أنّ الأدحجّ البيض نفسه . ويقال فيه أدحجّ وأداح أيضاً .

الشعر لطريح بن إسماعيل الثقفيّ ، والغناء لأبي سعيد مولى فائد ، ولحنه المختار من الثقيل الأوّل بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى عن إسحاق . وفيه للهُذليّ خفيف ثقيلٍ من رواية الهشاميّ . وقد سمعنا من يغني فيه لحناً من خفيف الرّمْل ، ولستُ أعرف لمن هو .

[52] - ذكر طريح وأخباره ونسبه¹

[نسبه]

هو ، فيما أخبرني به محمد بن الحسن بن دريد عن عمه عن ابن الكلبي في كتاب النسب إجازة ، وأخبرنا يحيى بن علي بن يحيى عن أبي أيوب المديني عن ابن عائشة ومحمد بن سلام ومصعب الزبيري ، قال : طريح بن إسماعيل بن عبيد بن أسيد بن علاج بن أبي سلمة بن عبد العزى بن عنزة بن عوف بن قسي ، وهو ثقيف ، بن منبّه بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس بن عيلان بن مضر .

[ثقيف والخلاف في نسبه]

قال ابن الكلبي : ومن النسائيين من يذكر أن ثقيفاً هو قسي بن منبّه بن النبيت بن منصور بن يقدّم بن أفصى بن دغمي بن إباد بن زرار . ويقال : إن ثقيفاً كان عبداً لأبي رغال ، وكان أصله من قوم نجوا من ثمود ، فانتمى بعد ذلك إلى قيس . ورؤي عن علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه وكرم وجهه : أنه مرّ بثقيف ، فتغامزوا به ؛ فرجع إليهم فقال لهم : يا عبيد أبي رغال ، إنما كان أبوكم عبداً له فهرب منه ، فثقفه بعد ذلك ، ثم انتمى إلى قيس .

وقال الحجاج في خطبة خطبها بالكوفة : بلغني أنكم تقولون إن ثقيفاً من بقية ثمود ويلكم ! وهل نجا من ثمود إلا خيارهم ومن آمن بصالح فبقي معه عليه السلام ! ثم قال : قال الله تعالى : ﴿ وَثَمُودَ فَمَا أَبْقَى ﴾ . فبلغ ذلك الحسن البصري : فتضاحك ثم قال : حكّم لُكعُ لنفسه ، إنما قال عز وجل : ﴿ فَمَا أَبْقَى ﴾ أي لم يُبقهم بل أهلكهم . فرُفِع ذلك إلى الحجاج فطلبه ، فتوارى عنه حتى هلك الحجاج . وهذا كان سبب تواريه منه . ذكر ابن الكلبي أنه بلغه عن الحسن .

وكان حماد الراوية يذكر أن أبا رغال أبو ثقيف كلها ، وأنه من بقية ثمود ، وأنه كان ملكاً بالطائف ، فكان يظلم رعيته . فمرّ بامرأة تُرضع صبيّاً يتيماً بلبن عنز لها ، فأخذها منها ، وكانت سنة مُجدبة ؛ فبقي الصبيّ بلا مُرضعة فمات ، فرماه الله بقارعة فأهلكه ، فرجمت

1 ترجمة طريح في الشعر والشعراء : (طبعة دار الثقافة ، بيروت) : 568 ومعجم الأدياء (تحقيق احسان عباس ، طبعة دار الغرب الإسلامي ، بيروت) : 1458 وابن عساكر 8 : 506 والوافي 16 : 432 وأورد ابن حمدون مختارات من شعره وبعض أخباره في مواضع متفرقة من التذكرة (انظر الفهرس) . وقد جمع د . نوري حمودي القيسي شعره في الجزء الثالث من «شعراء أمويون» مطبعة المجمع العلمي العراقي ، 1982 .

العربُ قبره ، وهو بين مكة والطائف . وقيل : بل كان قائدَ الفيلِ ودليلَ الحبشة لما غرّوا الكعبة ، فهلكَ فيمن هلكَ منهم ، فدُفنَ بين مكة والطائف ؛ فمَرَّ النبي ﷺ بقبره ، فأمرَ برجمه فرُجِمَ ؛ فكان ذلك سنة .

قال ابن الكلبي وأخبرني أبي عن أبي صالح عن ابن عباس قال : كان ثقيف والنخع من إباد ؛ فثقيفُ قَسِيٍّ بن مُنْبَهٍ بن النَّبِيَّتِ بن يَاقُظَ بن أَقْصَى بن دَعْمِيِّ بن إِيَادٍ . والنخع ابن عمرو بن الطمنان¹ بن عبد مَنَاءَ بن يَاقُظَ بن أَقْصَى ، فخرجا ومعهما عَنَزٌ لهما لَبُونٌ يشربا لبنها ، فعرض لها مُصَدِّقٌ² لملك اليمن فأراد أخذها ؛ فقالا له : إنما نعيش بدرّها ؛ فأبى أن يدعها ؛ فرماه أحدهما فقتله . ثم قال لصاحبه : إنه لا يحملني وإياك أرض . فأما النخع فمضى إلى بيشة فأقام بها ونزل القسيُّ موضعاً قريباً من الطائف ؛ فرأى جاريةً ترعى غنماً لعامر بن الظرب العدواني ، فطمع فيها ، وقال : أقتل الجارية ثم أحوي الغنم ؛ فأنكرت الجارية منظره ، فقالت له : إنني أراك تريد قتلي وأخذ الغنم ، وهذا شيء ؛ إن فعلته قُتِلتَ وأخذت الغنم منك ، وأظنك غريباً جائعاً ؛ فدلته على مولاها . فأتاه واستجار به فزوجته بنته ، وأقام بالطائف . فقيل : لله ذرّه ما أثقفه حين تَقَفَ عامراً فأجاره . وكان قد مرَّ يهوديةً بوادي القرى حين قُتِلَ المصدق ، فأعطته قُضبان كرمٍ فغرسها بالطائف فأطعمته ونفعته .

قال ابن الكلبي في خبرٍ طويل ذكره : كان قَسِيٌّ مقيماً باليمن ، فضاقت عليه موضعه ونبا به ، فأتى الطائف ، وهو يومئذٍ منازلُ فهمٍ وعدوانِ ابني عمرو بن قيس بن عيلان ، فانتهى إلى الظرب العدواني ، وهو أبو عامر بن الظرب ، فوجده نائماً تحت شجرة³ ، فأيقظه وقال : مَنْ أنت ؟ قال : أنا الظرب . قال : عليّ أليّةٌ إن لم أقتلك أو تحالفني وتزوجني⁴ ابنتك ، ففعل . وانصرف الظرب وقسيٌّ معه ، فلقيه ابنه عامر بن الظرب فقال : مَنْ هذا معك يا أبت ؟ فقصَّ قصته . قال عامرٌ : لله أبوه ! لقد ثَقِفَ أمره ؛ فسميَّ يومئذٍ ثَقِيفاً . قال : وعيّرَ الظربُ تزويجه قسيّاً ، وقيل : زوّجتَ عبداً . فسار إلى الكُهَّان يسألهم ، فانتهى إلى شِقِّ ابنِ صَعْبِ البجليِّ وكان أقربهم منه . فلما انتهى إليه قال : إنا قد جئناك في أمر فما هو ؟ قال : جئتم في قسيٍّ ، وقسيٌّ عبد إِيَادٍ ، أبقَ ليلةً الوادِ ، في وَجِّ ذاتِ الأندادِ ، فوالى سعداً يُفاد ، ثم لوى بغير معاد . (يعني سعد بن قيس بن عيلان بن مضر) . قال : ثم توجه إلى سَطِيحِ الذَّبِييِّ (حَيٌّ

1 ل : الظبيان .

2 المصدق : جامع الزكاة والصدقة .

3 ل : صخرة .

4 تحلف لي لتزوجني .

من غسان ، ويقال : إنهم حَيٌّ من قضاة نَزولٍ في غَسَّان ، فقال : إنا جئناك في أمر فما هو ؟ قال : جئتم في قَسِيٍّ ، وقَسِيٌّ من وُلدِ ثَمودِ القديم ، ولدته أُمُّه بصَحراءِ بريم ، فالتقطه إِيادٌ وهو عديم ، فاستعبده وهو مَليم . فرجع الظَّرِبُ وهو لا يدري ما يصنع¹ في أمره ، وقد وَكَّدَ عليه في الحِلْفِ والتزويج ؛ وكانوا على كُفْرهم يُوفُونَ بالقول . فلهذا يقول مَنْ قال : إنَّ تَقِيْفًا من ثمود ؛ لأنَّ إِيادًا من ثمود .

قال : وقد قيل : إنَّ حرباً كانت بين إِيادٍ وبين قيس ، وكان رئيسُهُم عامر بن الظَّرِبِ ، فظَفِرَتْ بهم قيس ، فنفتهم إلى ثمود وأنكروا أن يكونوا من نزار .

قال : وقال عامر بن الظَّرِبِ في ذلك :

قالتُ إِيادُ قد رأينا نَسِباً في ابْنِي نِزارٍ ورأينا غَلِباً
سِيري إِيادُ قد رأينا عَجِباً لا أصلُكم منا فسامي الطَّلِبا
دارَ ثَمودٍ إذ رأيتِ السَّبِبا

قال : وقد رُوِيَ عن الأعمش أنَّ عليَّ بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه ، قال على المنبر بالكوفة وذكر ثقيفاً : لقد هممتُ أن أضعَّ على ثقيفِ الجِزْيَةِ ؛ لأنَّ ثقيفاً كان عبداً لصالحِ نبيِّ الله عليه السلام ، وإنَّه سَرَّحه إلى عاملٍ له على الصدقة ، فبعث العاملُ معه بها ، فهرب واستوطن الحَرَمَ ، وإنَّ أولى الناس بصالح محمد ﷺ ، وإنِّي أشهدُكم أنَّي قد رددتهم إلى الرِّقِّ .

قال : وبلغنا أنَّ ابن عباس قال ، وذكر عنده ثقيف ، فقال : هو قَسِيٌّ بن مُنبه ، وكان عبداً لامرأة صالح نبيِّ الله ﷺ ، وهي المهيجمانة بنت سعد ، فوهبته لصالح ، وإنَّه سَرَّحه إلى عاملٍ له على الصدقة ؛ ثم ذكر باقي خبره مثل ما قال عليُّ بن أبي طالب رضي الله عنه . وقال فيه : إنَّه مرَّ برجل معه غنمٌ ومعه ابن له صغير ماتت أُمُّه فهو يرضع من شاةٍ ليست في الغنم لَبُونٌ غيرها ، فأخذ الشاة ؛ فاشده الله ، وأعطاه عَشْرًا فأبى ، فأعطاه جميع الغنم فأبى . فلمَّا رأى ذلك تَنَحَّى ، ثم نزلَ كنانته فرماه ففلق قلبه ؛ فقيل له : قتلتَ رسولَ رسولِ الله صالح . فأتى صالحاً فقصَّ عليه قِصَّتَه ؛ فقال : أبعدهُ الله ؛ فقد كنتُ أنتظر هذا منه ؛ فرُجِمَ قبره ، فأبى اليوم واللييلة يُرْجَم ، وهو أبو رِغال .

قال : وبلغنا عن عبد الله بن عباس أنَّ رسولَ الله ﷺ حين انصرف من الطائف مرَّ بقبر أبي رِغال فقال : «هذا قبر أبي رِغال وهو أبو ثقيف كان في الحَرَمِ فمنعه الله عزَّ وجلَّ ، فلمَّا خرج منه رماه الله وفيه عمودٌ من ذهب» ، فابتدره المسلمون فأخرجوه .

قال : وروى عمرو بن عبيد عن الحسن أنه سُئِلَ عن جُرْهُمَ : هل بقي منهم أحد ؟ قال : ما أدري ، غير أنه لم يبقَ من ثمودَ إلا ثقيفَ في قَيْسِ عَيْلانَ ، وبنو لَجَأَ في طَيْيءَ ، والطَّفَاوَةَ في بني أَعْصَرَ .

قال عمرو بن عبيد وقال الحسن : ذُكِرَتِ القبائلُ عند النبي ﷺ ، فقال : «قبائل تنتمي إلى العرب وليسوا من العرب حِمَيْرٌ من تُبَعِّعَ وجُرْهُمٌ من عاد وثقيف من ثمود» .

قال : ورؤي عن قَتَادَةَ أَنَّ رجلينِ جاءا إلى عمران بن حُصَيْنَ . فقال لهما : مَن أنتما ؟ قالا : من ثقيف . فقال لهما : أتزعمان أن ثقيفًا من إِيادٍ؟ قالا نعم . قال : فإن إِيادًا من ثمود ؛ فشقَّ ذلك عليهما . فقال لهما : أساء كما قولي ؟ قالا : نعم والله . قال : فإن الله أنجى من ثمود صالحًا والذين آمنوا معه ؛ فأنتم إن شاء الله من ذُرِّيَةِ مَنْ آمَنَ ، وإن كان أبو رِغَالٍ قد أتى ما بلغكما . قالا له : فما اسمُ أبي رِغَالٍ ؛ فإن الناس قد اختلفوا علينا في اسمه ؟ قال : قَسِيٌّ بن مُنَبِّه .

قال : وروى الزُّهْرِيُّ أَنَّ النبي ﷺ قال : «مَن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يُجِبِّ ثقيفًا ، ومَن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يُبَغِضُ الأنصارَ» .

قال : وبلغنا عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال : «بنو هاشمٍ والأنصار حِلْفانٌ وبنو أميةٍ وثقيف حِلْفانٌ» .

قال : وفي ثقيف يقول حسان بن ثابت رضي الله تعالى عنه¹ :

إذا التَّقْفِيُّ فَاخْرَمَ فقولوا هَلُمَّ نَعْدَ شَانَ أَبِي رِغَالِ
أبوكم أَخْبَثُ الآبَاءِ قَدَمًا وَأَنْتُمْ مُشْبِهوه على مثالِ
عَبِيدِ الْفِرَزِ أَوْرَثَهُمْ بَنِيهِ وَوَلَّى عَنْهُمْ أُخْرَى اللَّيَالِي

[أم طريح ونسبها]

وَأُمُّ طَرِيحِ بنت عبد الله بن سبياع بن عبد العُزَّى بن نَضْلَةَ بن عُبْشَانَ من خُرَاعَةَ ، وهم خُلَفَاءُ بني زُهْرَةَ بن كِلَابِ بن مُرَّةَ بن كعب بن لُؤَيِّ . وسبياع بن عبد العُزَّى هو الذي قتلته حمزة بن عبد المطلب يوم أحد . ولما بَرَزَ إليه سبياع قال له حمزة : هَلُمَّ إِلَيَّ يا ابنَ مَقْطَعَةَ البُظُورِ ، وكانت أمه تَفَعَّلَ ذلك وَتَقَبَّلُ² نساءَ قريش بمكة ، فحَمِيَّ وَحَشِيَّ لقوله وغضب لسبياع ، فرمى حمزة بحرته فقتله ، رحمة الله عليه ، وقد كُتِبَ ذلك في خبر غزاةِ أُحُدٍ في بعض هذا الكتاب .

1 ديوان حسان 1 : 167 مع اختلاف كبير في الرواية .

2 تقبل : تولد ، ومنه القابلة .

[كنيته]

ويكنى طريح أبا الصلت ؛ كني بذلك لابن كان له اسمه صلت . وله يقول¹ : [من الكامل]
يا صلتُ إنَّ أباك رهنُ مَنِيَّةٍ مکتوبةٍ لا بُدَّ أن يلقاها
سَلَفْتُ سَوَالِفُهَا بَأَنفُسِ مَنْ مَضَى وكذلك يَتَّبِعُ باقياً أخرها
والدَّهْرُ يُوشِكُ أن يُفَرِّقَ رَبِيه بالموتِ أو رحلٍ تَشِيتُ نواها²
لا بُدَّ بينكما فَتُسمِعُ دَعْوَةً أو تَسْتَجِيبُ لدعوةٍ تُدعاها

[طرح ابنه الصلت إلى أخواله بعد موت أمه]

وأخبرني يحيى بن علي بن يحيى إجازةً قال أخبرني أبو الحسن الكاتب : أن أم الصلت بن طريح ماتت وهو صغير ، فطرحه طريح إلى أخواله بعد موت أمه . وفيه يقول³ : [من الكامل]

باتَ الخيالُ من الصَّلِيَّتِ مُورِّقِي يَقْرِي السَّرَاةَ مع الرَّبابِ المُلْتَقِي⁴
ما راعني إلا بياضُ وجْهه تحتَ الدُّجْنَةِ كالسَّرَاجِ المَشْرِقِي

[نشأ في دولة بني أمية وأدرك دولة بني العباس]

ونشأ طريح في دولة بني أمية ، واستفرغ شعره في الوليد بن يزيد ، وأدرك دولة بني العباس ، ومات في أيام المهدي⁵ ؛ وكان الوليد له مكرماً مقدماً ؛ لانقطاعه إليه ولخوولته في ثقيف .

فأخبرني محمد بن خلفٍ وكيع قال حدثني هارون بن محمد بن عبد الملك الزيات قال حدثني أحمد بن حماد بن الجميل عن العتبي عن سَهْم بن عبد الحميد قال أخبرني طريح بن إسماعيل الثقفي قال : خصصت بالوليد بن يزيد حتى صيرتُ أخلو معه . فقلت له ذات يوم وأنا معه في مشربة : يا أمير المؤمنين ، خالك يُجِبُّ أن تعلم شيئاً من خلقه . قال : وما هو ؟ قلتُ : لم أشرب شراباً قطُّ ممزوجاً إلا من لبن أو عسل . قال : قد عرفتُ ذاك ولم يباعدك من قلبي . قال : ودخلتُ يوماً إليه وعنده الأمويون ، فقال لي : إلي يا خالي ، وأقعدي إلى جانبه ، ثم أتني بشراب فشرَب . ثم ناولني القَدَحَ ؛ فقلت : يا أمير المؤمنين قد أعلمتك رأيي في الشراب . قال : ليس لذلك أعطيتك ، إنما دفعته إليك لتناول الغلام ، وغضِب . فرفع القوم

1 شعر طريح : 314 .

2 ربه في ل : بينهم .

3 شعر طريح : 308 .

4 الملتق : الذي يسبب البلل .

5 ل : الهادي وهو خطأ .

أيديهم كأن صاعقة نزلت على الخوان ؛ فذهبت أقوم ، فقال : اقعد . فلما خلا البيت افتري علي ، ثم قال : يا عاض كذا وكذا ! أردت أن تفضحني ، ولولا أنك خالي لضربتك ألف سوط ! ثم نهى الحاجب عن إدخاله ، وقطع عني أرزاقه . فمكثت ما شاء الله . ثم دخلت عليه يوماً متكرراً ، فلم يشعر إلا وأنا بين يديه وأنا أقول¹ :

يا ابن الخلائف ما لي بعد تفرية
ما لي أذاذ وأقصى حين أقصدكم
كأنني لم يكن بيني وبينكم
لو كان بالوّد يدني منك أزلّني
وكنت دون رجال قد جعلتهم
إن يسمعوا الخير يخفوه وإن سمعوا
رأوا صدودك عني في اللقاء فقد
فدو السماتة مسرور بهيضتنا

إليك أقصى وفي حالّك لي عجب
كما توقّي من ذي الغرة الجرب²
إلّ ولا خلّة ترعى ولا نسب
يقربك الوّد والإشفاق والحذب
دوني إذ ما رأوني مقبلاً قطبوا
شراً أذاعوا وإن لم يسمعوا كذبوا³
تحدثوا أنّ حيلي منك منقضب⁴
وذو النصيحة والإشفاق مكثب⁴

قال : فتبسّم وأمرني بالجلوس فجلست . ورجع إليّ وقال : إياك أن تعاود . وتمام هذه القصيدة :

أين الذمامة والحق الذي نزلت
وحوكي الشعير أصفيه وأنظّمه
وإن سخطك شيء لم أناج به
لكن أتك بقول كاذب أثم
وما عهدتكم فيما زلّ تقطع ذا
ولا توجع من حقّ تحمّله
فقد تقرّبت جهداً من رضاك بما
فغير دفعك حقّي وارتفاضك لي

بحفظه وتعتظيم له الكتب
نظم القلائد فيها الدرّ والذهب
نفسه ولم يك مما كنت أكتسب
قوم بغوني فنالوا في ما طلبوا
قربني ولا تدفع الحق الذي يجب
ولا تتبع بالتكدير ما تهب
كانت تنال به من مثلك القرب
وطيّك الكشح عني كنت احتسب

1 شعر طريح : 293-295 .

2 وأقصى في ل : وأنهى .

3 أذاعو في ل : أذيع .

4 بهيضتنا في ل : بفعالهم .

أُمُشِمَتْ بِي أَقْوَاماً صُدُورُهُمْ
 قَد كُنْتُ أَحْسَبُ أَنِّي قَد لَجَّاتُ إِلَى
 إِنَّ الَّتِي صُنَّتْهَا عَن مَعْشَرٍ طَلَبُوا
 أَخْلَصْتُهَا لَكَ إِخْلَاصَ أَمْرِي، عِلْمَ الْأُ
 أَصْبَحْتَ تَدْفَعُهَا مِنِّي وَأَعْطَفُهَا
 فَإِنَّ وَصَلْتَ فَأَهْلُ الْعُرْفِ أَنْتَ وَإِنْ
 إِنِّي كَرِيمٌ كِرَامٍ عِشْتُ فِي أَدَبٍ
 قَد يَعْلَمُونَ أَنَّ الْعُسْرَ مَنْقُوعٌ
 فَمَا لَهُمْ حُبْسٌ فِي الْحَقِّ مُرْتَهَنٌ
 وَمَا عَلَى جَارِهِمْ إِلَّا يَكُونُ لَهُ
 لَا يَفْرَحُونَ إِذَا مَا الدَّهْرُ طَاوَعَهُمْ
 فَارَقْتُ قَوْمِي فَلَمْ أَعْتَضْ بِهِمْ عَوْضاً

عَلَيَّ فِيكَ إِلَى الْأَذْقَانِ تَلْتَهَبُ
 حِرْزٍ وَالْأَيُّ يَضْرُونِي وَإِنَّ الْبُؤَا
 مِنِّي إِلَيَّ الَّذِي لَمْ يُنْجِحِ الطَّلَبُ
 قَوْمٌ أَنْ لَيْسَ إِلَّا فِيكَ يَرْتَعِبُ
 عَلَيْكَ وَهِيَ لَمَنْ يُحِبِّي بِهَا رَعْبُ
 تَدْفَعُ يَدَيَّ فَلَئِي بُقِيَا وَمُنْقَلَبُ
 نَفَى الْعِيُوبِ وَمَلِكُ الشَّيْمَةِ الْأَدَبُ¹
 يَوْمًا وَأَنَّ الْغِنَى لَا بَدَّ مَنْقَلَبُ
 مِثْلَ الْغَنَائِمِ تُحْوَى ثَمَّ تُنْتَهَبُ
 إِذَا تَكَنَّفَهُ أَيْبَاتُهُمْ نَشَبُ
 يَوْمًا يُبْسِرُ وَلَا يَشْكُونَ إِنْ نُكِبُوا
 وَالدَّهْرُ يُحْدِثُ أَحْدَانًا لَهَا نُوبُ

[رواية المدائني في ذلك]

وأما المدائني فقال : كان الوليد بن يزيد يُكرّم طُريحاً ، وكانت له منه منزلةٌ قريبةٌ ومكانةٌ ، وكان يُدني مجلسه ، وجعله أوّلَ داخلٍ وآخرَ خارجٍ ، ولم يكن يصدُرُ إلاّ عن رأيه . فاستفرغ مديحَه كلّه وعامةُ شعره فيه ؛ فحسده ناسٌ من أهل بيت الوليد . وقديم حماد الراوية على التّفنّة² الشّام ، فشكّوا ذلك إليه وقالوا : والله لقد ذهب طُريحٌ بالأمير ، فما نالنا منه ليلٌ ولا نهار . فقال حماد : ابغوني من يُنشد الأمير بيتين من شعر ، فأسقط منزلته . فطلبوا إلى الخَصِيّ الذي كان يقوم على رأس الوليد ، وجعلوا له عشرة آلاف درهم على أن يُنشدَهما الأمير في خلوة ، فإذا سأله من قولٍ من ذا ؟ قال : من قولٍ طُريحٍ ؛ فأجابهم الخَصِيّ إلى ذلك ، وعلموه البيتين . فلما كان ذات يوم دخل طُريحٌ على الوليد وفتح الباب وأذن للناس فجلسوا طويلاً ثم نهضوا ، وبقي طُريحٌ مع الوليد وهو وليّ عهد ؛ ثم دعا بغدائه فتعدّيا جميعاً . ثم إن طُريحاً خرج وركب إلى منزله ، وترك الوليد في مجلسه ليس معه أحدٌ ، فاستلقى على فراشه . واغتم الخَصِيّ خلوته فاندفع يُنشد :

1 ملك الشيمّة : قوامها .

2 التّفنّة : الحين والزمان .

سِيرِي رِكَابِي إِلَى مَنْ تَسْعَدِينَ بِهِ فَقَدِ أَقَمْتِ بَدَارَ الْهُونِ مَا صَلَحَا
سِيرِي إِلَى سَيِّدِ سَمَحٍ خَلَاثِقُهُ ضَخْمِ الدَّسِيعَةِ قَرْمٍ يَحْمِلُ الْمِدْحَا

فأصغى الوليدُ إلى الخَصِيَّيِ بِسَمْعِهِ وَأَعَادَ الْخَصِيَّيَ غَيْرَ مَرَّةٍ ؛ ثُمَّ قَالَ الْوَلِيدُ : وَيَحْكُ يَا غَلَامُ ؛ مِنْ قَوْلِ مَنْ هَذَا ؟ قَالَ : مِنْ قَوْلِ طُرَيْحٍ . فغَضِبَ الْوَلِيدُ حَتَّى امْتَلَأَ غَيْظًا ، ثُمَّ قَالَ : وَالْهَيْفَا عَلَى أُمَّ لَمْ تَلِدْنِي ! قَدْ جَعَلْتَهُ أَوَّلَ دَاخِلٍ وَآخَرَ خَارِجٍ ، ثُمَّ يَزْعُمُ أَنَّ هَشَامًا يَحْمِلُ الْمِدْحَ وَلَا أَحْمِلُهَا ! ثُمَّ قَالَ : عَلَيَّ بِالْحَاجِبِ ، فَأَتَاهُ . فَقَالَ : لَا أَعْلَمُ مَا أَذْنْتُ لَطُرَيْحٍ وَلَا رَأَيْتُهُ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ ؛ فَإِنْ حَاوَلْتَكَ فَاحْطَفُهُ بِالسَّيْفِ . فَلَمَّا كَانَ الْعَشِيُّ وَصَلَّتِ الْعَصْرُ ، جَاءَ طُرَيْحٌ لِلسَّاعَةِ الَّتِي كَانَ يُؤَدِّنُ لَهَا فِيهَا ، فَدَنَا مِنَ الْبَابِ لِيَدْخُلَ . فَقَالَ لَهُ الْحَاجِبُ : وَرَاءَكَ ! فَقَالَ : مَا لَكَ ! هَلْ دَخَلَ عَلَى وَلِيِّ الْعَهْدِ أَحَدٌ بَعْدِي ؟ قَالَ : لَا ! وَلَكِنْ سَاعَةٌ وَوَلَّيْتَ مِنْ عِنْدِهِ دَعَانِي فَأَمَرَنِي الْأُذْنَ لَكَ ، وَإِنْ حَاوَلْتَنِي فِي ذَلِكَ¹ خَطِفْتُكَ بِالسَّيْفِ . فَقَالَ : لَكَ عَشْرَةُ آلَافِ دَرَاهِمٍ وَأُذِّنُ لِي فِي الدَّخُولِ عَلَيْهِ . فَقَالَ لَهُ الْحَاجِبُ : وَاللَّهِ لَوْ أُعْطَيْتَنِي خِرَاجَ الْعِرَاقِ مَا أَذْنْتُ لَكَ فِي ذَلِكَ ، وَلَيْسَ لَكَ مِنْ خَيْرٍ فِي الدَّخُولِ عَلَيْهِ فَارْجِعْ . فَقَالَ : وَيَحْكُ ! هَلْ تَعْلَمُ مَنْ دَهَانِي عِنْدَهُ ؟ قَالَ الْحَاجِبُ : لَا وَاللَّهِ ! لَقَدْ دَخَلْتُ عَلَيْهِ وَمَا عِنْدَهُ أَحَدٌ ، وَلَكِنَّ اللَّهَ يُحَدِّثُ مَا يَشَاءُ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ . قَالَ : فَارْجِعْ طُرَيْحٌ وَأَقَامَ بِيَابَ الْوَلِيدِ سَنَةً لَا يَخْلُصُ إِلَيْهِ وَلَا يَقْدِرُ عَلَى الدَّخُولِ عَلَيْهِ . وَأَرَادَ الرَّجُوعَ إِلَى بَلَدِهِ وَقَوْمِهِ فَقَالَ : وَاللَّهِ إِنْ هَذَا لَعَجْزٌ بِي أَنْ أَرْجِعَ مِنْ غَيْرِ أَنْ أَلْقَى وَلِيَّ الْعَهْدِ فَأَعْلَمَ مَنْ دَهَانِي عِنْدَهُ . وَرَأَى أَنَسًا كَانُوا لَهُ أَعْدَاءً قَدْ فَرِحُوا بِمَا كَانَ مِنْ أَمْرِهِ ، فَكَانُوا يَدْخُلُونَ عَلَى الْوَلِيدِ وَيَحْدِثُونَهُ وَيَصُدُّونَ عَنْ رَأْيِهِمْ . فَلَمْ يَزَلْ يَلْطَفُ بِالْحَاجِبِ وَيُمْنِيهِ ؛ حَتَّى قَالَ لَهُ الْحَاجِبُ : أَمَّا إِذْ أَطَلْتَ الْمَقَامَ فَإِنِّي أَكْرَهُ أَنْ تَنْصَرِفَ عَلَى حَالِكَ هَذِهِ ، وَلَكِنَّ الْأَمِيرَ إِذَا كَانَ يَوْمَ كَذَا وَكَذَا دَخَلَ الْحَمَّامَ ، ثُمَّ أَمَرَ بِسَرِيرِهِ فَأُبْرَزَ ، وَلَيْسَ عَلَيْهِ يَوْمئِذٍ حِجَابٌ ؛ فَإِذَا كَانَ ذَلِكَ الْيَوْمَ أَعْلَمْتُكَ فَتَكُونُ قَدْ دَخَلْتَ عَلَيْهِ وَظَفَرْتَ بِحَاجَتِكَ وَأَكُونُ أَنَا عَلَى حَالِ عُذْرٍ . فَلَمَّا كَانَ ذَلِكَ الْيَوْمَ ، دَخَلَ الْحَمَّامَ وَأَمَرَ بِسَرِيرِهِ فَأُبْرَزَ وَجَلَسَ عَلَيْهِ ، وَأُذِنَ لِلنَّاسِ فَدَخَلُوا عَلَيْهِ ، وَالْوَلِيدُ يَنْظُرُ إِلَى مَنْ أَقْبَلَ . وَبَعَثَ الْحَاجِبُ إِلَى طُرَيْحٍ ، فَأَقْبَلَ وَقَدْ تَتَمَّتِ النَّاسُ . فَلَمَّا نَظَرَ الْوَلِيدُ إِلَيْهِ مِنْ بَعِيدٍ صَرَفَ عَنْهُ وَجْهَهُ ، وَاسْتَحْيَا أَنْ يَرِدَّهُ مِنْ بَيْنِ النَّاسِ ؛ فَدَنَا فَسَلَّمَ فَلَمْ يَرُدَّ عَلَيْهِ السَّلَامَ . فَقَالَ طُرَيْحٌ يَسْتَعْظِفُهُ وَيَتَضَرَّعُ إِلَيْهِ² :

نَامَ الْخَلِيَّيُّ مِنَ الْهُمُومِ وَبَاتَ لِي لَيْلٌ أَكْبِدُهُ وَهَمٌّ مُضْلِعٌ

1 ل : الاذن .

2 شعر طريح : 304-305 .

وَسَهَرْتُ لَا أُسْرِي وَلَا فِي لَذَّةٍ
 أَبْغِي وَجْوهَ مَخَارِجِي مِنْ تُهُمَةٍ
 جَزَعًا لَمَعْتَبَةِ الْوَلِيدِ وَلَمْ أَكُنْ
 يَا ابْنَ الْخَلَائِفِ إِنْ سُخِّطَكَ لَامِرِي
 فَلَا تَزِعَنَّ عَنِ الَّذِي لَمْ تَهْوَهُ
 فَاعْظِفْ فِدَاكَ أَبِي عَلِيٍّ تَوْسَعًا
 فَلَقَدْ كَفَاكَ وَزَادَ مَا قَدْ نَالَني
 سِمَةً لَذَاكَ عَلِيٍّ جِسْمٌ شَاحِبٌ
 إِنْ كُنْتَ فِي ذَنْبٍ عَتَبْتَ فَإِنِّي
 وَيَسْتُ مِنْكَ فَكَلُّ عُسْرٍ بَاسِطٌ
 مِنْ بَعْدِ أَخْذِي مِنْ حِبَالِكَ بِالَّذِي
 فَارُبُّ صَنِيعِكَ بِي فَإِنَّ بَاعِينَ
 أَدْفَعْتَنِي حَتَّى انْقَطَعْتُ وَسُدَّدْتُ
 وَرُجِيئْتُ وَأَتَّقَيْتُ يَدَايَ وَقِيلَ قَدْ
 وَدَخَلْتُ فِي حَرَمِ الذَّمَامِ وَحَاطَنِي
 أَفْهَادِمُ مَا قَدْ بَنَيْتَ وَخَافِضُ
 أَفْلا حَشِيئَتِ شِمَاتِ قَوْمٍ فَتَّهُمْ
 وَفَضَلْتَ فِي الْحَسْبِ الْأَشْمَ عَلَيْهِمْ
 فَكَأَنَّ أَنْفَهُمْ بِكُلِّ صَنِيعَةٍ
 وَدُّوا لَوْ أَنَّهُمْ يَنَالُ أَكْفَهُمْ
 أَوْ تَسْتَلِيمُ فَيَجْعَلُونَكَ أُسْوَةً

قال : فقرّبه وأدناه ، وضحك إليه ، وعاد له إلى ما كان عليه .

[عاتبه المنصور في شعر مدح به الوليد فأحسن الاعتذار]

أخبرني حبيب بن نصر المهلبّي قال حدثنا عبد الله بن شبيب قال حدثنا محمد بن عبد الله بن حمزة بن عتبة اللّهبي عن أبيه² : أن طريحاً دخل على أبي جعفر المنصور وهو في الشعراء ؛ فقال

1 تستليم : تفعل ما تستحقّ عليه اللوم .

2 هذا الخبر ممّا أورده ابن حمدون في التذكرة 8 : الفقرة 485 .

له : لا حَيَّاكَ اللهُ ولا يَبَّاكَ ! أَمَا اتَّقَيْتَ اللهُ ، ويلك ! حيث تقول للوليد بن يزيد : [من المنسرح]
 لو قلتَ للسَّيْلِ دَعْ طَرِيقَكَ والِ حَوْجُ عَلَيْهِ كَالهَضْبِ يَعْتَلِجُ
 لَسَاخَ وَارْتَدَّ أَوْ لَكَانَ لَهُ فِي سَائِرِ الأَرْضِ عَنكَ مُنْعَرَجٌ¹
 فقال له طريح : قد علم الله عز وجل أنني قلتُ ذلك ويدي ممدودة إليه عز وجل ، وإياه
 تبارك وتعالى عَنَيْتُ . فقال المنصور : يا ربيع ، أما ترى هذا التخلُّص !
 [دخل على الوليد فمدحه فطرب وأجازه]

نسختُ من كتاب أحمد بن الحارث ممَّا أجاز لي أبو أحمد الجريري روايته عنه : حدَّثنا
 المَدائِنِيُّ : أنَّ الوليدَ جَلَسَ يوماً في مجلس له عامٌّ ، ودخل إليه أهلُ بيته ومواليه والشعراء
 وأصحابُ الخواجيج فقصاها ، وكان أشرفَ يومٍ رُئِيَ له ؛ فقام بعض الشعراء فأنشد ، ثم وثب
 طريح ، وهو عن يسار الوليد ، وكان أهلُ بيته عن يمينه ، وأحواله عن شماله وهو فيهم ،
 فأنشده² : [من المنسرح]

صوت

أنتَ ابنُ مُسَلَّنَطِحِ البِطَاحِ ولم تُطَرِّقْ عَلَيْكَ الحِجْنِيَّ والوُلُجُ
 طوبَى لفرعَيْكَ من هنا وهنا طوبَى لأعراقِكَ التي تَشِجُ
 لو قلتَ للسَّيْلِ دَعْ طَرِيقَكَ والِ حَوْجُ عَلَيْهِ كَالهَضْبِ يَعْتَلِجُ
 لَسَاخَ وَارْتَدَّ أَوْ لَكَانَ لَهُ فِي سَائِرِ الأَرْضِ عَنكَ مُنْعَرَجُ
 فطرب الوليد بن يزيد حتى رُئِيَ الارتياح فيه ، وأمر له بخمسين ألف درهم .

[ولاؤه ، وكان مغنياً وشاعراً]

وقال : ما أرى أحداً منكم يجيئني اليوم بمثل ما قال خالي ، فلا يُنشدني أحدٌ بعده شيئاً ؛ وأمر
 لسائر الشعراء بصلات وانصرفوا ، واحتبس طريحاً عنده ، وأمر ابن عائشة فغنى في هذا الشعر .

نسبة هذا الصوت

[من المنسرح]

أنتَ ابنُ مُسَلَّنَطِحِ البِطَاحِ ولم تُطَرِّقْ عَلَيْكَ الحِجْنِيَّ والوُلُجُ
 الأبيات الأربعة . عروضه من المنسرح ، غنَّاه ابن عائشة ، ولحنه رمل مطلق في مجرى
 الوسطى عن إسحاق .

1 سائر في ل : ساحة .

2 شعر طريح : 296 .

[طلب إليه المهدي أن يغنيه صوتاً له فغناه غيره واعتذر عنه]

المسلنطح من البطاح : ما اتسع واستوى سطحه منها . وتُطْرَق عليك : تُطَبَّق عليك وتُعْطِيكَ وتَضِيْقُ مكانك ؛ يقال : طرقت الحادثة بكذا وكذا إذا أتت بأمر ضيقٍ مُعْضِل . والوشيج : أصول الثبت ؛ يقال : أعراقتك واشجة في الكرم ، أي نابتة فيه . قال الشاعر¹ :

وهل يُنبتُ الخطيَّ إلا وشيجه وتنبت إلا في مغارسها النخل

يعني أنه كريم الأبوين من قريش وثقيف . وقد ردّد طريح هذا المعنى في الوليد ، فقال في كلمة له² :

واعتام كهلك من ثقيف كفاه وفتازعك فانت جوهر جوهر³
فتمت فروع القريتين قصيها وقسيها بك في الأشم الأكبر

والحنيّ : ما انخفض من الأرض ، والواحدة حنأ ، والجمع حنيّ مثل عصاً وعصبيّ . والوُجج : كلّ متسع في الوادي ، الواحدة وُجّة . ويقال : الوُججات بين الجبال مثل الرّحاب . أي لم تكن بين الحنيّ ولا الوُجج فيخفي مكانك ، أي لست في موضع خفيّ من الحسب . وقال أبو عبيدة : سمع عمر بن الخطاب رضي الله عنه رجلاً يقول لآخر يفخر عليه : أنا ابن مُسلنطح البطاح ، وابن كذا وكذا ؛ فقال له عمر : إن كان لك عقلٌ فلك أصلٌ ، وإن كان لك خلقٌ فلك شرفٌ ، وإن كان لك تقوى فلك كرمٌ ، وإلا فذاك الحمار خيرٌ منك . أحبكم إلينا قبل أن نراكم أحسنكم سمناً ، فإذا تكلمتم فأبينكم منطقالاً ، فإذا اخترناكم فأحسنكم فعلاً .

وقوله : «لو قلتَ للسيل دَعْ طريقك» ، يقول : أنت ملكٌ هذا الأبطح والمطاع فيه . فكلُّ مَنْ تأمره يُطيعك فيه ، حتى لو أمرت السيلَ بالانصراف عنه لفعل لنفوذ أمرك . وإنما ضرب هذا مثلاً وجعله مبالغةً ؛ لأنّه لا شيء أشدّ تعذراً من هذا وشبهه ، فإذا صرّفه كان على كلّ شيء سواه أقدر . وقوله : «لساخ» أي لغاض⁴ في الأرض . «وارتد» أي عدل عن طريقه ، وإن لم يجد إلى ذلك سبيلاً كان له منرجٌ عنك إلى سائر الأرض .

1 هو زهير بن أبي سلمى .

2 شعر طريح : 303 .

3 اعتام : اختار .

4 ل : لغاب .

[غضب الوليد على ابن عائشة فلما غناه في شعره طرب ورضي عنه]

أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد بن عيسى عن أبيه قال إسحاق وحدثني به الواقدي عن أبي الزناد عن إبراهيم بن عطية : أن الوليد بن يزيد لما ولي الخلافة بعث إلى المغنين بالمدينة ومكة فأشخصهم إليه ، وأمرهم أن يتفرقوا ولا يدخلوا نهراً لئلاً يعرفوا ، وكان إذ ذاك يتستر في أمره ولا يظهره . فسبقهم ابن عائشة فدخل نهراً وشهر أمره ، فحبسه الوليد وأمر به فقيد ، وأذن للمغنين وفيهم معبد ، فدخلوا عليه دَخَلَات . ثم إنه جمعهم ليلة فغنوا له حتى طرب وطابت نفسه . فلما رأى ذلك منه معبد قال لهم : أحوكم ابن عائشة فيما قد علمتم ، فاطلبوا فيه . ثم قال : يا أمير المؤمنين ، كيف ترى مجلسنا هذا ؟ قال : حسناً لذيقنا . قال : فكيف لو رأيت ابن عائشة وسمعت ما عنده ؟ قال : فعلي به . فطلع ابن عائشة يرسف في قيده . فلما نظر إليه الوليد ، اندفع ابن عائشة فغناه في شعر طريح ، والصنعة فيه له : [من المنسرح]

أنت ابن مُسَلِّطِحِ البِطَاحِ ولم تُطَرِّقْ عليك الحِنيُّ والوُلُجُ

فصاح الوليد : اكسروا قيده وفكوا عنه ؛ فلم يزل عنده أثيراً مكرماً .

[غنى مسلمة بن محمد بن هشام من شعره فتذكر قومه]

أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا ابن أبي سعد عن الحزامي عن عثمان بن حفص عن إبراهيم بن عبد السلام بن أبي الحارث الذي يقول له عمر بن أبي ربيعة : [من الرمل]

يا أبا الحارث قلبي طائرٌ فأتَمِرُ أَمْرَ رَشِيدٍ مُوتَمِنٌ¹

قال : والله إني لقاعدٌ مع مسلمة بن محمد بن هشام إذ مرَّ به ابن جُوان بن عُمَر بن أبي ربيعة ، وكان يغني ؛ فقال له : اجلس يا ابن أخي غننا . فجلس فعنى : [من المنسرح]

أنت ابن مُسَلِّطِحِ البِطَاحِ ولم تُطَرِّقْ عليك الحِنيُّ والوُلُجُ

فقال له : يا ابن أخي ، ما أنت وهذا حين تغناه ، ولا حظَّ لك فيه ! هذا قاله طريح فينا :

إذ النَّاسُ ناسٌ والزَّمانُ زمانُ

ومَّا في المائة الصوت المختارة من الأغاني من أشعار طريح بن إسماعيل التي مدح بها

الوليد بن يزيد² :

1 فأتَمِر في ل : فاستمع .

2 شعر طريح : 298 .

صوت
من المائة المختارة

[من المنسرح]

وَيُحِي غَدًا إِنْ غَدَا عَلِيٌّ بِمَا أَحْذَرُ مِنْ لَوْعَةِ الْفِرَاقِ غَدُ
وَكَيْفَ صَبْرِي وَقَدْ تَجَاوَبَ بِالْ فُرْقَةِ مِنْهَا الْغُرَابِ وَالصُّرْدُ
الشعر لطريح بن إسماعيل ، والغناء لابن مشعب الطائفي ، ولحنه المختار من الرّمل
بالوسطى .

[53] - ذكر ابن مشعب وأخباره¹

[أصله]

هو رجلٌ من أهل الطائف مولى لثقيف ، وقيل : إنه من أنفسهم ، وانتقل إلى مكة فكان بها . وإياه يعني العرجي بقوله² :

[من الكامل]

بِفِئَاءِ بَيْتِكَ وَابْنِ مِشْعَبَ حَاضِرٌ فِي سَامِرٍ عَطِرٍ وَبَلِيلِ مُقَمِّرٍ
فَتَلَازَمَا عِنْدَ الْفِرَاقِ صِبَابَةً أَخَذَ الْغَرِيمَ بِفَضْلِ ثَوْبِ الْمُعْسِرِ

[كان عامة الغناء الذي ينسب إلى أهل مكة له.]

أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه قال : ابن مشعب مُعَنَّ من أهل الطائف ، وكان من أحسن الناس غناءً ، وكان في زمن ابن سريج والأعرج ؛ وعامة الغناء الذي يُنسب إلى أهل مكة له ، وقد تفرق غناؤه ، فُنسب بعضه إلى ابن سريج ، وبعضه إلى الهدليين ، وبعضه إلى ابن مُحَرِّزٍ . قال : ومن غنائه الذي يُنسب إلى ابن مُحَرِّزٍ :

[من الكامل]

يَا دَارَ عَاتِكَةَ التِّي بِالْأَزْهَرِ

[من المنسرح]

ومنه أيضاً³ :

أَقْفَرَ مَمَّنْ يَحُلُّهُ السَّنْدُ فَاَلْمُنْحَنَى فَاَلْعَقِيقُ⁴ فَالْجُمُدُ⁴

[اشتبهى مريض أن يغني في شعر العرجي الذي ورد فيه اسمه]

أخبرني الحسين قال قال حماد وحدثني أبي قال : مَرَضَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ بِالشَّامِ ، فَعَادَهُ جِيرَانُهُ وَقَالُوا لَهُ : مَا تَشْتَهِي ؟ قَالَ : أَشْتَهِي إِنْسَانًا يَضَعُ فَمَهُ عَلَى أُذُنِي وَيُعْنِنِي فِي بَيْتِي الْعَرْجِيَّ :

[من الكامل]

بِفِئَاءِ بَيْتِكَ وَابْنِ مِشْعَبَ حَاضِرٌ فِي سَامِرٍ عَطِرٍ وَبَلِيلِ مُقَمِّرٍ
فَتَلَازَمَا عِنْدَ الْفِرَاقِ صِبَابَةً أَخَذَ الْغَرِيمَ بِفَضْلِ ثَوْبِ الْمُعْسِرِ

1 أقدم أبو الفرج هذه الترجمة الموجزة لابن مشعب في وسط ترجمة طريح .

2 ديوان العرجي : 177 .

3 شعر طريح : 297-300 .

4 الجمد : جبل بنجد والسند : ماء بتهامة .

8 . كتاب الأغاني - ج 4

نسبة ما في هذه الأخبار من الأغاني

[من الكامل]

يا دارَ عاتِكَةَ التي بالأزهرِ أو فوقه بقفا الكئيبِ الأحمرِ
 بفناء بيتك وابنُ مشعبَ حاضرٌ في سامرِ عَطِرٍ وليلِ مُقْمِرِ
 فتلازما عندَ الفراقِ صبابَةٌ أخذَ الغريمِ بفضلِ ثوبِ المُعْسِرِ

الشعر للعرجي ، والغناء لابن محرزٍ خفيف ثقيل أولُ بالنصر ، وذكر إسحاق أنه لابن مشعب . وذكر حبش أن فيه لابن المكي هزجاً خفيفاً بالنصر .
 وأما الصوت الآخر الذي أوله :

أففرَ ممن يحلُّه السندُ

فإنه الصوت الذي ذكرناه الذي فيه اللحن المختار ، وهو أولُ قصيدة طُريح التي
 منها :

ويُحي غداً إن غدا عليّ بما أكره من لوعةِ الفراقِ غدُ
 وليس يُعنى فيه في زماننا هذا . وهذه القصيدة طويلة يمدح فيها طُريح الوليد بن يزيد ،
 يقول فيها :

لم يبقَ فيها من المعارفِ بعد سد الحَيِّ إلا الرَّمادُ والوتدُ
 وعَرَصَةٌ نَكَرَتْ مَعَالِمَهَا الـ سَرِحُ بها مَسْجِدٌ ومُنْتَضدٌ¹

[أنشد المنصور قصيدة طريح الدالية فمدحها]

أخبرني يحيى بن علي بن يحيى قال حدثني محمد بن خلف القاري قال أخبرنا هارون بن محمد ، وأخبرنا به وكيع ، وأظنه هو الذي كنى عنه يحيى بن علي ، فقال : محمد بن خلف القاري ، قال حدثنا هارون بن محمد بن عبد الملك قال حدثني علي بن عبد الله اللهي قال حدثنا أبي عن أبيه قال : أنشد المنصور هذه القصيدة ، فقال للربيع : أسمعت أحداً من الشعراء ذكر في باقي معالم الحَيِّ المسجد غير طُريح ؛ . وهذه القصيدة من جيد قصائد طُريح ، يقول فيها :

[من المنسرح]

1 معالمها في ل : معارفها . منتضد : مجتمع ومقام .

لم أنس سلمى ولا ليالينا
 إذ نحن في مئعة الثباب وإذ
 في عيشة كالفرند عازية الشد
 نحسد فيها على النعيم وما
 أيام سلمى غريرة أنف¹
 ويحي غداً إن غداً علي بما
 قد كنت أبكي من الفراق وحياً
 فكيف صبري وقد تجاوب بال
 دغ عنك سلمى لغير مقلية
 للأفضل الأفضل الخليفة عب
 في وجهه النور يستبان كما
 يمضي على خير ما يقول ولا
 من معشر لا يشم من خذلوا
 بيض عظام الخلوم خداهم
 أنت إمام الهدى الذي أصلح ال
 لما أتى الناس أن ملكتهم
 واستبشروا بالرضا تباشرهم
 وعج بالحمد أهل أرضك حت
 واستقبل الناس عيشة أنفاً
 رزقت من وداهم وطاعتهم
 أثلجهم منك أنهم علموا
 وأن ما قد صنعت من حسن
 ألفت أهواءهم فأصبحت الأ

بالحزن إذ عشنا بها رعد
 أيامنا تلك غصة جدد
 قوة خضراء غصنها خصد
 يولع إلا بالنعمة الحسد
 كأنها خوط بانة رؤد¹
 أكره من لوعة الفراق غد
 أنا جميع ودارنا صد
 فرقة منها الغراب والصرد
 وعد مدحاً بيوته شرد
 سد الله من دون شأوه سعد
 لاح سراج النهار إذ يقد
 يخلف ميعاده إذا يعد
 عزاً ولا يستدل من رقدوا
 ماض حسام وخيرهم عتد²
 له به الناس بعدما فسدوا
 إليك قد صار أمره سجدوا
 بالخلد لو قيل إنكم خلد
 سى كاد يهتز فرحة أحد
 إن تبق فيها لهم فقد سعدوا
 ما لم يجده لوالد ولد
 أنك فيما وليت مجتهد
 مصداق ما كنت مرة تعد
 ضغان سلماً وماتت الحقد

1 غريرة : قليلة التجربة . أنف : عذراء . خوط : غصن . رؤد : الغصن الرطب الرخص .

2 عتد : حاضر معد .

كنتُ أرى أن ما وجدتُ من الـ فَرَحَةٍ لم يلقَ مثله أحدُ
حتى رأيتُ العبادَ كلَّهمُ قد وجدُوا من هواك ما أجِدُ

صوت

قد طلب الناسُ ما بلغتُ فما نالوا ولا قاربوا وقد جهَدوا
يرفَعُكَ اللهُ بالتَّكْرَمِ والـ حَقْوَى فتعلو وأنت مُقْتَصِدُ
حَسْبُ امرئٍ من غِنَى تَقْرُبُهُ منك وإن لم يكن له سَبْدُ
فَأنت أَمْنٌ لمن يخاف ولـ مَحْذُولٍ أودى نصيره عَضْدُ

غنى في هذه الأبيات الأربعة إبراهيم خفيف ثقيل بالنصر .

كلُّ امرئٍ ذي يدٍ تُعَدُّ عليهِ ه منكَ معلومة يدٌ ويدُ
فهم ملوكٌ ما لم يَرَوْكَ فَإِنْ دَانَاهُمْ مِنْكَ مِنْزَلٌ خَمَدُوا
تعروهم رِعْدَةٌ لَدَيْكَ كَمَا قَفَقَفَ تَحْتَ الدُّجْنَةِ الصَّرْدُ
لا خوفَ ظَلَمٍ ولا قَلِي خُلُقِي إِلَّا جَلالاً كَسَاكَهُ الصَّمْدُ
وَأنت عَمْرُ النَّدى إِذا هَبَطَ الـ زَوَارُ أرضاً تَحُلُّها حَمِدُوا
فهم رِفاقٌ فُرُقَةٌ صَدَرَتْ عَنْكَ بَغْمٍ ورُقَّةٌ تَرِدُ
إِنْ حَالَ دَهْرٌ بِهِمْ فَإِنَّكَ لا تَنْفَكُ عَنْ حَالِكَ الَّتِي عَهَدُوا
قد صدق اللهُ ما دَجَّيكَ فما فِي قَوْلِهِمْ فِرْيَةٌ ولا فَنْدُ

[ذكاء جعفر بن يحيى وعلمه بالأشعار والألحان]

أخبرني محمد بن يحيى الصُّوليُّ قال حدَّثني الحسين بن يحيى قال : سمعتُ إسحاق بن إبراهيم الموصليَّ يخلف بالله الذي لا إله إلا هو إنه ما رأى أذكى من جعفر بن يحيى قطُّ ، ولا أظنَّ ، ولا أعلمُ بكلِّ شيءٍ ، ولا أفصحَ لساناً ، ولا أبلغَ في مكاتبةٍ . قال : ولقد كنا يوماً عند الرشيد ، فغنى أبي لحناً في شعر طُريح بن إسماعيل ، وهو : [من المنسرح]

قد طلب الناسُ ما بلغتُ فما نالوا ولا قاربوا وقد جهَدوا

فاستحسن الرشيد اللحنَ والشعرَ واستعاده ووصلَ أبي عليه . وكان اللحن في طريقة خفيف الثقيل الأول . فقال جعفر بن يحيى : قد والله يا سيدي أحسن ، ولكنَّ اللحنَ مأخوذاً من لحن الدُّلال الذي غناه في شعر أبي زبيد : [من الخفيف]

مَنْ يَرِ الْعَيْرَ لَابِنَ أَرَوَى عَلَى ظَهِّهِ سِرِّ الْمَرُورَى حُدَاتُهُنَّ عَجَالُ¹

وَأَمَّا الشَّعْرُ فَنَقَلَهُ طَرْيِخٌ مِنْ قَوْلِ² زُهَيْرٍ :

سَعَى بَعْدَهُمْ قَوْمٌ لَكِي يُدْرِكُوهُمْ فَلَمْ يَبْلُغُوا وَلَمْ يَلَامُوا وَلَمْ يَأْلُوا

قال إسحاق : فعجبتُ والله من علمه بالألحان والأشعار ، وإذا اللحن يُشبهه لحن الدلال ، قال : وكذلك الشعر ؛ فاغتممت أنِّي لم أكن فهمتُ اللحن ، وكان ذلك أشدَّ عليَّ من ذهاب أمر الشعر عليَّ ، وأنا والله مع ذلك أعني الصوتين وأحفظ الشعيرين . قال الحسين : ولحنُ الدلال في شعر أبي زييد هذا من خفيف الثقل أيضاً .

[صادف طريح أبا ورقاء في سفر فأنس به وذكر له قصته مع أعرابي عاشق]

أخبرني يحيى بن علي بن يحيى إجازةً قال حدَّثني أبو الحسن البلاذريُّ أحمد بن يحيى وأبو أيوب المدينيُّ ؛ قال البلاذريُّ وحدَّثني الحرمازيُّ ، وقال أبو أيوب وحدَّثونا عن الحرمازيِّ قال حدَّثني أبو القَعْقَاعِ سهل بن عبد الحميد عن أبي ورقاء الحنفيِّ قال : خرجتُ من الكوفة أريد بغداد ، فلما صيرتُ إلى أول خانٍ نزلته ، بسط غِلْمَانًا وهَيَّوُوا غَدَاءَهُمْ ، ولم يجيء أحدٌ بعدُ ، إذ رمانا البابُ برجلٍ فارهِ البرذونِ حَسَنِ الهيئةِ ، فصحتُ بالغلما ن ، فأخذوا دابته فدفعها إليهم ، ودعوتُ بالغدَاءِ ، فبسط يده غير محتشم ، وجعلتُ لأكرمه بشيء إلا قبله . ثم جاء غلما نهُ بعد ساعة في ثَقَلٍ سَرِيٍّ وهيئة حسنة . فتناسبتنا فإذا الرجلُ طَرْيِخُ بن إسماعيل التَّقْفِيَّ . فلما ارتحلنا ارتحلنا في قافلة غَنَاءٍ لا يُدْرِكُ طَرْفَاها . قال : فقال لي : ما حاجتُنَا إلى زحام الناس وليست بنا إليهم وحشة³ ولا علينا خوف ! نتقدمهم بيوم فيخلو لنا الطريق ونُصادف الخاناتِ فارغةً ونودِعُ أنفسنا إلى أن يُوفوا . قلتُ : ذلك إليك . قال : فأصبحنا الغدَ فنزلنا الخانَ فتغدَّينا وإلى جانبنا نهرٌ ظليلٌ ؛ فقال : هل لك أن نستقع فيه ؟ فقلتُ له : شأنك . فلما سراً ثيابه⁴ إذا ما بين عُصْعُصِهِ إلى عنقه ذاهبٌ ، وفي جنبه أمثالُ الجرذانِ ، فوقع في نفسي منه شيءٌ . فنظر إلي ففطِنَ وتبسَّم ، ثم قال : قد رأيتُ دُعْرَكَ مَّا رأيتَ ؛ وحديثُ هذا إذا سِرْنَا العَشِيَّةَ إن شاء الله تعالى أحدتُك به . قال : فلما ركبنا قلتُ : الحديثُ ! قال : نعم ! قَدِمْتُ من عند الوليد بن يزيد بالدُّنْيَا ، وكتب إلى يوسف بن عُمر مع فرأش فملاً يَدَيَّ أصحابي ، فخرجتُ أبادِرُ الطائفَ . فلما امتدَّ لي الطريقُ وليس يصحَبني فيه

1 المرورى : جمع مرورا وهي الفلاة المستوية .

2 ل : شعر .

3 ل : حاجة .

4 سرا ثيابه : ألقاها .

خَلَقَ ، عَنِّي لِي أَعْرَابِيٌّ عَلَى بَعِيرٍ لَهُ ، فَحَدَّثَنِي ، فَإِذَا هُوَ حَسَنُ الْحَدِيثِ ، وَرَوَى لِي الشَّعْرَ فَإِذَا هُوَ رَاوِيَةٌ ، وَأَنْشَدَنِي لِنَفْسِهِ فَإِذَا هُوَ شَاعِرٌ . فَقُلْتُ لَهُ : مَنْ أَيْنَ أَقْبَلْتَ ؟ قَالَ : لَا أَدْرِي . قُلْتُ : فَأَيْنَ تُرِيدُ ؟ فَذَكَرَ قِصَّةً يُخْبِرُ فِيهَا أَنَّهَ عَاشِقٌ لِمُرِيَّةٍ قَدْ أَفْسَدَتْ عَلَيْهِ عَقْلَهُ ، وَسَتَرَهَا عَنْهُ أَهْلُهَا وَجَفَاهُ أَهْلُهُ ، فَإِنَّمَا يَسْتَرِيحُ إِلَى الطَّرِيقِ يَنْحَدِرُ مَعَ مَنْحَدْرِيهِ وَيُصْعِدُ مَعَ مُصْعِدِيهِ . قُلْتُ : فَأَيْنَ هِيَ ؟ قَالَ : غَدَاً نَنْزِلُ بِإِزَائِهَا . فَلَمَّا نَزَلْنَا أَرَانِي ظَرْبًا¹ عَلَى يَسَارِ الطَّرِيقِ ، فَقَالَ لِي : أَتَرَى ذَلِكَ الظَّرْبَ ؟ قُلْتُ : أَرَاهُ . قَالَ : فَإِنَّهَا فِي مَسْقَطِهِ . قَالَ : فَأَدْرَكْتَنِي أُرِيحِيَّةُ الشَّبَابِ ، فَقُلْتُ : أَنَا وَاللَّهِ آتِيهَا بِرِسَالَتِكَ . قَالَ : فَخَرَجْتُ وَأَتَيْتُ الظَّرْبَ ، وَإِذَا بَيْتٌ حَرِيدٌ² ، وَإِذَا فِيهِ امْرَأَةٌ جَمِيلَةٌ ظَرِيفَةٌ ؛ فَذَكَرْتُهَا لَهَا ، فَزَفَرْتُ زَفْرَةً كَادَتْ أَضْلَاعُهَا تَسَاقُطُ . ثُمَّ قَالَتْ : أُوْحِيٌّ هُوَ ؟ قُلْتُ : نَعَمْ ، تَرَكْتُهُ فِي رَحْلِي وَرَاءَ هَذَا الظَّرْبِ ، وَنَحْنُ بَائِتُونَ وَمُصْبِحُونَ . فَقَالَتْ : يَا أَبِي أَرَى لَكَ وَجْهًا يَدُلُّ عَلَى خَيْرٍ ، فَهَلْ لَكَ فِي الْأَجْرِ ؟ فَقُلْتُ : فَقِيرٌ وَاللَّهِ إِلَيْهِ . قَالَتْ : فَالْبَسْ ثِيَابِي وَكُنْ مَكَانِي وَدَعْنِي حَتَّى آتِيَهُ ، وَذَلِكَ مُغَيِّرِيَانِ الشَّمْسِ . قُلْتُ : أَفْعَلُ . قَالَتْ : إِنَّكَ إِذَا أَظْلَمْتَ أَتَاكَ زَوْجِي فِي هَجْمَةٍ مِنْ إِبْلِهِ ، فَإِذَا بَرَكَتْ أَتَاكَ وَقَالَ : يَا فَاجِرَةَ يَا هَنْتَاهُ ، فَيُوسِعُكَ شَتْمًا فَأُوسِعُهُ صَمْتًا ، ثُمَّ يَقُولُ : اقْمَعِي سِقَاءَكَ ، فَضَعِ الْقِمْعَ فِي هَذَا السَّقَاءِ حَتَّى يُحَقْنَ فِيهِ ، وَإِيَّاكَ وَهَذَا الْآخَرَ فَإِنَّهُ وَاهِي الْأَسْفَلِ . قَالَ : فَجَاءَ فَفَعَلْتُ مَا أَمَرْتَنِي بِهِ ، ثُمَّ قَالَ : اقْمَعِي سِقَاءَكَ ، فَحَيِّتَنِي³ اللَّهُ ، فَتَرَكْتُ الصَّحِيحَ وَقَمَعْتُ الْوَاهِيَّ ، فَمَا شَعَرَ إِلَّا بِاللَّبَنِ بَيْنَ رِجْلَيْهِ ، فَعَمَدَ إِلَى رِشَاءٍ مِنْ قِدِّ مَرْبُوعٍ ، فَتَنَاهُ بَائِتِينَ فَصَارَ عَلَى ثَمَانِ قُوَى ، ثُمَّ جَعَلَ لَا يَتَّقِي مَنِّي رَأْسًا وَلَا رِجَالًا وَلَا جَنْبًا ، فَخَشِيتُ أَنْ يَبْدُوَ لَهُ وَجْهِي ، فَتَكُونُ الْآخَرَى ، فَالزَّمْتُ وَجْهِي الْأَرْضَ ، فَفَعِلَ بِظَهْرِي مَا تَرَى .

1 الظرب : الراية الصغيرة .

2 حرید : معتزل .

3 حَيَّتَنِي اللَّهُ : لَمْ يُوَفِّقْنِي إِلَى الصَّوَابِ .

[54] - ذكر أخبار أبي سعيد مولى فائد ونسبه

[ولأوه ، وكان مغنياً وشاعراً]

أبو سعيد مولى فائد . وفائد مولى عمرو بن عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه . وذكر ابن خرداذبه أن اسم أبي سعيد إبراهيم . وهو يُعرَف في الشعراء بابن أبي سِنَّة مولى بني أمية ، وفي المغنين بأبي سعيد مولى فائد . وكان شاعراً مُجيداً ومُغنياً ، وناسكاً بعد ذلك ، فاضلاً مقبول الشهادة بالمدينة مُعدلاً . وعُمِّر إلى خلافة الرشيد ، ولقيه إبراهيم بن المهدي وإسحاق الموصلي وذووهما . وله قصائد جِياد في مراثي بني أمية الذين قتلهم عبد الله وداود ابنا علي بن عبد الله بن العباس ، يُذكر هاهنا في موضعه منها ما تسوق الأحاديث ذكره .

[طلب إليه المهدي أن يغنيه صوتاً له فغناه غيره واعتذر عنه]

أخبرني علي بن عبد العزيز عن عبید الله بن عبد الله عن إسحاق ، وأخبرني الحسين بن يحيى عن ابن أبي الأزهر عن حماد عن أبيه ، وأخبرنا به يحيى بن علي عن أخيه أحمد بن علي عن عافية بن شبيب عن أبي جعفر الأسدي عن إسحاق ، قال يحيى خاصة في خبره : قال إسحاق : حَجَجْتُ مع الرشيد ، فلما قَرَبْتُ من مكة استأذنته في التقدُّم فأذن لي ، فدخلت مكة ، فسألت عن أبي سعيد مولى فائد ، فقيل لي : هو في المسجد الحرام . فأتيت المسجد فسألت عنه ، فدللت عليه ، فإذا هو قائم يصلي ، فجلست قريباً منه . فلما فرغ قال لي : يا فتى ، ألك حاجة ؟ قلت : نعم ، تُغنيني : « لقد طفت سبعا » . هذه رواية يحيى بن علي . وأما الباقر فإنهم ذكروا عن إسحاق أن المهدي قال هذا لأبي سعيد وأمره أن يُغني له :

[من الطويل]

لقد طُفْتُ سبعا قلتُ لما قَضَيْتُهَا أَلَا لَيْتَ هَذَا لَا عَلَيَّ وَلَا لِيَا

ورَفَّقَ به وأدنى مجلسه ، وقد كان نَسَكٌ ؛ فقال : أَوْ أَغْنَيْكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَحْسَنَ مِنْهُ ؟

[من الخفيف]

قال : أَنْتَ وَذَاكَ . فغَنَى :

إِنَّ هَذَا الطَّوِيلَ مِنْ آلِ حَفْصٍ نَشَرَ الْمَجْدَ بَعْدَ مَا كَانَ مَاتَا
وَبَنَاهُ عَلَى أَسَاسٍ وَثِيقٍ وَعِمَادٍ قَدْ اثْبَتَتْ إِثْبَاتَا
مِثْلَ مَا قَدْ بَنَى لَهُ أَوْلُوهُ وَكَذَا يُشْبَهُ الْبُنَاةُ الْبُنَاتَا

الشعر والغناء لأبي سعيد مولى فائد ، فأحسن . فقال له المهدي : أحسنت يا أبا سعيد !

فَعَنِّي «لقد طفتُ سبعا». قال : أَوْ أَغْنَيْكَ أَحْسَنُ¹ منه ؟ قال : أنتِ وذاك . فغناه : [من الكامل]
 قَدِيمُ الطَوِيلُ فَأَشْرَقَتْ وَاسْتَبَشَّرَتْ أَرْضُ الْحِجَازِ وَبَانَ فِي الْأَشْجَارِ
 إِنَّ الطَوِيلَ مِنْ آلِ حَفْصٍ فَاعْلَمُوا سَادَ الْحَضُورَ وَسَادَ فِي الْأَسْفَارِ
 فَأَحْسَنَ فِيهِ . فقال : غَنِّي «لقد طفتُ سبعا» . قال : أَوْ أَغْنَيْكَ أَحْسَنَ مِنْهُ ؟ قال :
 فَعَنِّي . فغناه : [من الخفيف]

أَيُّهَا السَّائِلُ الَّذِي يَخْطُبُ الْأَرْضَ ضَرَّ دَعِ النَّاسَ أَجْمَعِينَ وَرَاكَا
 وَأَتِ هَذَا الطَوِيلَ مِنْ آلِ حَفْصٍ إِنَّ تَخَوَّفْتَ عَيْلَةً أَوْ هَلَكََا
 فَأَحْسَنَ فِيهِ . فقال له : غَنِّي «لقد طفتُ سبعا» ، فقد أحسنت فيما غنيت ، ولكننا
 نُحِبُّ أَنْ تُغَنِّيَ² ما دعوناك إليه . فقال : لا سبيلَ إلى ذلك يا أمير المؤمنين ؛ لأنِّي رأيتُ
 رسولَ اللَّهِ ﷺ في مَنَامِي وفي يده شيءٌ لا أدري ما هو ، وقد رفعه ليضربني به وهو
 يقول : يا أبا سعيد ، لقد طفتُ سبعا ، لقد طفتُ سبعا ، سبعا طُفْتُ ! ما صنعتُ بأمتي
 في هذا الصوت ! فقلت له : بأبي أنت وأمي اغفر لي ، فوالذي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ واصطفاك
 بالنبوة لا غَنَيْتُ هذا الصوت أبداً ؛ فردَّ يده ثم قال : عفا الله عنك إذا ! ثم اتبهُت . وما
 كنتُ لأُعْطِي رسولَ اللَّهِ ﷺ شيئاً في مَنَامِي فَأَرْجِعْ عنه في يَقْظَتِي . فبكى المهدي وقال :
 أحسنت يا أبا سعيد أحسن الله إليك ! لا تُعَدُّ في غناؤه ، وحباه وكساه وأمر برده إلى
 الحجاز . فقال له أبو سعيد : ولكن اسمعه يا أمير المؤمنين من مَنَّةِ جارية البرامكة . وأظنَّ
 حكايةَ مَنْ حَكَى ذلك عن المهدي غلطاً ؛ لأنَّ مَنَّةَ جارية البرامكة لم تكن في أيام
 المهدي ، وإنما نشأت وعُرفت في أيام الرشيد .

وقد حدَّثني أحمد بن جعفر جَحْظَةَ قال حدَّثني هَيْبَةُ اللَّهِ بن إبراهيم بن المهدي عن أبيه
 أنه هو الذي لَقِيَ أبا سعيد مولى فائد وجاراه هذه القِصَّة . وذكر ذلك أيضاً حماد بن
 إسحاق عن إبراهيم بن المهدي . وقد يجوز أن يكون إبراهيم بن المهدي وإسحاق سألاه
 عن هذا الصوت فأجابهما فيه بمثل ما أجاب المهدي . وأمَّا خيرُ إبراهيم بن المهدي خاصة
 فله معانٍ غيرُ هذه ، والصوت الذي سأله عنه غيرُ هذا ؛ وسيُذكر بعد انقضاء هذه الأخبار
 لئلا تنقطع .

1 ل : خيراً .

2 ل : تغنينا .

[أراده إبراهيم بن المهدي على الذهاب إلى بغداد فأبى]

وأخبرني إسماعيل بن يونس الشيعي قال حدثنا عمر بن شبة : أن إبراهيم بن المهدي لقي أبا سعيد مولى فائد ؛ وذكر الخبر بمثل الذي قبله ، وزاد فيه : فقال له : اشخص معي إلى بغداد ، فلم يفعل . فقال : ما كنت لآخذك بما لا تحب ، ولو كان غيرك لأكرهته على ما أحب ، ولكن دئني على من ينوب عنك . فدلّه على ابن جامع ، وقال له : عليك بـغلام من بني سَهْمٍ قد أخذ عني وعن نظرائي وتخرج ، وهو كما تحب . فأخذ إبراهيم معه فأقدمه بغداد ؛ فهو الذي كان سبب وروده إياها .

نسبة ما في هذه الأخبار من الأغاني

صوت

من المائة المختارة

[من الطويل]

لقد طُفْتُ سَبْعاً قَلْتُ لَمَّا قَضَيْتُهَا أَلَا لَيْتَ هَذَا لَا عَلَيَّ وَلَا لِيَا

يُسَائِلُنِي صَاحِبِي فَمَا أَعْقِلُ الَّذِي يَقُولُونَ مِنْ ذِكْرٍ لِلْبَلِيِّ اعْتَرَانِيَا

عروضه من الطويل . ذكر يحيى بن علي أن الشعر والغناء لأبي سعيد مولى فائد ، وذكر غيره أن الشعر للمجنون . ولحنه خفيف رمل بالنصر وهو المختار . وذكر حبش أن فيه لإبراهيم خفيف رمل آخر . والذي ذكر يحيى بن علي من أن الشعر لأبي سعيد مولى فائد هو الصحيح .

أخبرني عمي عن الكُرَائي عن عيسى بن إسماعيل عن القَندَمي أنه أنشده لأبي سعيد مولى فائد . قال عمي : وأنشدني هذا الشعر أيضاً أحمد بن أبي طاهر عن أبي دِعامَة لأبي سعيد . وبعد هذين البيتين اللذين مَضَيَا هذه الأبيات :

[من الطويل]

إِذَا جِئْتَ بَابَ الشَّعْبِ شِعْبِ ابْنِ عَامِرٍ فَأَقْرِيءْ غَزَالَ الشَّعْبِ مِنِّي سَلَامِيَا

وَقُلْ لَغَزَالِ الشَّعْبِ هَلْ أَنْتَ نَازِلٌ بِشِعْبِكَ أَمْ هَلْ يُصْبِحُ الْقَلْبَ ثَاوِيَا

لَقَدْ زَادَنِي الْحُجَّاجُ شَوْقاً إِلَيْكُمْ وَقَدْ كُنْتُ قَبْلَ الْيَوْمِ لِلْحَجِّ قَالِيَا

وَمَا نَظَرْتُ عَيْنِي إِلَى وَجْهِ قَادِمٍ مِنْ الْحَجِّ إِلَّا بَلَّ دَمْعِي رَدَائِيَا

في البيت الأول من هذه الأبيات ، وهو :

إذا جئت باب الشعب شعب ابن عامر

[لحن] لابن جامع خفيف رمل عن الهشامي .

ومنها : [من الخفيف]

صوت

إنّ هذا الطويلَ مِنْ آلِ حَفْصٍ نَشَرَ المجدَ بعد ما كان ماتا
وبناه على أساسٍ وَثِيقٍ وعمادٍ قد أُثْبِتَتْ إنباتا
مثلَ ما قد بنى له أوْلوه وكذا يُشْبِهُ البُناةُ البُناتا

عروضه من الخفيف ، الشعر والغناء لأبي سعيد مولى فائد ، ولحنه رَمَلٌ مطلق في مجرى
البنصر عن إسحاق .

ومنها : [من الكامل]

صوت

قَدِمَ الطويلُ فأشرقتْ لقدمه أرضُ الحجازِ وبانَ في الأشجارِ
إنّ الطويلَ من آلِ حَفْصٍ فاعلموا سادَ الحُضُورَ وسادَ في الأسفارِ
الشعر والغناء لأبي سعيد .

ومنها : [من الخفيف]

صوت

أيُّها الطالبُ الذي يَخِيطُ الأُر ضَ دَعِ الناسَ أجمعينَ وراكا
وأَتِ هذا الطويلَ من آلِ حَفْصٍ إن تخوّفتَ عَيْلَةً أو هلاكا
عروضه من الخفيف ، الشعر لأبي سعيد مولى فائد ؛ وقيل : إنه للدّارمي . والغناء لأبي
سعيد خفيف ثقيل . وفيه للدّارميّ ثاني ثقيل .

الطويل من آل حفص الذي عناه الشعراء في هذه الأشعار ، هو عبد الله بن عبد الحميد بن
حفص ، وقيل : ابن أبي حفص بن المغيرة المخزومي ، وكان مُمدِّحاً .
[مدحه لعبد الله بن عبد الحميد المخزومي]

فأخبرني يحيى بن عليّ بن يحيى إجازةً عن أبي أيّوب المدينيّ قال حدّثنا عبد الرحمن ابن
أخي الأصمعيّ عن عمّه : أنّ عبد الله بن عبد الحميد المخزوميّ ، كان يُعطي الشعراء
فيُجزّل ، وكان مُوسراً ، وكان سبب يساره ما صار إليه من أمّ سلمة المخزومية امرأة أبي
العبّاس السفّاح ؛ فإنه تزوّجها بعده ، فصار إليه منها مالٌ عظيم ، فكان يتسّمح به ويتفتّى¹
ويتسّع في العطايا . وكانت أمّ سلمة مائلةً إليه ، فأعطته ما لا يُدرى ما هو ، ثم إنها اتهمته

1 يتفتّى : يتسخرى .

بجارية لها فاحتجبت عنه ، فلم تُعَدَّ إليه حتى مات . وكان جميلَ الوجه طويلاً . وفيه يقول أبو سعيد مولى فائد :

إنَّ هذا الطويلَ من آل حفصٍ نشر المجدَّ بعد ما كان ماتا
وفيه يقول الدَّارميّ : [من الخفيف]

أيتها السائلُ الذي يَخِيطُ الأر ضَ دَعِ النَّاسَ أَجْمَعِينَ وِراكا
وأنتَ هذا الطويلَ من آل حَفْصٍ إنَّ تَخَوَّفَتِ عَيْلَةً أَوْ هَلَاكا
وفيه يقول الدَّارميّ أيضاً : [من منهوك الكامل]

صوت

إنَّ الطويلَ إذا حَلَّتْ به يوماً كفاك مؤونة الثَّقَلِ
ويروى : ابن الطويل إذا حللت به

وحللت في دَعَةٍ وفي كَنَفٍ رَحْبِ الفِئَاءِ وَمَنْزِلِ سَهْلِ
غناه ابن عباد الكاتب ، ولحنه من الثقل الأول بالبنصر عن ابن المكي .
[غنى إبراهيم بن المهدي في المسجد]

فأما خبرُ إبراهيم بن المهديّ مع أبي سعيد مولى فائد الذي قلنا إنه يُدَكَّرُ ها هنا ، فأخبرني به الحسن بن عليّ قال حدّثني هارون بن محمد بن عبد الملك الزيات قال حدّثني القطرانيّ المغنّي قال حدّثني ابن جبرّ قال : سمعتُ إبراهيم بن المهديّ يقول : كنت بمكة في المسجد الحرام ، فإذا شيخ قد طلع وقد قلب إحدى نعليه على الأخرى وقام يصليّ ؛ فسألْتُ عنه فقيل لي : هذا أبو سعيد مولى فائد . فقلتُ لبعض الغلمان : احصيه فحصبه ؛ فأقبل عليه وقال : ما يظنُّ أحدُكم إذا دخل المسجد إلّا أنّه له . فقلتُ للغلام : قلْ له : يقول لك مولاي : أبلغني ؛ فقال ذلك له . فقال له أبو سعيد : مَنْ مولاك حفظه الله ؟ قال : مولاي إبراهيم بن المهديّ ، فمن أنت ؟ قال : أنا أبو سعيد مولى فائد ؛ وقام فجلس بين يديّ ، وقال : لا والله ، بأبي أنت وأميّ ، ما عرفتك ! فقلت : لا عليك ! أخبرني عن هذا الصوت : [من المتقارب]

أفاضَ المدامعَ قَتلى كُدَى وَقَتلى بكَثُوةَ لم تُرْمَسِ¹

قال : هو لي . قلت : وربّ هذه البنية لا تَبْرَحُ حتى تغني . قال : وربّ هذه البنية لا

1 كدى : (بضم الكاف) موضع بأسفل مكة ، وفتحها : ثنية بالطائف . وكداء : اسم لعرفات أو جبل بمكة . ولعلّ المقصود إذ سترد أبيات أخرى بهذا اللفظ «كداء» . كثوة : موضع .

تبرح حتى تسمعه . قال : ثم قلب إحدى نعليه وأخذ بعقب الأخرى ، وجعل يقرع بحرفها على الأخرى ويغنيه حتى أتى عليه ، فأخذته منه . قال ابن جبر : وأخذته أنا من إبراهيم بن المهدي .

[ردّ محمد بن عمران القاضي شهادته ثم قبلها]

أخبرني رضوان بن أحمد الصيدلاني قال حدثنا يوسف بن إبراهيم قال حدثني أبو إسحاق إبراهيم بن المهدي قال حدثني دنية المدني صاحب العباسة بنت المهدي ، وكان آدب من قدم علينا من أهل الحجاز : أن أبا سعيد مولى فائد حضر مجلس محمد بن عمران التيمي قاضي المدينة لأبي جعفر ، وكان مقدماً لأبي سعيد . فقال له ابن عمران التيمي : يا أبا سعيد أنت القائل :

لقد طفتُ سبعاً قلتُ لما قضيتها ألا ليت هذا لا علي ولا ليا

فقال : إي لعمرك أبيك . وإنني لأدميجه إدماجاً من لؤلؤ . فردّ محمد بن عمران شهادته في ذلك المجلس . وقام أبو سعيد من مجلسه مغضباً وحلف ألا يشهد عنده أبداً . فأنكر أهل المدينة على ابن عمران ردّه شهادته ، وقالوا : عرضت حقوقنا للتوى¹ وأموالنا للتلف ؛ لأننا كنا نشهد هذا الرجل لعلمنا بما كنت عليه والقضاة قبلك من الثقة به وتقديمه وتعديله . فنذم ابن عمران بعد ذلك على ردّ شهادته ، ووجه إليه يسأله حضور مجلسه والشهادة عنده ليقضي بشهادته ؛ فامتنع ، وذكر أنه لا يقدر على حضور مجلسه ليمين لزمته إن حضره حيث . قال : فكان ابن عمران بعد ذلك ، إذا ادعى أحد عنده شهادة أبي سعيد ، صار إليه إلى منزله أو مكانه من المسجد حتى يسمع منه ويسأله عما يشهد به فيخبره . وكان محمد بن عمران كثير اللحم ، عظيم البطن ، كبير العجيزة ، صغير القدمين ، دقيق الساقين ، يشتد عليه المشي ، فكان كثيراً ما يقول : لقد أتعبني هذا الصوت «لقد طفتُ سبعاً» وأضرّ بي ضرراً طويلاً شديداً . وأنا رجل ثقّال ، برتددي إلى أبي سعيد لأسمع شهادته .

[ردّ المطّلب بن حنطب شهادته فقال له شعراً فقبلها]

أخبرني عمي قال حدثنا الكرائي قال حدثنا النضر بن عمرو عن الهيثم بن عدي قال : كان المطّلب بن عبد الله بن حنطب قاضياً على مكة ، فشهد عنده أبو سعيد مولى فائد بشهادة ؛ فقال له المطّلب : [ويحك !] ألسنت الذي يقول :

لقد طفتُ سبعاً قلتُ لما قضيتها ألا ليت هذا لا علي ولا ليا

لا قِيلْتُ لك شهادةً أبداً . فقال له أبو سعيد : أنا والله الذي أقول : [من الطويل]
 كأنَّ وُجوهَ الحنْطِبيِّينَ في الدُّجَى فناديلُ تَسْقِيها السَّليطُ الهياكلُ
 فقال الحنطبيّ : إنك ما علمتكَ إلا دَبَّاباً حول البيت في الظلم ، مُدْمناً للطواف به في
 الليل والنهار ؛ وقيل شهادته .

نسبة الصوت المذكور قبل هذا ، الذي في حديث

إبراهيم بن المهدي وخبره

صوت

[من المتقارب]

أفاضَ المدامِعَ قَتلى كُدىً وَقَتلى بكنُوةَ لم تُرْمَسِ
 وَقَتلى بِوَجِّ وباللَّابِئِ بن من يثربِ خيرُ ما أنفُسُ¹
 وبالزَّابِئِينَ نفوسٌ ثَوَتْ وأخرى بنهرِ أبي فطرسِ²
 أولئك قومي أناختُ بهم نوائبُ من زَمَنِ مُعَسِ
 إذا رَكَبوا زَيْنوا الموكِّينَ وإن جَلَسوا الزَّينُ في المجلسِ
 همُ أضرعوني لريبِ الزَّمانِ وهمُ الصَّقوا الرِّعَمَ بالمعطسِ

عروضه من المتقارب ، الشعر للعبلي ، واسمه عبد الله بن عمر ، ويكنى أبا عدي ، وله
 أخبار تُذكر مفردة في موضعها إن شاء الله . والغناء لأبي سعيد مولى فائد ، ولحنه من الثقيل
 الثاني بالسبابة في مجرى البصر . وقصيدة العبلي أولها :

تقولُ أُمَامَةُ لما رأتُ نُشوزى عن المَضْجَعِ الأنفَسِ

[أنشد العبلي عبد الله بن حسن شعره في رثاء قومه فيكى]

نسختُ من كتابِ الحُرْمِيِّ بن أبي العلاء قال حدَّثنا الزُّبير بن بكار ، وأخبرني
 الأَخْفَشُ عن المُبرِّدِ عن المُغيرة بن محمد المُهَلَّبِيِّ عن الزُّبير عن سليمان بن عيَّاش السَّعْدِيِّ
 قال : جاء عبد الله بن عُمَرَ العَبَلِيُّ إلى سُوَيْقَةَ³ وهو طريدُ بني العَبَّاسِ ؛ وذلك بعَقَبِ أَيَّامِ
 بني أُمَيَّةَ وابتداءِ خروجِ مُلكِهِم إلى بني العَبَّاسِ ، فقصد عبد الله وحسناً ابني الحسن بن

1 وج : واد بالطائف . اللاتان : حرثا المدينة .

2 الزابيان : لعلهما الزاب الأعلى والزاب الأسفل في العراق . نهر أبي فطرس : قرب الرملة بفلسطين .

3 سويقة : موضع بالمدينة .

حَسَنٍ بِسُوقَةٍ ؛ فَاسْتَنْشَدَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنِ حَسَنِ شَيْئاً مِنْ شِعْرِهِ فَأَنْشَدَهُ ؛ فَقَالَ لَهُ : أُرِيدُ أَنْ تُنْشِدَنِي شَيْئاً مِمَّا رَثَيْتَ بِهِ قَوْمَكَ ؛ فَأَنْشَدَهُ قَوْلَهُ :
[من المتقارب]

تَقُولُ أَمَامَةً لَمَّا رَأَتْ
وَقِيلَةَ نَوْمِي عَلَى مَضْجَعِي
أَبِي مَا عَرَكَ ؟ فَقَلْتُ الْهُمُومَ
عَرُونَ أَبَاكَ فَحَبَسَنَهُ مِنْ
لِفَقْدِ الْأَحِبَّةِ إِذْ نَاهَا
رَمْتَهَا الْمُنُونُ بِلَا نُكَلِّ
بَأْسُهُمِهَا الْمُتَلَفَاتِ النَّفُوسِ
فَصَرَعْنَهُمْ فِي نَوَاحِي الْبِلَادِ
تَقِيٌّ أَصِيبَ وَأَثْوَابُهُ
وَأَخْرُقُ قَدْ دُسَّ فِي حُفْرَةٍ
إِذَا عَنَّ ذِكْرُهُمْ لَمْ يَنَمْ
فِذَلِكَ الَّذِي غَالَنِي فَاعْلَمِي
أَذَلُّوا قَنَاتِي لِمَنْ رَامَهَا

قال : فرأيتُ عبد الله بن حسنٍ وإنَّ دموعه لتجري على خده .

[غنى الرشيد وكان مغضباً فسكن غضبه]

وقد أخبرني الحسن بن عليّ قال حدثنا أحمد بن الحارث الخزاز عن المدائني عن إبراهيم بن رباح قال : عمّر أبو سعيد بن أبي سينّة مولى بني أمية وهو مولى فائد مولى عمرو بن عثمان إلى أيام الرشيد ؛ فلما حجّ أحضره فقال : أنشدني قصيدتك :

تَقُولُ أَمَامَةً لَمَّا رَأَتْ

فاندفع فغناه قبل أن يُنْشِده الشعرَ لحنه في أبيات منها ، أولها :

أَفَاضَ الْمَدَامِعَ قَتْلِي كُدَيْ

1 يرسس في ل : يرمس .

2 تقى يروى أيضاً : نقى .

وكان الرشيد مُغضباً فسكنَ غَضْبَهُ وطرِبَ ، فقال : أنشدني القصيدة . فقال : يا أمير المؤمنين ، كان القومُ مَواليٍّ وأنعموا عليّ ، فرثيتهم¹ ولم أهجُ أحداً ؛ فتركه .
[كان ابن الأعرابي ينشد شعر العبليّ فصحّفه فردّه أبو هفان]

أخبرني محمد بن يحيى قال حدثنا الحزَنبَلُ قال : كنّا عند ابن الأعرابيّ وحضّر معنا أبو هفان ، فأنشدنا ابن الأعرابيّ عمّن أنشده قال : قال ابن أبي سبة العَبَلِيّ : [من المتقارب]
أفاضَ المدامعَ قَتَلَى كذا وَقَتَلَى بكبوة لم تُرْمَسِ

فغمز أبو هفان رجلاً وقال له : قُلْ له : ما معنى « كذا » ؟ قال : يريد كثرتهم فلما قمنا قال لي أبو هفان : أسمعَت إلى هذا المعجب الرقيق ! صحّفَ اسم الرجل . هو ابن أبي سبة ، فقال : ابن أبي سبة ؛ وصحّف في بيت واحدٍ موضعين ، فقال : « قَتَلَى كذا » وهو كُدَى ، و« قَتَلَى بكبوة » وهو بكثوة . وأغلظُ عليّ من هذا أنّه يفسّر تصحيفه بوجهٍ وقاح . وهذا الشعر الذي غناه أبو سعيد يقوله أبو عديّ عبد الله بن عمّر العَبَلِيّ فيمن قتلَه عبد الله بن عليّ بنهر أبي فطرس وأبو العباس السفاح أمير المؤمنين بعدهم من بني أمية . وخبرهم والوقائع التي كانت بينهم مشهورةً يطول ذكرها جداً . ونذكر هاهنا ما يُستحسنُ منها .

1 هنا ينسب أبو الفرج القصيدة إلى أبي سعيد وكان قبل قليل قد نسبها إلى عبد الله بن عمر العبلي .

[55] - ذكر من قتل أبو العباس السفاح من بني أمية

[مقتل مروان بن محمد]

أخبرني محمد بن يحيى قال حدثني مُسِيحُ بن حاتم العُكَلِيُّ قال حدثني الجهم بن السباق عن صالح بن ميمون مولى عبد الصمد بن علي ، قال : لما استمرت الهزيمة بمروان ، أقام عبد الله بن علي بالرقّة ، وأنفذ أخاه عبد الصمد في طلبه فصار إلى دمشق ، وأتبعه جيشاً عليهم أبو إسماعيل عامر الطويل من قواد خراسان ، فلجّقه وقد جاز مصر في قرية تدعى بوضير ، فقتله ، وذلك يوم الأحد لثلاث بقين من ذي الحجة ، ووجه برأسه إلى عبد الله بن علي ، فأنفذه عبد الله بن علي إلى أبي العباس . فلما وُضِعَ بين يديه خرّ لله ساجداً ، ثم رفع رأسه وقال : الحمد لله الذي أظهرني عليك وأظفرتني بك ولم يُبقِ ثأري قبلك وقبّل رهطك أعداء الدين ؛ ثم تمثّل قول ذي الإصبع العدواني¹ :

لو يشربون دمي لم يُروِ شاربهم ولا دماؤهم للغيطِ تُرويني

[أمن عبد الله بن علي ابن مسلمة بن عبد الملك فأبى وقاتل حتى قتل]

أخبرني محمد بن خلفٍ وكيعٌ قال حدثني محمد بن يزيد قال : نظر عبدُ الله بن عليّ إلى فتى عليه أبهة الشرف وهو يُقاتل مُستتبلاً² ، فناداه : يا فتى ، لك الأمانُ ولو كنتَ مروان بن محمد . فقال : إلا أكنه فلستُ بدونه . قال : فلك الأمانُ من كنت . فأطرق ثم قال : [من المتقارب]

أذلّ الحياة وكرة الممات وكلاً أرى لك شرّاً وبَيْلاً³

ويروى : وكلاً أراه طعاماً وبَيْلاً

فإن لم يكن غيرُ إحداهما فسيراً إلى الموتِ سيراً جميلاً

ثم قاتل حتى قُتل . قال : فإذا هو ابن مسلمة بن عبد الملك بن مروان .

[اجتمع عند السفاح جماعة من بني أمية فأنشده سديف شعراً يغريه بهم فقتلهم]

أخبرني عمي قال حدثني محمد بن سعد الكُرانيّ قال حدثني النضر بن عمرو عن المعيطي ، وأخبرنا محمد بن خلفٍ وكيعٌ قال قال أبو السائب سلم بن جنادة السوائي سمعتُ أبا

1 البيت من المفضلية رقم 31 وقد ورد في المفضليات وأمالى القالي بضمير المخاطب .

2 ل : مستتبلاً .

3 لك في ل : ذاك .

نَعِيمَ الْفَضْلِ بْنِ دُكَيْنٍ يَقُولُ : دَخَلَ سُدَيْفٌ ، وَهُوَ مَوْلَى لَالِ أَبِي لَهَبٍ ، عَلَى أَبِي الْعَبَّاسِ بِالْحَيْرَةِ . هَكَذَا قَالَ وَكَيْع . وَقَالَ الْكُرَّانِيُّ فِي خَبْرِهِ وَاللَّفْظُ لَهُ : كَانَ أَبُو الْعَبَّاسِ جَالِسًا فِي مَجْلِسِهِ عَلَى سَرِيرِهِ وَبَنُو هَاشِمٍ دُونَهُ عَلَى الْكَرَاسِيِّ ، وَبَنُو أُمَيَّةَ عَلَى الْوَسَائِدِ قَدْ تُنِيَّتْ لَهُمْ ، وَكَانُوا فِي أَيَّامِ دَوْلَتِهِمْ يَجْلِسُونَ هُمْ وَالْخُلَفَاءُ مِنْهُمْ عَلَى السَّرِيرِ ، وَيَجْلِسُ بَنُو هَاشِمٍ عَلَى الْكَرَاسِيِّ ؛ فَدَخَلَ الْحَاجِبُ فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، بِالْبَابِ رَجُلٌ حِجَازِيٌّ أَسْوَدٌ رَاكِبٌ عَلَى نَجِيبٍ مِثْلَهُمْ يَسْتَأْذِنُ وَلَا يُخْبِرُ بِاسْمِهِ ، وَيَحْلِفُ أَلَّا يَحْسِرَ اللَّثَامَ عَنْ وَجْهِهِ حَتَّى يَرَاكَ . قَالَ : هَذَا مَوْلَايَ سُدَيْفٌ ، يَدْخُلُ ، فَدَخَلَ . فَلَمَّا نَظَرَ إِلَى أَبِي الْعَبَّاسِ وَبَنُو أُمَيَّةَ حَوْلَهُ ، حَدَرَ اللَّثَامَ عَنْ وَجْهِهِ وَأَنْشَأَ يَقُولُ¹ :

أَصْبَحَ الْمَلِكُ ثَابِتَ الْآسَاسِ	بِالْبَهَائِلِ مِنْ بَنِي الْعَبَّاسِ
بِالْصُدُورِ الْمُقَدَّمِينَ قَدِيمًا	وَالرُّؤُوسِ الْقِمَاقِمِ الرُّؤَاسِ
يَا أَمِيرَ الْمُطَهَّرِينَ مِنَ الذِّدِّ	مَّ وَيَا رَأْسَ مَنْتَهَى كُلِّ رَاسِ
أَنْتَ مَهْدِيُّ هَاشِمٍ وَهَدَايَا	كَمْ أَنَا سِ رَجَوَكَ بَعْدَ إِيَّاسِ ²
لَا تُقِيلَنَّ عَبْدَ شَمْسٍ عِثَارًا	وَاقْطَعَنَّ كُلَّ رَقْلَةٍ وَغِيْرَاسِ
أَنْزَلُوهَا بِجَيْثِ أَنْزَلَهَا الـ	لَهُ بَدَارِ الْهَوَانِ وَالْإِنْعَاسِ
خَوْفَهُمْ أَظْهَرَ التَّوَدُّدَ مِنْهُمْ	وَبِهِمْ مِنْكُمْ كَحَزْرِ الْمَوَاسِي
أَقْصَبِهِمْ أَيُّهَا الْخَلِيفَةُ وَاحْسِمِ	عَنْكَ بِالسَّيْفِ شَافَةَ الْأَرْجَاسِ
وَإِذْ كَرَنْ مَضْرَعِ الْحُسَيْنِ وَزَيْدِ	وَقَيْلِ بَجَانِبِ الْمَهْرَاسِ ³
وَالْإِمَامِ الَّذِي بَحْرَانَ أَمْسَى	رَهْنَ قَبْرِ فِي غُرْبَةٍ وَتَنَاسِي ⁴

1 في الكامل للمبرد (3 : 1367) والعقد الفريد (4 : 486) أن الذي أنشد هذه الأبيات هو شبل بن عبد الله مولى بني هاشم ، وأن شعر سديف :

لا يغرناك ما ترى من أناس إن تحت البطون داءً دويماً

غير أن المخاطب عند المبرد هو عبد الله بن علي (عم السفاح) وفي العقد أبو العباس السفاح . وقد نقل ابن حمدون هذا الخبر والشعر .

2 إياس في ل : أناس .

3 القتيل بجانب المهراس ، هو حمزة بن عبد المطلب ، ونسب قتله إلى بني أمية ، كما قال المبرد ، لأن أبا سفيان كان قائداً قرشي يوم أحد . والمهراس ماء قريب من أحد .

4 والأمام الذي بحران : هو إبراهيم الإمام قتل في أيام مروان بن محمد وكان رأس الدعوة العباسية .

فَلَقَدْ سَاءَ نِي وَسَاءَ سَوَائِي قُرْبُهُمْ مِنْ نَمَارِقٍ وَكَرَاسِي
نِعْمَ كَلْبُ الْهَرَّاشِ مَوْلَاكَ لَوْلَا أَوْدٌ مِنْ حَبَائِلِ الْإِفْلَاسِ¹

فَتَغَيَّرَ لَوْنُ أَبِي الْعَبَّاسِ وَأَخَذَهُ زَمْعٌ² وَرَعْدَةٌ ؛ فَالْتَفَتَ بَعْضُ وَكَلْدِ سَلِيمَانَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ إِلَى رَجُلٍ مِنْهُمْ ، وَكَانَ إِلَى جَنْبِهِ ، فَقَالَ : قَتَلْنَا وَاللَّهِ الْعَبْدُ . ثُمَّ أَقْبَلَ أَبُو الْعَبَّاسِ عَلَيْهِمْ فَقَالَ : يَا بَنِي الْفَوَاعِلِ ، أَرَى قَتْلَكُمْ مِنْ أَهْلِي قَدْ سَلَفُوا وَأَنْتُمْ أَحْيَاءُ تَلْدَدُونَ فِي الدُّنْيَا ؟ خُذُوهُمْ ! فَأَخَذَتْهُمْ الْخُرَّاسَانِيَّةُ بِالْكَافِرِ كُوْبَاتِ ، فَاهْمَدُوا ، إِلَّا مَا كَانَ مِنْ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ فَإِنَّهُ اسْتَجَارَ بِدَاوُدَ بْنِ عَلِيٍّ وَقَالَ لَهُ : إِنَّ أَبِي لَمْ يَكُنْ كَابَاتِهِمْ وَقَدْ عَلِمْتَ صَنِيعَتَهُ إِلَيْكُمْ ، فَأَجَارَهُ وَاسْتَوْهَبَهُ مِنَ السَّفَاحِ ، وَقَالَ لَهُ : قَدْ عَلِمْتَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ صَنِيعَ أَبِيهِ إِلَيْنَا . فَوَهَبَهُ لَهُ وَقَالَ لَهُ : لَا تُرِينِي وَجْهَهُ ، وَلِيَكُنْ بَحِثٌ تَأْمَنُهُ ؛ وَكُتِبَ إِلَى عَمَّالِهِ فِي النُّوَاحِي بِقَتْلِ بَنِي أُمَيَّةَ .

[سبب قتل السفاح لبني أمية وتشفيهم فيهم.]

أَخْبَرَنِي الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ قَالَ حَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ سَعِيدِ الدَّمَشَقِيِّ قَالَ حَدَّثَنَا الزُّبَيْرُ بْنُ بَكَّارٍ عَنْ عَمِّهِ : أَنَّ سَبَبَ قَتْلِ بَنِي أُمَيَّةَ : أَنَّ السَّفَاحَ أُشِيدَ قَصِيدَةً مُدْرِحٌ بِهَا ، فَأَقْبَلَ عَلَى بَعْضِهِمْ فَقَالَ : أَيْنَ هَذَا مِمَّا مُدَحِّمٌ بِهِ ؟ فَقَالَ : هِيَ هَاتِ ! لَا يَقُولُ وَاللَّهِ أَحَدٌ فِيكُمْ مِثْلَ قَوْلِ ابْنِ قَيْسِ الرُّقِيَّاتِ فِينَا³ :

مَا نَقَمُوا مِنْ بَنِي أُمَيَّةَ إِلَّا أَنَّهُمْ يَحْلُمُونَ إِنْ غَضِبُوا
وَأَنَّهُمْ مَعْدِنُ الْمُلُوكِ وَلَا تَصْلُحُ إِلَّا عَلَيْهِمُ الْعَرَبُ

فَقَالَ لَهُ : يَا مَاصٍ كَذَا مِنْ أُمَّه ، أَوْ إِنْ الْخِلَافَةَ لَفِي نَفْسِكَ بَعْدُ ؟ خُذُوهُمْ ! فَأَخَذُوا .

[بسط السفاح على قتلهم بساطاً تغدى عليه.]

أَخْبَرَنِي عَمِّي عَنْ الْكُرَّانِيِّ عَنِ النَّضْرِ بْنِ عَمْرٍو عَنِ الْمُعَيْطِيِّ : أَنَّ أَبَا الْعَبَّاسِ دَعَا بِالْغَدَاءِ حِينَ قَتَلُوا ، وَأَمَرَ بِسَاطٍ فَبَسَطَ عَلَيْهِمْ ، وَجَلَسَ فَوْقَهُ يَأْكُلُ وَهُمْ يَضْطَرِبُونَ تَحْتَهُ . فَلَمَّا فَرَّغَ مِنَ الْأَكْلِ قَالَ : مَا أَعْلَمَنِي أَكَلْتُ أَكْلَةً قَطُّ أَهْنًا وَلَا أَطْيَبَ لِنَفْسِي مِنْهَا . فَلَمَّا فَرَّغَ قَالَ : جَرُّوا بِأَرْجُلِهِمْ ؛ فَالْقُوا فِي الطَّرِيقِ يَلْعَنُهُمُ النَّاسُ أَمْوَاتًا كَمَا لَعَنُوهُمْ أَحْيَاءَ . قَالَ : فَرَأَيْتَ الْكِلَابَ تَجْرُّ بِأَرْجُلِهِمْ وَعَلَيْهِمْ سَرَوِيلَاتُ الْوَشِيِّ حَتَّى أَنْتَنُوا ؛ ثُمَّ حُفِرَتْ لَهُمْ بئرٌ فَالْقُوا فِيهَا .

1 يروى أيضاً «نعم شبل المهراش مولاك شبل» مما يقوي نسبة الأبيات إلى شبل بن عبد الله .

2 زمع : رعدة شديدة .

3 ديوان ابن قيس الرقيات (طبعة دار صادر) : 4 .

[أوغر ابن هرمة صدر داود بن عليّ على بعض الأمويين في مجلسه]

أخبرني عمر بن عبد الله بن جميل العتكيّ قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثني محمد بن معن الغفاريّ عن أبيه قال : لما أقبل داود بن عليّ من مكة أقبل معه بنو حسن جميعاً وحسين بن عليّ بن حسين وعليّ بن عمر بن عليّ بن حسين وجعفر بن محمد والأرقط محمد بن عبد الله وحسين بن زيد ومحمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان وعبد الله بن عنبسة بن سعيد بن العاصي وعروة وسعيد ابنا خالد بن سعيد بن عمرو بن عثمان ، فعُمل لداود مجلس بالروثة¹ ، فجلس عليه هو والهاشميون ، وجلس الأمويون تحتهم ؛ فأنشده إبراهيم بن هرمة قصيدة يقول فيها :

فَلَا عَمَّا لِلَّهِ عَنْ مَرْوَانَ مَظْلَمَةً وَلَا أُمِيَّةَ بِعَسِ الْمَجْلِسِ النَّادِي
كَانُوا كَعَادٍ فَأَمَسَى اللَّهُ أَهْلَكِهِمْ بِمَثَلِ مَا أَهْلَكَ الْغَاوِينَ مِنْ عَادٍ
فَلَنْ يُكَذِّبَنِي مِنْ هَاشِمٍ أَحَدٌ فِيمَا أَقُولُ وَلَوْ أَكْثَرْتُ تَعْدَادِي

قال : فنبذ داود نحو ابن عنبسة ضحكة كالكيشرة . فلما قام قال عبد الله [بن حسن] لأخيه حسن : أما رأيت ضحكته إلى ابن عنبسة ! الحمد لله الذي صرّفها عن أخي (يعني العثماني) . قال : فما هو إلا أن قدم المدينة حتى قتل ابن عنبسة .
[استحلف عبد الله بن حسن داود بن عليّ ألا يقتل أخويه محمداً والقاسم]

قال محمد بن معن حدثني محمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان قال : استحلف أخي عبد الله بن حسن داود بن عليّ ، وقد حجّ معه سنة اثنتين وثلاثين ومائة ، بطلاق امرأته مليكة بنت داود بن حسن ألا يقتل أخويه محمداً والقاسم ابني عبد الله . قال : فكنت أختلف إليه آمناً وهو يقتل بني أمية ، وكان يكره أن يراني أهل خراسان ولا يستطيع إليّ سبيلاً ليمينه . فاستدناني يوماً فدنوت منه ، فقال : ما أكثر الغفلة وأقلّ الحزمة ! فأخبرت بها عبد الله بن حسن ؛ فقال : يا ابن أمّ ، تغيب عن الرجل ؛ فتغيبت عنه حتى مات .
[أنشد سديف السفاح شعراً وعنده رجال من بني أمية فأمر بقتلهم]

أخبرني الحسن بن عليّ ومحمد بن يحيى قالا حدثنا الحارث بن أبي أسامة قال حدثني إسماعيل بن إبراهيم عن الهيثم بن بشر مولى محمد بن عليّ قال : أنشد سديف أبا العباس ، وعنده رجال من بني أمية ، قوله :

يا ابن عمّ النبيّ أنت ضياءٌ إستبنا بك اليقين الجلياً

فلما بلغ قوله :

جَرَدَ السَّيْفَ وَارْفَعَ الْعَفْوَ حَتَّى
لا تَرى فَوْقَ ظَهْرِهَا أُمُويَا
لا يَغْرُنُكَ ما تَرى مِنْ رِجالٍ
إِنَّ تَحْتَ الضُّلُوعِ داءٌ دَويًّا
بَطْنُ البُعْضِ فِي القَدِيمِ فَأُضْحَى
ثاويًّا فِي قلوبِهِمْ مَطْويًّا

وهي طويلة ، قال : يا سُدَيْف ، خُلِقَ الإنسانُ مِنْ عَجَلٍ ، ثم قال : [من البسيط]
أحيا الضغائنَ آباءُ لنا سَلَفُوا فلنَ تَبِيدَ وللآباءِ أبناءُ
ثم أمر بمن عنده منهم فقتلوا .

[حضر سليمان بن علي جماعة من بني أمية فأمر بقتلهم]

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال حدثني علي بن محمد بن سليمان التوفلي عن أبيه عن عمومته : أنَّهُم حضروا سليمان بن علي بالبصرة ، وقد حضره جماعة من بني أمية عليهم الثياب الموشية المرتفعة ، فكأنني أنظر إلى أحدهم وقد اسودَّ شيب في عارضيه من الغالية ، فأمر بهم فقتلوا وجروا بأرجلهم ، فألقوا على الطريق ، وإن عليهم لسراويلات الوشي والكلاب تعجر بأرجلهم .

[وفد عمرو بن معاوية على سليمان بن علي يسأله الأمان فأجابته إليه]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثني محمد بن عبد الله بن عمرو قال أخبرني طارق بن المبارك عن أبيه قال : جاءني رسول عمرو بن معاوية بن عمرو بن عتبة ، فقال لي : يقول لك عمرو : قد جاءت هذه الدولة وأنا حديث السن كثير العيال منتشر المال ، فما أكون في قبيلة إلا شهير أمري وعرفت ، وقد اعزمت على أن أفدي حرمي بنفسي ؛ وأنا صائر إلى باب الأمير سليمان بن علي ، فصر إلي . فوافيته فإذا عليه طيلسان مطبق أبيض وسراويل وشي مسدول ، فقلت : يا سبحان الله ! ما تصنع الحدائة بأهلها ! أبهذا اللباس تلقى هؤلاء القوم لما تريد لقاءهم فيه ! فقال : لا والله ، ولكنه ليس عندي ثوب إلا أشهر مما ترى . فأعطيته طيلساني وأخذت طيلسانه ولويت سراويله إلى ركبتيه ؛ فدخل ثم خرج مسروراً . فقلت له : حدثني ما جرى بينك وبين الأمير . قال : دخلت عليه ولم تتراء قط ، فقلت : أصلح الله الأمير ! لفظتني البلاد إليك ، ودلني فضلك عليك ؛ فإما قتلني غانماً ، وإما رددتني سالماً . فقال : ومن أنت ؟ ما أعرفك ؛ فانتسبت له . فقال : مرحباً بك ، أقعد فتكلم أماناً غانماً ؛ ثم أقبل علي فقال : ما حاجتك يا ابن أخي ؟ فقلت : إن الحرم اللواتي أنت أقرب الناس إليهن معنا وأولى الناس بهن بعدنا ، قد خفن لخوفنا ، ومن خاف خيف عليه . فوالله ما أجانبي إلا بدموعه على خدي ؛ ثم قال : يا ابن أخي ، يحقن الله دمك ، ويحفظك

في حُرْمِك ، وَيُوقَّرُ عَلَيْكَ مَالِك . وَوَاللَّهِ لَوْ أَمَكَّنَنِي ذَلِكَ فِي جَمِيعِ قَوْمِكَ لَفَعَلْتُ ، فَكُنْ مُتَوَارِيًا كظَاهِر ، وَأَمِنًا كخَائِف ، وَلتَأْتِنِي رِقَاعُكَ . قَالَ : فَكُنْتُ وَاللَّهِ أَكْبَرُ إِلَيْهِ كَمَا يَكْتُبُ الرَّجُلُ إِلَى أَبِيهِ وَعَمِّهِ . قَالَ : فَلَمَّا فَرَّغَ مِنَ الْحَدِيثِ رَدَدْتُ عَلَيْهِ طِيلِسَانَهُ ؛ فَقَالَ : مَهَلًا ، فَإِنَّ ثِيَابَنَا إِذْ فَارَقْتَنَا لَنْ تَرْجِعَ إِلَيْنَا .

[شعر لسديف في تحريض السفاح على بني أمية]

أخبرني أحمد بن عبد الله قال حدثنا أحمد بن عبد العزيز قال حدثنا عمر بن شبة قال : قال سديف لأبي العباس يحضه على بني أمية ويذكر من قتل مروان وبنو أمية من قومه : [من الخفيف]

كيف بالعضو عنهم وقديماً
أين زيدٌ وأين يحيى بن زيدٍ
ن إمام الهدى ورأس الثقات
قتلوا آل أحمدٍ لا عفا الذن

قتلوكم وهتكوا الحرمات
يا لها من مصيبةٍ وترات
ب مروان غافر السيئات¹

[شعر لرجل من شيعة بني العباس في التحريض على بني أمية]

أخبرني علي بن سليمان الأحفش قال : أنشدني محمد بن يزيد لرجلٍ من شيعة بني العباس يحرضهم على بني أمية :

إياكم أن تلينوا لاعتذارهم
لو أنهم أمنوا أبداً عدواتهم
ليس في ألف شهرٍ قد مضت لهم
حتى إذا ما انقضت أيام مدتهم
هيهات لا بد أن يسقوا بكأسهم
إننا وإخواننا الأنصار شيعتكم
إياكم أن يقول الناس إنهم

فليس ذلك إلا الخوف والطمع
لكنهم قمعوا بالذل فانقموا
سقوكم جرعاً من بعدها جرع
متوا إليكم بالارحام التي قطعوا
رياً وأن يخصدوا الزرع الذي زرعو
إذا تفرقت الأهواء والشيع
قد ملكوها ثم ما ضرروا ولا نفعوا

[رواية أخرى في تحريض سديف للسفاح]

وذكر ابن المعتز : أن جعفر بن إبراهيم حدثه عن إسحاق بن منصور عن أبي الخصب في قصة سديف بمثل ما ذكره الكرائي عن النضر بن عمرو عن المعيطي ، إلا أنه قال فيها : فلما أنشده ذلك التفت إليه أبو العمر سليمان بن هشام فقال : يا ماص بظر أمه ! أتجبهنا بهذا

ونحن سرّواتُ الناس ! فعَضِبَ أبو العباس ؛ وكان سليمان بن هشام صديقه قديماً وحديثاً يقضي حوائجه في أيامهم ويبرّه ؛ فلم يلتفت إلى ذلك ، وصاح بالخراسانية : خذوهم ؛ فقتلوا جميعاً إلاّ سليمان بن هشام . فأقبل عليه السفّاح فقال : يا أبا الغمّ ، ما أرى لك في الحياة بعد هؤلاء خيراً . قال : لا والله . فقال : اقتلوه ، وكان إلى جنبه ، فقتل ؛ وصلبوا في بُستانه ، حتى تأذى جلساؤه بروائحهم ، فكلموه في ذلك ، فقال : والله لهذا الكدّ عندي من شَمّ المسك والعنبر ، غيظاً عليهم وحقّاً .

نسبة ما في هذه الأخبار من الغناء

صوت

[من الخفيف]

أصبح الدّينُ ثابتَ الأساسِ بالبّهاليلِ من بني العباسِ¹
بالصدورِ المُقدّمين قديماً والرؤوسُ القماقمِ الرؤاسِ

عروضه من الخفيف ، الشعر لسديف . والغناء لعطردّ رمل بالنصر عن حبش . قال : وفيه لحكم الواديّ ثاني ثقيل . وفيه ثقيلٌ أوّل مجهول .

ومما قاله أبو سعيد مولى فائد ولحنه من التثقيب الأوّل بالنصر من رواية عمرو بن بانه وإسحاق وغيرهما في قتل بني أمية وغنى فيه :

[من المتقارب]

صوت

بكيّت وماذا يردّ البكاء وقلّ البكاء لقتلى كداء
أصيبوا معاً فتولّوا معاً كذلك كانوا معاً في رخاء
بكت لهم الأرض من بعدهم وناحت عليهم نجوم السماء
وكانوا الضياء فلماً انقضى الـ زمانُ بقومي تولّى الضياء

عروضه من المتقارب ، الشعر والغناء لأبي سعيد مولى فائد .

ومما قاله فيهم وغنى فيه على أنّه قد نسب إلى غيره :

[من الخفيف]

صوت

أثر الدهر في رجالي فقلّوا بعد جمّع فراح عظمي مهيباً²

1 الدين تقدم برواية «الملك» ، ص 241 .

2 رجالي في ل : الرجال .

ما تذكّرْتَهُمْ فتملِكْ عيني فَيضَ غَرْبٍ وُحُقْ لي أن تَفِيضَا
 الشعر والغناء لأبي سعيد خفيف ثَقِيلٍ بالوسطى عن ابن المكيّ والحشاميّ . وروى الشَّيعِيّ
 عن عمر بن شَبَّة عن إسحاق أن الشعر لسُدَيْفٍ والغناء للغريص ، ولعلّه وَهَمٌّ .
 ومنها : [من الطويل]

صوت

أولئك قَوْمِي بعدَ عِزٍّ وَمَنْعَةٍ تَفَانُوا فإلَّا تَذْرِفِ العَيْنُ أَكْمَدِ
 كَانَتْهُمْ لا ناسَ للموتِ غيرُهُم وإن كان فيهم مُنْصِفاً غيرَ مُعْتَدِي
 الشعر والغناء لأبي سعيد . وفيه لحن مُتَمِّمٌ .

[ركب المأمون إلى جبل الثلج فغناه علويه بشعر نذب فيه بني أمية]

أخبرني عبد الله بن الربيع قال حدثنا أحمد بن إسماعيل بن إبراهيم قال حدثني عمي
 طَيَّاب بن إبراهيم قال : رَكِبَ المأمون بدمشق يتصيد حتى بلغ جبلَ الثلج ، فوقف في
 بعض الطريق على بركة عظيمة في جوانبها أربعُ سَرَوَاتٍ لم يرَ أحسنَ منها ولا أعظمَ ، فنزل
 المأمون وجعل ينظر إلى آثار بني أمية وَيَعْجَبُ منها ويدكُرُهُم ، ثم دعا بطَبَقٍ عليه بزَماورد¹
 ورطل نبيذ ؛ فقام عَلَوِيه فغنى :

أولئك قَوْمِي بعدَ عِزٍّ وَمَنْعَةٍ تَفَانُوا فإلَّا تَذْرِفِ العَيْنُ أَكْمَدِ

قال : فغَضِبَ المأمون وأمر برفع الطبق ، وقال : يا ابن الزانية ! ألم يكن لك وقتٌ
 تبكي فيه على قومك إلّا هذا الوقت ! قال : نعم أبكي عليهم ! مولاكم زرياب يركب
 معهم في مائة غلامٍ ، وأنا مولاهم معكم أموت جوعاً ! فقام المأمون فركب وانصرف
 الناس ، وغَضِبَ على عَلَوِيه عشرين يوماً ؛ فكلّمه فيه عباس أخو بحر ؛ فرَضِي عنه ،
 ووَصَله بعشرين ألفَ درهم .

صوت

من المائة المختارة²

[من الطويل]

مَهَاةٌ لَوْ أَنَّ الذَّرَّ تَمَشِي ضِعَافُهُ عَلَى مَتْنِهَا بَضَّتْ مَدَارِجُهُ دَمَا³

1 بزماورد : طعام من اللحم المقلي بالزبد والبيض .

2 ديوان حميد (طبعة دار صادر ، بيروت) : 90-105 وهي من قصيدة تتألف من مائة وثلاثين بيتاً .

3 رواية الديوان مطابقة لرواية الأصمعي .

فَقُلْنَ لَهَا قُومِي فِدِينَاكِ فَارَكِّي فَأَوَمْتُ بَلَا لَا غَيْرَ أَنْ تَتَكَلَّمَا¹
 عروضه من الطويل . بَضَّتْ : سألت . يقول : لو مَشَى الذَّرُّ على جِلْدِهَا لَجَرَى مِنْهُ الدَّمُ
 مِنْ رِقَّتِهِ . وَرَوَى الْأَصْمَعِيُّ :
 مُنَعَّمَةٌ لَوْ يُصْبِحُ الذَّرُّ سَارِيًّا عَلَى مَتْنِهَا بَضَّتْ مَدَارِجُهُ دَمًا
 الشعر لحُمَيْدِ بْنِ تَوْرٍ الْهَلَالِيِّ ، والغناء في اللحن المختار لفُلَيْحِ بْنِ أَبِي الْعَوْرَاءِ ، ولحنه من
 الثَّقِيلِ الْأَوَّلِ بِالْوَسْطِيِّ . وذكر عمرو بن بَانَةَ أَنَّ لَحْنَ فُلَيْحٍ مِنْ خَفِيفِ الثَّقِيلِ الْأَوَّلِ بِالْوَسْطِيِّ ،
 وَأَنَّ الثَّقِيلَ الْأَوَّلَ لِلْهُذَلِيِّ .
 وَمَا يُغْنَى فِيهِ مِنْ هَذِهِ الْقَصِيدَةِ :
 [من الطويل]

صوت

إِذَا شَعْتُ غَنْتَنِي بِأَجْزَاعِ بَيْشَةٍ
 أَوْ النَّخْلِ مِنْ تَثْلِيثٍ أَوْ مِنْ يَلْمَمَا²
 مُطَوَّقَةٌ طَوْقًا وَلَيْسَ بِجَلِيَّةِ
 وَلَا ضَرْبِ صَوَاغٍ بِكَفِّيهِ دِرْهَمًا³
 تُبْكِي عَلَى فَرْخٍ لَهَا تَمَّ تَعْتَدِي
 مُؤَلَّهَةٌ تَبْعِي لَهُ الدَّهْرُ مَطْعَمًا⁴
 تُؤَمِّلُ مِنْهُ مُؤْنِسًا لِانْفِرَادِهَا
 وَتُبْكِي عَلَيْهِ إِنْ زَقَا أَوْ تَرَنَّمَا
 غَنَاهُ مُحَمَّدُ الرَّفَّ خَفِيفَ رَمَلٍ بِالْوَسْطِيِّ .

- 1 الشطر الثاني في الديوان : «فأومت ألا لا غير أمأ تكلما» وفي عيون الأخبار «فأومت بلا لا غير ما أن تكلما» .
- 2 بيشة وتثليث ويلملم : أسماء مواضع والأخيرة ميقات أهل اليمن . ويروى بأجراع بدلاً من بأجراع ، وبالرزن بدلاً من النخل ، وبينيم أو يميم بدلاً من يلملم .
- 3 مطوقة في الديوان : تطوق .
- 4 لم يرد هذان البيتان في الديوان ولا في الزيادات .

[56] - ذكر حميد بن ثور ونسبه وأخباره¹

[نسبه]

هو حميد بن ثور بن عبد الله بن عامر بن أبي ربيعة بن نهيك بن هلال بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس بن عيلان بن مضر بن نزار . وهو من شعراء الإسلام . وقرنه ابن سلام بنهشل ابن حرّي وأوس² بن مغراء .

[هو مخضرم أدرك عمر بن الخطاب]

وقد أدرك حميد بن ثور عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وقال الشعر في أيامه . وقد أدرك الجاهلية أيضاً .

[نهى عمر الشعراء عن التشبيب فقال شعراً]

أخبرنا وكيع قال حدثنا عبد الله بن أبي سعد وعبد الله بن شبيب قالوا حدثنا إبراهيم بن المنذر الحزامي قال حدثني محمد بن فضالة النحوي قال : تقدم عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى الشعراء ألا يشبب أحدًا بامرأة إلا جلده . فقال حميد بن ثور ، وكانت له صحبة ، فذكر شعراً فيه :

أبى الله إلا أن سرحة مالك على كل أفنان العضا تروق³
فقد ذهب عرضاً وما فوق طولها من السرح إلا عشة وسحوق

العشة : القليلة الأغصان والورق . والسحوق : الطويلة المفرطة .

1 ترجمة حميد بن ثور الهلالي في كتب الصحابة وطبقات ابن سلام 2 : 583 والشعر والشعراء 306-310 وشرح شواهد المغني : 73 والوافي 13 : 193 ومعجم الأدياء (تحقيق إحسان عباس) : 1222-1225 وسقط اللآلي : 376 وتهذيب ابن عساكر 4 : 456 . وقد صنع الميمني ديوانه ثم نشرته دار صادر ، بيروت بإشراف د . محمد يوسف نجم وإلى هذه الطبعة نشير . وقد تضمنت التذكرة الحمدونية عدة مختارات من شعره في مواضع متفرقة ، وتجد مختارات أخرى في الكامل للمبرد وأمالى القالي وغيرهما .

2 عد ابن سلام في طبقاته أوس بن مغراء في الطبقة الثالثة وعد حميد بن ثور ونهشل بن حرّي والأشهب بن رميلة وعمر بن لجأ في الطبقة الرابعة (انظر طبقات فحول الشعراء ، تحقيق العلامة الأستاذ محمود محمد شاكر : 570 و583) .

3 السرحة : الشجرة الطويلة ويكنى بها الشعراء عن المرأة . والأبيات من مواضع متفرقة من قصيدة تتألف من 46 بيتاً (الديوان : 65-71) .

فلا الظلّ من بردِ الضحى تستطيعه ولا الفياء من بردِ العشيّ تذوق¹
 فهلّ أنا إن علّلت نفسي بسرحة من السرح موجود عليّ طريق
 وهي قصيدة طويلة أولها :
 نأت أم عمرفالفؤاد مشوق² يحن إليها والهأ ويتوق³
 [من الطويل]

صوت

وفيهما مما يُغنى فيه :

سقى السرحة المحلال والأبرق الذي به السرح غيث دائم وبروق⁴
 وهلّ أنا إن علّلت نفسي بسرحة من السرح موجود عليّ طريق²
 غناه إسحاق ، ولحنه ثاني ثقيل بالوسطى .
 [وفد على بعض خلفاء بني أمية بشعر فوصله]

أخبرنا الحريري قال حدثنا الزبير عن عمه قال³ : وقد حميد بن ثور على بعض خلفاء بني
 أمية ؛ فقال له : ما جاء بك ؟ فقال :

أتاك بي الله الذي فوق من ترى وخيرٌ ومعروفٌ عليك دليل⁵
 ومطوية الأقرب أما نهارها فنص وأما ليلها فذميل⁴
 ويطوي عليّ الليل حضيئه إنني لذلك إذا هاب الرجال فعول⁵
 فوصله وصرفه شاكرًا .

1 الظل : ما كان من أول النهار إلى الزوال . الفياء : ما كان من الزوال إلى الليل .

2 موجود في الديوان : مسدود .

3 ديوان حميد : 78 وفي الحاشية أن الصواب نسبتها إلى حميد الأرقط .

4 الأقرب : جمع قرب وهو الخاصرة . فنص في ل : فرقل . ويروي : فسبت ، وكلها أنواع من السير .

5 لذلك في ل : أراك .

[57] - أخبار فليح بن أبي العوراء

[هو مولى بني مخزوم وأحد مغني الدولة العباسية]

فُليح رجل من أهل مكة ، مولى لبني مخزوم ، ولم يقع إلينا اسم أبيه . وهو أحد مغني الدولة العباسية ، له محل كبير من صناعته ، وموضع جليل . وكان إسحاق إذا عدّ مَنْ سَمِعَ من المُحسِنين ذكره فيهم وبدأ به . وهو أحد الثلاثة الذين اختاروا المائة الصوت للرشيد .

[مدح إسحاق الموصلي غناه]

أخبرني أحمد بن جعفر جحظة قال حدثني ابن المكيّ عن أبيه عن إسحاق قال : ما سمعت أحسنَ غناء من فُليح بن أبي العوراء وابن جامع : فقلت له : فأبو إسحاق ؟ (يعني أباه) ؛ فقال : كان هذان لا يُحسنان غير الغناء ، وكان أبو إسحاق فيه مثلهما ، ويزيد عليهما فنوناً من الأدب والرواية لا يُدخِلانه فيها .

[كان يحكي الأوائل فيصيب ويحسن]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدثنا يزيد بن محمد¹ المهلبيّ قال : قال لي إسحاق : أحسنُ مَنْ سمعتُ غناء عَطَرَدَ وفُليح .

وكان فليح أحد الموصوفين بحسن الغناء المسموع في أيامه ، وهو أحد مَنْ كان يحكي الأوائل فيصيب ويحسن .

[أمره الرشيد بتعليم ابن صدقة صوتاً له]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدثني هارون بن محمد بن عبد الملك الزيات قال حدثني محمد بن محمد العنبيسيّ قال حدثني محمد بن الوليد الزبيريّ قال : سمعتُ كثيرَ بن المحوّل يقول : كان مُغنيان بالمدينة يقال لأحدهما فُليح بن أبي العوراء ، والآخر سليمان بن سليم ؛ فخرج إليهما رسول الرشيد يقول لفليح غناؤك من حلق أبي صدقة² أحسن منه من حلقك ، فعلمه إياه ، قال : وكان يغني صوتاً يُجيده ، وهو :

خيرُ ما نَشَرُها بالبُكر

قال : فقال فليح للرسول : قلْ له : حَسْبُكَ . قال : فسمعنا ضججه من وراء الستارة .

1 ل : محمد بن يزيد .

2 س يترجم له أبو الفرج فيما بعد .

[كانت ترفع الستارة بينه وبين المهديّ دون سائر المغنّين]

أخبرني رضوان بن أحمد الصيدلانيّ قال حدّثنا يوسف بن إبراهيم قال حدّثني أبو إسحاق إبراهيم بن المهديّ قال حدّثنا الفضل بن الربيع : أنّ المهديّ كان يسمع المغنّين جميعاً ، ويحضرون مجلسه ، فيغنونه من وراء الستارة لا يرون له وجهاً إلاّ فليح بن أبي العوراء ؛ فإنّ عبد الله بن مُصعب الزُّبيريّ كان يُرويه شعره ويغني فيه في مدائحه للمهديّ ؛ ففسد في أضعافها بيتين يسأله فيهما أن ينادمه ، وسأل فليحاً أن يغنيهما في أضعاف أغانيه ، وهما :

صوت

يا أمينَ الإلهِ في الشَّرْقِ والغَرْ بِ عَلَى الخَلْقِ وابنَ عَمِّ الرُّسُولِ
مجلساً بالعَشِيِّ عندك في المَيْدِ بدانِ أبغي وإلذّن لي في الوُصُولِ
فغناه فليح إياهما . فقال المهديّ : يا فضلُ ، أجِبْ عبدَ الله إلى ما سأل ، وأحضره مجلسي إذا حضره أهلي ومواليّ وجلستُ لهم ، وزدّه على ذلك أن ترفع بيني وبين راويته فليح الستارة ؛ فكان فليح أولَ مُغنٍّ عاين وجهه في مجلسهم .
[دعاه محمد بن سليمان بن عليّ أولَ دخوله بغداد ووصله]

أخبرني رضوان قال حدّثني يوسف بن إبراهيم قال حدّثني بعد قدومي فسطاط مصر زياد بن أبي الخطّاب كاتب مسرور خادم الرشيد ، قال : سمعتُ محبوبَ بن الهفّتيّ يحدثُ أبي ، قال : دعاني محمد بن سليمان بن عليّ ، فقال لي : قد قدّم فليح من الحجاز ونزل عند مسجد ابن رغبان ، فصرّ إليه ، فأعلّمه أنّه إن جاءني قبلَ أن يدخلَ إلى الرشيد ، خلعتُ عليه خِلعةً سرّيّةً من ثيابي ووهبتُ له خمسة آلاف درهم . فمضيتُ إليه فخبّرتّه بذلك ؛ فأجابني إليه إجابة مسرور به نشيطٍ له . وخرج معي ، فعَدَل إلى حَمّامٍ كان بقرّيه ، فدعا القِيمَ فأعطاه درهمين وسأله أن يجيئه بشيء يأكله ونبيدٍ يشربه ؛ فجاءه برأسٍ كأنّه رأسُ عجلٍ ونبيدٍ دُوشابيّ¹ غليظ مسحوريّ رديء . فقلت له : لا تفعل ، وجهدتُ به ألاّ يأكل ولا يشرب إلاّ عند محمد بن سليمان ؛ فلم يلتفت إليّ ، وأكل من ذلك الرأسِ وشرب من ذلك النبيدِ الغليظ حتّى طابت نفسه ، وغنّى وغنّى القِيمَ معه مليّاً ؛ ثم خاطب القِيمَ بما أغضبه ، وتلاحيا وتواثبا ؛ فأخذ القِيمَ شيئاً فضربه به على رأسه فشجّه حتّى جرى دمه . فلما رأى الدمَ على وجهه اضطرب وجزع وقام يغسيل جرحه ،

1 الدوشاب : نبيد التمر . والمسحوري : الفاسد .

ودعا بصوفة مُحَرَّقة زيت ، وَعَصَبَه وتعمَّم وقام معي . فلَمَّا دخلنا دارَ محمد بن سليمان ، ورأى الفرشَ والآلةَ وحضر الطعامَ فرأى سَرَوَه وطيبه ، وحضر النبيذ وآلته ، ومدَّتِ الستائرُ وغنَّى الجوارِي ، أقبل عليّ وقال : يا مجنون ! سألتك بالله أيُّما أحقُّ بالعريدةِ وأولى : مجلسُ القِيم أم مجلسُ الأمير¹ ؟ فقلت : وكأنه لا بُدَّ من عريدة ؟ قال : لا ، والله مالي منها بُدُّ ، فأخرجتُها من رأسي هناك . فقلت : أمّا على هذا الشرط فالذي فعلتَ أجودُ . فسألني محمد عما كُنّا فيه فأخبرته ؛ فضحك ضحكاً كثيراً ، وقال : هذا الحديث والله أظرفُ وأطيبُ من كلِّ غناء ، وخلع عليه وأعطاه خمسة آلاف درهم .

[أتفق مع حكم الوادي على إسقاط ابن جامع عند يحيى بن خالد]

قال هارون بن محمد وحدثني حماد بن إسحاق قال حدثني أبو إسحاق القرمطي قال حدثنا مُدْرِكةُ بن يزيد قال : قال لي فليح بن أبي العوراء : بعث يحيى بن خالد إليّ وإلى حكيم الوادي وإلى ابن جامع ، فأتيناه . فقلت لحكم : إن قعد ابن جامع معنا فعاونني عليه لنكسره . فلَمَّا صرنا إلى الغناء غنّى حكم ؛ فصحّتُ وقلتُ : هكذا والله يكون الغناء ! ثم غنّيت ، ففعل لي حكم مثلَ ذلك . وغنّى ابن جامع فما كُنّا معه في شيء . فلَمَّا كان العشيُّ أرسل إلى جاريته دنانير : إن أصحابك عندنا ، فهل لك أن تخرجي إلينا ؟ فخرجتُ وخرج معها وصائف ؛ فأقبل عليها يقول لها من حيث يظنّ أنّها لا نسمع : ليس في القوم أنزّه نفساً من فليح . ثم أشار إلى غلام له : أن آئتِ كلَّ إنسانٍ بألفي درهم ، فجاء بها ؛ فدفعتُ إلى ابن جامع ألفي درهم فأخذها فطرحها في كُمّه ، وفعل بحكم الواديّ مثلَ ذلك فطرحها في كُمّه ، ودفعتُ إليّ ألفين . فقلت لدنانير : قد بلغ مني النبيذ ، فاحسبها لي عندك² حتى تبعتني بها إليّ ؛ فأخذت الدراهم مني وبعثتُ بها إليّ من الغد ، وقد زادت عليها ؛ وأرسلت إليّ : قد بعثتُ إليك بوديعتك وبشيء أحببتُ أن تفرقه على أخواتي (تعني جوارِي) .

[غنّى الفضل بن الربيع وهو مريض ثم مات في علته]

قال هارون بن محمد وحدثني حماد قال حدثني أبي قال : كُنّا عند الفضل بن الربيع ، فقال : هل لك في فليح بن أبي العوراء ؟ قلت نعم . فأرسل إليه ، فجاء الرسول فقال : هو عليلٌ ؛ فعاد إليه فقال الرسول : لا بدَّ من أن تجيء ؛ فجاء به محمولاً في مِحْفَةٍ ؛ فحدثنا ساعةً ثم غنّى . فكان فيما غنّى :

[من السريع]

1 ل : منزل (في الحالين) .

2 ل : عند نفسك .

تقول عِرسِي إذ نبا المَضْجَعُ ما بالك الليلة لا تَهَجَعُ
فاستحسنناه منه واستعدناهُ منه مراراً ؛ ثم انصرف ومات في علته تلك ؛ وكان آخر العهد
به ذلك المجلس .

[قصة عاشق غناه هو وعشيقته فبعث إليه مهرها ليخطبها إلى أبيها]

أخبرني أحمد بن جعفر جحظة قال حدثني محمد بن أحمد بن يحيى المكي قال حدثني أبي
عن فُليح بن أبي العوراء قال : كان بالمدينة فتى يعشق ابنة عم له ، فوعده أن تزوره . وشكا
إلي أنها تأتيه ولا شيء عنده ، فأعطيته ديناراً للنفقة . فلما زارته قالت له : من يُلَهِّئنا ؟ قال :
صديق لي ، ووصفني لها ، ودعاني فأتيته ؛ فكان أول ما غنَّيته : [من الوافر]

مِنَ الخَفِرَاتِ لم تَفْضَحْ أخاها ولم تَرَفَعْ لوالدها سَناراً
فقامت إلى ثوبها فلبسته لتنصرف ؛ فعلق بها وجهد بها كلَّ الجهد في أن تقيم ، فلم تُقيم
وانصرفت . فأقبل عليّ يلومني في أن غنَّيتها ذلك الصوت . فقلت : والله ما هو شيء ؛
اعتمدتُ به مساءً تك ، ولكنه شيء اتَّفَق . قال : فلم نبرح حتى عاد رسولها بعدها ومعه
صرّة فيها ألف دينار ، ودفعها إلى الفتى وقال له : تقول لك ابنة عمك : هذا مهري ادفعه إلى
أبي ، واخطبني ؛ ففعل فتزوّجها .

نسبة هذا الصوت

صوت

وقال¹ : [من الوافر]

مِنَ الخَفِرَاتِ لم تَفْضَحْ أخاها ولم تَرَفَعْ لوالدها سَناراً
كَأَنَّ مَجَامِعَ الأردافِ منها نَقاً درجتُ عليه الریحُ هارا
يعافُ وصالَ ذاتِ البَدَلِ قلبي وأتَّبَع المُنْعَةَ النُّوراً
الشعر لسُليمان بن السُّلَكة السَّعديّ . والغناء لابن سريج رملٌ بالسبابة في مجرى الوسطى .
وفيه لابن الهريذ لحنٌ من رواية بَدَل ، أوَّلُه :

يعافُ وصالَ ذاتِ البَدَلِ قلبي

1 شعر السليمان بن السلوك (جمع حميد آدم تويني وكامل سعيد عواد (مطبعة العاني ، بغداد) : 55 .

وبعده .

[من الوافر]

غَذَاهَا قَارِصٌ يَغْدُو عَلَيْهَا وَمَحْضٌ حِينَ تَنْتَظِرُ الْعِشَارَا

[ورد دمشق على إبراهيم بن المهدي فأخذ عنه جواريه غناء]

أخبرني رضوان بن أحمد قال حدثنا يوسف بن إبراهيم قال حدثنا أبو إسحاق إبراهيم بن المهدي قال : كتب إلي جعفر بن يحيى وأنا عامل للرشيد على جند دمشق : قد قَدِمَ علينا فُليح بن أبي العوراء ، فأفسد علينا بأهزاجه وخفيفه كلَّ غناء سَمِعناه قبله . وأنا محتالٌ لك في تخليصه إليك ، لتستمع به كما استمتعنا . فلم ألبث أن ورد علي فُليح بكتاب الرشيد يأمر له بثلاثة آلاف دينار . فورد علي رجل أذكّرني لقاءه الناس ، وأخبرني أنه قد ناهز المائة ، فأقام عندي ثلاث سنين ، فأخذ عنه جوارِي كلَّ ما كان معه من الغناء ، وانتشرت أغانيه بدمشق .

[غنى موق ألحان فليح بفسطاط مصر]

قال يوسف : ثم قَدِمَ علينا شابٌ من المغنِّين مع علي بن زيد بن الفرَج الحرَّاني ، عند مقدّم عَبَّسة بن إسحاق فُسطاط مصر ، يقال له مُونق ؛ فغنَّاني من غناء فُليح : [من المنسرح]

[صوت]

يَا قُرَّةَ الْعَيْنِ أَقْبَلِي عُنْذِي ضَاقَ بِهِجْرَانِكُمْ صَدْرِي

لَوْ هَلَكَ الْهَجْرُ اسْتِرَاحَ الْهُوَى مَا لَقِيَ الْوَصْلُ مِنَ الْهَجْرِ

ولحنه خفيف رمل ، فلم أرَ بين ما غنَّاه وبين ما سمعته في دار أبي إسحاق فرقا ؛ فسألته من أين أخذه ؟ فقال : أخذته بدمشق ؛ فعلمتُ أنه ممَّا أخذه أهلُ دمشق عن فُليح .

صوت

من المائة المختارة¹

[من الطويل]

وَنَأْيُكَ عَنِّي زَادَ قَلْبِي بِكُمْ وَجَدَا

وَنَافِلَةٌ مَا نَلْتُ مِنْ وَدِّكُمْ رُشْدَا

أَفَاطَمَ إِنَّ النَّأْيَ يَسْلِي ذَوِي الْهُوَى

أَرَى حَرَجًا مَا نَلْتُ مِنْ وَدِّ غَيْرِكُمْ

وما نلتقي من بعد نأي وفرقة
وشحط نوى إلا وجدت له بردا
على كبدٍ قد كاد يُئدي بها الهوى
نُدوباً وبعضُ القوم يحسُّني جُلدا

عروضه من الطويل . النأي : البعد ، ومثله الشحط . والحرج : الضيق ؛ قال الله تعالى : ﴿يَجْعَلُ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا﴾ . والنُدوب : آثار الجراح ، واحدها نَدْبٌ .

الشعر لإبراهيم بن هرمة ، والغناء في اللحن المختار ، على ما ذكره إسحاق ، ليونس الكاتب ، وهو من الثقيل الأول بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى . وذكر يحيى بن علي بن يحيى عن أبيه مثل ذلك . وذكر حبش بن موسى أن الغناء لمرزوق الصراف أو ليحيى بن واصل . وفي هذه الأبيات للهُذلي لحنٌ من خفيف الثقيل الأول بالوسطى على مذهب إسحاق من رواية عمرو بن بانة ، ومن الناس من ينسب اللحنين جميعاً إليه .

[58] - ذكر ابن هرمة وأخباره ونسبه¹

[نسبه]

هو إبراهيم بن علي بن سلمة بن هرمة بن هذيل . هكذا ذكر يعقوب بن السكيت . وأخبرني الحرّميّ بن أبي العلاء عن الزبير بن بكار عن عمّه مُصعب ، وذكر ذلك العباس بن هشام الكلبيّ عن أبيه هشام بن محمد بن السائب ، قالوا جميعاً : هو إبراهيم بن علي بن سلمة بن عامر بن هرمة بن الهذيل بن ربيع بن عامر بن صبيح بن كنانة بن عدّي بن قيس بن الحارث بن فهر ، وفهر أصل قريش ، فمن لم يكن من ولده لم يُعدّ من قريش ، وقد قيل ذلك في النَّضر بن كنانة ، وفهر بن مالك بن النَّضر بن كنانة بن خزيمة بن مُدركة بن إلياس بن مُضَر . قال مَنْ ذكّرنا من النَّسّابين : قيس بن الحارث هو الخُلج ، وكانوا في عدوان ثم انتقلوا إلى بني نصر بن معاوية بن بكر بن هوازن . فلما استخلف عمر بن الخطاب رضي الله عنه أتوه ليفرض لهم ، فأنكر نسبهم . فلما استخلف عثمان أتوه فأثبتهم في بني الحارث بن فهر وجعل لهم معهم ديواناً . وسُموا الخُلج لأنهم اختلجوا ممّن كانوا معه من عدوان ومن بني نصر بن معاوية . وأهل المدينة يقولون : إنّما سُموا الخُلج لأنهم نزلوا بالمدينة على خُلج (وواحدها خليج) فسُموا بذلك . ولهم بالمدينة عدد . قال مُصعب : كان لإبراهيم بن هرمة عمٌ يقال له هرمة² الأعور ، فأرادت الخُلج نفيه منهم ؛ فقال : أمسيتُ الأمّ العرب دعيّ أدعياء . ثم قال يهجوهم³ :

رأيتُ بني فهرٍ سباطاً أكفَّهُم فما بالُ ، أنبوني ، أكفُّكم قُفداً⁴
ولم تُدرِكوا ما أدرك القومُ قبلكم من المجدِ إلاّ دَعوةٌ ألحقتُ كدّاً
على ذي أيادي الدهرِ أفلح جدُّهم وخيبتُم فلم يصرَّع لكم جدُّكم جدّاً⁵

1 ترجمة إبراهيم بن هرمة في الخزانة 1 : 224-226 والسمط : 398 وطبقات ابن المعتز : 20 والموشح : 223 وتهذيب ابن عساكر 2 : 234 وقد أورد ابن حمدون كثيراً من أخباره وشعره في مواضع متفرقة من التذكرة الحمدونية (انظر الفهرس) وقد جمع شعره محمد عبد الجبار المعيد (النحف ، 1969) وهو الذي نعتمده هنا .

2 ل : أبو هرمة .

3 لم ترد هذه الأبيات في ديوان ابن هرمة ولا في الشعر المنسوب له .

4 سباط الأكف : أكفَّهُم طويلة معتدلة كناية عن الكرم . التقفد : ميل في الكف كناية عن البخل .

5 وخيبتُم في ل : وخفتُم .

9 . كتاب الأغاني - ج 4

[نفاه بنو الحارث بن فهر عنهم فعابهم]

وقال يحيى بن عليّ حدّثني أبو أيّوب المدينيّ عن المدائنيّ عن أبي سلّمة الغفاريّ قال : نفى بنو الحارث بن فهر ابنَ هرمة ، فقال¹ :

[من الطويل]

أحارِ بنَ فِهْرِ كيفَ تطرّحونني وجاء العدا من غيرِ كم تبتغي نصري²
قال : فصار من ولدِ فِهْرِ في ساعته .

[كان يقول : أنا الأمّ العرب]

قال يحيى بن عليّ وحدّثني أحمد بن يحيى الكاتب قال حدّثني العباس بن هشام الكلبيّ عن أبيه قال : كان ابن هرمة يقول : أنا الأمّ العرب ، دعِيُ أدعياء : هرمةُ دعِيُ في الخُلج ، والخُلج أدعياء في قريش .

[فصّته مع أسلميّ ضافه]

حدّثني الحرّميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزبير بن بكّار قال حدّثني عمر بن أبي بكر المؤمليّ قال حدّثني عبد الله بن أبي عبيدة بن محمد بن عمّار بن ياسر قال : زرتُ عبد الله بن حسن بياديته وزاره ابن هرمة ، فجاءه رجلٌ من أسلمٍ ؛ فقال ابن هرمة لعبد الله بن حسن : أصلحك الله ! سلّ الأسلميّ أن يأذن لي أن أخبرك خبري وخبره . فقال له عبد الله بن حسن : ائذن له ، فأذن له الأسلميّ . فقال له إبراهيم بن هرمة : إنّي خرجتُ ، أصلحك الله ، أبغي ذوداً لي ، فأوحشتُ³ وضيّفتُ هذا الأسلميّ ، فذبح لي شاةً وخبزاً لي خبزاً وأكرمني ، ثم غدوتُ من عنده ، فأقمتُ ما شاء الله . ثم خرجتُ أيضاً في بُغاء ذوودٍ لي ، فأوحشتُ فضّفته فقراني بلبن وتمر ، ثم غدوتُ من عنده فأقمتُ ما شاء الله . ثم خرجتُ في بُغاء ذوودٍ لي ، فأوحشتُ ، فقلت : لو ضيّفتُ الأسلميّ ! فاللبن والتمر خيرٌ من الطوى ؛ فضفته فجاءني بلبن حامض . فقال : قد أجبتُه ، أصلحك الله ، إلى ما سألتُ ، فسأله أن يأذن لي أن أخبرك لِمَ فعلتُ . فقال له : ائذن له ؛ فأذن له . فقال الأسلميّ : ضافني ، فسألته من هو ؟ فقال : رجلٌ من قريش ، فذبحتُ له الشاة التي ذكر ، والله لو كان غيرها عندي لذبحتُه له حين ذكر أنّه من قريش . ثم غدا من عندي وغدا عليّ الحيّ فقالوا : من كان ضيفك البارحة ؟ قلتُ : رجلٌ من قريش ؛ فقالوا : لا والله ما هو من قريش ، ولكنّه دعِيّ فيها . ثم ضافني الثانية على أنّه دعِيّ في قريش ، فجنّته بلبن وتمر وقلت : دعِيّ قريش خيرٌ من غيره .

1 ديوان ابن هرمة : 126 عن الأغاني .

2 وجاء في ل : وجاني .

3 أوحش الرجل : إذا نفد زاده وجاع .

ثم غدا من عندي وغدا عليّ الحَيُّ فقالوا : مَنْ كان ضيفك البارحة ؟ قلت الرجل الذي زعمتم أنه دَعِيَ في قريش فجنّته بلبن وتمر ؛ فقالوا : لا والله ما هو بدعي في قريش ، ولكنه دَعِيَ أدعياء قريش . ثم جاءني الثالثة ، فقريته لبناً حامضاً ، والله لو كان عندي شرٌّ منه لقرّيته إياه . قال : فانخذل ابن هرمة ، وضجك عبد الله وضجكنا معه .

[لقية ابن ميادة وطلب مهاجته ثم تبين أنه يمزح]

أخبرني الحرّميّ بن أبي العلاء قال حدّثني الزبير قال حدّثني نوفل بن ميمون قال : لقيت ابن ميادة ابن هرمة ، فقال ابن ميادة : والله لقد كنت أحبُّ أن ألك ، لا بدّ من أن نتهاجى ، وقد فعل الناس ذلك قبلاً . فقال ابن هرمة : بئس والله ما دعوت إليه وأحببته ، وهو يظنه جاداً . ثم قال له ابن هرمة : أما والله إنني للذي أقول¹ : [من الطويل]

إني لميمونٌ جيواراً وإنني إذا زجر الطير العدا لمشومٌ
وإني لملان العنان منقيلٌ إذا ما ونى يوماً ألف سووم²
فودّ رجال أن أمي تقنعت بشيب يغشي الرأس وهي عقيم

فقال ابن ميادة : وهل عندك جِراء³ ؟ ثكلتك أمك ! أنت الأم من ذلك ! ما قلت إلا مازحاً .

أخبرنا به وكيع قال حدّثنا محمد بن إسماعيل قال قال عبد العزيز بن عمران : اجتمع ابن هرمة وابن ميادة عند جميع بن عمر بن الوليد ، فقال ابن ميادة لابن هرمة : قد كنت أحبُّ أن ألك . ثم ذكر نحوه .

[أنكر عليه أن تمضغ الناطف مع قدوم وزير فحملة وتلقى به الموكب]

وقال هارون بن محمد بن عبد الملك حدّثنا عليّ بن محمد بن سليمان النوفليّ قال حدّثني أبو سلمة الغفاريّ عن أبيه قال : وفدت على المهديّ في جماعة من أهل المدينة ، وكان فيمن وفد يوسف بن موهب وكان في رجال بني هاشم من بني نوفل ، وكان معنا ابن هرمة ؛ فجلسنا يوماً على دكان قد هبّ لمسجد ولم يسقف ، في عسكر المهديّ ؛ وقد كنا نلقى الوزراء وكبراء السلطان ، وكانوا قد عرفونا ؛ وإذا حيال الدكان رجل بين يديه ناطف يبيعه في يوم شات شديد البرد ، فأقبل إذ ضربه بفأسه فتطاير جُفوفاً ؛ فأقبل ابن هرمة علينا ، فقال ليوسف : يا ابن عمّ رسول الله ، ﷺ ، أما معك درهمٌ نأكل به من هذا الناطف ؟ فقال له : متى عهدتني أحمل

1 ديوان ابن هرمة : 204-205 عن الأغاني .

2 ملان العنان : سريع العدو . منقل : ينقل قوائمه بسرعة . الألف : الثقيل البطيء .

3 الجراء : الفتوة ومثلها الجراية والجري .

الدرهم ! قال : فقلت له : لكنني أنا معي ، فأعطيته درهماً خفيفاً ، فاشترى به ناطفاً على طبقٍ للناطقيّ فجاء بشيء كثير ، فأقبل يتمضغه وحده ويحدثنا ويضحك . فما راعنا إلا موكب أحد الوزراء : أبي عبيد الله أو يعقوب بن داود . ثم أقبلت المطرقة¹ ؛ فقلنا : مالك قاتلك الله ! يهجم علينا هذا وأصحابه ، فيرون الناطف بين أيدينا فيظنون أننا كنا نأكل معك . قال : فوالله ما أحدٌ أولى بالسُّرِّ على أصحابه وتقلد البليّة منك يا ابن عمّ رسول الله ! فضعه بين يديك . قال : اعزّب قبحك الله ! قال : فأنت يا ابن أبي ذرّ ، فزبرته .

قال : فقال : قد علمتُ أنّه لا يُبتلى بهذا إلاّ دعيّ أديءٍ عاضٌ كذا من أمّه . ثم أخذ الطبق في يده فحمّله وتلقّى به الموكب ، فما مرّ به أحدٌ له نباهة إلاّ مازحه ، حتى مضى القوم جميعاً .
[مدح عبد الله حسن فأكرمه]

وقال هارون حدثني أبو حذافة السهمي قال حدثنا إسحاق بن نسطاس قال : كان ابن هرمة مشتهراً² بالبيد ، فأتى عبد الله بن حسن بن حسن وهو بالسيالة³ ، فأنشده مديحاً له . فقام عبد الله إلى غنم كانت له ، فرمى بساجة⁴ عليها فافترت فرقتين ، فقال : اخترت أيهما شئت ، قال : فإمّا أن تكون زادت بواحدة أو نقصت بواحدة على الأخرى . قال : وكانت ثلاثمائة ، وكتب له إلى المدينة بدنانير . فقال له : يا ابن هرمة ، انقل عيالك إلينا يكونوا مع عيالنا . فقال : أفعلُ يا ابن رسول الله ﷺ .

[دعاه صديق وهو يزعم السفر إلى البيد فشرّب حتى حُمِل سكران]

ثم قدّم ابن هرمة المدينة وجَهَرَ عياله لينقلهم إلى عبد الله بن حسن ، واكثرى من رجلٍ من مزيّنة . فبينما هو قد شدّ متاعه وحمله والكري⁵ ينتظره أن يتحمّل ، إذ أتاه صديق له ، فقال : أيّ أبا إسحاق ، عندي والله نبيذٌ يُسقط لحمّ الوجه . فقال : ويحك ! أما ترانا على مثل هذه الحال ! أعلينا يمكن الشراب ! فقال : إنّما هي ثلاثة لا تزدُ عليهن شيئاً . فمضى معه وهم وقوف ينظرون ؛ فلم يزل يشرب حتى مضى من الليل صدرٌ صالح ؛ ثم أتى به وهو سكران ، فطرح في شيق المحمّل وعادلته امرأته ومضوا .

[لامته امرأته على ذلك فأجابها بشعر]

فلماً أسحروا رفع رأسه فقال : أين أنا ؟ فأقبلت عليه امرأته تلومه وتعذله ، وقالت :

- 1 المطرقة : الذين يتقدمون الموكب ويفسحون له الطريق .
- 2 ل : مستهتراً .
- 3 السيالة : موضع قرب المدينة .
- 4 الساجة : هنا واحدة الساج وهو نوع من الخشب .
- 5 الكري : المكاري .

قد أفسد عليك هذا النبيذُ دِينَكَ ودنياك ، فلو تعلّلت عنه بهذه الألبان ! فرفع رأسه إليها وقال¹ :

لا نبتغي لبناً البعيرِ وعندنا ماء الزَّبيبِ وناطفُ المِغْصَارِ
[هو أحد من ختم بهم الشعراء في رأي الأصمعي]

أخبرنا محمد بن خَلْفٍ وكَيْعُ قال حَدَّثَنَا زكريَّا بن يحيى بن خلاد قال : كان الأصمعيّ يقول : خُتِمَ الشعراءُ بابن هرمة ، والحكم الخُضريّ ، وابن ميادة ، وطُفَيْلُ الكِنانيّ ، ومكِينُ العُدْريّ . [رهن رداءه في النبيذ]

قال هارون بن محمد بن عبد الملك حَدَّثَنِي أَبُو حُدَافَةَ السَّهْمِيُّ أَحْمَدُ بن إِسْمَاعِيلَ قال : كان ابن هرمة مُدْمِناً للشَّرابِ مُغْرَمًا به ؛ فَأَتَى أَبَا عمرو بن أَبِي راشد مولى عدوان ؛ فأكرمه وسقاه أياماً ثلاثة . فدعا ابن هرمة بالنبيذ ؛ فقال له غلامٌ لأبي عمرو بن أَبِي راشد : قد نَفَدَ نبيذُنا . فنزع ابن هرمة رداءه عن ظهره فقال للغلام : اذْهَبْ به إلى ابن حونك² (نَبَّأَ كان بالمدينة) ، فارهنه عنده وأتينا بنبيذٍ ، ففعل . وجاء ابن أَبِي راشد ، فجعل يشرب معه من ذلك النبيذ . فقال له : أين رداؤك يا أبا إسحاق ؟ فقال : نصفٌ في القدرح ونصفٌ في بطنك . [مدح محمد بن عمران الطلحي فاحتجب عنه]

قال هارون حَدَّثَنِي محمد بن عمر بن إِسْمَاعِيلَ بن عبد العزيز بن عمر بن عبد الرحمن بن عوف الزُّهريّ قال حَدَّثَنِي عمِّي عبد العزيز بن إِسْمَاعِيلَ قال : مدح ابن هرمة محمد بن عمران الطَّلحيّ ، وبعث إليه بالمدح مع ابن رُبَيْع³ ، فاحتجب عنه ؛ فمدح محمد بن عبد العزيز ، وكان ابن هرمة مريضاً ، فقال قصيدته التي يقول فيها⁴ :

إِنِّي دَعَوْتُكَ إِذْ جُفَيْتُ وَشَفَّنِي
مَرَضٌ تَضَاعَفَنِي شَدِيدُ الْمُشْتَكِي
وَحُسِبْتُ عَنْ طَلَبِ المَعِيشَةِ وَارْتَقْتُ
دُونِي الحَوَائِجُ فِي وَعُورِ المَرْتَقِي
فَأَجِبْ أَخَاكَ فَقَدْ أَنَا فَ بَصَوْتِهِ
يَا ذَا الإِخَاءِ وَيَا كَرِيمَ المُرْتَجِي
وَلَقَدْ حُفَيْتَ صَبِيبَ عَكَّةَ بَيْنَنَا
ذَوْبًا وَمِزْتُ بِصَفْوِهِ عَنْكَ القَدَى⁵

1 ديوان ابن هرمة : 130 عن الأغاني

2 ل : ابن حوقل .

3 هو رواية ابن هرمة .

4 ديوان ابن هرمة : 54 عن الأغاني .

5 حفيت في ل : حبيت . وحبيت وحفت بمعنى أعطيت . ذوباً : عسلاً .

فَحَذِرِ الْغَيْمَةَ وَاعْتَمِنِي إِنَّنِي غُنْمٌ لِمَثَلِكَ وَالْمَكَارِمُ تُشْتَرَى
لَا تَرْمِيَنَّ بِحَاجَتِي وَقَضَائِهَا ضَرَحَ الْحِجَابِ كَمَا رَمَى بِي مَنْ رَمَى

فركب إلى جعفر بن سليمان نصف النهار ؛ فقال : ما نزعك¹ يا أبا عبد الله في هذا الوقت ؟ قال : حاجة لم أر فيها أحداً أكفى مني . قال : وما هي ؟ قال : قد مدحني ابن هرمة بهذه الأبيات ، فأردت من أرزاقى مائة دينار . قال : ومن عندي مثلها قال : ومن الأمير أيضاً ! قال : فجاءت المائتا الدينار إلى ابن هرمة ، فما أنفق منها إلا ديناراً واحداً حتى مات . وورث الباقي أهله .

[طلب من أبي جعفر أن يخال له في إباحة الشراب]

وقال أحمد بن أبي خيثمة عن أبي الحسن المدائني قال : امتدح ابن هرمة أبا جعفر فوصله بعشرة آلاف درهم . فقال : لا تقع مني هذه . قال : ويحك ! إنها كثيرة . قال : إن أردت أن تهينني فأبح لي الشراب فإنني مغرم به . فقال : ويحك ! هذا حد من حدود الله . قال : احتل لي يا أمير المؤمنين . قال نعم . فكتب إلى والي المدينة : من أتاك بابن هرمة سكران فاضربه مائة واضرب ابن هرمة ثمانين . قال : فجعل الجلواز² إذا مرّ بابن هرمة سكران ، قال : من يشتري الثمانين بالمائة ! .

[امتدح الحسن بن زيد وعرض بعبد الله بن حسن وأخويه]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدثني أبو زيد عمر بن شبة قال حدثنا أبو سلمة الغفاري قال أخبرنا ابن ربيع راوية ابن هرمة قال : أصابت ابن هرمة أزمة ؛ فقال لي في يوم حار : اذهب فتكار حمارين إلى ستة أميال ، ولم يُسمّ موضعاً . فركب واحداً وركبت واحداً ، ثم سيرنا حتى صيرنا إلى قصور الحسن بن زيد ببطحاء ابن أزر ، فدخلنا مسجده . فلما مالت الشمس خرج علينا مُستملاً على قميصه ، فقال لمولّي له : أذن فأذن ، ولم يكلّمنا كلمة . ثم قال له : أقم فأقام ، فصلّى بنا ، ثم أقبل علي ابن هرمة فقال : مرحباً بك يا أبا إسحاق ، حاجتك ؟ قال : نعم ، بأبي أنت وأمي ، أبيات قلتها ، وقد كان عبد الله وحسن وإبراهيم بنو حسن بن حسن وعدوه شيئاً فأخلفوه ، فقال : هاتها . فقال³ : [من البسيط]

أَمَا بَنُو هَاشِمٍ حَوْلِي فَقَدْ قَرَعُوا نَبَلَ الضُّبَابِ الَّتِي جَمَعْتُ فِي قَرْنٍ⁴

1 ما نزعك : ما حرّكك من مكانك .

2 الجلواز : الشرطي .

3 ديوان ابن هرمة : 230-233 .

4 الضباب هنا : الأحقاد . أي أنتهم أظهروا حقدهم وعداوتهم وأنا كتمتها .

فَمَا يَبْتَرِبَ مِنْهُمْ مَنْ أَعَاتِبُهُ إِلَّا عَوَائِدَ أَرْجُوهُنَّ مِنْ حَسَنِ
اللَّهُ أَعْطَاكَ فَضْلًا مِنْ عَطِيَّتِهِ عَلَى هُنَّ وَهْنٍ فِيمَا مَضَى وَهْنٍ¹

قال : حاجتك ! قال : لابن أبي مُضَرَّسٍ عَلِيٍّ خَمْسُونَ وَمِائَةٌ دِينَارٍ . قال : فقال لمولى له : يا هَيْثَمُ ، اركب هذه البغلة فَأَتِنِي بِابْنِ أَبِي مُضَرَّسٍ وَذِكْرُ حَقِّهِ² . قال : فما صَلَّيْنَا العَصْرَ حَتَّى جَاءَ بِهِ . فقال له : مرحباً بك يا ابن أبي مُضَرَّسٍ ، أَمَعَكَ ذِكْرُ حَقِّكَ عَلَى ابْنِ هِرْمَةَ ؟ قال نعم . قال : فامحُه ، فمحاها . ثم قال : يا هَيْثَمُ ، بع ابن أبي مُضَرَّسٍ مِنْ تَمْرِ الخَانَقِينَ³ بِمِائَةٍ وَخَمْسِينَ دِينَاراً وَزِدْهُ عَلَى كُلِّ دِينَارٍ رِيعَ دِينَارٍ ، وَكِلِ ابْنَ هِرْمَةَ بِخَمْسِينَ وَمِائَةً دِينَارٍ تَمْرًا ، وَكِلِ ابْنَ رُيَيْحٍ بِثَلَاثِينَ دِينَارًا تَمْرًا . قال : فانصرفنا من عنده ؛ فَلَقِيَهُ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حَسَنِ بِالسَّيَالَةِ ، وَقَدْ بَلَغَهُ الشَّعْرُ ، فَغَضِبَ لِأَبِيهِ وَعُصُومَتِهِ فَقَالَ : أَيُّ مَاصٍ بَطَّرَ أُمَّهُ ! أَنْتَ القَائِلُ :

عَلَى هُنَّ وَهْنٍ فِيمَا مَضَى وَهْنٍ

فقال : لا والله ! ولكنني الذي أقول لك⁴ :

[من البسيط]

لَا وَالَّذِي أَنْتَ مِنْهُ نِعْمَةٌ سَلَفْتُ نَرْجُو عَوَاقِبَهَا فِي آخِرِ الزَّمَنِ
لَقَدْ أَتَيْتُ بِأَمْرِ مَا عَمَدْتُ لَهُ وَلَا تَعَمِّدْهُ قَوْلِي وَلَا سَنِّي
فَكَيْفَ أَمْشِي مَعَ الْأَقْوَامِ مَعْتَدِلًا وَقَدْ رَمَيْتُ بَرِيءَ الْعُودِ بِالْأَبْنِ⁵
مَا غَيَّرْتُ وَجْهَهُ أَمْ مُهَجَّنَةٌ إِذَا الْقَتَامُ تَغَشَّى أَوْجُهُ المُهْجُنِ
قال : وَأَمَّ الحَسَنُ أُمَّ وَوَلَدَ .

[لما عرض بعبد الله بن حسن وإخوته قطع عنه ما كان يجريه عليه]

قال هارون : فحدثني حماد بن إسحاق عن أبيه عن أيوب بن عباة قال : لما قال ابن هرمة هذا الشعر في حسن بن زيد ، قال عبد الله بن حسن : والله ما أراد الفاسق غيري وغير أخوي : حسن وإبراهيم . وكان عبد الله يُجْرِي عَلَى ابْنِ هِرْمَةَ رِزْقًا فَقَطَعَهُ عَنْهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ . فَأَنَاهُ يَعْتَذِرُ ، فَنَحِّيَ وَطَرِدَ ؛ فَسَأَلَ رِجَالًا أَنْ يَكْلُمُوهُ ، فَردَّهم ؛ فبِئْسَ مِنْ رِضَاهُ وَاجْتِنَابِهِ وَخَافَهُ . فَمَكَثَ مَا شَاءَ اللَّهُ ، ثُمَّ مَرَّ عَشِيَّةً وَعَبَدَ اللَّهُ عَلَى زَرْبِيَّةٍ فِي مَرِّ المُنْبَرِ ، وَلَمْ تَكُنْ تُبَسِّطُ

1 هن : كلمة يكتن بها عن الاسم . وكررها ثلاثاً لأنَّه أراد ثلاثة أشخاص .

2 ذكر الحق : الصك الذي يكتب فيه الدَّين .

3 الخانقان : موضع بالمدينة .

4 ديوان ابن هرمة : 234-235 .

5 الأبْن : جمع أبنة وهي العقدة في العود تفسده . ويقال : ليس في حسب فلان أبنة أي عيب .

لأحدٍ غيره في ذلك المكان . فلَمَّا رأى عبد الله تضاءلَ وتَقَفَّدَ وتصاغرَ وأسرعَ المشيَ . فكأنَّ عبد الله رَقَّ له ، فأمر به فَرُدَّ عليه ، فقال : يا فاسقُ ، يا شاربَ الخمر ، على هَنٍ وهَنٍ ! أتُفَضِّلُ الحسنَ عليَّ وعلى أخويَّ ! فقال : بأبي أنت وأُمِّي ! وربِّ هذا القبر ما عَنَيْتُ إلاَّ فرعونَ وهامانَ وقارونَ ، أفتَغَضِبُ لهم ! فضجَّك وقال : والله ما أحسبُك إلاَّ كاذبًا . قال : والله ما كذبتُك . فأمر بأن تُرَدَّ عليه جِرايته .

أخبرني يحيى بن عليٍّ إجازةً قال أخبرني أبو أيُّوبَ المدنيُّ عن مُصعب قال : إنَّما اعتذر ابن هرمة بهذا إلى محمد بن عبد الله بن حسن .

[قصيدة له خالية من الحروف المعجمة]

قال يحيى : وأخبرني أبو أيُّوبَ عن عليِّ بن صالح قال¹ : أنشدني عامر بن صالح قصيدة لابن هرمة نحواً من أربعين بيتاً ، ليس فيها حرف يُعجم ؛ وذكر هذه الأبيات منها . ولم أجد هذه القصيدة في شعر ابن هرمة ، ولا كنتُ أظنُّ أنَّ أحدًا تقدَّم رُزِيناً العروضيَّ إلى هذا الباب . وأولها :

أرْسَمُ سَوْدَةَ أَمْسَى دَارِسَ الطَّلَلِ مُعْطَلًا رَدَّهُ الْأَحْوَالُ كَالْحَلَلِ

هكذا ذكر يحيى بن عليٍّ في خبره أنَّ القصيدة نحوٌ من أربعين بيتاً ؛ ووجدتها في رواية الأَصمعيِّ ويعقوب بن السُّكَيْتِ اثني عشر بيتاً ، فنسختها هاهنا للحاجة إلى ذلك . وليس فيها حرف يُعجم إلاَّ ما اصطُحَّح عليه الكُتَّاب من تصييرهم مكانَ أَلْفٍ ياءٍ مِثْلَ «أَعْلَى» فإنَّها في اللفظ بالألف وهي تكتب بالياء ، ومثل «رَأَى» ونحو هذا ، وهو في التحقيق في اللفظ بالألف ، وإنَّما اصطُحَّح الكُتَّاب على كتابته بالياء كما ذكرناه . والقصيدة : [من البسيط]

أرْسَمُ سَوْدَةَ مَحَلُّ دَارِسُ الطَّلَلِ مُعْطَلٌ رَدَّهُ الْأَحْوَالُ كَالْحَلَلِ

لَمَّا رَأَى أَهْلَهَا سَدَّوْا مَطَالِعَهَا رَامَ الصُّدُودَ وَعَادَ الْوُدَّ كَالْمُهَلِّ

وَعَادَ وُدُّكَ دَاءٌ لَا دَوَاءَ لَهُ وَلَوْ دَعَاكَ طَوَالَ الدَّهْرِ لِلرَّحْلِ

مَا وَصَلُ سَوْدَةَ إِلَّا وَصَلُ صَارِمَةٍ أَحَلَّهَا الدَّهْرُ دَارًا مَأْكَلِ الوَعْلِ

وَعَادَ أَمْوَاهُهَا سُدْمًا² وَطَارَ لَهَا سَهْمٌ دَعَا أَهْلَهَا لِلصُّرْمِ وَالْعَلْلِ

صَدَّوْا وَصَدَّ وَسَاءَ المرءُ صَدَّهُمْ وَحَامَ لِلوَرْدِ رَدَّهُا حَوْمَةَ الْعَلْلِ

حومة الماء ، كثرته وغمرته . والعلل : الشُّربُ الثاني . والرَّدَّةُ : مستتَقِعُ الماء .

1 ديوان ابن هرمة : 179-181 عن الأغاني .

2 سُدْمًا : متغيرة .

وَحَلَّوْهُ رِدَاهَا مَاوَهَا عَسَلٌ ما ماء رَدِه لَعَمْرُ اللَّهِ كَالْعَسَلِ
دَعَا الْحَمَامُ حَمَامًا سَدًّا مَسْمَعَهُ لَمَّا دَعَاه رَأه طَامِحَ الْأَمَلِ
طُمُوحَ سَارِحَةٍ حَوْمٍ مُلْمَعَةٍ وَمُزْرَعُ السَّرِّ سَهْلٌ مَا كَيْدُ السَّهْلِ¹
وَحَاوَلُوا رَدَّ أَمْرٍ لَا مَرَدَّ لَهُ وَالصُّرْمُ دَاءٌ لِأَهْلِ اللَّوْعَةِ الْوُصْلِ
أَحَلَّكَ اللَّهُ أَعْلَى كُلِّ مَكْرُمَةٍ وَاللَّهُ أَعْطَاكَ أَعْلَى صَالِحِ الْعَمَلِ
سَهْلٌ مَوَارِدُهُ سَمَحٌ مَوَاعِدُهُ مُسَوِّدٌ لِكِرَامٍ سَادَةِ حُمَلِ

[عاب المسور بن عبد الملك شعره]

قال يحيى بن عليّ وحدثني أبو أيوب المدنيّ عن أبي حذيفة قال : كان المسور بن عبد الملك المخزوميّ يعيب شعر ابن هرمة ، وكان المسور هذا عالماً بالشعر والنسب ؛ فقال ابن هرمة فيه² :

إِيَّاكَ لَا الزَّمَنَ لَحْيِيكَ مِنْ لُجْمِي نِكْلًا يُنَكِّلُ قَرَّاصًا مِنَ اللُّجْمِ
يَدُقُّ لَحْيِيكَ أَوْ تَنْقَادَ مُتَبِعًا مَشِيَّ الْقَيْدِ ذِي الْقِرْدَانِ وَالْحَلْمِ
إِنِّي إِذَا مَا امْرُؤٌ خَفَّتْ نَعَامَتُهُ إِلَيَّ وَاسْتَحْصَدْتُ مِنْهُ قُوَى الْوَدَمِ³
عَقَدْتُ فِي مُلْتَقَى أوداجِ لَبَّتِهِ طَوِقَ الْحَمَامَةِ لَا يَبْلَى عَلَى الْقِدَمِ
إِنِّي امْرُؤٌ لَا أَصُوغُ الْحَلِيَّ تَعْمَلُهُ كَفَّايَ لَكِنِ لِسَانِي صَائِغُ الْكَلِمِ
إِنَّ الْأَدِيمَ الَّذِي أَمْسَيْتَ تَقَرُّطُهُ جَهْلًا لَذُو نَعْلٍ بَادٍ وَذُو حَلْمِ⁴
وَلَا يَعْطُ بِأَيْدِي الْخَالِقِينَ وَلَا أَيْدِي الْخَوَالِقِ إِلَّا جَيِّدُ الْأَدَمِ

[عاب عبد الله بن مصعب في تفضيله ابن أذينة عليه]

قال يحيى وحدثني أبو أيوب عن مصعب بن عبد الله عن أبيه قال : لقيني ابن هرمة فقال لي : يا ابن مصعب ، أتفضل عليّ قول ابن أذينة ! أما شكرت قولي⁵ :

فَمَا لَكَ مُخْتَلًا عَلَيْكَ خِصَاصَةٌ كَأَنَّكَ لَمْ تَنْبُتْ بِيَعُضِ الْمَنَابِتِ

1 السارحة : الماشية . الحوم : القطيع الضخم . الملمع : الذي في جسده بقع تخالف لونه . السر هنا : بطن الوادي . الماكذ : الدائم غير المنقطع .

2 ديوان ابن هرمة : 214 .

3 استحصدت قواها : أحكم فتلها . الودم : سيور مستطيلة .

4 نغل : فساد ، والحلم : فساد في الجلد .

5 ديوان ابن هرمة : 74 .

كَأَنَّكَ لَمْ تَصْحَبْ شُعَيْبَ بْنَ جَعْفَرٍ وَلَا مُصْعَبًا ذَا الْمَكْرُمَاتِ ابْنَ ثَابِتٍ
يعني مُصْعَبَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ ، قَالَ : فَقُلْتُ : يَا أَبَا إِسْحَاقَ ، أَقْلَنِي وَرَوِّئِي مِنْ شَعْرِكَ مَا
شِئْتُ ؛ فَإِنِّي لَمْ أَرَوْ لَكَ شَيْئًا . فَرَوَّأَنِي عَبَّاسِيَّاتَهُ تِلْكَ .

[تناوّه على إبراهيم بن عبد الله وإبراهيم بن طلحة لإكرامهما له]

قَالَ يَحْيَى : وَأَخْبَرَنِي أَبُو أَيُّوبَ الْمَدِينِيُّ عَنْ مُصْعَبِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ عَنْ مُصْعَبِ بْنِ عَثْمَانَ قَالَ :
قَالَ ابْنُ هَرْمَةَ¹ : مَا رَأَيْتُ أَحَدًا قَطُّ أَسْخَى وَلَا أَكْرَمَ مِنْ رَجُلَيْنِ : إِبْرَاهِيمَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُطِيعٍ ،
وَإِبْرَاهِيمَ بْنَ طَلْحَةَ بْنِ عَمْرٍو بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَعْمَرٍ . أَمَّا إِبْرَاهِيمُ بْنُ طَلْحَةَ فَأَتَيْتُهُ فَقَالَ : أَحْسِنُوا
ضِيَافَةَ أَبِي إِسْحَاقَ ، فَأَتَيْتُ بِكُلِّ شَيْءٍ مِنَ الطَّعَامِ ، فَأَرَدْتُ أَنْ أَنْشِدَهُ ؛ فَقَالَ : لَيْسَ هَذَا وَقْتُ
الشَّعْرِ . ثُمَّ أَخْرَجَ الْغُلَامَ إِلَيَّ رُقْعَةً فَقَالَ : ائْتِ بِهَا الْوَكِيلَ . فَأَتَيْتُ بِهَا ، فَقَالَ : إِنَّ شِئْتَ أَخَذْتُ
لَكَ جَمِيعَ مَا كَتَبَ بِهِ ، وَإِنْ شِئْتَ أُعْطَيْتُكَ الْقِيَمَةَ . قُلْتُ : وَمَا أَمْرِي بِهِ ؟ فَقَالَ : مَا تَنَا شَاةَ
بِرَعَائِهَا وَأَرْبَعَةَ أَجْمَالٍ وَغُلَامٌ جَمَالٌ وَمِظْلَةٌ وَمَا تَحْتَاجُ إِلَيْهِ ، وَقُوْتُكَ وَقُوْتُ عِيَالِكَ سَنَةً . قُلْتُ :
فَأَعْطَيْتَنِي الْقِيَمَةَ ؛ فَأَعْطَانِي مَائَتِي دِينَارٍ . وَأَمَّا إِبْرَاهِيمُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ فَأَتَيْتُهُ فِي مَنْزِلِهِ بِمِشَاشٍ² عَلَى بَشْرٍ
ابْنِ الْوَلِيدِ بْنِ عَثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ ؛ فَدَخَلَ إِلَى مَنْزِلِهِ ثُمَّ خَرَجَ إِلَيَّ بِرُزْمَةٍ مِنْ ثِيَابٍ وَصُرَّةٍ مِنْ دِرَاهِمٍ
وَدِنَانِيرٍ وَحُلِيِّ ، ثُمَّ قَالَ : لَا وَاللَّهِ مَا بَقِينَا فِي مَنْزِلِنَا ثَوْبًا إِلَّا ثَوْبًا نَوَارِي بِهِ امْرَأَةً ، وَلَا حَلِيًّا وَلَا دِينَارًا
وَلَا دِرْهَمًا . وَقَالَ يَمْدَحُ إِبْرَاهِيمَ³ :

[من الخفيف]

أَرْقَنْتَنِي تَلُومُنِي أُمُّ بَكْرٍ	بعد هدء ⁴ واللوم قد يؤذيني
حَدَّرْتَنِي الزَّمَانَ ثَمَّتْ قَالَتْ	ليس هذا الزمان بالأمون
قُلْتُ لَمَّا هَبَّتْ تُحَدِّرُنِي الدَّهْ	رَدَعِي اللومَ عنك واستبقيني
إِنَّ ذَا الْجُودِ وَالْمَكَارِمِ إِبْرَا	هيمَ يعنيه كلُّ ما يعنيني
قَدْ خَبَرَنَاهُ فِي الْقَدِيمِ فَأَلْفَيْ	سنا مواعيدَه كعَيْنِ اليقينِ
قُلْتُ مَا قُلْتُ لِلَّذِي هُوَ حَقٌّ	مستبينٌ لا لِلَّذِي يُعْطِينِي
نَضَحْتُ أَرْضَنَا سَمَاوِكَ بَعْدَ الْ	جَدْبِ مِنْهَا وَبَعْدَ سُوءِ الظَّنُونِ
فَرَعَيْنَا آثَارَ غَيْثٍ هَرَأَقَتْ	هُ يَدَا مُحْكَمِ الْقُوَى مِمْمُونِ

1 هذا الخبر مما أورده ابن حمدون في التذكرة 2 : 296 (رقم 770) .

2 مشاش : موضع .

3 ديوان ابن هرمة : 239-240 .

4 ل : فتر .

[طلب من محمد بن عمران علناً فأعطاه كل ما ورده]

وقال هارون حدثنا حماد عن عبد الله بن إبراهيم الحَجَبِيِّ : أن إبلاً لمحمد بن عمران تحمل علناً مرّت بمحمد بن عبد العزيز الزُّهْرِيِّ ومعه ابن هرمة ، فقال : يا أبا إسحاق ، ألا تستعلف محمد بن عمران ! وهو يريد أن يُعرّضه لمنعه فيهبجوه . فأرسل ابن هرمة في أثر الحُمولة رسولاً حتى وقف على ابن عمران ، فأبلغه رسالته ؛ فردّ إليه الإبل بما عليها ، وقال : إن احتجت إلى غيرها زدناك . فأقبل ابن هرمة على محمد بن عبد العزيز فقال له : اغسلها عني ، فإنه إن علم أنني استعلفته ولا دابة لي وقعت منه في سؤاة . قال : بماذا ؟ قال : تُعطيني حمارك . قال : هو لك بسرّجه ولجامه . فقال ابن هرمة : من حفر حفرة سوء وقع فيها¹ .

[وفد على السري بن عبد الله باليمامة ومدحه فأكرمه وكان يحب أن يقد عليه]

أخبرني الحرْمِيُّ بن أبي العلاء قال حدثنا الزُّبَيْر بن بَكَّار قال حدثنا أبو يحيى هارون بن عبد الله الزُّهْرِيُّ عن ابن زُرَيْق ، وكان منقطعاً إلى أبي العباس بن محمد وكان من أروى الناس ، قال : كنت مع السري بن عبد الله باليمامة ، وكان يتشوق إلى إبراهيم بن علي بن هرمة ويُحِبُّ أن يقد عليه ؛ فأقول : ما يمنعك أن تكتب إليه ؟ فيقول : أخاف أن يكلفني من المؤونة ما لا أطيق . فكنت² أكتب بذلك إلى ابن هرمة ، فكره أن يقدم عليه إلا بكتاب منه ؛ ثم طلب فشخص إليه ، فنزل عليّ ومعه راويته ابن ربيع . فقلت له : ما منعك من القدوم على الأمير وهو من الحرص على قدومك على ما كتبت به إليك ؟ قال : الذي منعه من الكتاب إليّ . فدخلت على السري فأخبرته بقدومه ؛ فسرّ بذلك وجلس للناس مجلساً عاماً ، ثم أذن لابن هرمة فدخل عليه ومعه راويته ابن ربيع . وكان ابن هرمة قصيراً دميماً أرميصاً³ ، وكان ابن ربيع طويلاً جسيماً نقي الثياب . فسلم على السري ثم قال له : أصلحك الله ! إنني قد قلت شعراً أثبت فيه عليك . فقال : أنشد ؛ فقال : هذا يُنشد فجلس . فأنشده ابن ربيع قصيدته التي أولها⁴ :

[من البسيط]

عُوجاً على رُبْعٍ لَيْلَى أُمُّ مُحَمَّدٍ كَيْمًا نُسَائِلُهُ مَنْ دُونَ عَبُودٍ⁵

1 المثل رقم 4002 في مجمع الميداني : «من حفر مغواة وقع فيها» والمغواة حفر تغطى للضبع والذئب وفي مستقصى الرمخشري 2 : 354 «من حفر لأخيه جبا وقع فيه منكبا» .

2 ل : فقلت .

3 أرميص : تصغير أرمص والرمص : ما يسيل من العين .

4 ديوان ابن هرمة : 101-103 .

5 عبود : جبل قريب من المدينة .

لعلّ ذلك يَشْفِي داءَ مَعمودِ
شمسُ النهارِ ولاذِ الظِّلِّ بِالْعُودِ¹
قَفَرٍ جواباً لِمَحزُونِ الجوى مُودِي²

بالعُرفِ مُتِنا حليفُ المجدِ والجودِ
لِسَبِّ عُرفِكَ يَعْمِدُ خَيْرَ مَعمودِ
والمُطعمينَ ذرى الكُومِ المَقاحيدِ³
سَبَقَ الجِبادِ إلى غاياتها القُودِ⁴
بطحاءِ مَكَّةَ لا روسُ القَراديدِ⁵
قد حازها والدُّ منكمْ لمولودِ
أجوازَ مَهْمَهةٍ قَفَرِ الصُّوى بيدِ
من نحو أَرْضِكَ في دُهمٍ مَناضيدِ⁶

[من الطويل]

وقفتَ وماءِ العينِ يَنْهَلُ هامِلُهُ
بسلمي نَوَى شَحَطُ فَكيف تُسائلُهُ
جواباً مُجِيلٌ قد تَحَمَّلَ آهْلُهُ
عَفْتَهُ ذِيولِ من شَمالٍ تُدائِلُهُ

[من الطويل]

مديحاً إذا ما بُثَّ صُدُقَ قائلُهُ

عن أمِّ محمودَ إذ شَطَّ المَزارُ بها
فَعَرَّجا بعدَ تَغويرٍ وقد وقفتُ
شيئاً فما رَجَعْتَ أَطلالُ منزلةِ
ثم قال فيها يمدح السريّ :

ذاك السَّرِيُّ الذي لولا تَدَفُّقُهُ
مَنْ يَعْتَمِدُكَ ابنَ عبدِ اللهِ مجتدياً
يا ابنَ الأَساةِ الشَّفاعةِ المُسْتَعاثِ بهمُ
والسَّابِقينَ إلى الخيراتِ قومَهُمُ
أنتَ ابنُ مُسَلِّطِحِ البطحاءِ مَنبِتِكُمْ
لَكُمْ سِقائِيها قِدماً وَندَوْتُها
لولا رجاؤُكْ لم تَعَسِفْ بنا قُلُصُ
لكنْ دَعاني وميضٌ لاحِ معترضاً

وأشده أيضاً قصيدة مدحه فيها ، أولها⁷ :

أفي طَلَلِ قَفَرٍ تَحَمَّلَ آهْلُهُ
تُسائلُ عن سَلْمى سَفاهاً وقد نأتُ
وترجو ولم يَنْطِقْ وليس بناطِقِ
ونَوِي كحَطِّ النونِ ما إن تَبِينُهُ

ثم قال فيها يمدح السريّ :

فَقُلْ للسَّرِيِّ الواصلِ البرِّ ذِي الندى

1 تغوير في ل : تعويق .

2 مودي : هالك .

3 المقاحيد : النوق العظيمة السنام .

4 القود : الخيل الطويلة العنق .

5 القرايد : الأراضي الغليظة المرتفعة .

6 الدهم المنازيد : السحاب الأسود المتراكب .

7 ديوان ابن هرمة 174-175 عن الأغاني .

جوادٌ على العِلاتِ يَهْتَرُ لِلنَّدى
نَفَى الظُّلْمَ عن أهلِ اليمامةِ عدله
وناموا بأمنٍ بعد خوفٍ وشِدَّةِ
وقد عَلِمَ المعروفُ أَنَّكَ خِدْنُهُ
بك اللهُ أحياءَ أرضِ حَجَرٍ وغيرِها
وأنت تُرَجِّى لِلذِّي أنتُ أهلهُ
وأنشده أيضاً مما مدحه به قوله :

عُوجاً نُحْيِي الطُّلُولَ بالكُتِّبِ¹

يقول فيها يمدحه² :

[من المنسرح]

دَعُ عَنْكَ سَلْمَى وَقُلْ مُحَبَّرَةٌ
مَحْضُ مُصَفَّى العُرُوقِ يَحْمَدُهُ
الواهبِ الخَيْلِ فِي أَعْتَبَتِهَا
مَجْداً وَحَمْداً يُفِيدُهُ كَرَمًا
لِمَاجِدِ العَجْدِ طَيِّبِ النِّسَبِ
فِي العُسْرِ وَالْيُسْرِ كُلُّ مُرْتَعِبِ
وَالوُصَفَاءِ الحِسانِ كَالذَّهَبِ
وَالحَمْدُ فِي النّاسِ خَيْرٌ مُكْتَسَبِ

قال : فلما فرغ ابن رُبيح ، قال السَّرِيِّ لابن هرمة : مرحباً بك يا أبا إسحاق ! ما حاجتك ؟
قال : جئتك عبداً مملوكاً . قال : لا ! بل حُرّاً كريماً وابن عمّ ، فما ذاك ؟ قال : ما تركتُ لي مالاً
إلا رهنته ، ولا صديقاً إلا كلّفته ، قال أبو يحيى : يقول لي ابن زُرَيْقٍ : حتّى كأنّ له دِياناً وعليه
مالاً ، فقال له السَّرِيِّ : وما دَيْتُكَ ؟ قال : سبعمائة دينار . قال : قد قضاه الله عزّ وجلّ عنك .
قال : فأقام أياماً ، ثم قال لي : قد اشتقتُ . فقلت له : قل شعراً تَشَوِّقُ فيه . فقال قصيدته التي
يقول فيها³ :

[من البسيط]

أألحمامةٌ في نخل ابن هَدَاجِ
أمّ المُخَبَّرِ أنّ الغَيْثَ قد وَضَعَتْ
هاجَتِ صِباةً عاني القلبِ مُهْتَاجِ
منه العِشارُ تماماً غيرَ إخْداجِ
إلى الأعارِفِ من حَزْنٍ وأولاجِ⁴
شَقَّتْ سَوائِفُها بالفَرَشِ من مَلَلِ

1 الكتب : موضع بديار طييء .

2 ديوانه : 68 .

3 ديوان ابن هرمة : 76-78 .

4 الفرش : اسم واد . ملل : موضع . الأعارف : جبال باليمامة . أولاج : جمع ولجة وهي ما غمض من الأرض .

حتى كأنَّ وجوهَ الأرضِ مُلبَّسةٌ طرائفاً من سدى عَصَبٍ ودياج

[من البسيط] وهي طويلة مختارة من شعره ، يقول فيها يمدح السريّ :

أَمَّا السَّرِيُّ فَإِنِّي سَوْفَ أَمَدُّهُ مَا الْمَادِحُ الذَّاكِرُ الْإِحْسَانَ كَالهَاجِي
ذَاقَ الَّذِي هُوَ بَعْدَ اللَّهِ أَنْقَذَنِي فَلَسْتُ أَنْسَاهُ إِنْقَازِي وَإِخْرَاجِي
لَيْتُ بَحَجْرٍ إِذَا مَا هَاجَهُ فَرَعٌ هَاجَ إِلَيْهِ بِالْجَامِ وَإِسْرَاجِ
لَأَحْبُوتُكَ مِمَّا أَصْطَفَيْتَنِي مِدْحًا مُصَاحِبَاتٍ لِعُمَّارٍ وَحُجَّاجِ
أَسْدَى الصَّنِيعَةَ مِنْ بَرٍّ وَمَنْ لَطْفِي إِلَى قَرُوعِ لِبَابِ الْمَلِكِ وَالْأَجِ
كَمْ مِنْ يَدٍ لَكَ فِي الْأَقْوَامِ قَدْ سَلَفَتْ عِنْدَ امْرِئٍ ذِي غِنًى أَوْ عِنْدَ مُحْتَاجِ

فأمر له بسبعمائة دينار في قضاء دينه ، ومائة دينار يتجهز بها ، ومائة دينار يُعْرَضُ بها أهله ، ومائة دينار إذا قَدِمَ على أهله .

قوله : «يُعْرَضُ بها أهله» أي يُهدي لهم بها هدية ، والعُرَاضَةُ : الهدية . قال الفرزدق يهجو هشام بن عبد الملك¹ :

كَانَتْ عُرَاضَتُكَ الَّتِي عَرَّضْتَنَا [أُنْكَرَ شِعْرًا لَهُ فِي بَنِي فَاطِمَةَ خَوْفًا مِنَ الْعَبَّاسِيِّينَ]

أَخْبَرَنِي الْحَرْمِيُّ قَالَ حَدَّثَنَا الزُّبَيْرُ قَالَ حَدَّثَنِي نَوْفَلُ بْنُ مَيْمُونٍ قَالَ أَخْبَرَنِي أَبُو مَالِكٍ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ هَرْمَةَ قَالَ : قَالَ ابْنُ هَرْمَةَ² :

وَمَهُمَا الْأُمُّ عَلَى حُبِّهِمْ فَإِنِّي أُحِبُّ بَنِي فَاطِمَةَ
بَنِي بِنْتٍ مَنْ جَاءَ بِالْمُحْكَمَاتِ وَالذِّينِ وَالسُّنَّةِ الْقَائِمَةِ

فلقيه بعد ذلك رجلٌ فسأله : مَنْ قائلها ؟ فقال : مَنْ عَضَّ بَطْرَ أُمِّهِ . فقال له ابنه : يَا أبتِ ، أَلَسْتَ قَائِلَهَا ؟ قَالَ بلى . قَالَ : فَلِمَ شَتَمْتَ نَفْسَكَ ؟ قَالَ : أَلَيْسَ أَنْ يَعَضَّ الْمَرْءُ بَطْرَ أُمِّهِ خَيْرًا مِنْ أَنْ يَأْخُذَهُ ابْنُ قَحْطَبَةَ !

[خبره مع رجل يتجر بعرض ابنته]

أَخْبَرَنَا الْحَرْمِيُّ قَالَ حَدَّثَنَا الزُّبَيْرُ قَالَ حَدَّثَنَا جَعْفَرُ بْنُ مُدْرِكِ الْجَعْدِيِّ قَالَ : جَاءَ ابْنُ هَرْمَةَ إِلَى رَجُلٍ كَانَ بِسُوقِ النَّبْطِ ، مَعَهُ زَوْجَةٌ لَهُ وَابْنَتَانِ كَانَتْهُمَا ظَبْيَتَانِ يَقُودُ عَلَيْهِمَا ، بِمَالٍ فَدَفَعَهُ إِلَيْهِ ،

1 لم نثر على هذا البيت في ديوان الفرزدق .

2 ديوان ابن هرمة : 203-204 .

فكان يشتري لهم طعاماً وشرباً . فأقام ابن هرمة مع ابنتيه حتى خَفَّ ذلك المال ، وجاء قوم آخرون معهم مالٌ ؛ فأخبرهم بمكان ابن هرمة ؛ فاستقلوه وكرهوا أن يعلم بهم ؛ فأمر ابنتيه ، فقالتا له : يا أبا إسحاق ، أما ذريت ما الناسُ فيه ؟ قال : وما هم فيه ؟ قالتا : زلزل بالروضة ، فتغافلها . ثم جاء أبوهما مُتفازِعاً فقال : أي أبا إسحاق ، ألا تفزع لِمَا الناسُ فيه ! قال : وما هم فيه ؟ قال : زلزل بالروضة . قال : قد جاء كم الآن إنسانٌ معه مال ، وقد نَفَضْتُ ما جئتكُم به وثَقُلْتُ عليكم ؛ فأردت إدخاله وإخراجي . أَيُزَلُّ بروضَةٍ من رياض الجنة ويُترَك منزلُك وأنت تجمَع فيهِ الرجال على ابنتيك ! والله لا عدتُ إليه ! وخرج من عنده .

وروى هذا الخير عن الزبير هارون بن محمد الرِّيات فزاد فيه ، قال : ثم خرج من عندهم ، فأتى عبد الله بن حسن فقال : إني قد مدحتك فاستمع مني . قال : لا حاجة لي بذلك ، أنا أُعْطِيكَ ما تريد ولا أسمع . قال : إذا أسقط ويكسُد سوقي . فسمع منه وأمر له بمائتي دينار ؛ فأخذها وعاد إلى الرجل ، وقال : قد جئتكَ بما تُنفقه كيف شئت . ولم يزل مقيماً عنده حتى نَفِدَتْ .

[قصته مع محمد بن عبد العزيز ومحمد بن عمران وغيرهما]

قال الزبير : وحدثني عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد العزيز قال حدثني عمي عمران بن عبد العزيز بن عمر بن عبد الرحمن بن عوف قال : وأفينا الحجَّ في عامٍ من الأعوام الخالية ، فأصبحتُ بالسَّيْأَةِ ، فإذا إبراهيم بن علي بن هرمة يأتينا ؛ فاستأذن علي أخي محمد بن عبد العزيز فأذن له ؛ فدخل عليه فقال : يا أبا عبد الله ، ألا أُخبرك ببعض ما تَسْتَظَرِّفُ ؟ قال : بلى ، وربما فعلتَ يا أبا إسحاق . قال : فإنه أصبح عندنا هاهنا منذ أيام محمد بن عمران وإسماعيل بن عبد الله بن جبَّير ، وأصبح ابن عمران بجملين له ظالعين ، فإذا رسوله يأتيني أن أُجِبْ ؛ فخرجتُ حتى أتيتَه ؛ فأخبرني بظلع جمليه ، وقال لي : أردتُ أن أبعث إلى ناضحين لي بعمق¹ لعلِّي أوتى بهما إلى هاهنا لأمضي عليهما ، ويصير هذان الظالعان إلى مكانهما . ففرَّغ لنا دارك واشتر لنا علفاً واستلفه بجهدك ؛ فإننا مُقيمون هاهنا حتى تأتينا جِمالنا . فقلتُ : في الرُّحْب والقُرب ، والدار فارغةٌ ، وزوجته طالقٌ إن اشتريتُ عود علفٍ ، عندي حاجتكُ منه . فأنزلته ودخلت إلى السوق ، فما أبقيت فيه شيئاً من رِسل² ولا جِداءٍ ولا طُرفَةٍ ولا غير ذلك إلا ابتعتُ منه فاخره ، وبعثتُ به إليه مع دجاجٍ كان عندنا . قال : فبينما أنا أدور في السوق إذ وقف عليَّ عبدٌ لإسماعيل بن عبد الله يُساومني بجِملٍ علفٍ لي ، فلم أزل أنا وهو

1 عمق : اسم ماء في الحجاز .

2 الرُّسل : اللبن .

حتى أخذته مني بعشرة دراهم ، وذهب به فطرحه لظهره . وخرجتُ عند الرّواح أتقاضى العبد تَمَنَ حِملي ، فإذا هو لإسماعيل بن عبد الله ولم أكن دَرَيْتُ . فلمَّا رآني مولاه حيَّاني ورحَّبَ بي ، وقال : هل من حاجةٍ يا أبا إسحاق ؟ فأعلمه العبد أن العلفَ لي . فأجلسني فتغديت عنده ، ثم أمر لي مكان كلِّ درهم منها بدينار ، وكانت معه زوجته فاطمة بنت عبَّاد ، فبعثت إليّ بخمسة دنانير . قال : وراحوا ، وخرجتُ بالدنانير ففرقتها على غُرْمائي ، وقلت : عند ابن عمران عَوْضٌ منها . قال : فأقام عندي ثلاثاً ، وأتاه جملاه ، فما فعل بي شيئاً . فبينما هو يترحل وفي نفسه مني ما لا أدري به ، إذ كَلَّم غلاماً له بشيء فلم يفهم . فأقبل عليّ فقال : ما أقدر على إفهامه مع فُعُودك عندي ، قد والله آذيتني ومنعتني ما أردت . فقمْتُ مُعْتَمِّاً بالذي قال ؛ حتى إذا كنتُ على باب الدار لَقَيْتُ إنساناً فسألني : هل فعل إليك شيئاً ؟ فقلتُ : أنا والله بخيرٍ إذ تَلَفَ مالي ورَبِحْتُ بَدَنِي . قال : وطلَّع عليّ وأنا أقولها ، فشتمني والله يا أبا عبد الله حتى ما أبقى لي ، وزعم أنه لولا إحرامه لضربني ؛ وراح وما أعطاني درهماً . فقلتُ¹ :

[من البسيط]

يا مَنْ يُعِينُ على صَيْفِ أَلَمِّ بنا	ليس بذي كَرَمٍ يُرْجى ولا دين
أقام عندي ثلاثاً سُنَّةً سَلَفْتُ	أَغضيتُ منها على الأقداء والهون
مسافة البيت عَشْرٌ غيرُ مُشْكِلَةٍ	وأنت تأتيه في شَهْرٍ وعشرين
لست تُبالي فَوَاتَ الحَجَّ إن نصِيتُ	ذاتُ الكلالِ وأسمنتُ ابنَ حريقِ
تحدتُ النَّاسُ عَمَّا فيك من كَرَمٍ	هيهاتَ ذاكَ لضيْفانِ المساكينِ
أصبحتُ تَحْزَنُ ما تحوي وتجمعه	أبا سُلَيْمانَ من أشلاءِ قارونِ
مثلُ ابنِ عمرانَ آباءَ له سَلَفُوا	يَجْزُونَ فِعْلَ ذوي الإحسانِ بالدونِ
ألا تكون كإسماعيلَ إنَّ له	رأياً أصيلاً وفِعْلاً غيرَ ممنونِ
أو مثلَ زوجته فيما أَلَمَّ بها	هيهاتَ مَنْ أُمُّها ذاتُ النُّطَاقينِ

فلمَّا أنشدها قال له محمد بن عبد العزيز : نحن نُعِينُكَ يا أبا إسحاق ؛ لقوله : «يا من يعين» . قال : قد رَفَعَكَ اللهُ عن العَوْنِ الذي أُرِيدُه ، ما أردتُ إلا رجلاً مثلَ عبد الله بن خنْزيرة وطلحة أطفَاء الكلبِة يُمسيكونه لي وأخذ خوطَ سَلَمٍ فأوجع به خواصره وجواعره . قال : ولما بلغ في إنشاده إلى قوله :

1 ديوان ابن هرمة : 240-241 عن الأغاني .

مثلُ ابنِ عمرانِ آباءٍ له سلفوا

أقبل عليّ فقال : عذراً إلى الله تعالى واليكم ! إنني لم أعن من آباءه طلحة بن عبيد الله . قال : ونزل إليه إسماعيل بن جعفر بن محمد ، وكان عندنا ، فلم يكلمه حتى ضرب أنفه ، وقال له : فعنيت من آباءه أبا سليمان محمد بن طلحة يا دعوي ! قال : فدخلنا بينهما . وجاء رسول محمد بن طلحة بن عبيد الله بن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق رضي الله عنه إلى ابن هرمة يدعوه ، فذهب إليه . فقال له : ما الذي بلغني من هجائك أبا سليمان ! والله لا أرضى حتى تحلف ألاً تقول له أبداً إلا خيراً ، وحتى تلقاه فترضاه إذا رجع ، وتحتمل كل ما أزل إليك وتمدحه . قال : أفعل ، بالحب والكرامة . قال : وإسماعيل بن جعفر لا تعرض له إلا بخير ؛ قال نعم . قال : فأخذ عليه الأيمان فيهما وأعطاه ثلاثين ديناراً ، وأعطاه محمد بن عبد العزيز مثلها . قال : واندفع ابن هرمة يمدح محمد بن عمران¹ :

[من الطويل]

ألم تر أن القولَ يخلصُ صدقُه	وتأبى فما تزكو لباغٍ بواطلة
ذممتُ امرءاً لم يطبعِ الذمُّ عِرْضَه	قليلاً لدى تحصيله من يشاكله ²
فما بالحجاز من فتى ذي إمارة	ولا شرفٍ إلا ابنُ عمرانٍ فاضلة
فتى لا يطورُ الذمُّ ساحةَ بيته	وتشقى به ليلَ التمامِ عواذله ³

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدثنا أحمد بن عمر الزهريّ قال حدثنا أبو بكر بن عبد الله بن جعفر المسوريّ قال : مدح إبراهيم بن هرمة محمد بن عمران الطلحيّ ، فألفاه راويته وقد جاءته عيرٌ له تحمل غلّةً قد جاءته من الفرع أو خبير . فقال له رجل كان عنده : أعلم والله أن أبا ثابت بن عمران بن عبد العزيز أغراه بك وأنا حاضر عنده وأخبره بعيرك هذه . فقال : إنما أراد أبو ثابت أن يعرضني للسانه ، فودوا⁴ إليه القطار ، فقيده إليه .

[طلب من عمر بن القاسم تمراً على ألا يعمل منه نبياً]

أخبرنا الحرّميّ قال حدثنا الزبير قال حدثني يحيى بن محمد بن عبد الله بن عمر بن القاسم قال : جاء أبي تمرٌ من صدقة عمر ؛ فجاءه ابن هرمة فقال : أمتع الله بك ! أعطني من هذا التمر . قال : يا أبا إسحاق ، لولا أنني أخاف أن تعمل منه نبياً لأعطيتك . قال : فإذا علمت

1 ديوان ابن هرمة : 176 .

2 يطبع : يدنس .

3 يطور : يقرب .

4 ل : فردوا .

أَتَيْتُ أَعْمَلَ مِنْهُ نَبِيذاً لَا تُعْطِينِي؟ قَالَ: فَخَافَهُ فَأَعْطَاهُ. فَلَقِيَهُ بَعْدَ ذَلِكَ؛ فَقَالَ لَهُ: مَا فِي الدُّنْيَا أَجْوَدُ مِنْ نَبِيذٍ يَجِيءُ مِنْ صَدَقَةِ عَمْرِ؛ فَأَخْجَلَهُ.
[سمع جرير شعره فمدحه]

أَخْبَرَنَا الْحَرَمِيُّ قَالَ أَخْبَرَنَا الزُّبَيْرُ قَالَ حَدَّثَنِي عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ قَالَ: قَدِمَ جَرِيرُ الْمَدِينَةَ، فَاتَاهُ ابْنُ هَرْمَةَ وَابْنُ أُذَيْنَةَ فَأَنْشَدَاهُ؛ فَقَالَ جَرِيرُ: الْقُرْشِيُّ أَشْعَرُهُمَا، وَالْعَرَبِيُّ أَفْصَحُهُمَا.
[مدح المطلب بن عبد الله فليمدحه غلاماً حديث السن]

أَخْبَرَنَا يَحْيَى بْنُ عَلِيٍّ إِجَازَةً قَالَ حَدَّثَنِي حَمَّادُ بْنُ إِسْحَاقَ عَنْ أَبِيهِ قَالَ حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ: أَنَّ ابْنَ هَرْمَةَ قَالَ يَمْدَحُ أَبَا الْحَكَمِ الْمَطَّلِبَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ¹:
[من الكامل]

لَمَّا رَأَيْتُ الْحَادِثَاتِ كَنَفَنِي وَأَوْرَثَنِي بُوَسَى ذَكَرْتُ أَبَا الْحَكَمِ
سَلِيلُ مُلُوكٍ سَبْعَةٍ قَدْ تَتَابَعُوا هُمُ الْمُصْطَفُونَ وَالْمُصَفَّوْنَ بِالكَرَمِ

فَلَامُوهُ وَقَالُوا: أَمْدَحُ غَلَاماً حَدِيثَ السَّنِّ بِمِثْلِ هَذَا! قَالَ نَعَمْ! وَكَانَتْ لَهُ ابْنَةٌ يَلْقَبُهَا «عُيَيْنَةَ»، وَقَالَ الزُّبَيْرُ: كَانَ يَلْقَبُهَا «عَيْنَةَ»، فَقَالَ²:
[من البسيط]

كَانَتْ عُيَيْنَةُ فِينَا وَهِيَ عَاطِلَةٌ بَيْنَ الْجَوَارِي فَحَلَّاهَا أَبُو الْحَكَمِ
فَمَنْ لِحَانًا عَلَى حُسْنِ الْمَقَالِ لَهُ كَانَ الْمَلِيْمَ وَكُنَّا نَحْنُ لَمْ نُلِمِّرْ

[شكا حاله لعبد العزيز بن المطلب فأكرمه]

قَالَ يَحْيَى وَحَدَّثَنِي حَمَّادُ بْنُ إِسْحَاقَ عَنْ أَبِيهِ عَنِ الزُّبَيْرِيِّ عَنِ نَوْفَلِ بْنِ مَيْمُونٍ قَالَ: أُرْسِلَ ابْنُ هَرْمَةَ إِلَى عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ الْمَطَّلِبِ بَكْتَابٍ يَشْكُو فِيهِ بَعْضَ حَالِهِ؛ فَبِعِثَ إِلَيْهِ بِخَمْسَةِ عَشَرَ دِينَاراً. فَمَكَّثَ شَهْرًا ثُمَّ بَعَثَ يَطْلُبُ مِنْهُ شَيْئًا آخَرَ بَعْدَ ذَلِكَ؛ فَقَالَ: إِنَّا وَاللَّهِ مَا نَقْوَى عَلَى مَا كَانَ يَقْوَى عَلَيْهِ الْحَكَمُ بْنُ الْمَطَّلِبِ. وَكَانَ عَبْدُ الْعَزِيزِ قَدْ خَطَبَ إِلَى امْرَأَةٍ مِنْ وَلَدِ عُمَرَ فَرَدَّتْهُ، فَخَطَبَ إِلَى امْرَأَةٍ مِنْ بَنِي عَامِرِ بْنِ لُؤَيٍّ فَرَوَّجُوهُ. فَقَالَ ابْنُ هَرْمَةَ³:
[من الطويل]

خَطَبْتَ إِلَى كَعْبِ فَرْدُوكَ صَاغِراً فَحَوَّلْتَ مِنْ كَعْبٍ إِلَى جِذْمِ عَامِرٍ
وَفِي عَامِرٍ عِزٌّ قَدِيمٌ وَإِنَّمَا أَجَازَكَ فِيهِمْ هَزْلُ أَهْلِ الْمَقَابِرِ

وَقَالَ فِيهِ أَيْضاً⁴:
[من المتقارب]

1 ديوان ابن هرمة : 200 .

2 ديوان ابن هرمة : 217 .

3 ديوان ابن هرمة : 128 .

4 ديوان ابن هرمة : 199 .

أَبَابُخْلٍ تَطَلَّبُ مَا قَدَّمْتُ عَرَانِينَ جَادَتْ بِأَمَوَالِهَا
فَهِيهَاتَ! خَالَفَتْ فَعَلَ الْكِرَامِ خِلَافَ الْجِمَالِ بِأَبَوَالِهَا

[أخبره مع امرأة تزوجها]

وقال هارون بن محمد حدثني مُغيرة بن محمد قال حدثني أبو محمد السهمي قال حدثني أبو كاسب قال : تزوج ابن هرمة بامرأة ؛ فقالت له : أعطني شيئاً ؛ فقال : والله ما معي إلا نَعْلَاي ، فدفعهما إليها ، ومضى معها فتورّكها مراراً . فقالت له : أَحْفَيْتَنِي ؛ فقال لها : الذي أَحْفَى صاحبه مِنَّا يَعْضُ بَطْرُ أُمِّهِ .

[أغراه قوم بالحكم بن المطّلب بأن يطلب منه شاة كانت عزيزة عليه]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدثني المُسيبيّ محمد بن إسحاق قال حدثني إبراهيم بن سكرة جاراُ أبي ضمرة قال : جلس ابن هرمة مع قومٍ على شراب ، فذكر الحُكَمَ بن المطّلب فأطنب في مدحه . فقالوا له : إنك لتُكثِرُ ذَكَرَ رَجُلٍ لَوْ طَرَقَتْهُ السَّاعَةُ فِي شَاةٍ يُقَالُ لَهَا «عَرَاءٌ» تَسْأَلُهُ إِيَّاهَا لِرَدِّكَ عَنْهَا . فقال : أهُوَ يَفْعَلُ هَذَا ؟ قَالُوا : إِي وَاللَّهِ . وَكَانُوا قَدْ عَرَفُوا أَنَّ الْحُكَمَ بِهَا مُعْجَبٌ ، وَكَانَتْ فِي دَارِهِ سَبْعُونَ شَاةً تُحَلَبُ . فَخَرَجَ فِي رَأْسِهِ مَا فِيهِ ، فَدَقَّ الْبَابَ فَخَرَجَ إِلَيْهِ غَلَامُهُ . فَقَالَ لَهُ : أَعْلِمُ أَبَا مِرْوَانَ بِمَكَانِي ، وَكَانَ قَدْ أَمَرَ أَلَّا يُحْجَبَ إِبرَاهِيمَ بن هرمة عنه ، فأعلمه به ، فخرج إليه مُتَشَحِّحاً فقال : أُنِي مِثْلُ هَذِهِ السَّاعَةِ يَا أَبَا إِسْحَاقَ ! فقال : نَعَمْ جُعِلَتْ فِدَاكَ ، وَوُلِدَ لِأَخٍ لِي مَوْلُودٌ فَلَمْ تَدَرَ عَلَيْهِ أُمُّهُ ، فَطَلَبُوا لَهُ شَاةً حَلُوبَةً فَلَمْ يَجِدُوهَا ، فَذَكَرُوا لَهُ شَاةً عِنْدَكَ يُقَالُ لَهَا «عَرَاءٌ» ، فَسَأَلَنِي أَنْ أَسْأَلَكَهَا . فقال : أَتَجِيءُ فِي هَذِهِ السَّاعَةِ ثُمَّ تَنْصَرِفُ بِشَاةٍ وَاحِدَةٍ ! وَاللَّهِ لَا تَبْقَى فِي الدَّارِ شَاةٌ إِلَّا أَنْصَرَفَتْ بِهَا ، سُقِّهَنَّ مَعَهُ يَا غَلَامُ ، فَسَاقِهَنَّ . فَخَرَجَ بِهِنَّ إِلَى الْقَوْمِ ، فَقَالُوا : وَيْحَكَ ! أَيُّ شَيْءٍ صَنَعْتَ ! فَقَصَّ عَلَيْهِمُ الْقِصَّةَ . قَالَ : وَكَانَ فِيهِنَّ وَاللَّهِ مَا ثَمَنَهُ عَشْرَةُ دَنَانِيرٍ وَأَكْثَرَ مِنْ عَشْرَةٍ .

[لَمَّا سَمِعَ بِقَتْلِ الْوَلِيدِ أَنْشَدَ شِعْرًا فِي مَدْحِهِ]

قال هارون وحدثني حماد بن إسحاق قال ذكر أبي عن أيّوب بن عباية عن عمر بن أيّوب الليثي قال : شرب ابن هرمة عندنا يوماً فسكّر فنام . فلما حضرت الصلاة تحرك أو حرّكته . فقال لي وهو يتوضأ : ما كان حديثكم اليوم ؟ قلت يزعمون أنّ الوليد قُتِلَ ؛ فرفع رأسه إليّ وقال¹ :

[من الطويل]

وكانت أمورُ الناس مُنبَتَّةَ القوى فشدَّ الوليدُ حين قامَ نِظامَها
 خليفةٌ حقٌّ لا خليفةٌ باطلٍ رمى عن قناةِ الدِّينِ حتى أقامها
 ثم قال لي : إياك أن تذكر من هذا شيئاً ؛ فإنِّي لا أدري ما يكون .

[كان ابن الأعرابي يقول : ختم الشعراء بابن هرمة]

أخبرني عليّ بن سليمان النحويّ قال حدثنا أبو العباس الأحول عن ابن الأعرابيّ : أنّه
 كان يقول : ختم الشعراء بابن هرمة .
 [سكر مرة سكرًا شديدًا فعتب عليه جيرانه]

أخبرنا يحيى بن عليّ بن يحيى قال أخبرني أحمد بن يحيى البلاذريّ : أنّ ابن هرمة كان
 مُغرماً بالبيد ، فمرّ على جيرانه وهو شديد السكر حتى دخل منزله . فلمّا كان من الغد
 دخلوا عليه فعاتبوه على الحال التي رأوه عليها ؛ فقال لهم : أنا في طلب مثلها منذ دهر ، أمّا
 سمعتم قولي¹ :

أسألُ الله سكرةً قبل موتي وصياحَ الصبيان يا سكرانُ
 قال : فنفضوا ثيابهم وخرجوا ، وقالوا : ليس يُفلح والله هذا أبداً .

[لم يحمل جنازته إلا أربعة نفر]

أخبرني الحرّميّ بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار قال : أنشدني عمّي لابن
 هرمة² :

ما أظنُّ الزمانَ يا أمَّ عمِّرٍ تاركاً إن هلكتُ من يَبْكيني³
 قال : فكان والله كذلك ؛ لقد مات فأخبرني مَنْ رأى جنازته ما يحملها إلا أربعة نفر ، حتى
 دُفن بالبقيع .

[ولد سنة 90هـ ومدح المنصور وعمره خمسون سنة]

قال يحيى بن عليّ ، أراه عن البلاذريّ : وُلد ابن هرمة سنة تسعين ، وأنشد أبا جعفر
 المنصور في سنة أربعين ومائة قصيدته التي يقول فيها⁴ :

إنَّ الغوانيَ قد أعرضنَ مقليةً لما رمى هدَفَ الخمسين ميلادي
 قال : ثم عمّر بعدها مدّة طويلة .

1 ديوان ابن هرمة : 229 .

2 ديوان ابن هرمة : 243 .

3 عمّر في ل : سعد .

4 ديوان ابن هرمة : 107 .

[59] - ذكر أخبار يونس الكاتب

[نسبه]

هو يونس بن سليمان بن كُرد بن شهريار ، من ولد هُرْمُز . وقيل : إنه مولى لعمر بن الزبير . ومنشؤه ومنزله بالمدينة . وكان أبوه فقيهاً ، فأسلمه في الديوان فكان من كُتَّابِه . وأخذ الغناء عن معبد وابن سُريج وابن مُحَرِّز والغريض ، وكان أكثر روايته عن معبد ؛ ولم يكن في أصحاب معبد أحدٌ ولا أقومٌ بما أخذ عنه منه . وله غناء حسن ، وصنعة كثيرة ، وشعرٌ جيد . وكتابه في الأغاني ونسبها إلى مَنْ غنَّى فيها هو الأصل الذي يُعمل عليه ويُرجع إليه . وهو أول مَنْ دوّن الغناء .

[شعر مسعود بن خالد في مدحه]

أخبرنا محمد بن خلف وكيعٌ قال حدثنا حماد بن إسحاق قال حدثني أبي قال أنشدني مسعود بن خالد المورياتي لنفسه في يونس :

[من السريع]

يا يونسُ الكاتبُ يا يونسُ	طابَ لنا اليومَ بك المجلسُ
إنَّ المغنِّينَ إذا ما همُ	جاروكَ أحنى بهمُ المقبسُ
تنشُرُ ديباجاً وأشباهه	وهم إذا ما نشروا كرسوا ¹

[خرج مع بعض فتيان المدينة إلى دومة فتغنوا ثم غنَّى ابن عائشة ففرق جمعهم]

أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه قال : ذكر إبراهيم بن قدامة الجُمَحيّ قال : اجتمع فتيانٌ من فتيان أهل المدينة فيهم يونس الكاتب وجماعة ممن يُغنِّي فخرجوا إلى وادٍ يقال له دومة من بطن العقيق ، في أصحاب لهم فتغنوا ، واجتمع إليهم نساء أهل الوادي ، قال بعض مَنْ كان معهم : فرأيتُ حولنا مثلَ مُراح الضأن ، وأقبل محمد بن عائشة ومعه صاحب له ؛ فلما رأى جماعة النساء عندهم حسدهم ، فالتفتَ إلى صاحبه فقال : أما والله لأُفرِّقَنَّ هذه الجماعة ! فأتى قصرًا من قصور العقيق ؛ فعلا سطحه وألقى رداءه واتكأ عليه وتغنَّى : [من مجزوء الكامل]

صوت

هذا مُقامٌ مُطرِدٌ هُدِمتْ منازلُه ودُورُه

1 كرسوا : أتوا بالكرايس وهي الثياب الخشنة .

رَقَى عَلَيْهِ عُدَاتُهُ ظَلَمًا فَعَاقَبَهُ أَمِيرُهُ¹

الغناء لابن عائشة رمل بالوسطى . والشعر لعبيد بن حُنين مولى آل زيد بن الخطَّاب ، وقيل : إنَّه لعبد الله بن أبي كثير مولى بني مخزوم ، قال : فوالله ما قضى صوتَه حتى ما بقيت امرأةٌ منهنَّ إلاَّ جلستُ تحت القصر الذي هو عليه وتفرَّقَ عامَّةُ أصحابهم . فقال يونس وأصحابه : هذا عملُ ابنِ عائشة وحسدُه .
[صاحب الشعر الذي تغنى به ابن عائشة]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال حدثنا عُمر بن شَبَّة قال حدثنا أبو غسان محمد بن يحيى عن أبيه قال : تزوج عبد الله بن أبي كثير مولى بني مخزوم بالعراق في ولاية مُصعب بن الزبير امرأةً من بني عبد بن بغيض بن عامر بن لُؤي ، ففرق مصعبُ بينهما . فخرج حتى قدِم على عبد الله بن الزبير بمكة فقال : [من مجزوء الكامل]

هَذَا مَقَامٌ مُطَرِّدٌ	هُدِمَتْ مَنَازِلُهُ وَدَوْرُهُ
رَقَّتْ عَلَيْهِ عُدَاتُهُ	كَذِبًا فَعَاقَبَهُ أَمِيرُهُ
فِي أَنْ شَرِبْتُ بِجَمٍّ مَا	ءِ كَانَ جِلًّا لِي غَدِيرُهُ
فَلَقَدْ قَطَعْتُ الْخَرْقَ بَعْدَ	سِدِّ الْخَرْقِ مُعْتَسِفًا أُسِيرُهُ
حَتَّى أَتَيْتُ خَلِيفَةَ الْ	رَحْمَنِ مَهْودًا سَرِيرُهُ
حَيِّتُهُ بِتَحِيَّةٍ	فِي مَجْلَسٍ حَضَرَتْ صُفُورُهُ

فكتب عبد الله إلى مصعب : أن اردد عليه امرأته ؛ فإنني لا أحرّم ما أحلّ الله عز وجل ؛ فردّها عليه . هذه رواية عُمر بن شَبَّة .

وأخبرني الحسن بن عليّ عن حمّاد بن إسحاق عن أبيه عن المدائنيّ عن سُحيم بن حفص : أن المتزوج بهذه المرأة عبيد بن حُنين مولى آل زيد بن الخطَّاب ، وأن المفرّق بينهما الحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة الذي يقال له القُبّاع ؛ وذكر باقي الخبر مثل الأوّل .

[ذهب إلى الشام فبعث إليه الوليد بن يزيد ليغنيه ثم وصله]

أخبرني عمي قال حدثني طلحة بن عبد الله الطَّلحيّ قال حدثني أحمد بن الهيثم قال : خرج يونس الكاتب من المدينة إلى الشام في تجارة ؛ فبلغ الوليد بن يزيد مكانه ؛ فلم يشعر يونس إلاّ برسله قد دخلوا عليه الخان ، فقالوا له : أجب الأمير ، والوليد إذ ذاك أمير ، قال :

فنهضتُ معهم حتى أدخلوني على الأمير ، لا أدري مَنْ هو ، إلا أَنَّهُ من أحسن الناس وجهاً وأنبلهم ، فسلمت عليه ، فأمرني بالجلوس ، ثم دعا بالشراب والجواري ؛ فكنا يوماً وليلتنا في أمر عجيب . وغنيته فأعجب بغنائي إلى أن غنيته : [من الخفيف]

إِنَّ يَعْشُ مُصْعَبٌ فَنَحْنُ بِخَيْرٍ قَدْ أَنَا مِنْ عَيْشِنَا مَا نُرْجِي

ثم تنبّهتُ فقطعتُ الصوت . فقال : مالك ؟ فأخذتُ أعتذر من غنائي بشعرٍ في مُصعب . فضحك وقال : إنَّ مُصعباً قد مضى وانقطع أثره ولا عداوة بيني وبينه ، وإنما أريد الغناء ، فأمض الصوت ؛ فعدتُ فيه فغنيته . فلم يزل يستعديني حتى أصبح ، فشرب مُصطَبِحاً وهو يستعيدني هذا الصوت ما يتجاوزه حتى مضت ثلاثة أيام . ثم قلتُ له : جعلني الله فداء الأمير ! أنا رجلٌ تاجرٌ خرجتُ مع تجارٍ وأخاف أن يرحلوا فيضيع مالي . فقال لي : أنت تغدو غداً ؛ وشرب باقي ليلته ، وأمر لي بثلاثة آلاف دينار فحملتُ إليّ ، وغدوتُ إلى أصحابي . فلما خرجتُ من عنده سألتُ عنه ، فقبل لي : هذا الأمير الوليد بن يزيد وليّ عهد أمير المؤمنين هشام . فلما استخلفَ بعث إليّ فأتيته ، فلم أزل معه حتى قُتِل .

[أصواته المعروفة بالزيانب]

صوت

من المائة المختارة

[من الرمل]

أقصدتُ زينبُ قلبي بعدما ذهبَ الباطلُ عني والغزلُ
وعلا المَفْرَقَ شيبٌ شاملٌ واضحٌ في الرأسِ مني واشتعلُ

الشعر لابن رُهَيْمَةَ المَدَنِيّ ، والغناء في اللحن المختار لعمَرِ الوادي ثاني ثقليلٍ بالبصرة في مجراها عن إسحاق . وفيه ليونس الكاتب لحنان : أحدهما خفيف ثقيلٍ أولٍ بالبصرة في مجرى الوسطى عن إسحاق ، والآخر رملٍ بالسبابة في مجرى البصرة عنه أيضاً . وفيه رَمَلانٍ بالوسطى والبصرة : أحدهما لابن المَكِّيّ ، والآخرُ لحكم ، وقيل : إنّه لإسحاق من رواية الهشاميّ . ولحنُ يونس في هذا الشعر من أصواته المعروفة بالزيانب ، والشعر فيها كلّها لابن رُهَيْمَةَ في زينب بنتِ عِكْرِمَةَ بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام ؛ وهي سبعة : أحدها قد مضى . والآخرُ :

[من مجزوء الرمل]

صوت

أَقْصَدْتُ زَيْنَبُ قَلْبِي وَسَبَّتُ عَقْلِي وَوَلَّبِي
 تَرَكْتُني مُسْتَهَاماً أَسْتغِيثُ اللهَ رَبِّي
 لَيْسَ لِي ذَنْبٌ إِلَيْهَا فَتُجَازِينِي بِذَنْبِي
 وَلَهَا عِنْدِي ذُنُوبٌ فِي تَنَائِيهَا وَقُرْبِي

غَنَاهُ يُونُسُ رَمَلاً بِالْبَنْصَرِ . وَفِيهِ لِحَكْمِ هَزَجٍ خَفِيفٍ بِالسَّبَابَةِ فِي مَجْرَى الْبَنْصَرِ عَنِ

إِسْحَاقَ .

ومنها :

[من مجزوء الكامل]

صوت

وَجَدَ الْفَوَادُ بَزِينَا وَجَدَاً شَدِيدَاً مُتَعْبَا
 أَصْبَحْتُ مِنْ وَجْدِي بِهَا أَدْعَى سَقِيمَاً مُسَهَبَا¹
 وَجَعَلْتُ زَيْنَبَ سِتْرَةً وَأَتَيْتُ أَمْرَاً مُعْجَبَا

غَنَاهُ يُونُسُ ثَقِيلَاً أَوَّلَ مَطْلَقَاً فِي مَجْرَى الْبَنْصَرِ عَنِ عَمْرُو وَإِسْحَاقَ ، وَهُوَ مِمَّا يُشَكُّ فِيهِ مِنْ غِنَاءِ يُونُسَ . وَلِعَلِّيَّةَ بِنْتَ الْمَهْدِيِّ فِيهِ ثَقِيلٌ أَوَّلُ آخِرٍ لَا يُشَكُّ فِيهِ أَنَّهُ لَهَا ، كُنْتُ فِيهِ عَنِ رَشَاءِ الْخَادِمِ ، وَذَكَرَ أَحْمَدُ بْنُ عُبَيْدٍ أَنَّ فِيهِ مِنَ الْغِنَاءِ لِحْنَيْنِ هُمَا جَمِيعَاً مِنَ الثَّقِيلِ الْأَوَّلِ لِيُونُسَ ، وَمَنْ لَا يَعْلَمُ يَزْعَمُ أَنَّ الشَّعْرَ لَهَا .

ومنها :

[من مجزوء الخفيف]

صوت

إِنَّمَا زَيْنَبُ الْمُنَى وَهِيَ الْهَمُّ وَالْمَهْوَى
 ذَاتُ دَلٍّ تُضْنِي الصَّحِيحَ حَاحَ وَتُبْرِي مِنَ الْجَوَى²
 لَا يُعْرَنُكَ أَنْ دَعَوُ تِ فُؤَادِي فَمَا التَّوَى³
 وَاحْدَرِي هِجْرَةَ الْحَبِي بَ إِذَا مَلَّ وَأَنْزَوَى

غَنَاهُ يُونُسُ رَمَلاً بِالْبَخْنَصْرِ فِي مَجْرَى الْبَنْصَرِ عَنِ إِسْحَاقَ .

1 مسهب : ذهب عقله .

2 تضني الصحيح في ل : تصبي الحليم .

3 فما التوى في ل : إلى التوى ، وهو الهلال .

ومنها :

[من مجزوء الرمل]

صوت

إِنَّمَا زَيْنَبُ هَمِّي بَأَبِي تَلِكْ وَأُمِّي
بَأَبِي زَيْنَبُ لَا أَكْ نَنِي وَلَكْنِي أُسْمِي
بَأَبِي زَيْنَبُ مِنْ قَا ضِ قَضَى عَمْدًا بَطْلَمِي
بَأَبِي مَنْ لَيْسَ لِي فِي قَلْبِهِ قَيْرَاطُ رُحْمٍ¹

غناه يونس رملاً بالنصر عن عمرو ، وله فيه لحن آخر .

ومنها :

[من السريع]

صوت

يَا زَيْنَبُ الْحَسَنَاءُ يَا زَيْنَبُ يَا أَكْرَمَ النَّاسِ إِذَا تُنْسَبُ
تَقِيلُكَ نَفْسِي حَادِثَاتِ الرَّدَى وَالْأُمُّ تُفَدِّدُكَ مَعَا وَالْأَبُ
هَلْ لَكَ فِي وُدِّ امْرِيءٍ صَادِقٍ لَا يَمَذُقُ الْوُدَّ وَلَا يَكْذِبُ
لَا يَبْتَغِي فِي وُدِّهِ مَحْرَمًا هِيَاتَ مِنْكَ الْعَمَلُ الْأَرْبُ

غناه يونس ثاني ثقيل بالسبابة في مجرى الوسطى عن إسحاق .

ومنها :

[من الطويل]

صوت

فَلَيْتَ الَّذِي يَلْحَى عَلَى زَيْنَبَ الْمُتَى تَعَلَّقَهُ مِمَّا لَقِيَتْ عَشِيرُ²
فَحَسْبِي لَهُ بِالْعُشْرِ مِمَّا لَقِيْتَهُ وَذَلِكَ فِيمَا قَدْ تَرَاهُ يَسِيرُ

غناه يونس ثاني ثقيل بالوسطى في مجراها عن الهشامي .

هذه سبعة أصوات قد مضت وهي المعروفة بالزيانِب . ومن الناس من يجعلها ثمانية ،

ويزيد فيها لحن يونس في :

تَصَابَيْتَ أُمِّ هَاجَتْ لَكَ الشُّوقَ زَيْنَبُ

1 رحم : مصدر رحم كالرحمة .

2 العشير : العشر .

وليس هذا منها ؛ وإن كان ليونس لحنه ، فإنَّ شعره لِحُجَيَّةَ بنِ المُضَرَّبِ الكِنْدِيِّ ، وقد كُتِبَ في موضعٍ آخَرَ ؛ وإنَّما الزِيَانِبُ في شعرِ ابنِ رُهَيْمَةَ . ومنهم من يَعُدُّهَا تِسْعَةً وَيُضَيِّفُ إليها :

قُولاً لَزَيْنَبَ لو رأيتَ تَشَوَّقِي لكَ واشترافي

وهذا اللحن لحكم . والشعر لحمد بن أبي العباس السفاح في زينب بنت سليمان بن علي ، وقد كُتِبَ في موضعٍ آخَرَ .
انقضت أخبار يونس الكاتب .

[60] - أخبار ابن رُهَيْمَة

[شِبب بَزِينِب بنت عَكْرَمَة فأمْر هِشَام بَضْرِبَه فَنَوَارِي]

أخبرني محمد بن جعفر النحوي قال حدثنا أحمد بن القاسم قال حدثني أبو هفان عن إسحاق قال : كان ابن رُهَيْمَة يُشَبَّبُ بَزِينِب بنت عَكْرَمَة بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام ، ويغني يونس بشعره ، فافتضحت بذلك . فاستعدى عليه أخوها هشام بن عبد الملك ، فأمر بضربه خمسمائة سوط ، وأن يُباح دمه إن وُجد قد عاد لذكرها ، وأن يفعل ذلك بكل من غنى في شيء من شعره . فهرب هو ويونس فلم يُقدَّر عليهما . فلما ولي الوليد بن يزيد ظهراً . وقال ابن رُهَيْمَة :

لكن كنت أطردتني ظالماً لقد كشف الله ما أُرهبُ
ولو نلت مني ما تشتهي لقل إذا رَضِيتُ زِينِبُ
وما شئت فاصنعه بي بعد ذا فحُبِّي لَزِينِبَ لا يذهبُ

وفي الأصوات المعروفة بالزيانِب يقول أبان بن عبد الحميد اللّاحقيّ : [من مجزوء الوافر]

أحبُّ من الغناء خفيء فهُ إن فاتني الهزجُ
وأشأ «ضوء برك» مث لَ ما أشنا «عفا مزجُ»
وأبغضُ «يوم تنأى» و«الزُّ يانبُ» كلها سُمجُ
ويعجبنِي لإبراهـ ييمَ والأوتارُ تختليجُ
«أديرُ مدامةً صرفاً كأنَّ صبيها ودجُ»

يعني أبانُ لحنَ إبراهيم . والشعر لأبان أيضاً ، وهو : [من مجزوء الكامل]

صوت

أديرُ مدامةً صرفاً كأنَّ صبيها ودجُ
فظلَّ تخالهُ ملكاً يُصرُّفُها ويمتجُ

الشعر لأبان ، والغناء لإبراهيم ثاني ثقيلٍ بالخِصْر في مجرى الوسطى عن إسحاق ، وفيه لابن جامع ثاني ثقيلٍ بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى عن إسحاق أيضاً .

ومأ في غناء يونس من المائة المختارة المذكورة في هذا الكتاب : [من الطويل]

صوت

من المائة المختارة

ألا يا لَقَوْمِي لِلرُّقَادِ الْمُسَهَّدِ وللماء ممنوعاً مِنَ الحائِمِ الصَّدِي
وللحالِ بعدَ الحالِ يركبُها الفتى وللحُبِّ بعدَ السَّلْوَةِ الْمُتَمَرِّدِ

الشعر لإسماعيل بن يسار النسائي من قصيدة مدح بها عبد الملك بن مروان ؛ وذكر يحيى بن علي عن أبيه عن إسحاق : أنها للغول بن عبد الله بن صَيْفِي الطَّائِي . والصحيح أنها لإسماعيل . وأنا أذكر خبره مع عبد الملك بن مروان ومدحه إياه بها ليعلم صحة ذلك . والغناء ليونس ، ولحنه المختار من القدر الأوسط من الثقيل الأول مطلق في مجرى البصر ، وتمام هذه الأبيات :

[من الطويل]

وللمرء لا عَمَنَّ يُحِبُّ بِمُرْعَوِ ولا لسبيل الرُّشْدِ يوماً بمُهْتَدِي¹
وقد قال أقوامٌ وهم يعدُّونه لقد طالَ تعذيبُ الفؤادِ المُصِيدِ

1 الشطر الأول في ل : ولا المرء عما قد يحب بمرعو .

[61] - أخبار إسماعيل بن يسار ونسبه

[كان منقطعاً إلى آل الزبير ثم اتصل بعبد الملك بن مروان]

حدثني عمِّي قال حدثني أحمد بن أبي خَيْثَمَةَ قال حدثنا مُصعب بن عبد الله الزُّبَيْرِيُّ قال : كان إسماعيل بن يسار النَّسَائِيُّ مولى بني تَيْمٍ بن مُرَّة : تيم قريش ، وكان منقطعاً إلى آل الزبير . فلماً أفضتِ الخِلافةُ إلى عبد الملك بن مروان ، وَفَدَّ إليه مع عُروَةَ بن الزُّبَيْرِ ، ومدحه ومدح الخلفاء من ولده بعده . وعاش عمراً طويلاً إلى أن أدرك آخر سُلطان بني أُمَيَّةَ ، ولم يُدرك الدولة العباسية . وكان طَيِّباً مليحاً مُندِراً بَطَلاً ، مليح الشَّعر ، وكان كالمنقطع إلى عُروَةَ بن الزُّبَيْرِ .

[سب تلقبه بالنسائي]

وإنما سُمِّيَ إسماعيل بن يسار النَّسَائِيُّ¹ ، لأنَّ أباه كان يصنع طعام العُرْسِ ويبيعه ، فيشتره منه مَنْ أراد التعريس من المتجمِّلين ومَنْ لم تبلغ حاله اصطناع ذلك . وأخبرني الأَسَدِيُّ قال حدثنا أبو الحسن محمد بن صالح بن النطَّاح قال : إنَّما سُمِّيَ إسماعيل بن يسار النَّسَائِيُّ لأنَّه كان يبيع النَّجْدَ والفُرْشَ التي تُتَّخَذُ للعرائس ؛ فقبل له إسماعيل بن يسار النَّسَائِيُّ .

وأخبرني محمد بن العباس اليزيدي قال حدثنا الخليل بن أسدٍ عن ابن عائشة : أنَّ إسماعيل بن يسار النَّسَائِيُّ إنَّما لُقِّبَ بذلك لأنَّ أباه كان يكون عنده طعام العُرْسَاتِ مُصَلِّحاً أبداً ؛ فمَنْ طَرَفَهُ وجده عنده مُعَدَّاً .

[نادرة له مع عروة بن الزبير أثناء سفرهما للشام]

أخبرني علي بن سليمان الأُخْفَشُ قال حدثنا أحمد بن يحيى ثعلب قال حدثني الزبير بن بَكَّار قال قال مُصعب بن عثمان : لما خرج عُروَةَ بن الزُّبَيْرِ إلى الشام يريد الوليد بن عبد الملك ، أخرج معه إسماعيل بن يسار النَّسَائِيُّ ، وكان منقطعاً إلى آل الزُّبَيْرِ ، فعادله . فقال عُروَةَ ليلةً من الليالي لبعض غلمانها : انظر كيف ترى المحمِلُ ؟ قال : أراه معتدلاً . قال إسماعيل : الله أكبر ، ما اعتدل الحقُّ والباطل قبل الليلة قطُّ ؛ فضحك عُروَةَ ، وكان

يستخفّ إسماعيل ويستطيبه .

[تساب هو وآخر يكنى أبا قيس في اسميهما]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا أحمد بن سعيد قال حدّثنا الزبير قال حدّثني عمّي عن أيّوب بن عباية المخزوميّ : أنّ إسماعيل بن يسار كان ينزل في موضع يقال له حُدَيْلَة وكان له جلساء يتحدّثون عنده ، ففقدتهم أيّاماً ، وسأل عنهم فقبيل : هم عند رجل يتحدّثون إليه طيّب الحديث حُلُو ظريف قدّم عليهم يسمّى محمداً ويكنى أبا قيس . فجاء إسماعيل فوقف عليهم ، فسمع الرجل القوم يقولون : قد جاء صديقنا إسماعيل بن يسار ؛ فأقبل عليه فقال له : أنت إسماعيل ؟ قال نعم . قال : رحم الله أبويك فإنهما سمّياك باسم صادق الوعد وأنت أكذب الناس . فقال له إسماعيل : ما اسمك ؟ قال : محمد . قال : أبو من ؟ قال : أبو قيس . قال : لا ! ولكن لا رحم الله أبويك ؛ فإنهما سمّياك باسم نبيّ وكنّياك بكنية قرّد . فأفجم الرجل وضحك القوم ، ولم يعدوا إلى مجالستهم ، فعادوا إلى مجالسة إسماعيل .

[استأذن على الغمر بن يزيد فحجبه ساعة فدخل يبكي لحجبه وادعى نيته نفاقاً]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا أحمد بن الحارث الخزاز قال حدّثنا المدائنيّ عن نعيم العُدريّ قال : استأذن إسماعيل بن يسار النسائيّ على الغمر بن يزيد بن عبد الملك يوماً ، فحجّبه ساعة ثم أذن له ، فدخل يبكي . فقال له الغمر : مالك يا أبا فائد تبكي ؟ قال : وكيف لا أبكي وأنا على مروانيّتي ومروانيّة أبي أحجّب عنك ؟ فجعل الغمر يعتذر إليه وهو يبكي ؛ فما سكت حتى وصله الغمر بجملة لها قدر . وخرج من عنده ، فلحقه رجلٌ فقال له : أخبرني وملك يا إسماعيل ، أيّ مروانيّة كانت لك أو لأبيك ؟ قال : بُغضنا إياهم ، امرأته طالق إن لم يكن يلعن مروان وآله كلّ يوم مكان التسبيح ، وإن لم يكن أبوه حضره الموت ، فقبيل له : قلْ لا إله إلاّ الله ، فقال : لعن الله مروان ، تقرّباً بذلك إلى الله تعالى وإبدالاً له من التوحيد وإقامة له مقامه .

[شعره الذي يفخر فيه بالمعجم على العرب]

أخبرني عمّي قال حدّثني أبو أيّوب المدنيّ قال حدّثني مُصعب قال : قال إسماعيل بن يسار النسائيّ قصيدته التي أوّلها :

[من الخفيف]

ما على رسمٍ منزلٍ بالجنابِ لو أبانَ الغداة رجَعَ الجواب¹

1 الجناب : الغناء ولعله هنا اسم موضع بعينه .

غَيْرَتَهُ الصَّبَا وَكُلُّ مُلِثٍ
 دَائِمِ الْوَدْقِ مُكْفَهَرٍ السَّحَابِ
 دَارَ هِنْدٍ وَهَلْ زَمَانِي بَهْنِدٍ
 عَائِدٌ بِالْهُوَى وَصَفْوِ الْجَنَابِ
 كَالَّذِي كَانَ وَالصَّفَاءِ مَصُونٌ
 لَمْ تَشْبَهْ بِهِجْرَةَ وَاجْتِنَابِ
 ذَاكَ مِنْهَا إِذْ أَنْتَ كَالْغُصْنِ غَضٌّ
 وَهِيَ رُوْدٌ كَدُمِيَّةِ الْمِحْرَابِ
 غَادَةٌ تَسْتَبِي الْعُقُولَ بَعْدَبٍ
 طَيِّبِ الطَّعْمِ بَارِدِ الْأَيْتَابِ
 وَأَثِيثٌ مِنْ فَوْقِ لَوْنٍ نَقِيٍّ
 كَبِيَاضِ اللَّجَيْنِ فِي الزَّرِّيَابِ¹
 فَأَقْلُ الْمَلَامَ فِيهَا وَأَقْصِرُ
 لَحَجَّ قَلْبِي مِنْ لَوْعَةٍ وَكِتَابِ
 صَاحٍ أَبْصَرْتَ أَوْ سَمِعْتَ بَرَاعٍ
 رَدَّ فِي الضَّرْعِ مَا قَرَى فِي الْعِلَابِ²
 انْقَضَتْ شِرَّتِي وَأَقْصَرَ جَهْلِي
 وَاسْتَرَحْتُ عَوَاذِلِي مِنْ عِتَابِي

وقال فيها يفتخر على العرب بالعجم :

[من الخفيف]

رُبَّ خَالٍ مُتَوَجِّحٍ لِي وَعَمٍّ
 مَاجِدٍ مُجْتَدِيٍّ كَرِيمِ النَّصَابِ
 إِنَّمَا سُمِّيَ الْفَوَارِسُ بِالْفُرِّ
 سِ مِضَاهَاةَ رِفْعَةِ الْأَنْسَابِ
 فَاتْرُكِي الْفَخْرَ يَا أُمَامَ عَلَيْنَا
 وَاتْرُكِي الْجَوْرَ وَأَنْطَقِي بِالصَّوَابِ
 وَاسْأَلِي إِنْ جَهَلْتِ عَنَّا وَعَنْكُمْ
 كَيْفَ كُنَّا فِي سَالِفِ الْأَحْقَابِ
 إِذْ نُرِّي بِنَاتِنَا وَتَدَسُّوْ
 نَ سَفَاهَاً بِنَاتِكُمْ فِي التُّرَابِ

فقال رجل من آل كثير بن الصلت : إن حاجتنا إلى بناتنا غير حاجتكم ؛ فأفحمه .
 يريد : أن العجم يربون بناتهم لينكحوهن ، والعرب لا تفعل ذلك . وفي هذه الأبيات
 غناء ، نسبهته :

[من الخفيف]

صوت

صَاحٍ أَبْصَرْتَ أَوْ سَمِعْتَ بَرَاعٍ
 رَدَّ فِي الضَّرْعِ مَا قَرَى فِي الْعِلَابِ
 انْقَضَتْ شِرَّتِي وَأَقْصَرَ جَهْلِي
 وَاسْتَرَحْتُ عَوَاذِلِي مِنْ عِتَابِي

الشعر لإسماعيل بن يسار النسائي ، والغناء لمالك خفيف ثقيل بإطلاق الوتر في مجرى
 الوسطى . وذكر عمرو بن بانه في نسخته الأولى أن فيه للغريض خفيفاً ثقيل بالبنصر ، وذكر

1 الزرياب : الذهب أو ماؤه .

2 قرى : جمع . والعلاب : جمع عليه وهي إناء كالقدح الكبير يحلب فيه .

في نسخته الثانية أن لابن سريج . وذكر الهشامي أن لحن ابن سريج رملٌ بالوسطى ، وأن لحن الغريض ثقيلٌ أول .

[كان شعوبياً شديد التعصب للعجم]

وحدثني بهذا الخبر عمي قال حدثنا أحمد بن أبي خيثمة عن مُصعب قال : إسماعيل بن يسار يُكنى أبا فائد ، وكان أخواه محمد وإبراهيم شاعرين أيضاً ، وهم من سبي فارس . وكان إسماعيل شعوبياً شديد التعصب للعجم ، وله شعرٌ كثير يفخر فيه بالأعاجم . قال : فأنشد يوماً في مجلس فيه أشعب قوله :

إذ نُرِّي بناتِنَا وتَدُسُّو ن سفاهاً بناتِكُم في الترابِ

فقال له أشعبُ : صدقتَ والله يا أبا فائد ، أراد القوم بناتهم لغير ما أردتموهنَّ له . قال : وما ذاك ؟ قال : ذفن القوم بناتهم خوفاً من العار ، ورئيتُموهنَّ لتنكحوهنَّ . قال : فضحك القوم حتى استغربوا ، وخجل إسماعيل حتى لو قدر أن يسبخ في الأرض لفعل .

[رماه عبد الصمد في البركة بثيابه بإعزاز من الوليد بن يزيد]

أخبرني الجوهري قال حدثنا عمر بن شبة قال أخبرني أبو سلمة الغفاري قال أخبرنا أبو عاصم الأسلمي قال : بينا ابن يسار النسائي مع الوليد بن يزيد جالس على بركة ، إذ أشار الوليد إلى مولى له يقال له عبد الصمد ، فدفع ابن يسار النسائي في البركة بثيابه ؛ فأمر به الوليد فأخرج . فقال ابن يسار :

قُلْ لِيُوالِي العَهْدِ إنْ لاقَيْتَهُ وولِي العَهْدِ أولَى بالرَّشْدِ
إنَّهُ والله لولا أنْتَ لم يَنْجُ مِنِّي سالماً عبْدُ الصَّمْدِ
إنَّهُ قد رام مِنِّي خُطَّةً لم يَرُمها قبلَهُ مِنِّي أحدُ
فهو ممَّا رامَ مِنِّي كالذي يَقْنصُ الدُّرَّاجَ من خَيْسِ الأَسَدِ¹

فبعث إليه الوليد بخلعة سنية وصيلة وترضاه . وقد روي هذا الخبر لسعيد بن عبد الرحمن بن حسان بن ثابت في قصة أخرى ، وذكر هذا الشعر له فيه .

[استنشد أحد ولد جعفر بن أبي طالب الأحوص قصيدة]

أخبرني الحسين بن يحيى قال قال حماد قرأت على أبي : حدثني مصعب بن عبد الله قال سمعتُ إبراهيم بن أبي عبد الله يقول : ركب فلان من ولد جعفر بن أبي طالب رحمه الله

1 المثل رقم 4724 في مجمع الميداني «يطلب الدراج في حبس الأسد» ، وحبس تحريف عن خيس وهو غابة الأسد أو مكانه . وهناك مثل آخر قريب منه وهو «كمتبغى الصيد في عريسة الأسد» (انظر المثل رقم 3115 في مجمع الميداني وص 363 في فصل المقال) .

بإسماعيل بن يسار النسائي حتى أتى به قُبَاءٌ ؛ فاستخرج الأحوصَ فقال له : أنشدني قولك :

ما ضَرَّ جِيرَانَنَا إِذِ انْتَجَعُوا لَوْ أَنَّهُمْ قَبْلَ بَيْنِهِمْ رَبَعُوا

فأنشده القصيدة . فأعجبَ بها ، ثم انصرف . فقال له إسماعيل بن يسار : أما جئتَ إلّا لِمَا أرى ؟ قال لا . قال : فاسمع ، فأنشده قصيدته التي يقول فيها :

ما ضَرَّ أَهْلَكَ لَوْ تَطَوَّفَ عَاشِقٌ بِفِنَاءِ بَيْتِكَ أَوْ أَلَمٍ فَسَلَّمَا

فقال : والله لو كنتُ سمعتُ هذه القصيدة أو علمتُ أنك قلتها لَمَا أَتَيْتُهُ . وفي آياتٍ من هذا الشعر غناءٌ نسبتُهُ :

صوت

يا هِنْدُ رُدِّي الوصلَ أَنْ يَتَصَرَّمَا وصلي أَمْرَةً كَلِفًا بِحَبِّكَ مُعْرَمَا
لو تَبْذُلِينَ لَنَا ذَلَالِكِ مَرَّةً لم نَبْعِ مِنْكَ سَوَى ذَلَالِكِ مَحْرَمَا
مَنَعَ الزيارَةَ أَنْ أَهْلَكَ كَلَّهْم أَبَدُوا لِزَوْرِكِ غِلْظَةً وَتَجَهُّمًا
ما ضَرَّ أَهْلَكَ لَوْ تَطَوَّفَ عَاشِقٌ بِفِنَاءِ بَيْتِكَ أَوْ أَلَمٍ فَسَلَّمَا

الشعر لإسماعيل بن يسار النسائي ، والغناء لابن مسجحٍ خفيف ثقيلٍ أولٌ بالسبابة في مجرى الوسطى عن إسحاق . وفيه لإبراهيم الموصلي رملٌ بالبنصر عن حبش .
[سمع زيان السواق شعره فبكي]

أخبرني محمد بن الحسن بن دُرَيْدٍ قال حدثنا أبو حاتم عن أبي عبيدة قال : أنشد رجلٌ زِيَانَ السَّوَّاقِ قولَ إسماعيل بن يسار :

ما ضَرَّ أَهْلَكَ لَوْ تَطَوَّفَ عَاشِقٌ بِفِنَاءِ بَيْتِكَ أَوْ أَلَمٍ فَسَلَّمَا

فبكي زيان ، ثم قال : لا شيء والله إلا الضَّجْرُ وسوء الخلق وضيق الصدر ، وجعل يبكي ويمسح عينيه .

[شعره الذي تشاجر بسببه أبو المعافى مع زيان السواق]

أخبرني محمد بن جعفر الصَّيْدِلَانِيُّ النُّحَويُّ صَهْرَ المُبَرِّدِ قال حدثني طلحةُ بن عبد الله بن إسحاق الطَّلحيُّ قال حدثني الزُّبَيْرُ بن بَكَارٍ قال حدثني جعفر بن الحسين المهلبِيُّ قال : أنشدتُ زِيَانَ السَّوَّاقِ قولَ إسماعيل بن يسار النسائي :

[من الخفيف]

صوت

إِنَّ جُمْلًا وَإِنْ تَبَيَّنْتُ مِنْهَا نَكَبًا عَنْ مَوَدَّتِي وَازْوَرَارًا¹
 شَرَّدْتُ بِادِّكَارِهَا النَّوْمَ عَنِّي وَأَطِيرَ الْعَزَاءِ مِنِّي فَطَارَا
 مَا عَلَى أَهْلِهَا وَلَمْ تَأْتِ سُوءًا أَنْ تُحَيَّا تَحِيَّةً أَوْ تُزَارَا
 يَوْمَ أُبْدُوا لِي النَّجْهَمَ فِيهَا وَحَمَمُوهَا لَجَاجَةً وَضِرَارَا

فقال زيان : لا شيء وأبيهم إلا اللحز² وقلة المعرفة وضيق العطن³ . فصاح عليه أبو المعافى وقال : فعلى من ذلك ويلك ! أعليك أو على أبيك أو أمك ؟ فقال له زيان : إنما أتيت يا أبا المعافى من نفسك ، لو كنت تفعل هذا ما اختلفت أنت وابنك . فوثب إليه أبو المعافى يرميه بالتراب ويقول له : ويحك يا سفيه ؛ تحسن الدياثة ! وزيان يسعى هرباً منه .
 الغناء في هذه الأبيات لابن مسجح خفيف ثقيل بالوسطى عن ابن المكي وحماد ، وذكر الهشامي وحبش أنه لابن مُحَرِّز ، وأن لحن ابن مسجح ثاني ثقيل .
 [طلبه الوليد بن يزيد من الحجاز فحضر وأنشد]

أخبرني إسماعيل بن يونس الشيعي قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثني إسحاق الموصلي قال : غني الوليد بن يزيد في شعر لإسماعيل بن يسار ، وهو :

حَتَّى إِذَا الصَّبْحُ بَدَأَ ضَوْوَهُ وَغَارَتِ الْجُوزَاءُ وَالْمِرْزَمُ
 خَرَجْتُ وَالْوَطْءُ خَفِيٌّ كَمَا يَنْسَابُ مِنْ مَكْمَنِهِ الْأَرْقَمُ

فقال : من يقول هذا ؟ قالوا : رجل من أهل الحجاز يقال له إسماعيل بن يسار النسائي ؛ فكتب في إشخاصه إليه . فلما دخل عليه استنشده القصيدة التي هذان البيتان منها ؛ فأنشده :

كَلَّمْتُ أَنْتَ الْهَمُّ يَا كَلَّمْتُ وَأَنْتُمْ دَائِي الَّذِي أَكْتَمْتُ
 أَكَاتَمُ النَّاسَ هَوَى شَفَنِي وَبَعْضُ كَيْمَانِ الْهَوَى أَحْزَمُ
 قَدْ لُمْتَنِي ظَلَمًا بِلَا ظَنَّةٍ وَأَنْتِ فِيمَا بَيْنَنَا الْوَمُ
 أُبْدِي الَّذِي تُخْفِينَهُ ظَاهِرًا أَرْتَدُّ عَنْهُ فَيْكٍ أَوْ أَقْدَمُ

1 وإن في ل : خلي .

2 اللحز : الشح والبخل .

3 ضيق العطن : ضيق الصدر .

إِمَّا بِيَأْسٍ مِنْكَ أَوْ مَطْمَعٍ يُسَدِّى بِحَسَنِ الْوَدِّ أَوْ يُلَحِّمُ
 لَا تَتْرُكِينِي هَكَذَا مَيِّتًا لَا أُمْنَحُ الْوَدَّ وَلَا أَصْرَمُ
 أَوْفِي بِمَا قُلْتَ وَلَا تَنْدَمِي إِنَّ الْوَفَى الْقَوْلِ لَا يَنْدَمُ
 آيَةٌ مَا جِئْتُ عَلَى رَقَبَةٍ بَعْدَ الْكَرْى وَالْحَيُّ قَدْ نَوْمُوا
 أَخَافْتُ الْمَشْيَ جِذَارَ الْعِدَا وَاللَّيْلُ دَاجٍ حَالِكٌ مَظْلَمُ
 وَدُونَ مَا حَاوَلْتُ إِذْ زَرْتَكُمْ أَخْوَكُ وَالْخَالُ مَعَا وَالْعَمُ
 وَلَيْسَ إِلَّا اللَّهُ لِي صَاحِبٌ إِلَيْكُمْ وَالصَّارِمُ اللَّهْذَمُ
 حَتَّى دَخَلْتُ الْبَيْتَ فَاسْتَدْرَفْتُ مِنْ شَفَقِي عَيْنِكَ لِي تَسْجُمُ
 ثُمَّ انْجَلَى الْحَزَنُ وَرَوْعَاتُهُ وَغُيِّبَ الْكَاشِحُ وَالْمُبْرَمُ
 فَبِتُّ فِيمَا شِئْتُ مِنْ نَعْمَةٍ يَمْنَحُهَا نَحْرُهَا وَالْفَمُ¹
 حَتَّى إِذَا الصَّبْحُ بَدَا ضَوْوَهُ وَغَارَتِ الْجُوزَاءُ وَالْمِرْزَمُ
 خَرَجْتُ وَالْوِطْءُ خَفِيٌّ كَمَا يَنْسَابُ مِنْ مَكْمِنِهِ الْأَرْقَمُ

قال : فطرب الوليد حتى نزل عن فرشه وسريه ، وأمر المغنين فغنوه الصوت وشرب عليه أقداحاً ، وأمر لإسماعيل بكسوة وجائزة سنية ، وسرجه إلى المدينة .

نسبة هذا الصوت

الشعر لإسماعيل بن يسار النسائي . والغناء لابن سريج رمل .

[سمع شيخ قينة تغنى شعره فألقى بنفسه في الفرات إعجاباً به]

حدثنا أحمد بن عبيد الله بن عمارة قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثنا إسحاق الموصلي قال حدثنا محمد بن كنانة قال : اصطحب شيخ وشباب في سفينة من الكوفة ؛ فقال بعض الشباب للشيخ : إن معنا قينة لنا ، ونحن نجلك ونحب أن نسمع غناءها . قال : الله المستعان ؛ فأنا أرقى على الأطلال وشأنكم . فغنت : [من السريع]

حَتَّى إِذَا الصَّبْحُ بَدَا ضَوْوَهُ وَغَارَتِ الْجُوزَاءُ وَالْمِرْزَمُ
 أَقْبَلْتُ وَالْوِطْءُ خَفِيٌّ كَمَا يَنْسَابُ مِنْ مَكْمِنِهِ الْأَرْقَمُ

قال : فألقى الشيخ بنفسه في الفرات ، وجعل يخط بيديه ويقول : أنا الأرقم ! أنا

الأرقم ! فأدركوه وقد كاد يغرق ؛ فقالوا : ما صنعت بنفسك ؟ فقال : إني والله أعلم من معاني الشعر ما لا تعلمون .

[مدح عبد الله بن أنس فلم يكرمه فهجاه]

أخبرني الحسن بن عليّ الخفاف قال حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال حدثني أبو مسلم المستمليّ عن المدائنيّ قال : مدح إسماعيل بن يسار النسائيّ رجلاً من أهل المدينة يقال له عبدُ الله بن أنس ، وكان قد اتصل ببني مروان وأصاب منهم خيراً ، وكان إسماعيل صديقاً له ؛ فرحل إلى دمشق إليه ، فأنشده مديحاً له ومثّ إليه بالجوار والصدقة ؛ فلم يُعْطِه شيئاً . فقال يهجوهُ¹ :

لَعَمْرُكَ مَا إِلَى حَسَنِ رَحَلْنَا
وَلَا زُرْنَا حُسَيْنًا يَا ابْنَ أَنْسِ
(يعني الحسن والحسين رضي الله عنهما)

وَلَا عَبْدًا لِعَبْدُهُمَا فَنَحْطِي
لَكِنْ ضَبًّا جَنْدَلَةً أَتِينَا
فَلَمَّا أَنْ أَتَيْنَاهُ وَقُلْنَا
وَأَعْرَضَ غَيْرَ مُنْبَلِجٍ لِعُرْفِ
فَقَلْتُ لِأَهْلِهِ أَبِيهِ كُزَازٌ
فَكَانَ الْغَنَمُ أَنْ قُمْنَا جَمِيعًا
بِحُسْنِ الْحَطِّ مِنْهُمْ غَيْرَ بَخْسِ
مُضِبًّا فِي مَكَامِنِهِ يُفْسِي
بِحَاجَتِنَا تَلَوْنَ لَوْنَ وَرَسِ
وَوَظَلَّ مُقَرَّبًا ضَيْرَسًا بِضَيْرِسِ
وَقَلْتُ لِصَاحِبِي أَتْرَاهُ يُمْسِي
مَخَافَةَ أَنْ نُزْنَ بِقَتْلِ نَفْسِ

[رثاؤه ل محمد بن عروة]

حدثني عمي قال حدثنا أحمد بن زهير قال حدثنا مُصعب بن عبد الله قال : وقد عروة بن الزبير إلى الوليد بن عبد الملك وأخرج معه إسماعيل بن يسار النسائيّ ، فمات في تلك الوفادة محمد بن عروة بن الزبير ، وكان مُطَّلِعاً على دوابِّ الوليد بن عبد الملك ، فسقط من فوق السطح بينها ، فجعلت ترمحه حتى قطعته ، وكان جميل الوجه جواداً . فقال إسماعيل بن يسار يرثيه :

صَلَّى إِلَاهُ عَلَى فَتَى فَارَقْتَهُ
بِالشَّامِ فِي جَدَثِ الطَّوِيِّ الْمُحَدِّدِ²

1 ورد بعض هذه الأبيات برواية مختلفة في عيون الأخبار 3 : 154 منسوبة للحارث الكندي .

2 الطوي : (هنا) القبر المعرش بالحجارة والآجر . وأحد القبر : جعل له الحداً .

بِوَأْتِهِ بِيَدِيَّ دَارَ إِقَامَةٍ
وَعَبْرَتُ أَعْوَلِهِ وَقَدْ أَسْلَمْتُهُ
مُتَخَشِعًا لِلدَّهْرِ أَلَيْسُ حَلَّةً
أَعْنِي ابْنَ عُرْوَةَ إِنَّهُ قَدْ هَدَنِي
فَإِذَا ذَهَبْتُ إِلَى الْعَزَاءِ أُرُومُهُ
مَنَعَ التَّعْزِيَّيَّ أَنْتَنِي لِفِرَاقِهِ
وَنَأَى الصَّدِيقُ فَلَا صَدِيقَ أَعَدُّهُ
فَلَكُنْ تَرَكْمَكَ يَا مُحَمَّدُ ثَاوِيًا
كَانَ الَّذِي يَزَعُ الْعَدُوَّ بِدَفْعِهِ
فَمَضَى لَوَجْهَتِهِ وَكُلُّ مُعَمَّرٍ

[دخل على عبد الملك بن مروان بعد قتل ابن الزبير ومدحه فأكرمه]

حدثني عمي قال حدثني أحمد بن أبي خيثمة قال حدثنا مُصعب بن عبد الله عن أبيه : أن إسماعيل بن يسار دخل على عبد الملك بن مروان لما أفضى إليه الأمر بعد مقتل عبد الله بن الزبير ، فسلم ووقف موقف المُشيد واستأذن في الإنشاد . فقال له عبد الملك : الآن يا ابن يسار ! إنما أنت امرؤ زبيرٍ ، فبأي لسان تُشيد ؟ فقال له : يا أمير المؤمنين ، أنا أصغر شأنًا من ذلك ، وقد صفحت عن من هو أعظم جرمًا وأكثر غناءً لأعدائك مني ، وإنما أنا شاعر مُضحك . فتبسّم عبد الملك ؛ وأومأ إليه الوليد بأن يُنشد . فابتدأ فأنشد قوله :

[من الطويل]

أَلَا يَا لَقَوْمِي لِلرُّقَادِ الْمُسَهَّدِ
وَلِلْحَالِ بَعْدَ الْحَالِ يَرْكَبُهَا الْفَتَى
وَلِلْمَرْءِ يُلْحَى فِي التَّصَابِي وَقَبْلَهُ
وَكَيفَ تَنَاسَى الْقَلْبِ سَلْمَى وَحُبُّهَا

حتى انتهى إلى قوله :

1 الأماعر : جمع أمعر وهو المكان الصلب الكثير الحصى ، والأرض معزاء .

2 الأريد هنا : الأسد .

إِلَيْكَ إِمَامَ النَّاسِ مِنْ بَطْنِ يَثْرِبٍ وَنَعَمَ أَخُو ذِي الْحَاجَةِ الْمُتَعَمِّدِ
رَحَلْنَا لِأَنَّ الْجُودَ مِنْكَ خَلِيفَةٌ وَأَنْتَ لَمْ يَذُمَّمْ جَنَابُكَ مُجْتَدِي
مَلَكَتْ فَزِدْتَ النَّاسَ مَا لَمْ يَزِدْهُمْ إِمَامٌ مِنَ الْمَعْرُوفِ غَيْرِ الْمُصَرِّدِ¹
وَقُمَّتْ فَلَمْ تَنْقُضْ قِضَاءَ خَلِيفَةٍ وَلَكِنْ بِمَا سَارُوا مِنَ الْفِعْلِ تَقْتَدِي
وَلَمَّا وَلِيْتَ الْمُلْكَ ضَارِبَتْ دُونَهُ وَأَسْنَدْتَهُ لَا تَأْتِي خَيْرَ مُسْنَدِ²
جَعَلْتَ هِشَامًا وَالْوَلِيدَ ذَخِيرَةً وَلِيَّيْنِ لِلْعَهْدِ الْوَثِيقِ الْمُوَكَّدِ

قال : فظفر إليهما عبدُ الملك متبسماً ، والتفت إلى سليمان فقال : أخرجك إسماعيل من هذا الأمر . فقطب سليمان ونظر إلى إسماعيل نظر مُغْضَب . فقال إسماعيل : يا أمير المؤمنين ، إنما وَزَنَ الشعرُ أخرجته من البيت الأول ، وقد قلتُ بعده :

وَأَمْضَيْتَ عِزْمًا فِي سُلَيْمَانَ رَاشِدًا وَمَنْ يَعْتَصِمُ بِاللَّهِ مِثْلَكَ يَرْشُدِ
فَأَمْرٌ لَهُ بِالْفَيْ دَرَاهِمٍ صَلَّةً ، وَزَادَ فِي عَطَائِهِ ، وَفَرَضَ لَهُ ، وَقَالَ لَوْلَدِهِ : أَعْطُوهُ ؛ فَأَعْطُوهُ
ثَلَاثَةَ آلَافِ دَرَاهِمٍ .

[استنشد هشام بن عبد الملك فافتخر فرمى به في بركة ماء ونفاه إلى الحجاز]

أخبرني عمِّي قال حدثنا أحمد بن أبي خيثمة قال ذكر ابن النطّاح عن أبي اليقظان : أن إسماعيل بن يسار دخل على هشام بن عبد الملك في خِلافته وهو بالرُّصافة جالسٌ على بركة له في قصره ، فاستنشده وهو يرى أنّه يُنْشِده مديحاً له ؛ فأنشده قصيدته التي يفخر فيها بالعجم :

يَا رَبْعَ رَامَةَ بِالْعَلْيَاءِ مِنْ رِيمٍ هَلْ تَرْجِعَنَّ إِذَا حَيَّيْتُ تَسْلِيمِي³
مَا بِالْحَيِّ غَدْتُ بُزْلُ الْمَطِيِّ بِهِمْ تَخْدِي لِعَرَبْتَهُمْ سَيْرًا بِتَقْجِيمِ
كَأَنَّي يَوْمَ سَارُوا شَارِبٌ سَلَبْتُ فَوَادَهُ قَهْوَةً مِنْ خَمْرِ دَارُومِ⁴

حتى انتهى إلى قوله :

إِنِّي وَجَدْتُكَ مَا عُودِي بِذِي خَوْرٍ عِنْدَ الْحِفَاظِ وَلَا حَوْضِي بِمَهْدُومِ

1 غير مصدر : غير قليل .

2 وأسندته في ل : وساندته .

3 رامة : اسم هضبة أو جبل . ورثم : واد قرب المدينة .

4 داروم : قلعة بعد غزة في الطريق إلى مصر .

أُصْلِي كَرِيمٌ وَمَجْدِي لَا يُقَاسُ بِهِ
أَحْمِي بِهِ مَجْدُ أَقْوَامٍ ذَوِي حَسَبِ
جَحَاجِحِ سَادَةٍ بُلُجِ مَرَازِيَةٍ
مَنْ مِثْلُ كِسْرَى وَسَابُورِ الْجَنُودِ مَعًا
أَسْدُ الْكُتَابِ يَوْمَ الرُّوعِ إِنْ زَحَفُوا
يَمِشُونَ فِي حَلَقِ الْمَادِيِّ سَابِغَةً
هَنَّاكَ إِنْ تَسَالَى تُنْبِي بَأَنَّ لَنَا
وَلِي لِسَانٌ كَحَدِّ السَّيْفِ مَسْمُومٍ
مِنْ كُلِّ قَرْمٍ بَتَاجِ الْمَلِكِ مَعْمُومٍ
جُرْدِ عِتَاقِ مَسَامِيحِ مَطَاعِيمِ
وَالْهُرْمُزَانِ لِفَخْرٍ أَوْ لَتَعْظِيمِ
وَهُمْ أَذَلُّوا مَلُوكَ التُّرْكِ وَالرُّومِ
مَشَى الصَّرَاغِمَةَ الْأَسْدِ اللَّهَامِيمِ
جُرْثُومَةً فَهَرَّتْ عِزُّ الْجَرَائِمِ

قال : ففضيب هشامٌ وقال له : يا عاضٌ بَظُرِ أُمَّه ! أَعْلَى تَفَخَّرَ وَإِيَّايَ تُشِيدُ قَصِيدَةً تَمْدَحُ بِهَا نَفْسَكَ وَأَعْلَاجَ قَوْمِكَ ؟ غَطُّوه فِي الْمَاءِ ، فَغَطُّوه فِي الْبِرْكَةِ حَتَّى كَادَتْ نَفْسُهُ تَخْرُجُ ، ثُمَّ أَمَرَ بِإِخْرَاجِهِ وَهُوَ بَشْرٌ وَنَفَاهُ مِنْ وَقْتِهِ ، فَأَخْرَجَ عَنِ الرُّصَافَةِ مِنْفِيًّا إِلَى الْحِجَازِ . قَالَ : وَكَانَ مَبْتَلَى بِالْعَصْبِيَّةِ لِلْعَجْمِ وَالْفَخْرِ بِهِمْ ، فَكَانَ لَا يَزَالُ مَضْرُوبًا مَحْرُومًا مَطْرُودًا .

[مدح الوليد والغمر ابني يزيد فأكرماه]

أخبرني عمي قال حدثني أحمد بن أبي خيثمة قال قال ابن النطاح وحدثني أبو اليقظان : أن إسماعيل بن يسار وقد إلى الوليد بن يزيد ، وقد أسنَّ وضعف ، فتوسَّلَ إليه بأخيه الغمر ومدحه بقوله :

نَأْتِكَ سُلَيْمِي فَالْهُوَى مُتَشَاوِرُ
نَأْتِكَ وَهَامَ الْقَلْبُ ، نَأْيًا بِذِكْرِهَا
بِوَاضِحَةِ الْأَقْرَابِ خَفَافَةِ الْحَشَا
بِرَهْرَهَةٍ لَا يَجْتَوِيهَا الْمُعَاشِرُ²

يقول فيها يمدح الغمر بن يزيد :

إِذَا عَدَّدَ النَّاسُ الْمَكَارِمَ وَالْعُلَا
فَمَا مَرٌّ مِنْ يَوْمٍ عَلَى الدَّهْرِ وَاحِدٍ
تَرَاهُمْ خَشُوعًا حِينَ يَبْدُو مَهَابَةً
فَلَا يَفْخَرْنَ يَوْمًا عَلَى الْغَمْرِ فَاخِرُ
عَلَى الْغَمْرِ إِلَّا وَهُوَ فِي النَّاسِ غَايِرُ
كَأَنَّ خَشَعَتْ يَوْمًا لِكِسْرَى الْأَسَاوِرُ

1 نأياً في ل : جهلاً .

2 الأقرباب : جمع قرب وهي الخاصرة . برهرة : المرأة البيضاء الشابة الناعمة .

أَغْرُ بِطَاحِيٍّ كَأَنَّ جَبِينَهُ
وَقَى عِرْضَهُ بِمَالٍ فَاَلْمَلُ جُنَّةٌ
وَفِي سَيِّبِهِ لِلْمَجْتَدِينَ عِمَارَةٌ
نَمَاهُ إِلَى فَرْعِي لُؤَيٍّ بِنِ غَالِبٍ
وَخَمْسَةُ آبَاءٍ لَهُ قَدْ تَتَابَعُوا
بِهَالِيلٍ سَبَّاقُونَ فِي كُلِّ غَايَةٍ
هُمُ خَيْرٌ مَنْ بَيْنَ الْحَجُونَ إِلَى الصِّفَا
وَهُمْ جَمَعُوا هَذَا الْأَنَامَ عَلَى الْهَدَى
إِذَا مَا بَدَأَ بَدْرٌ إِذَا لَاحَ بَاهِرُ
لَهُ وَأَهَانَ الْمَالَ وَالْعِرْضُ وَافِرُ
وَفِي سَيِّفِهِ لِلدِّينِ عِزٌّ وَنَاصِرُ
أَبُوهُ أَبُو الْعَاصِي وَحَرْبٌ وَعَامِرُ
خَلَائِفُ عَدْلٍ مُلْكُهُمْ مُتَوَاتِرُ
إِذَا اسْتَبَقَتْ فِي الْمَكْرُمَاتِ الْمَعَاشِرُ
إِلَى حَيْثُ أَفْضَتْ بِالْبَطَاحِ الْحَزَاوِرُ¹
وَقَدْ فَرَّقَتْ بَيْنَ الْأَنَامِ الْبَصَائِرُ

قال : فأعطاه الغمّر ثلاثة آلاف درهم وأخذ له من أخيه الوليد ثلاثة² آلاف درهم .
أخبرني عمّي قال حدثنا أحمد بن أبي خيثمة عن مُصعب قال : لما مات محمد بن يسار ،
وكانت وفاته قبل أخيه ، دخل إسماعيل على هشام بن عروة ، فجلس عنده وحدثه بمصيبته
ووفاة أخيه ، ثم أنشده يرثيه :

عَيْلَ الْعَزَاءِ وَخَانَسِي صَبْرِي
وَرَأَيْتُ رَبِّبَ الدَّهْرِ أَفْرَدَنِي
مِنْ طَيِّبِ الْأَثْوَابِ مُقْتَبِلٍ
فَمَضَى لَوَجْهَتِهِ وَأَدْرَكَهُ
وَعَبَّرْتُ مَالِي مَنْ تَذَكَّرَهُ
وَجَوَى يُعَاوِدُنِي وَقَلَّ لَهُ
لَمَّا هَوَتْ أَيْدِي الرِّجَالِ بِهِ
وَعَلِمْتُ أَنِّي لَنْ الْأَقِيَهُ
كَادَتْ لِفَرْقَتِهِ وَمَا ظَلَمْتُ
وَلَعَمْرُ مَنْ حُبِسَ الْهَدْيِيُّ لَهُ

لَمَّا نَعَى النَّاعِي أَبَا بَكْرٍ
مِنْهُ وَأَسْلَمَ لِلْعِدَا ظَهْرِي
خُلُوِ الشَّمَائِلِ مَا جَدِ غَمْرٍ
قَدَرْتُ أُتِيحَ لَهُ مِنَ الْقَدْرِ
إِلَّا الْأَسَى وَحَرَارَةُ الصِّدْرِ³
مَنِّي الْجَوَى وَمَحَاسِنُ الذِّكْرِ
فِي قَعْرِ ذَاتِ جَوَانِبِ غُبْرٍ
فِي النَّاسِ حَتَّى مَلْتَقَى الْحَشْرُ
نَفْسِي تَمَوْتُ عَلَى شَفَا الْقَبْرِ
بِالْأَخْشَبِينَ صَيِّحَةَ النَّحْرِ⁴

1 الحزاوير : جمع حزرورة وهي الرابية الصغيرة .

2 ل : خمسة .

3 غبر هنا : مكث وبقي .

4 الأخشبان : جبلان .

لو كان نيلُ الخلدِ يُدرکه
لَعَبْرَتَ لا تخشى المُنونَ ولا
ولنعْمَ ماوى المُرْمِلينَ إذا
كم قلتُ آونةً وقد ذرَفْتُ
أنى وأيُّ فتى يكون لنا
لِدفاعِ خصمِ ذي مُشاغَبَةٍ
ولقد علمتُ وإنَّ ضمنتُ جوى
ما لامرىءِ دون المنيَّةِ مِن

بَشْرٍ بطيبِ الخيمِ والنَّجْرِ
أودى بنفسك حادثُ الدهرِ
فُحِطوا وأخلفَ صائبُ القطرِ
عيني فماءُ شؤونها يجري
شرواكَ عند تَفاقُمِ الأمرِ
ولعائلِ تَرِبِ أخي ففقرِ
مما أجنَّ كواهِجِ الجَمْرِ
نَفَقِ فيحزُّرُهُ ولا سِتْرِ

قال : وكان بحضرة هشام رجلٌ من آل الزبير ، فقال له : أحسنتَ وأسرفتَ في القول ، فلو قلتَ هذا في رجلٍ من ساداتِ قريش لكان كثيراً . فجزاه خيراً . فلما انصرف تناول هشامُ الرجلَ الزبيريَّ وقال : ما أردتَ إلى رجلٍ شاعرٍ ملكَ قوله فصرفَ أحسنه إلى أخيه ! ما زدتَ على أن أغريته بعرضيك وأعراضنا لولا أني تلافيته . وكان محمد بن يسار أخو إسماعيل هذا الذي رثاه شاعراً من طبقة أخيه ؛ وله أشعار كثيرة . ولم أجد له خبراً فأذكره ، ولكن له أشعار كثيرة يغنى فيها . منها قوله في قصيدة طويلة :

صوت

غَشِيْتُ الدارَ بالسَّنْدِ دُوَيْنَ الشَّعْبِ مِنْ أُحُدِ
عَفَّتْ بعدي وغيرها تَقَادُمُ سالفِ الأهدِ

الغناء لحكم الوادي خفيفٌ ثقيلٌ عن الهشامي .

ولإسماعيل بن يسار ابنٌ يقال له إبراهيم ، شاعرٌ أيضاً ، وهو القائل : [من المتقارب]

مضى الجهلُ عنكَ إلى طيِّبته وأبكَ جِلْمُكَ من غَيْبته
وأصبحتَ تَعَجَّبُ مما رأيتُ تَ من نَقْضِ دَهرٍ ومن مِرَّة

وهي طويلة يفتخر فيها بالعجم كرهتُ الإطالةً بذكرها .

انقضت أخباره .

صوت¹

[من الطويل]

كُتِبَ لَعْمَرِي كَانَ أَكْثَرَ نَاصِراً وَأَيْسَرَ جُرْماً مِنْكَ ضُرِّجَ بِالْدَمِّ
رَمَى ضَرْعَ نَابٍ فَاسْتَمَرَ بَطْعَنَةً كَحَاشِيَةِ الْبُرْدِ الْيَمَانِيِّ الْمُنْمِمْ²

عروضه من الطويل ، الشعر للنابعة الجعدي . والغناء للهدلي في اللحن المختار ، وطريقته من الثقيل الأول بإطلاق الوتر في مجرى البنصر عن إسحاق . ونذكر هاهنا سائر ما يغني به في هذه الأبيات وغيرها من هذه القصيدة ونسبها إلى صانعه ، ثم تأتي بعده بما يتبعه من أخباره . فمنها على الولاء سوى لحن الهدلي³ :

[من الطويل]

كُتِبَ لَعْمَرِي كَانَ أَكْثَرَ نَاصِراً وَأَيْسَرَ جُرْماً مِنْكَ ضُرِّجَ بِالْدَمِّ
رَمَى ضَرْعَ نَابٍ فَاسْتَمَرَ بَطْعَنَةً كَحَاشِيَةِ الْبُرْدِ الْيَمَانِيِّ الْمُسَهَّمِ
أَيَا دَارَ سَلَمَى بِالْحُرُورِيَّةِ اسْلَمِي إِلَى جَانِبِ الصَّمَّانِ فَاثْتَمَلِمْ⁴
أَقَامَتْ بِهِ الْبُرْدَيْنِ ثُمَّ تَذَكَّرَتْ مَنَازِلَهَا بَيْنَ الدَّخُولِ فَجُرِّثُمْ
وَمَسْكَنَهَا بَيْنَ الْغُرُوبِ إِلَى اللَّوَى إِلَى شُعْبٍ تَرَعَى بِهِنَّ فَعَيْهَمِ
لِيَالِي تَصْطَاذُ الرِّجَالِ بِفَاحِمْ وَأَبْيَضَ كَالْإِغْرِیضِ لَمْ يَتَثَلَمْ

في البيت الأول والثاني لابن سريج ثقيل أول آخر بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى عن إسحاق ويونس . وفيهما لملك خفيف ثقيل بإطلاق الوتر في مجرى البنصر عن إسحاق . وللغريض في الثالث والرابع والأول والثاني ثقيل أول بالسبابة في مجرى الوسطى . وإسحاق في الثالث والأول ثقيل أول بالوسطى ، ذكر ذلك أبو العنبس والهشامي . وللغريض في الرابع ثم الأول خفيف ثقيل بالوسطى في رواية عمرو بن بانه . ولمعبد فيهما وفي الخامس والسادس خفيف ثقيل من رواية أحمد بن المكي . ولابن سريج في الخامس والسادس ثقيل أول بالبنصر من رواية علي بن يحيى المنجم ، وذكر غيره أنه للغريض . وإبراهيم فيه ثقيل أول بالوسطى عن الهشامي ، وذكر حبش أنه لمعبد . ولابن محرز في

1 ديوان النابعة الجعدي .

2 المنمم في الديوان : المسهم .

3 ديوان النابعة الجعدي : 137-147 .

4 الصمان والمثلمم والدخول وجرثم والغروب وعيهم : كلها مواضع .

الأول والثاني والثالث والرابع هَزَجَ ، ذكر ذلك أبو العَبَس ، وذكر قُمْرِيَّ أَنَّهُ لِأَبِي عَيْسَى بْنِ الْمُتَوَكَّلِ لَا يَشْكُ فِيهِ . وَلِلدَّلَالِ فِي الْخَامِسِ وَالسَّادِسِ ثَانِي تَقِيلٍ عَنِ الْهَشَامِيِّ ، وَذَكَرَ أَبُو الْعَبَسِ أَنَّهُ لِلْهُذَلِيِّ . وَلِعَبِيدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ طَاهِرٍ فِي الرَّابِعِ خَفِيفِ رَمَلٍ . وَإِسْحَاقُ فِي الثَّلَاثِ وَالرَّابِعِ أَيْضاً مَاخُورِيَّ ، وَلِعَبْدِ خَفِيفِ تَقِيلٍ أَوَّلٍ بِالْوَسْطَى فِيهِمَا ، وَقِيلَ : إِنَّهُ لِحَنَهُ الَّذِي ذَكَرْنَا مُتَقَدِّماً ، وَإِنَّهُ لَيْسَ فِي هَذَا الشَّعْرِ غَيْرُهُ . وَذَكَرَ حَبِشٌ أَنَّ فِي هَذِهِ الْأَبْيَاتِ الَّتِي أَوَّلُهَا : « كَلِيبٌ لِعَمْرِي » خَفِيفِ رَمَلٍ بِالْوَسْطَى ، وَلِلْهُذَلِيِّ خَفِيفِ تَقِيلٍ بِالْبَنْصَرِ ، وَلِلدَّلَالِ رَمَلٌ ؛ فَذَلِكَ ثَمَانِيَةَ عَشَرَ صَوْتاً¹ . وَأَخْبَرَنِي مُحَمَّدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ قَرِيصٌ أَنَّ لَهُ فِيهِمَا (أَعْنِي الْأَوَّلَ وَالثَّانِي) خَفِيفاً بِالْوَسْطَى .

* * * *

الفهرس

- [43] - ذكر نسب أبي العتاهية وأخباره 5
- [44] - أخبار فريدة 90
- [45] - ذكر أمية بن أبي الصلت ونسبه وخبره 96
- [46] - أخبار حسّان بن ثابت ونسبه 105
- [47] - ذكر الخبير عن غزاة بدر 127
- [48] - نسب علس ذي جدن وأخباره 156
- [49] - أخبار طويس ونسبه 157
- [50] - ذكر الأحوص وأخباره ونسبه 161
- [51] - ذكر خبير الدلال وقصته حين
خُصِيَّ وَمَنْ خُصِيَّ مَعَهُ وَالسَّبَبُ فِي ذَلِكَ وَسَائِرُ أَخْبَارِهِ 190
- [52] - ذكر طريح وأخباره ونسبه 212
- [53] - ذكر ابن مشعب وأخباره 225
- [54] - ذكر أخبار أبي سعيد مولى فائد ونسبه 231
- [55] - ذكر مَنْ قَتَلَ أَبُو الْعَبَّاسِ السَّفَّاحُ مِنْ بَنِي أُمَيَّة 240
- [56] - ذكر حُمَيْدُ بْنُ ثَوْرٍ وَنَسَبُهُ وَأَخْبَارُهُ 249
- [57] - أخبار فليح بن أبي العوراء 251
- [58] - ذكر ابن هرمة وأخباره ونسبه 257
- [59] - ذكر أخبار يونس الكاتب 277
- [60] - أخبار ابن رُهَيْمَةَ 283
- [61] - أخبار إسماعيل بن يسار ونسبه 285

